

جامعة أم القرى
كلية الشريعة و لدراسات الاسلاميه
مكة المكرمة

دور اليهود في القرآ الباطنية

رسالة مقدمة لنسبيل درجة التخصص (الماجستير)
الى قسم الدراسات العليا
الشرعية

فرع العقيدة



بإشراف: فضيلة الشيخ / محمد الغزالي
اعداد : الطالب/ أحمد محمد أحمد مغربي

٢٢٥

١٠٠٦٦٦٦

١٤٠١
١٩٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهدي به، ونعوذ

بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهـدي

الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد

أن محمدا عبده ورسوله ،

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين. إنك

حميد مجيد .

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

يا أيها الذين آمنوا كونوا قويمين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون *

صدق الله العظيم

قال محمد رشيد رضا في تفسير (ولا يجرمنكم شنآن قوم
على ألا تعدلوا) :

أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم
وعداوتكم لهم ، على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم
بحقهم ، إذا كانوا أصحاب الحق ، ومثلها هنا الحكم
لهم به ، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وإيثاره على الجور
والحماية ، وجعله فوق الأهماء وحفظ الأنفس ، وفوق المحبة
والعداوة مهما كان سببهما . فلا يتوهم من متوهم أنه يجوز ترك
العدل في الشهادة للكافر ، أو الحكم له بحقه على المؤمن .

* سورة المائدة ٨
١- تفسير المنار، ج ٦ ، ٨ ط ٢ بالأوفست ، بيروت ، دار
المعرفة ، د ٠ ت ٤ ص ٢٧٤

كلمة شكر وعرفان

اعترافا بالفضل وشكرا لأهله، أدعوا الله خالسا أن يجزي
عني كل من ساهم في اظهار هذا البحث خيرا ما يجزى به
المحسنون .

وعلى رأسهم: * فضيلة الشيخ محمد الغزالي المشرف على
هذه الرسالة وموجهي الأول ، الذي منحني الكثير من علمه، ومن
وقته الثمين ، فقد أنفق معي ساعات كثيرة في منزله بمكة وببنته
بمصر اضافة الى الوقت الرسمي أثناء ساعات الاشراف ، فكان
نعم الأب ونعم الشيخ .

* أخي وزميلي العزيز سليمان السلومي الذي أوقف مكتبته
لمساعدتي، ولم يرض علي بمرجع توفر لديه . وربح لم تلده
أمك .

* الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي الاستاذ بجامعة الميمنية
بمصر، الذي فتح لي بيته ومكتبته ووهبني الكثير من علمه ، ولولا
كانت هذه الرسالة خالية من كثير من مراجعها الأساسية .

* الاستاذ عبد الله الحبشي ، الباحث بمركز الدراسات اليمنية
بصنعاء الذي كان له الفضل الأول بعد الله في الحصول على
المصادر اليمنية للفرق الباطنية .

* والاستاذ صباح حامد صباح ، الذي تفضل بكتابة هذه
الرسالة على الالة الكاتبة .

* كما أشكر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة
في شخص القائمين عليها ، حيث قبلت طالبا بها .

* وكذا الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في شخص القائمين عليها ،
حيث احتضنتني احتضان الوليد .
* كما أشكر اللجنة الموقرة ، التي تفضلت بمناقشة الرسالة .
وجزى الله المحسنين كل خير .

المقدمة

من نعم الله تعالى على ان انتسبت لهذه الكلية العريقة - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المشرقة - منذ ان طرقت ابواب التعليم الجامعي ومن نعمه تعالى ان قبلت في قسم الدراسات العليا بها ولما اكملت السنة المنهجية بهذا القسم لزمني اختيار موضوع اتقدم به لنيل درجة التخصص . فوفقني الله تعالى وهداني بارشاد استاذين لي جليلين هما الاستاذ محمد قطب والدكتور عوض الله حجازي لاختيار الموضوع الذي بين يديكم وهو :

(دور اليهود في الفرق الباطنية)

ولان الموضوع يمس جانباً خاصاً في علم الفرق والمذاهب الفكرية فقد كان لا اختياراً له زدود فعل متباينة من اساتذتي وزملائي ، بين مشجع ومشفق ومثبط ، فزادني ذلك اصراراً عليه ورغبة في سبر غوره وعدت الى بلون الكتب استشف منها ابعاد الموضوع واجري عليه دراسة تمكيني من وضع مخطط اسير عليه فيه واقنع قسم الدراسات العليا به للموافقة عليه واجازته .

وهنا وفقني الله بموافقة شيعي المبارك الشيخ محمد الغزالي ليتولّى مهمة الاشراف عليّ فازددت بنصحه وتوجيهه الابويين اقداما رغم ما بدا من الدراسة الالوية لمعان البحث من الصعوبة والغموض . وبعد ذلك مضيت مستعينة بالله الذي ماخاب من استعان به وجعلت امامي هدفاً واحداً عنه لا اريم ، الا وهو ابتغاء وجه الله في معرفة الحقيقة في :

- (١) عقائد الفرق الباطنية من حيث قريتها وبعدها عن الاسلام .
 - (٢) ما قيل عن الدور اليهودي في ايجاد العقائد الغالية التي ظهرت في البلاد الاسلامية على يد الفرق الباطنية .
- انطلاقاً من الذي ثبت عند اهل العلم عن :

١ دخول بعض الافكار اليهودية الى التفسير والحديث وهي ما عرف بالاسرائيليات .

٢ التهم التي وجهها بعض المفكرين للفكر الشيعة عامة والعقائد الباطنية خاصة من حيث وجود علاقة ما بينها وبين الافكار اليهودية واشخاصها .

٣ التهم التي من بعض المعاصرين من مستشرقين وغيرهم الى اهل السنة خاصة تلك التي تقول بانهم كانوا يتجنون على الشيعة وخاصة الباطنيين منهم ويتهمونهم زورا بما ليس فيهم .

صعوبة الموضوع :

تجلت صعوبة موضوع هذا البحث بعد الذي تبين من انه احد المواضيع التي لم تطرق من قبله فحصرت ابعاده على النحو التالي :
البعد العلمي : ويتطلب الوقوف على عدد لا يستهان به من المراجع لجمع الجزئيات الصغيرة المتفرقة بين اكداس الورق المليئة بالاسطر .

البعد التاريخي : ويتطلب دراسة لفترات زمنية متلاحقة تبدأ ببزوغ الاسلام وتنتهي بالزمن الحاضر ، لان الفرق الباطنية في معظمها موجودة في العالم الاسلامي اليوم على حالها ، وعليه فوجدت انه يجب حصر البحث في فترة تاريخية معينة ، ولكن لما بدا ان ذلك غير ممكن باعتبار البحث مما يختص بعقائد مترابطة ، ولكني استبعدت ما يختص بوضع الباطنيين في العصر الحاضر .

ومن ناحية اخرى فقد وجدت ان البعد التاريخي للفرق الباطنية يتطلب تعقب التراث الفكري لتفريعات صغيرة نشأت في زوايا تاريخية مختلفة عن الفرق الباطنية الاساسية ، فاقترنت الامر عليها رغم قصوره .

البعد الفكري : يستلزم الخوض في عقائد مختلفة مثل :

(١) الافكار الفلسفية وخط مسارها .

(٢) العقائد اليهودية ومصادرها .

(٣) العقائد التي ظهرت بها الفرق الشيعية الغالبة التي

لا يستبعد ان تكون منابع للفكر الباطني .

(٤) الدراسات المعاصرة الفكري منها وهو ما انتجته اقسام المستشرقين

والباحثين في ديار الاسلام ، والمذهبي ، وهو تلك التي تتحدث

عن الحركة الاسماعيلية الباطنية من اهلها المعاصرين .

وقد زاد من هذه الصعوبات :

(١) استحالة الحصول على المصادر الباطنية التي لا تزال قيد السرية

المطلقة فلا تمتد اليها ايدي عامة اهلها فضلا عن الغريب .

(٢) ان المصادر اليهودية لم تترجم بعد الى اللغة العربية فـي

كثير منها (ر . التمهيدي) .

ملاحظات على عنوان البحث :

اعتبر البعض عنوان الرسالة (دور اليهود في الفرق الباطنية)

من باب الحكم والقطع بوجود دور لليهود في الفرق الباطنية ، وعلى

هذا الاعتبار قالوا ان من شيمة الباحث النزيه ان لا يصدر حكما ثم يبنى

على ذلك الحكم موضوعا ، لانه بهذا وضع نتيجة وعليه ان يبحث في

مقدماتها والعكس هو الصواب بمعنى ان كلمة البحث تعني ان على

الطالب ان يستجلي الغوامض بالبحث والتنقيب والموازنة بين المعايير

المختلفة والحيثيات المتقاربة والمتباعدة ليخرج بنتيجة سلبية او ايجابية .

اقول : ان رأي المعترضين حق وهو عين ما ذهبت اليه واتخذت

منهج اسير عليه في الرسالة ، ولم يصدر الى الان مني اي حكم بوجود

الدور اليهودي او نفيه ، وكل ما في الامر ان :

عداوة اليهود للاسلام مما ثبت في امور اخرى وان المتقدمين

تعرضوا للدور الذي لعبه اليهود لمحاربة الاسلام في جبهات مختلفة

كما انهم - اي المتقدمين - تحدثوا عن مواقفها من الاشارة ما فيها الى

وجود ذلك الدور ، ويبقى على الباحث هنا ان يقرأ في التراث الباطني

والتراث اليهودي كي تتبين مدى صحة ما قيل، والنتيجة المتوقعة تتراوح بين
النفي لهذا الدور وحينئذ يكون ما ذهب اليه المتقدمون مجرد اـسـوال
لا قيمة لها وحسبهم الله في ذلك . او الاثبات فيصبح ما ذهب اليه
المتقدمون صوابا نتج عن علم ودراية وبحث وتمحيص، وفي كلا الحالتين
علينا ان نتبع الحق فهو احق ان يتبع .

المقصود بالدور اليهودي :

ان المقصود بذلك هو ما قد يظهر من تراث الباطنيين في عقيدتهم
ودعوتهم من افكار وجدت عن اليهود ولا فرق في ذلك ان تكون مما هو فـي
اصل تراثهم او ما ادخلوه عليها من الافكار السائدة في ملل اخرى ولا يستقيم
هذا المذهب اذا تبين لنا ان الباطنيين اخذوا فكرة ما من مصدر غير
يهودي وان نفس ذلك كان من اليهود .

منهج البحث :

ان منهج البحث في هذه الرسالة يستند في عمومه الى الطريقة
التي تحاول قدر الامكان الرجوع بالنقاط الى منطلقها وذلك عن طريق
المتابعة، وهذه الطريقة تستلزم التجميع والتفريق والكر والفر وتناول امور
قد يظهر منها للوهلة الاولى بعدد ما عن بؤرة الموضوع .
فلا يستغرب بعد ذلك ما قد يجده القارئ فيظن انه خارجا
عن الموضوع، كما هو الحال بالنسبة لموضوع الباب الاول الذي يتحدث عن
الفلاة .

تقسيم الرسالة :

قسمت هذه الرسالة الى :

(١) تمهيد :

وضع الباحث فيه نبذة عن تاريخ هذا العلم، وخرج فيه نحو
المصادر التي يمكن منها استقاء هذا البحث ما يمكن اعتباره محاولة لمعرفة

تلك المصادر وقيمتها العلمية .

(٢) الباب الاول : الغلو الشيعي والفرق الباطنية .

يبدأ هذا الباب بتمهيد عن التشيع وظهوره في العالم الاسلامي .

والفصل الاول من هذا الباب : الصحابة والغلو الشيعي .

ويتحدث عن تركيب مجتمع عصر النبوة من حيث علاقة الصحابة برسول

الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له وعلاقتهم بعضهم ببعض وخاصة

علاقتهم بآل البيت النبوي ومحبتهم لهم .

كما تحدث عن وجهة نظر الصحابة في موالاة علي بن ابي طالب

وتفسيرهم لها ووجهة نظر السلف الصالح لاهل البيت والمقصود بهم

هنا علي والحسين - من التشيع وهل شجع هؤلاء على التشيع ووجوده .

وختم الفصل بحقيقة التشيع ماهي وما انبثقت .

الفصل الثاني : ظهور الغلو . وفيه :

تعريف بالمقصود من الغلو الشيعي، يتبعه تصنيف اجمالاً لـ

لغلاة الشيعة . ثم دراسة عن عبد الله بن سبأ اليهودي واستعراض

اقوال من انكر وجوده كلياً ومن انكر وجوده جزئياً مثل من انكر كونه من

اليهود ومن انكر دوره السياسي ومن احوال ما نسب الى ابن سبأ الى عمار بن

ياسر على انه هو عبد الله بن سبأ ، وتخلل ذلك الروايات السنية والشيعة

عن عبد الله بن سبأ ووجهة نظر الشيعة الباطنيين في هذه الشخصية .

الفصل الثالث : الغلو بعد عبد الله بن سبأ .

وهو يتحدث عن الفرقة الخالية المعروفة بالسبئية وعقائد هذه

الفرقة ، وعن الفرق الكيسانية التي قالت بامامة محمد بن الحنفية وذريته

مثل الكربية والهاشمية والبيانبة والحربية والعباسية والجناحية وعقائد

كل فرقة من هذه الفرق . ثم عرض هذه العقائد على ضوء الفكر اليهودي .

ثم جرى الحديث في هذا الفصل عن الغلاة في ذرية الحسن بن

علي وهم الفرقة المغيرية وعقائدها على ضوء الفكر اليهودي .

يلي ذلك الذين غلوا في ذرية الحسين بن علي مثل :

المنصورية والخطابية بشئى فرقها وعقائد كل منهم وعلاقة تلك العقائد بالفكر اليهودي .

الفصل الرابع : ظهور الفرق الباطنية من الغلاة .

وهو استعراض للفرق التي ظهر فيها القول بالتأويل الباطني اكثر من ظهوره عند الغلاة فاستحقوا لذلك لقب الباطنيين وهم النصرانية والاسماعيلية والمباركية واصناف الاسماعيلية الذين ظهوروا بعد ذلك مثل : الدروز والنزارية والمستعلية الداودية والسلمانية . وفي ختام هذا الباب استعرض البحث اهم النتائج التي تم التوصل اليها .

(٣) الباب الثاني : عقائد الفرق الباطنية ،

ويتعرض لتلك العقائد مبتدئا باهم عقيدة عن الباطنيين وهي " التأويل الباطني " لان جميع العقائد عندهم مبنية على ذلك وشمس هذا الفصل على تعريف بمدلول هذا الاصطلاح واهمية القول بالظاهر والباطن عند الباطنيين وما قيل عنهم بسقوط العمل بالظاهر . ثم جرى الحديث عن اصل التأويل الباطني من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر غيرهم يلي ذلك ما قيل عن وجود التأويل الباطني عند اليهود وعند غلاة الشيعة . ثم السوامل المشتركة بين اليهود والباطنيين بالنسبة للتأويل الباطني .

وقد ختم الفصل بنماذج للتأويل الباطني للقرآن الكريم كما اوردته كتبهم .

الفصل الثاني : التسبيع وهي احدى العقائد الباطنية وفيه توضيح لقيمة الرقم (٧) في عقائدهم ، يلي ذلك ما ذكره من القول بالادوار السبعة وفي هذا ما فيه من القول الذي يذكرونه بمن قال بعدم فناء العالم . ثم علاقة التسبيع بالتناسخ . فنبذة عن تطبيق نظريات التسبيع على الواقع عند الباطنيين وفي ختام الفصل تحدث عن اصل التسبيع وعلاقته بالفكر اليهودي .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين ، فيه حديث عن قصة

الخلق كما يصورهما الباطنيين واهمية الملائكة ومن هم عند الباطنيين واليهود ، يليه الاشتراك اللفظي في اسم الله عز وجل وتعالى بسين ذاته وسواه عند الباطنيين ومثيل ذلك عند اليهود ، ثم ظاهرة تأليه النصيرية لعلي بن ابي طالب ، والقول بحلول روح الله الذي نسب الى بقية الباطنيين .

الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الانبياء والمرسلين ، ومن هو آخر الرسل عند الباطنيين وقولهم بنسخ الشريعة ، ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم عند الباطنيين .

الفصل الخامس : الامامة . تعريفها ومنزلتها في عقائد الشيعة يلي ذلك الامامة عند الباطنيين وفيه خصائص ائمتهم من حيث تكونهم وصفاتهم ومعجزاتهم وعصمتهم كل ذلك بالاضافة الى علاقة ذلك بالفكر اليهودي ، ثم حديث عن قول الباطنيين باستمرار الامامة امد الدهر بامام ظاهر او مستور والمقصود بذلك عندهم واسبابه .

الفصل السادس : يتحدث عن الائمة الباطنيين المستورين ، ويشمل ترجمة لاسماعيل بن جعفر الذي ينتسب الاسماعيليون الباطنيون اليه ودوره في الفكر الباطني ، يلي ذلك ترجمة اخرى لابنه محمد بن اسماعيل وفيها تعرض الباحث ايضا لدوره في الفكر الباطني . وقد ختم هذا الفصل بنبذة عن الائمة الباطنيين المستورين .

الفصل السابع : عقيدة المهدي المنتظر ، ويشتمل على مسألة المهدي المنتظر عند اهل السنة والجماعة ، ويليه ذات المسألة عند الشيعة ، ثم المهدي الباطني المنتظر وفضليته عندهم وعلاقته بالقيامة والبحث والنشور . يليه ذكر للاراء الباطنية في الثواب والعقاب وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي . وهو آخر فصل في الباب الثاني .

وختمت الباب باستعراض لاهم النتائج التي ظهرت من دراسة هذا الباب .

(٤) الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها .

يتحدث الفصل الاول من هذا الباب عن عماد الدعوة الباطنية وركنيها الاساسيين : السرية ووسائلها وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي التدرج في الدعوة الباطنية بحيث يرتفع الباطني الى درجة من درجات دينهم قبل ان يكمل الدرجة التي سبقت ومعنى ذلك واهمية اخذ العهد على كل من ينتسب اليهم واسباب ذلك وعلاقة القمع الفكري باساليب الدعوة الباطنية . ثم موازنة الفرق الباطنية والجمعية الماسونية والعلاقة بين الماسونية واليهود وبينهم وبين الباطنيين في الدعوة .

الفصل الثاني : عن الدعاة الباطنيين وتنظيمهم ومراتبهم ، يلي ذلك تجاوزات من بعض الدعاة نسبت الى الفكر الباطني وشوهرته وعلاقة ذلك بحقيقة العقيدة الباطنية ، ثم استعراض لما نسب الى بعض دعاتهم من وجود نماذج فكرية يهودية في ثرائهم .

الفصل الثالث : يتحدث عن جانب هام من تاريخ الدعوة الباطنية من حيث علاقته بكون الخلفاء العبيديين ائمة من اهل البيت . وقد استعرض الباحث عملية ارسال الباطنيين الدعاة الى اماكن معينة فسي العالم ، وانتشار الدعوة الباطنية في اليمن والمغرب وتعيين مركز انطلاق الدعوة الباطنية . وجري الحديث في هذا الفصل عن مسألة النسب الفاطمي ومن اول من نفاه عن العبيديين هل هم اهل السنة باعتبارهم مناوئين للباطنيين ام غيرهم ، وفيه كيفية بداية تأسيس دولة العبيديين على يد عبيد الله المهدي وعلاقته بالخليفة الذي كان بعده وهو القائم بامر الله ، ثم عن علاقة العبيديين بالقداحيين ابناء ميمون القداح ويلييه دراسة عن ذرية ميمون القداح وعلاقتهم بالدعوة الباطنية من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر سواهم ، وختام الفصل كان استعراضا لما قيل في اصل القداحيين ونسبتهم الى اليهود كل ذلك من خلال مقارنة في ذلك بين المصادر الباطنية والمصادر الاخرى .

وفي نهاية الباب استعرضت اهم النتائج التي ظهرت في ختام هذا الباب وهو آخر ابواب الرسالة .

وبعد ذلك وضعت خاتمة للرسالة ؛ تحدثت فيها عن أشياء وجدت بها على جوانب مختلفة من الرسالة ما يمكن اعتباره نقدا لها وختمت الرسالة بالنتائج العامة التي توصل اليها والاقتراحات التي يأمل الباحث تحقيقها .

وقد وجدت رغبة في اضافة ملاحق للرسالة لنصوص باطنية رجع الباحث اليها وبعضها غير معروف من قبل، ولكن لظروف اعتبرها خاصة امتنعت عن ذلك ولان الرسالة استفادت في مجموعها من تلك النصوص بقدر كاف ، الا ان هناك كتابا نشرته الجامعة الامريكية بالقاهرة منذ اكثر من عشرين سنة فيه رسالة من المهدي عبيد الله مؤسس الدولة العبيدية فأثرت نشره كما هو باعباره وثيقة رسمية عبيدية باطنية حول مسألة النسب الفاطمي .

وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون ..

الرموز المستعملة في الرسالة

ص : تأتي في الهوامش بعد ذكر المرجع وتعني صفحة كذا .

ص ص : تأتي في المواضع بعد ذكر المرجع وتعني أن المطلوب في المرجع أكثر من
صفحة .

فما : تأتي بعد ذكر رقم صفحة ما والمقصود إحالة القارئ للرجوع الى الصفحة المطلوبة
فما بعدها :

ق : تأتي في المواضع بعد ذكر اسم المرجع الذي يكون هنا مخطوطا غير مرقم
الصفحات ، وتعني ورقة .

ق ق: تأتي في الهوامش بعد ذكر اسم المرجع الذي يكون هنا مخطوطا غير مرقم
الصفحات ، وتعني أكثر من ورقه .

(ر.ص ٠٠٠) = راجع صفحة كذا من البحث وقد لجأ الباحث الى ذلك منعاً للتكرار ، وربطاً لما له علاقة بالموضوع .

(ص): تأتي بعد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي تذكير للقارئ بوجوب الصلاة والسلام عليه وقد تأتي بين النصوص المنقولة بعد اسمه (ص) أو بعد اسم أحد أئمة الباطنيين .

(صلح) : تأتي في النصوص الشيعية عموماً بعد ذكر النبي (ص) أو أحد الأئمة.

(ع) : تأتي في النصوص الشيعية عموما بعد ذكر أحد الأنبياء أو أحد الأئمة
أو الدعاة الباطنيين وتعني : عليه السلام .

6 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 66 : (۶۶)

— ٠٠٠ — : ما بين الغلامتين جملة اعتراضية .

(- ٠٠٠) : علامة ناقص التي بين القوسين مع رقم يعني سنة وفاة العلم المذكور
ذلك بعده .

[١٠٠] : ما بين الحاصرتين يأتي بين النصوص التي استشهد بها الباحث بها وهي

إضافة من الباحث .

[كذا] : ورود كلمة كذا بين الحاصرتين يأتي بين النصوص المستشهد بها ،
وهي اشارة الى أن العبارة وردت كذلك في النص الذي يتضح فيه
وجود خطأ ما ، أثر الباحث الإبقاء عليه .

جميع التواريخ في البحث بالتاريخ الهجري و فہوتاریخ المسلمین
الا أن ینوہ علی خلاف ذلك ما عدا ہوامش المراجع التي أرخ لطبعہا
بالتاریخ المسیحی وهو واضح ومألوف .

ان دراسة عقائد الفرق من العلوم الاسلامية الجليلة ، التي ظهرت قديما .
وقد أشار فؤاد سزكين الى أن التأليف في هذا العلم يمتد الى القرن الأول حيث
ألف ابو الأسود الدؤلي (- ٦٩) رسالة في ذم القدرية (ر : تاريخ التراث
العربي ، ج ٢ الطبعة العربية ، ص ٣٤٥) .

وعلم عقائد الفرق ذوجوانب منها :

١- الردود : وهو الجانب الذي يهتم بالناحية الجدلية ، بالرد على عقيدة
ما أو ذمها أو حتى الدفاع عنها ، وربما كان هذا الجانب من أقدم الجوانب
في علم عقائد الفرق .

٢- الدراسات المقارنة : وهي تميل الى الحديث المجرد عن الفرق ومقالاتها
وهذا الجانب وان لم يخل من الناحية الجدلية الا أن له طابعا عاما هو
ما يمكن تصنيفه الى جانب الدراسات المقارنة ، كما أن له رافدا هاما ، يفيد
الذين يهتمون بتاريخ الحركات الفكرية . وأحسب أن ما تحدث به ابن قتيبة
(- ٢٧٦) في كتاب المعارف يمكن اعتباره نموذجا قديما قائما يصور لنا ذلك
(ر : ص ٦٢٢ - ٦٢٥ منه) .

وقد أطلق على الكتب التي اختصت بهذا النوع من الدراسات " كتب المقالات " .
كما سُمي مؤلفوها " أصحاب المقالات " . ولعلها اكتسبت ذلك من أول كتاب ألف
في هذا الجانب ، وهو كتاب الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي (- ٢٤٥ أو ٢٤٨)
المسَمَّى بكتاب المقالات (ر : سزكين . تاريخ التراث العربي ، ٢ / ٣٦٨ ، ٣٦٩)
وهذا الكتاب مفقود حاليا .

ومن كتب المقالات ما اتخذ الجانب العام وأعني به دراسة عامة للفرق وعقائدها
وبين يدي طلاب العلم في ذلك على سبيل المثال :

كتاب أبي الحسن الأشعري (- ٣٣٠) وهو : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

- كتاب البغدادى (٤٢٩ -) وهو : الفرق بين الفرق .
 - كتاب أبى محمد على بن حزم (٤٥٦ -) وهو : الفصل فى الملل والأهواء والنحل .
 - كتاب الشهرستانى (٥٤٨ -) وهو : الملل والنحل .
 - كتاب الفخر الرازى (٦٠٦ -) وهو : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .
- وقد استفاد البحث من هذه الكتب الكثير من علمها فيما يختص بالفلاة والفرق الباطنية .

ونجد فى الكتب الموسوعية مقاطع هامة عن الفرق مثل :

كتاب ابن قتيبة . وهو : المعارف الذى سبق الحديث عنه .

كتاب الداعى الباطنى أبو حاتم الرازى (٣٢١ -) ، وهو : كتاب الزينة فى الكلمات الاسلامية والعربية ، الذى يعتبر القسم الثالث منه كتابا يكاد يكون مستقلا عن الفرق من وجهة نظر شخص باطنى حاول أن يتجرد عن باطنيته ، وقد استفاد البحث منه فيما يختص بالفلاة .

ومن كتب المقالات ما اتبع الجانب الخاص ، وأعني بذلك اجراء دراسة عن فرق خاصة يجمعها رأى متقارب . ومن الممكن اعتبار واصل بن عطاء المعتزلى (١٣١ -) من أول المصنفين فى هذا المجال حين ظهر بكتابه " أصناف المرجئة " (ر . محمد محيى الدين عبد الحميد . مقدمة لكتاب مقالات الاسلاميين . وسزكسين ٣٦٠ / ٢) .

وأشهر الكتب حاليا فى ذلك :

- كتاب سعد بن عبد الله الأشعري القمى (٣٠١ -) ، وهو كتاب المقالات والفرق .
 - كتاب أبى الحسن النوبختى (٣١٠ -) ، وهو : فرق الشيعة
- والكتابان من مصادر هذا البحث وهما يهتمان الى حد بعيد بفرق الشيعة خاصة ، أكثر من اهتمامهما بسواها من الفرق .

عن الفرق الباطنية خاصة يمكن القول ان معظم ما ألف فيها يعتبر من صنف الكتب

وإذا نظرنا الى الفرق الباطنية من حيث نسبتها الى " الباطن " ومن حيث اعتمادها " السرية " و " الستر " منها كما سيتضح في البحث - ، فان الكتب التي ألفت عن هذه الفرقة من غير أهلها تتميز بأسماء مقرونة " بالكشف " و " الهيك " و " الفصح " ، ولا ينسحب هذا بالضرورة على ما كان من قبل في كتب أصحاب المقالات عن الباطنية ، ولعل أقدم الكتب التي اهتمت بالفرق الباطنية خاصة :

كتاب ابن عبد الله بن رزام (عاش تخميناً في أوائل القرن الرابع - لويس ص ٥٧) .
ان ابن النديم الذي نقل نصوصاً عن هذا الكتاب لم يسمه ولكنه وصفه بأنه : رذ على الاسماعيليه وكشف مذاهبهم (ر . الفهرست ص ٢٧٨) . والكتاب مفقود حالياً الا أن ابن النديم (- ٣٧٨) نقل منه كما تقدم . وكذا المسعودي (- ٣٤٦) والمقريزي (- ٨٤٥) . (ر . الفهرست ص ٧٨ واتحاظ الحنفا ٢٢ / ١ ولويس . أصول الاسماعيليه ص ٥٨) .

ويرى لويس ومن أخذ عنه أن ابن رزام أول من ربط بين ميمون القداح والخلفاء العبيديين كما يفهم من عبارته التي أقرنها بأن ذلك من حيث كتب السنة . ولكن الباحث يعتبر ذلك تجنياً على ابن رزام وأهل السنة ، لأن القاضي النعمان الباطني (- ٣٦٣) ذكر أن هذه المسألة ما ذكر في كتاب جاء به أحد الدعاة الباطنيين النائين الى المعز لدين الله (تولى الحكم ٣٤١) وأن هذا الداعي يعتبر مسألة ربط ميمون القداح بالخلفاء العبيديين مسألة مُسلمة (ر . المجالس والمسايرات ص ٤٠٩ ، ٤١٠) ويعيد جداً أن يكون ذلك صدقاً لما ذكره ابن رزام ، الذي يعتبر خصماً للباطنيين ، ويؤيد ذلك أن من المعروف أن " الميمون " اسم مرتبط بالدعوة الباطنية وزعمائها منذ أيام المهدي عبيد الله مؤسس الدولة العبيديّة (- ٣٢٢) ، (ر . الملحق - ١) وان فُسِّر على وجه آخر . وقد استفاد البحث من المقتطفات التي نقلت عن كتاب ابن رزام .

كتاب ابي بكر الباطلاني (- ٤٠٣) ، وهو : كشف الأسرار وهتك الأستار .
وهو مما يظهر أنه من الكتب المفقودة ، الا أن ابن حزم الظاهري (- ٤٥٦) ذكر في
أكثر من صفحة نصوصا عنه تختص بعقائد الباطنية (ر . الفصل ٤ / ٢٢٢) كما
ذكر تاج الدين السبكي (- ٧٧١) في طبقات الشافعية أن الباطلاني كشف
في أول كتابه المذكور بطلان نسب الفاطميين - العبديين (ر . هـ التمهيد للباطلاني ،
تحقيق الخضير ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ ، ص ٢٥٩) .

كتاب اسماعيل بن أحمد البستي المعتزلي الزيدي (- ٤٢٠) ، وهو : كشف
أسرار الباطنية . وقد اكتشف الكتاب مستشرق ايطالي هو : * جريفي من ميلانو
كما نشر جزء منه على يد شيرن . (ر . سزكين ٢ / ٤١٣ ، ٤١٤ * ومقدمة عبدالرحمن
بدوي لكتاب فضائح الباطنية ط ٢) ، وعلى ذلك يمكن القول أن هذا أقدم
الكتب الموجودة حول هذا الموضوع مع عدم وجوده في العالم العربي بشكل معروف .

كتاب ثابت بن أسلم النحوي الشيعي الحلبي (- ٤٦٠) ، الذي كشف فيه
عن بداية الدعوى الاسماعيلية وقبائح هذه الفرقة ، ما دعا الباطنيين الى الانتقام
من مؤلفه بقتله صلبا بمصر (ر . مقدمة عبدالرحمن بدوي . لكتاب فضائح
الباطنية) ولا يستبعد فقدان هذا الكتاب اليوم .

كتاب ابن ابي الفضائل محمد بن مالك اليماني (- القرن الخامس) ، ويسميه
أهل اليمن : محمد بن لك ، كما سمعت ذلك منهم ، و (ر . الحبشي . مصادر
الفكر ص ٩٤) ، وأما الكتاب فهو : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة
وقد نشر كلاما بمصر وقدم له وحققه زاهد الكوثري (ر . الملحق - ٢) ، وميزة
الكتاب أن مؤلفه اضطر الى اعتناق المذهب الباطني ليتمكن من تأليفه . وقد اعتمد
على هذا الكتاب كثير ممن كتب بعد ذلك عن الفرق الباطنية ، وخاصة أهل اليمن
منهم ، وقد استفاد البحث منه في بعض النقاط . والكتاب يعتبر الباطنيين والقرامطة
شيئا واحدا ولا يخفى علينا أن أهل اليمن لا يطلقون على الباطنيين الا اسم القرامطة
الى اليوم .

* هناك بعض الأخطاء في الترجمة العربية لسزكين حول هذا الموضوع (١٨)
ولم يتقو راجع الطبعة الأخيرة ٦٥٦ / ١ . كتيبة العربية

كتاب أبي حامد الغزالي (٥٠٥) هـ وهو: فضائح الباطنية . وقد

هذا الكتاب ثلاث مرات ، الأولى على يد جولد زيهرا الذي نشر جزءا منه . والثانية : وهي الطبعة الأولى من طبعات الكتاب بكلية بتحقيق وتقديم عبدالرحمن بدوي . والثالثة : وهي الطبعة الثانية من طبعة عبدالرحمن بدوي وهي التي اعتمدت فيما رُجع اليه منه في هذا البحث (ر . الملحق - ٢) .

ذكر الغزالي في كتابه هذا أن للباطنيين ألقابا عشرة :

- ١- الباطنية ٢- القرامطة ٣- القرطبية ٤- الخرمية ٥- الخرمدينية
 - ٦- الاسماعيلية ٧- السبعية ٨- البابكية ٩- المحمرة ١٠- الشليمية
- (ر . فضائح الباطنية ص ١١ فما) .

وسلاحظ القارئ أن البحث لم يعتمد على هذا التقسيم في فرق الباطنيين ، الذي يدل على أنها ألقاب لشيء واحد ، بل ان البحث ذهب حين قسم الباطنيين إلى تصنيفهم من حيث اختلاف مقالاتهم وتفرق آرائهم (ر . البحث ص ص ١٤٢ ، ١٤٩ - ١٥٥) كما أن تقسيم الغزالي أدخل فرقا وأخرج أخرى من الباطنية مثل : البابكية والخرمية اللتين تجمعهما مع الفرق الباطنية بعض الأفكار وتفرق بينهم أخرى ، كما أنه لاعلاقة بين هتين الفرقتين بالفرق الباطنية التي يجمعها بالاضافة إلى ما يجمعها القول بامامة أهل البيت من ذرية الحسين ابن علي وما إلى ذلك .

وذكر الغزالي أن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة ما يأتي : -

ما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة ولا معتقد لنحلة معتقدة بنبوة ، فان مساقهم ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلاال الشعرة من العجين . ولكن تشاور جماعة من ملحة الفلاسفة المتقدمين ، وضرخوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين ،

وينفوس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين حتى أخرسوا
المنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من انكار الصانع وتكذيب
الرسول. (ر. فضائح الباطنية ص ١٨ فما) .

ويضحي الغزالي في ذلك بأن أولئك القوم اختاروا الرفض مذهباً ينفذون منه
الى المسلمين وأختاروا شخصاً نسبوه الى أهل البيت وعضوه من الخطأ والزلل .

ولنلاحظ أن الذين تحدثوا عن هذه النقطة في أسباب نشأة الفرق الباطنية
- غير الغزالي - أشركوا اليهود الى جانب الفلاسفة والمجوس في مؤامرتهم ضد
الاسلام .

وقد حفلت كتب أخرى - قد تكون أكثر قدماً - بالحديث عن الفرق الباطنية
ولكن بكيفية غمبية من خلال حديث تلك الكتب عن الفرق المختلفة ، وهؤلاء
هم اصحاب المقالات الذين سبق الحديث عنهم . وليلاحظ القارئ الكريم
أن بعض اصحاب المقالات اعتبروا الباطنيين فرقة اسلامية وبعضهم مثل البخداوي
اعتبرهم من الفرق التي تنسب الى الاسلام وليست منه .

كما حفلت كتب أخرى بالحديث عن عقائد هذه الفرق وأخبارها وأعني مالا يمكن
اعتباره من كتب المقالات ؛ مثل :

كتاب القاضي عبد الجبار المعسترلي (- ٤١٥) ؛ وهو ؛ تثبيت دلائل النبوة ،
والكتاب وان تحدث عن نقطة عقدية معينة يدل عليها عنوانه ، الا أن الكتاب
في جملته ملئ بالردود على أهل الفرق وخاصة الشيعة ، وفيه بعض من أخبار
عن عقائد الباطنية وتاريخها . والكتاب مطبوع عن نسخة وحيدة في المكتبة
السليمانية في اسطنبول ، بتحقيق عبدالكريم عثمان (ر. الملحق - ٢) . وقد
استفاد البحث من هذا الكتاب .

كتاب محمد بن الحسن الديلمي (- ٧١١) ؛ وهو ؛ قواعد عقائد آل محمد .

يقول الحبشي : ان هذا الكتاب من أصول كتب الزيدية (ر) مصادر الفكر العربي
ص (١١٢) . وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى بتحقيق المستشرق شتروثمان الذي
قدم له بنهضة عن الصراع بين الباطنية والزيدية ذلك الصراع الذي كان من نتائجه
أمثال هذا الكتاب . وليس كل الكتاب عن الفرق الباطنية بل ان قسما منه هو
الخاص بعقائد الباطنية وهو الذي نشر وطبع .

وذكر شتروثمان في مقدمته أن الديلمي استفاد من كتاب أحمد بن محمد المحلي
الوادعي الشهير بالفقيه المحلي (٦٥٣-١٠٤١) المسمى : الحسام البتار في الرد على
القرامطة الكفار (ر) مصادر الفكر ص (١٠٧) .

والطبعة الثانية للقسم الخاص بعقائد الباطنية في كتاب الديلمي ظهرت في
القاهرة (ر) الملحق - ٢) وهي التي استفاد البحث منها فيما رجع اليه من
هذا الكتاب .

ويتميز كتاب : قواعد عقائد آل محمد بأن مؤلفه رجع الى كثير من المصادر
الباطنية الشهيرة ، وقد أعد الباحث قوائم لبعض النصوص التي استعملها
الديلمي منها ، ولكن الباحث رأى بعد ذلك عدم اعتبارها واعتمادها في البحث
لأنها نصوص مستقاة من مرجع غير باطني ، وذلك منعا للامانة ويمكن الاستفادة
منها بعد مطابقتها بنصوص باطنية مشابهة وهو ما يراه الباحث ممكنا . والقوائم
رهن مطالعها .

وهذا أهم ما يختص بالكتب التي ألفت في نقد الباطنيين ، وليس معنى
ذلك عدم وجود غيرها .

في الأزمنة المعاصرة ظهرت دراسات أخرى عن الفرق الباطنية وعلى رأس تلك
الدراسات ما كتبه المستشرقون .

تتميز معظم دراسات المستشرقين بالتعاطف مع الباطنيين والتعامل على أهل السنة

باعتبارهم العدو التقليدي للباطنيين ، ولا يدري الباحث سبب هذا الموقف —
الاستشراقي من الفرق الباطنية ، الا أن ذلك يتردد بين سلامة النية والرغبة
في البحث العلمي النزيه وبين رأى من يقول انهم يبيتون أمرا ما لأهل السنة
والجماعة في نفوسهم .

يأتي كتاب ديخويه ، وهو القرامطة . في مكانة عليا في الترتيب بين كتب
المستشرقين بل هناك من يعتبر الدراسات الاستشراقية الخاصة بالفرق الباطنية
مدينة بالعرفان لهذا الكتاب أكثر من من سبقه منها وأن هذه الدراسات في معظمها
لاتزال كما هي عليه منذ تأليف ديخويه لكتابه هذا (ر . مقدمة حسني زينه
لكتاب القرامطة) ، وقد آسف الباحث عدم حصوله على هذا الكتاب الا بعد
الانتهاء من كتابه البحث ، فتعذرت الاستفادة منه . ولكن لا بأس من الإشارة
الى أنه موجود في طبعته العربية ، بترجمة حسني زينه ونشر دار ابن خلدون
بيروت ١٩٧٨ .

ان شتروثمان المستشرق الألماني يعتبر من ساهم في الدراسات الاستشراقية
الخاصة بالفرق الباطنية ويعتبر كتابه (أربعة كتب اسماعيلية) نموذجا لمجهوده
في ذلك حيث قام بنشر أربعة كتب لباطنية اليمن وجدها في مكتبة الامبروزيانا
وكانت من المراجع الهامة لهذا البحث . وقد ألحق شتروثمان كتابه هذا
بدراسة عنه باللغة الألمانية مما جعلني أتمثل بقول الشاعر :

كالعيسر في البيدا يقتلها الضمما * والما فوق ظهورها محمول

لأن تلك الدراسة لاتخلو من جديد يمنعتني عنه الجهل بهذه اللغة فتمنيست
وجود مركز للترجمة في جامعتي يعين طلابها على استكمال بحوثهم على أكمل وجه .
وقد نشر شتروثمان أيضا الجزء الخاص بعقائد الباطنية من كتاب الديلي .
قواعد عقائد آل محمد ، الذي سبق الحديث عنه .

ايفانوف . مستشرق روسي يمكن اعتباره شيخ المستشرقين المهتمين بدراسة
الفرق الباطنية ، وقد كتب في ذلك كثيرا الا أنه متهم بالتحيز للباطنيين

الذي غير عنوانه في طبعته الثانية (ر. الملحق - ٢) والكتاب عبارة عن فهرس للمؤلفات الباطنية على طريقة كتاب بروكلمان الشهير، إلا أنه باللغة الانجليزية وذلك سبباً حاداً من امكانية استعماله على أكمل وجه في البحث .

وقد ختمه بنشر نصوص من كتب باطنية عديدة (ر. الملحق - ٢) استفاد البحث من أكثرها .

ونشر ايفانوف أيضاً كتابين تاريخيين باطنيين هما :

كتاب : النيسابوري . استتار الامم وكتاب : اليماني . سيرة جعفر المحجوب (ر. الملحق - ٢) وقد استفاد البحث منهما كثيراً . كما استفاد من مقدمته لهما بعض الشيء وقد نشر الكتابان في مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦ .

ولايفانوف كتاب آخر هو : القرامطة والاسماعيلية وقد حصلت على ترجمة عربية لها من أخي سليمان السلوي بأخرة مما حدّ من الاستفادة منه على الوجه المطلوب. ولهذا المستشرق انتاج كثير آخر لم أقف عليه مع الأسف .

ويعتبر كتاب برنارد لويس ، وهو : أصول الاسماعيلية من أكثر كتب المستشرقين استعمالاً في هذا البحث وبالرغم من تطرفه المستر الى جانب الباطنيين إلا أنه يحوي معلومات قل أن توجد في مثل له (ر. الملحق - ٢) وقد حفل الكتاب بمقدمة عن المصادر التي استعملها ، وهي مما لا يستغني عنه باحث في الفرق الباطنية .

ان باول كراوس يعتبر من المهتمين بالدراسات الباطنية وله في ذلك بحوث كثيرة لم أتمكن مع الأسف من الحصول عليها (ر. ص ٣٨٠ من البحث) .

ومن الدراسات المعاصرة للفكر الاسماعيلي الباطني في العالم العربي يمكن القول انها تأثرت كثيرا بالدراسات الاستشراقية في معظمها .

في مصر مثلا نجد الرميل الأول من دارسي الفكر الباطني ، ومن الممكن القول ان المصريين اهتموا بالفكر الباطني في أول الأمر انطلاقا من الناحية التاريخية فدولة العبديين - الفاطمية - ازدهرت حضارتها في مصر . فصارت الدراسات الفاطمية هي المدخل الذي بدأت به البحوث الكثيرة عن الباطنيين . ويأتي في مقدمة الذين اهتموا بالفكر الباطني :

محمد كامل حسين ، ويعتبر بحق أبرز من عمل في هذا الحقل ، وهو يمثل نموذجا فريدا من نوعه ، فهو يتحدث عن الباطنيين فيسخر منهم حيناً ويدافع عنهم ويعجب بحضارتهم أحيانا . ويصر على تسميتهم الفاطميين . وقد ساهم محمد كامل حسين في نشر الكثير من الكتب الباطنية ، من ذلك

الرسالة الواعظة للداعي الكرمانلي

المجالس المستنصرية للداعي علم الاسلام

ديوان المؤيد في الدين لداعي الدعاة المؤيد في الدين

السيرة المؤيدة “ “ “ “ “

(ر . الملحق - ٢) وقد كانت تلك مما استند البحث اليه واستفاد منه .

ولمحمد كامل حسين دراسات عدة عن الباطنيين ، نجدها في مقدماته للكتب الباطنية التي حققها وفي الكتب المستقلة الخاصة بالفكر الباطني مثل :

طائفة الاسماعيلية - تاريخها ، نظمها ، عقائدها

طائفة الدروز .

في أدب مصر الفاطمي .

(ر . الملحق - ٢) ولا يستغرب ذلك على محمد كامل حسين الذي كان يعتبر من القلائل غير الباطنيين الذين استطاعوا الحصول على مصادر باطنية مع ما عرف عن الباطنيين من استعمال السرية ومنع الأضداد من قراءة كتبهم . وعلى أي حال

فان كتب محمد كامل حسين تعتبر مما يهم الباحثين في الفرق الباطنية .

على سامي النشار ، من الذين اهتموا بدراسة الفرق عموما وقد تعرض في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) الى الفرق الباطنية خاصة والشيعة عامة . وقد أفاد منه البحث لا سيما فيما يختص بالغلاة .

عبدالرحمن بدوي . في كتابه : مذاهب الاسلاميين الذين يعتبر الجزء الثاني منه مجهودا نادرا في دراسة الفرق الباطنية عموما . وقد استعمل هذا الكتاب كثيرا في هذا البحث وهو مع استقلاله فقد ينهج نهج المستشرقين في معالجته للقضايا الاسلامية كأنه غريب عنه .

في سوريا ظهرت كتب باطنية ودراسات عنهم بأقلام أشخاص يمثلون الفكر الباطني النزاري (ر . ص ١٥١ من البحث) مثل :
عارف تامر : الذي أخرج العديد من الكتب التي تؤيد الفكر الباطني وتناصره من ذلك :

الامامة في الاسلام

القرامطة

وجل كتابات عارف تامر تعبر عن التعصب الباطني ضد أهل السنة والجماعة ، وقد أخرج بعض الكتب الباطنية القديمة في كتابه :

أربع رسائل اسماعيلية : التي قدم لها بمقدمة تلقى ضوئاً ساطعاً على حقيقة الدعوة الباطنية بقلم أحد أبنائها وقد استفاد البحث منها باعتبار تلك الرسائل من مصادر الباطنيين .

ونشر عارف تامر كتاب الداعي الكرمانى . الرضا . وكتاب الداعي المدجستاني . اثبات النبوات وكتاب الداعي أبي فراس . الايضاح . وهذه الكتب من الكتب الباطنية الفلسفية التي استعملت في هذا البحث الى حد ما .

مصطفى غالب . صورة أخرى من صور الباطنيين المعاصرين ولا يختلف

كثيرا عن عارف تامر . وقد ألف فيما ألف :

أعلام الاسماعيليه

تاريخ الدعوة الاسماعيليه

سنان راشد الدين . . شيخ الجبل

ان هذه الكتب كلها في تمجيد ائمة الباطنيين ودعاتهم الا أنها أعطتنا الكثير عن حقيقة الدعوة الباطنية وعقائدها لا سيما وأن مصطفى غالب باطني مطلع على كثير من الكتب النصيرية المحرمة على سوى الباطنيين . وقد حفل كتابه : سنان راشد الدين شيخ الجبل بنصوص باطنية هامة وجديدة ، وقد نشر مصطفى غالب كتابا باطنية قديمة منها :

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا وهي مما يزعم الباطنيون أنه من مؤلفات أحد الأئمة المستورين؛ وهي تلقي ضوءا على العقائد الباطنية قبل نشأة الدولة العبيدية .

الهدف الشريف؛ وهو أحد كتب فرقة النصيرية وقد أضاف اليه مصطفى غالب مقدمة عن هذه الفرقة تعتبر فريدة من نوعها . (عن فرقة النصيرية ز . ص ص ١٤٢ ، ١٤٣ من البحث) .

وفي تونس قامت على نطاق ضيق بحوث تهتم بالفكر الباطني وربما انحصرت في تراث الداعي الباطني القاضي النعمان (٣٦٣ -) الذي يقال انه من مدينة القيروان (ر . ص ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ من البحث) . وقيم التونسيون حلقة دراسية كل فترة زمنية حول القاضي النعمان يدعى اليها المهتمون بالتراث الباطني من مستشرقين وباطنيين وغيرهم . وقد ظهر من تونس كتابان للقاضي النعمان هما :

افتتاح الدعوة وقد حققه عبدالفتاح الدشراوي وهو يلقي الضوء على جزء كبير من تاريخ الدعوة الباطنية وتأسيس الدولة العبيدية .

المجالس والمسائرات وقد حققه مجموعة من المحققين كان على رأسهم الحبيب

الفقي وقد وُفقت بحمد الله للحصول على نسخة من هذا الكتاب تكرم الى بهـ
مشكورا أحد محققي هذا الكتاب وهو : ابراهيم شبح . والكتاب مقدّم له بمقدمة
توضح الجهد المبذول فيها . والكتاب أضاف الكثير من المعلومات عن الدعوة
الباطنية وتاريخها وعقائد الباطنيين وقد استفاد البحث من كتابي القاضي
النعمان هذين الفائدة المثلى .

ومن غير أولئك اهتم بنشر التراث الباطني :

محمد حسن الأعظمي وهو من الباطنيين المستعلية وقد نشر :

كتاب القاضي النعمان . تأويل الدعائم . مقدمات له بدراسة عن الباطنيين—
يغلب عليها عنصر الدعاية .

كتاب الداعي الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة . وهو من الكتب
المُعَرِّقة في التأويل الباطني ويلقى أضواء أخرى على العقيدة الباطنية مما لم يعرف
عنهم من قبل . وقد استعمل الباحث هذا الكتاب في هذه الرسالة .

عادل العوا وقد نشر :

كتاب الداعي حاتم الحامدي (- ٥٩٦) . رسالة زهر بذر الحقائق وهو
من الكتب الباطنية المعرّقة في التأويل وتسمى عندهم كتب الحقيقة (ر) فهرست
المجدوع . المقدمة ص ٧ ، ٨) والكتاب من مراجع البحث .

لا شك في أهمية الدراسات الخاصة بالفرق الباطنية العلمية ، سواء في ذلك
ما ألفه بين سطور كتب المقالات ، أو ما ظهر في كتب مستقلة ، أو ما كتبه المستشرقون
والباحثون العرب وغيرهم .

الا أن الأهمية الأكيدة تأتي في الدرجة الأولى من كتب الباطنيين أنفسهم
أعني المراجع الأصلية التي تتحدث بلسان أهلها . وعلى الباحث في عقائد
الفرق أن يعتمد على أكبر قدر ممكن من المصادر الأصلية للفرق التي هو بصدد
البحث في أمرها .

ولكن قد تأتي من العقبات ما يمنع الحصول على المصادر الأصلية لأهل هذه

الفرق ، وذلك لأسباب منها :

عدم وجود مصادر للفرقة المراد بحثها أصلا كما هو حال بعض غلاة الشيعة كالسبئية والكيسانية مثلا . وسبب عدم وجود مصادر لأمثال هذه الفرق - إلا ما كتبه عنها - مخالفوهم - ينحصر في نقاط أهمها أن تلك الفرق سرعان ما تتكون وسرعان ما تنفصل لتكوين فرق أخرى وأن الذين كانوا ينتسبون إلى الفرق الشيعية الغالية كانوا لا يجدون حرجا في أن يتنقلوا أفرادا أو جماعات من هذه الفرقة إلى تلك ، وقد أشار إلى هذه الظاهرة برنارد لويس (ر) أصول الاسماعيلية ، ص ٨٩) و فرّق كهذه يستبعد أن تلتقط أنفاسها كي تؤولف كتباً يرجع إليها أصحابها ، وعليه فإن الكثير من مقالات تلك الفرق كما يبدو لم يعرف بعد .

فقدان المصادر الأصلية بفعل العوامل الطبيعية كالحرائق والكوارث أو بعوامل أخرى مثل استيلاء الخصم على تلك المصادر واتلافهم لها وقد قيل إن أبا عبد الله الشيعي الذي مهد لقيام دولة العبيديين في المغرب أحرق كثيرا من كتب الخوارج .

المحافظة على سرية المصادر الخاصة بالفرقة - أيا كانت - ومنع سواهم من الاطلاع عليها ، وهذا واضح في الفرق الشيعية الباطنية (ر) ص ٣١٦ فما ، من هذا البحث) ، وقد نقل عن وجود مثل ذلك في فرق الخوارج (ر) ابن النديم ص ٢٧٢) .

لكل ذلك أصبحت كتب الخصم في بعض الأحيان ما يمكن الرجوع إليه في مثل هذه الحالات ، ومهما يكن الأمر فهذا لا يقلل من أهمية مصادر الخصم حتى يثبت أن ذلك الخصم نقل غير الحقيقة أو يظهر مصدر يكذب أقوال الخصم .

بالنسبة للفرق الباطنية فإنها من الفرق التي يصعب الحصول على كثير من مصادرها للأسباب المذكورة آنفا ، وقد أفلتت كثير من مصادرها من نطاق السرية

المضروب عليها ، ما أشير اليه من قبل في هذا التمهيد ونشر على يد المستشرقين وغيرهم ولكن الكثير منها لا يزال طي الكتمان .

وانطلاقا من الايمان باهمية الوقوف على مصادر الباطنيين حاول الباحث جامدا الحصول عليها أو على بعض منها ، وقد تكلفت بحمد الله هذه المحاولات ببعض التوفيق فأمكن الحصول على بعض ما نشر من مصادر الباطنيين وذكر ذلك في هذا التمهيد من قبل ، كما أن هناك بعض المخطوطات الباطنية الموجودة في مكتبات العالم .

فقد حصلت مثلا على بعض الرسائل الخاصة بفرقة الدروز من مكتبة الامبروزيانا بايطاليا ، وهي موجودة لدي في شريط مصغر (مايكرو فيلم) ، ولكن منع عدم استعمالها جيدا في البحث لعدم وصولها في وقت كاف .
كما حصلت على مثل تلك الرسائل من دار الكتب المصرية مثل :

رسالة الانصاء

رسالة الايقاظ والبشارة

الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم

رسالة الصبحة الكائنة .

رسالة النساء الكبيرة

كتاب تقسيم العلم لاسماعيل التميمي .

رسالة خممار

رسالة التنبيه والتحذير

وقد تمكنت بحمد الله أيضا من الحصول على مخطوطة باطنية هامة من دار الكتب المصرية بواسطة استاذي فهم شلتوت جزاه الله خيرا وهي كتاب الداعي جعفر بن منصور اليمن . الشواهد والبيان .

كما تمكنت من الحصول على بعض المخطوطات الباطنية من المكتبة الغربية بجامعة صنعاء الكبير مثل :

كتاب القاغي النعمان . أساس التأويل فوقفت على جزء منه .

كتاب الداعي ابن الوليد الأنف . دافع الباطل وحترف المناضل فوقفت على
جزء يسير منه .

كما تمكنت بتوفيق الله من الحصول على مخطوطة نصيرية هامة في مكتبة
جامعة كامبج وهي لمؤلف نصيري مجهول وهي بعنوان :
حقيقة حق اليقين في معرفة سراسر أمير المؤمنين .
وقد تمكنت من الحصول على بعض المخطوطات الباطنية من بلاد اليمن ؛ وهي
مخطوطات ذات أهمية ؛ مثل :

مجالس حاتم للداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي .
مجالس الحكمة وهو من الكتب التي لم تشر اليها كشافات قوائم كتب الباطنيين
حياة الأحرار وهو أيضا من الكتب التي لم تشر اليه كشافات قوائم كتب الباطنيين

كل ذلك ما استطعت توفيره خلاف المطبوع من مراجع الباطنيين والذي أشرت
اليه سابقا .

وحيث ان البحث يستوجب الوقوف على مراجع عن الفكر اليهودي فقد لجأت
أول الأمر الى الدراسات التي نشرت باللغة العربية عن اليهود وسأحدث
عن ذلك فيما يأتي :-

لابد لنا هنا من الاحاطة ببعض المعلومات عن مصادر الفكر اليهودي ، التي
يأتي على رأسها .
العهد القديم

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا تنقسم الى قسمين :
١- أسفار موسى الخمسة وهي :-

سفر التكوين ويتكون من خمسين اصحاحا أو فصلا .

سفر الخروج ويتكون من أربعين اصحاحا .

سفر اللاويين ويتكون من سبعة وعشرين اصحاحا .

سفر العدد ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا .

سفر التثنية ويتكون من أربعة وثلاثين اصحاحا .

وتأتي هذه الأسفار في الدرجة الأولى بين أسفار العهد القديم (ر . بدران

محمد بدران . التوراة - العقل . العلم . التاريخ - ، القاهرة ، دار الأنصار

١٣٩٩ ، ص ١٥ - ١٩) .

وقد استشهد هذا البحث بصفة خاصة بسفرين من هذه الأسفار هما :

سفر التكوين ، وسفر اللاويين .

يحكي سفر التكوين تاريخ الخليقة منذ خلق السموات والأرض حتى استقرار

بني اسرائيل أرض مصر وفيه قصص آدم ونوح وابراهيم وذريتهم (ر . علي عبدالواحد

وافي . اليهودية واليهود . القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٠ ، ص ١٠) .

وأما سفر اللاويين فهو يهتم بالعبادات والقربان والحلال والحرام وكيفية

أداء الطقوس بإشراف الكهنة اللاويين - الذين من ذرية لاوي بن يعقوب

ابن اسحق - ومنهم موسى وهرون (ر . وافي . اليهود واليهودية ، ص ١١) .

وللاحظ أن كهنة اليهود كما يجب هذا السفر لابد أن يكونوا من ذرية

هارون لعدم وجود ذرية لموسى ، ولذلك أهمية تقترن بجانب من الامامة

عند الفرق الباطنية .

كما استفاد البحث من بقية أسفار موسى الخمسة في أماكن متفرقة .

وقد أثبتت البحوث الحديثة أن أسفار موسى الخمسة مما ألف في عصور متأخرة ،

فسفر التكوين مثلا ألف بعد موسى بنحو خمسة قرون ، وأما سفر اللاويين فقد

ألف بعد ذلك بأربعة قرون . وعليه فينبغي التفرقة بين أسفار موسى وبين التوراة

التي أنزلها الله عليه (ر . وافي ، ص ١٣ ، ١٤)

٢- أسفار أنبياء بني اسرائيل وهي :-

سفر يشوع ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحا .

سفر القضاة ويتكون من إحدى وعشرين اصحاحا .

- سفر القضاة ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا .
- سفر راعوت ويتكون من أربعة اصحاحات .
- سفر صمويل الاول ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .
- سفر صمويل الثاني ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحا .
- سفر الملوك الاول ويتكون من اثني عشر وعشرين اصحاحا .
- سفر الملوك الثاني ويتكون من خمسة وعشرين اصحاحا .
- سفر أخبار الأيام الاول ويتكون من تسعة وعشرين اصحاحا .
- سفر أخبار الأيام الثاني ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا .
- سفر عزرا ويتكون من عشرة اصحاحات .
- سفر نحميا ويتكون من ثلاثة عشر اصحاحا .
- سفر أستير ويتكون من عشرة اصحاحات .
- سفر أيوب ويتكون من اثني وأربعين اصحاحا .
- سفر المزامير ويتكون من مائة وخمسين اصحاحا .
- سفر الأمثال ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .
- سفر الجامعة بن داود ويتكون من اثني عشر اصحاحا .
- سفر نشيد الانشاد ويتكون من ثمانية اصحاحات .
- سفر اشعيا ويتكون من ستة وستين اصحاحا .
- سفر أرميا ويتكون من اثنين وخمسين اصحاحا .
- سفر مراثي أرميا ويتكون من خمسة اصحاحات .
- سفر حزقيال ويتكون من ثمانية وأربعين اصحاحا .
- سفر دانيال ويتكون من اثني عشر اصحاحا .
- سفر هوشع ويتكون من أربعة عشر اصحاحا .
- سفر يوشع ويتكون من ثلاثة اصحاحات .
- سفر عاموس وهو اصحاح واحد .

سفر عوبيدا ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر يونان (يونس بن متى) ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر ميخا ويتكون من سبعة اصحاحات .

سفر ناحوم ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حبقوق ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر صفنيا ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حجي ويتكون من اصحاحين .

سفر زكريا ويتكون من أربعة عشر اصحاحا .

سفر ملاخي ويتكون من أربعة اصحاحات (ر . بدران ص ١٩٦ ، ٢٠٠)

وهناك ثمانية أسفار أخرى لم يعترف المسيحيون بها ولذلك فهي على ما يبدو مجهولة بالنسبة لقراء العربية لأن المسيحيين هم الذين ترجموا العهد القديم الى العربية وقد استعملت في هذا البحث نصوص متفرقة من : سفر يشوع وسفر صمويل الثاني وسفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وسفر أشعيا وسفر أرميا وسفر حزقيال وسفر دانيال وسفر يوشيا وسفر ملاخي .

والجدير بالملاحظة أن جميع أسفار العهد القديم — على ما فيها من حكم ومواعظ — فانها مليئة بالأخبار الخرافية المتناقضة وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة (ر . بدران ، ص ٢٣ — ٣١ وناجي . المفسدون في الأرض ، ط ٣ ، دمشق ، العربي للإعلان ، ١٩٧٣ ، ص ١٤ — ٢٠) ، وهو دليل آخر على أن هذه الأسفار ليست وحيا من الله بل هي من تأليف البشر ، وحتى الأسفار المنسوبة الى بقية أنبياء بني اسرائيل فانها قد ألفت حسب الظروف في أوقات مختلفة على يد أشخاص مختلفين وهذا ينطبق خاصة على سفر أشعيا الذي اشترك في تأليفه أشعيا الحقيقي وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث حسب ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة (ر . النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني — رسالة علمية — ص ١٢٧) .

ولأن هذه الأسفار بشرية التأليف فقد حاول الباحثون العثور على المصادر

الأصلية للعهد القديم فتبين لهم أن من بين تلك المصادر •

ما كان يقرره اليهود في محافلهم فيضيفونه إلى أسفارهم المقدسة •

الأساطير المنتشرة من قبل في المنطقة •

الفكر الفرعوني المصري •

الأفكار البابلية والفارسية القديمة •

قانون حمورابي • (ر. شلبي ، اليهودية ، ط ٤ ، ص ص ٢٦٠ - ٢٦٤) •

وعن أخذ العهد القديم ببعض الأفكار الفلسفية الفرعونية تبين أن ذلك واضح

بعد إجراء مقارنة بين بعض نصوص العهد القديم ونصوص بردية فرعونية قديمة

(ر. بدران ص ص ١٧٥ - ٢٠١) •

بعد العهد القديم يأتي في الأهمية بالنسبة لمصادر الفكر اليهودي ، التلمود

وهي كلمة عبرية تعني التعاليم ، وتأتي أهمية التلمود عند اليهود بـ

العهد القديم أن لم تكن قبله عند بعض فرقهم (ر. وافي ، ص ٢٣ ، وبالتفصيل

ر. مسعد ، همجية التعاليم الصهيونية بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ، ص

ص ٨٩ - ١٠٥) •

ويتكون التلمود من :

المشناه : وهي أصل التلمود وتعني الشريعة الثانية ، وهي خلاصة القانون

الشفهي - وهو ما ينسبه اليهود إلى أن موسى قاله ولم يكتب - وتناقله الحاخامات

منذ ظهور الحركة الفرسيه - في القرن الثاني قبل ميلاد عيسى والثقافة اليهودية

إلى اليوم تنسب في أكثرها إلى الفرسيين هؤلاء - • ولفيلسوف اليهود ابن

ميمون مقالة توضح مرحلة كتابة ما كان يسمى بالقانون الشفهي (ر. ظفر

الاسلام ، التلمود ص ص ١٢ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٣١) • وقد ألفت المشناه في القرنين

الأول والثاني لميلاد عيسى (ر. وافي ص ٢٣) وهذا العصر هو الذي نشط فيه

حركة الفرسيين •

صار اليهود بعد ذلك يضعون الحواشي على المشناه حتى تكون لديهم ما سُمي
جيمارا ومعناها " التكملة " . وتطلق كلمة " التلمود " على المشناه وجمارا معا .

وهناك " جمارا " الفست في القدس وأخرى في بابل ؛ ولذلك نجد عندهم
التلمود اليورشليمي والتلمود البابلي .

طبع التلمود بعدة لغات من لغات العالم (ر . وافى ص ٢٥) ، ومعظم
تلك الطبعات محرفة قصدا تنفيذا لقرارات مجمع بولونيا اليهودي ١٦٣١ .
والذي يدعيه العارفون : أن أكمل طبعات التلمود هي طبعة البندقية (ر . مسعد
ص ٩٨ و ر . ظفر الاسلام ص ٢٤) لأنها طبعت قبل المجمع المذكور ما بين سنتي
١٥٢٠ - ١٥٢٣ ولا يوجد من هذه الطبعة سوى ثلاث نسخ (ر . سميل ديب .
التوراه ، بيروت ، دار النفائس ، ١٣٩٢ ، ص ٨٣) .

وبالنسبة للغة العربية المشرفة فان التلمود لم يترجم اليها حتى الان
(ر . خليفة التونسي ، مقدمته على : همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٦٥) .

الا أن في بعض الكتب التي ألقت عن اليهود باللغة العربية أوترجمت اليها
نجد استشهادات من التلمود ؛ وان يكن بعضها غير معزو الى جزء معين من التلمود ،
الأمر الذي صعب توثيق كثير من النصوص العربية المنسوبة الى التلمود . ومن
الممكن العثور على شيء من النصوص التلمودية في الكتب العربية التالية : -

الكنز المرصود في قواعد التلمود ؛ وهو عبارة عن أكثر من كتاب مترجم من اللغة
الفرنسية منذ ما يقرب من مائة عام ، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب .

همجية التعاليم الصهيونية ، لمؤلفه : بولس حنا مسعد سنة ١٩٣٨ ، وهو
قريب من كتاب الكنز المرصود الا أنه أكثر دقة بالنسبة لتوثيق المصادر التي أثار
مؤلفه أن تكون باللغة الفرنسية التي كما يبدو كانت لغة تلك المصادر التلمودية .
والكتاب مديح بمقدمة تغري بالقراءة لأنها بأسلوب الأديب اللغوي محمد خليفة
التونسي . وقد استفاد البحث من هذا الكتاب أيضا .

التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الاسلام خان ، وهو دراسة علمية جدية حازت رضا بعض المصادر المختصة ، وهو مفتاح مناسب لمن أراد ولج باب الدراسات اليهودية لذلك فقد كان من المراجع التي استفاد منها هذا البحث .

فضح التلمود . كتاب ألفه أحد الاباء النصارى وهو : براناتيس وطبع سنة ١٨٩٢ وترجم الى اللغة العربية الشريفة على يد زهدي الفاتح أحد المهتمين بالدراسات اليهودية في العالم العربي . والكتاب يحوي كثيرا من المعلومات عن التلمود وخبائصة منبته . وقد فات الباحث الاشارة الى محتوياته في هذا التمهيد . وهو يحوي نصوصا تلمودية هامة . الا أن مؤلفه كان يريد ان يقرأ من النصارى وعليه فقد ركز على كراهية التلمود للنبى ورفض ذلك فالكتاب مليء بنصوص تلمودية موثقة ، ومقدمة علمية شاملة على التلمود لا مثيل لها بين الكتب التي تتحدث عن ذلك بلغة العروبة .

دلالة الحائرين . وهو من كتب الفيلسوف اليهودي الشهير : موسى بن ميمون القرطبي (٦٠٢) وقد ألفه باللغة العربية مكتوبة بحروف عبرية ، وكأنه قصد بذلك أن لا يقرأه الا أشخاص معينون بلغوا مرتبة عليّة في الديانة اليهودية ، وقد نشره باللغة العربية من عدة أصول : تحسين أتاى ودبجه بمقدمة مناسبة والكتاب مليء بنصوص تلمودية اورشليمية وبابلية ، وجعل لها ناشرا لكتاب جداول تسهل للقارئ تناولها ولكن تلك الجداول غير دقيقة مع الأسف . وقصد استعمال الباحث كثيرا هذا الكتاب باعتباره نصا يهوديا لعلم بارز من أعلامهم .

ومن مصادر التراث اليهودي سوى العهد القديم والتلمود ، ورد ذكره الأسفار اليهودية الخفية : وقد كانت هذه الأسفار جزءا من العهد القديم ، الا أن أحبارهم رأوا وجوب اخفائها رغم اعترافهم بقديسيتهما ، حتى لا يطلع عليها الناس ، وهذا هو ما ذكره الله تعالى عنهم في كتابه العزيز : (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى

نورا وهدي للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (٠٠٠) " سورة الانعام ٩١ " (ر. وافي ص ٢١) .

وهناك مرجع باللغة العربية تحدث باسماب عن الأسفار الخفية ؛ التي اعتبرها من انتاج " القبالة " وهي فكرة يهودية تعتمد على المحر وطلاسم الحروف والأعداد وتجمع بين الدين والفلسفة . وهذا الكتاب هو لشخص معاصر يدعى صبري جرجس ، وعنوان الكتاب هو :

الترك اليهودي الصديوني والفكر الفرويدي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠
وللاحظ القارئ الكريم أن مصادر الفكر اليهودي ؛ العهد القديم والتلمود مليئة بالمغالطات والتناقض والأفكار الغريبة . ولمن أراد في ذلك معلومات أوضح عنها فليعد مشكورا الى المراجع التي تحدثت عن ذلك ؛ وهي الكتب التي أشير اليها آنفا .

وهناك كتب أخرى تتحدث عن اليهود بصفة عامة من حيث تاريخهم ومعتقداتهم ؛ وهي متوفرة باللغة العربية . ومنها :
تاريخ يوسيفوس اليهودي ، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٧٢ ويتكون من ثمانية فصول تتحدث عن تاريخ اليهود منذ وجودهم حتى خراب القدس على يد الرومان .

قصة الحضارة . كتاب ألفه ول ديورانت وترجم الى اللغة العربية بقلم محمد بدران ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ ، والجزء المقصود منهم هذا الكتاب هو الجزء الرابع عشر ويتحدث عن تاريخ اليهود وشيئ من معتقداتهم من وجهة نظر مفكر غربي معاصر .

التاريخ اليهودي العلم . صابر طعيمة ، بيروت ، ١٩٧٥ . ويتكون من جزئين الأول عن تاريخ اليهود قبل الاسلام . والثاني عن تاريخهم مع الاسلام ومعتقداتهم .

تاريخ فلسطين القديم • ظفر الاسلام خان ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ ويحتبر هذا الكتاب بحق من الكتب القيمة فيما يختص بتاريخ اليهود على صفر حجمه .

اليهودية • أحمد شلبي وفي طبعته الرابعة : القاهرة ١٩٧٤ نجد أنه يتحدث بالاضافة الى مقدمة عن علم مقارنة الأديان ، وعن : ملخص تاريخ اليهود حتى اليوم ، العقيدة اليهودية وأنبيائهم كما وردت في القرآن الكريم ، عقيدتهم وأنبيائهم من غير ذلك ، مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون - وهذا الكتاب مما لم يرجع الباحث اليه في هذا البحث قصداً - ، صور من التشريع اليهودي ، اليهود في الظلام : وهو يتحدث عن اعتبار ظاهرة اثارة الفتن مما يتميز به اليهود ، وقد ساق أحمد شلبي أمثلة على ذلك منقولة من مراجع غربية ، كما تحدث عن علاقة اليهود بالفرق الباطنية بايجاز وكذا عن اثارة اليهود للفتن على عهد رسول الله (ص) في المدينة المنورة بين الأوس والخزرج وتشكيكهم في الاسلام ورد القرآن الكريم عليهم في ذلك ، وتحدث الكتاب في فصل مستقل عن سيطرة اليهود على وسائل الاعلام في العصر الحاضر وتسييرهم لها حسب مصلحتهم وأغراضهم . ، وتحدث في فصل آخر عن اتخاذ اليهود التجسس مهنة لهم منذ يهوذا الاسخريوطي الذي اندس بين تلاميذ عيسى عليه السلام وسام الرومان على تسليمه لهم نظير دراهم معدودة ، ومروا بنفاق اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرض التجسس على المسلمين ، وضرب بذلك أمثلة : داعس ، وسعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ورافع بن حرملة ، وختتم ذلك بتجسس اليهود على مصر في العصر الحديث ، وتحدث في فصل آخر عن ظاهرة تستر اليهود خلف أديان أخرى مثل البوذية والمسيحية والاسلام . وفي فصل آخر تحدث عن اتباع اليهود أسلوب التآمر والاغتيال منذ أيام الرومان حتى اليوم ، وفي فصل آخر تحدث عن علاقة اليهود بالجمعيات السرية التي أرادت الكيد بالمسيحية والاسلام وخمس بالذكر وقوفهم خلف القرامطة الباطنيين وغلاة الشيعة ، وكذا الماسونية وما شابهها .

وقد استفاد الباحث من كتاب أحمد شلبي في مواضع عديدة .

أحمد عبد الغفور عطار . اليهودية والصهيونية ، بيروت ، ١٣٩١ هـ —
الكتب التي تحدثت عن اليهودية والصهيونية باعتبارهما شيئا واحدا ، والكتاب
في جملته تكرر لما شابهه من الكتب التي ترجمت عن لغات أخرى وذلك من حيث
حديثه عن الكتب المقدسة ومعتقدات اليهود ، ولا شك أن للكتاب فوائد
لمن أراد الوقوف على معلومات عامة عن اليهود .

منذ بزغ فجر الاسلام وأضاء بنوره العالم كانت له مع اليهود مواقف مختلفة
ويمكن تصنيف هذه المواقف كما يأتي : —

دعوة اليهود الى الدخول في هذا الدين شأنهم في ذلك شأن النصارى الذين
سماهم الله بأهل الكتاب تمييزا لهم عن غيرهم من أمم الأرض مثل : مشركي العرب
والمجوس والصابئة .

رد الفعل اليهودي نحو الاسلام نلك الذي يتميز بالكفر والنكران وتطوُّر
الى نقض العهد التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضح القرآن الكريم لهم من حيث تاريخهم المليء بالكفر بآيات الله وكتماها
واتخاذ أساليب المراوغة والخداع بعد أن أكرمهم الله بموسى وأنجاهم من فرعون
الذى كان يستذلهم وفضلهم على العالمين .

معاربة رسول الله لهم بالبراهين والأدلة التي يحرفونها ثم بالسيف والطرء
لما تبين غدرهم ونقضهم العهد .

انهزام اليهود أمام قوة الاسلام واتخاذهم بعد ذلك أساليب خفية لمحاربتة
والقضاء عليه ؛ تلك التي تجلت في : نشر النفاق في المدينة ، بث الاسرائيليا
وتكوين حركات سرية لتفتيت دولة الاسلام ، نشوء الحركات الهدامة للنيل
من الاسلام فكريا ، المساهمة في انشاء الفرق لتفتيت قوة الاسلام .

كل ذلك يمكن معرفته بالرجوع الى المصادر التالية : —

القرآن الكريم

السنة النبوية المطهرة

كتب السيرة النبوية

كتب التاريخ الاسلامي عامة

وقد حفلت المكتبة العربية بمراجع حديثه حول تعامل اليهود مع الاسلام والمسلمين ، من ذلك :

كتاب : عفيف عبدالفتاح طيارة . اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٤ وهو : تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة ، مع قصص أنبياء بني اسرائيل ، كما وصفه مؤلفه .

كتاب : صابر طعيمة . بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم ، بيروت ، دار الجيل ١٩٧٥ . وكلا الكتابين من البحوث البارزة في هذا المجال .

كتاب : عبدالرحمن حبيكة الميداني . مكائد يهودية عبر التاريخ ، بيروت دار القلم ، ١٣٩٤ . والكتاب يختص بذكر المكائد اليهودية في الاسلام والمسلمين منذ أيام رسول الله (ص) حتى عصرنا الحاضر .

كتاب : أنور الجندي . المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الاسلامي ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧ . والكتاب من المراجع التي استعان بها في هذه الرسالة وهو يقترب كثيرا من كتاب مكائد يهودية .

كتاب : عبدالله التل . الأفعى اليهودية في معازل الاسلام ، بيروت المكتب الاسلامي . والكتاب لا يختص بذكر الناحية التاريخية لجهود اليهود في الكيد بالاسلام منذ بزوغه بقرمه ما اهتم بتلك الناحية في العصر الحديث ، والكتاب بعد ذاته مكمل لكتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية .

وقد رجع الباحث الى جميع تلك الكتب قبل الخوض في كتابة هذه الرسالة ولكنها ليست من مراجع البحث الا ما نوه عن ذلك فيه .

عن دور اليهود في الفرق الباطنية وهو موضوع هذه الرسالة فان كل ما ذكر في هذا التمهيد من مراجع ، يعتبر ما وقف الباحث عليه واستعان به بدءاً : بالقران الكريم ، وكتب السنة ، والتاريخ الاسلامي وعلى رأس ذلك كتاب محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، وكتب الفرق والمقالات التي كتبها أهل السنة والشيعة ، والمصادر الباطنية ، والمراجع التي كتبت عن الفرق الباطنية خاصة والعهد القديم ، وما نشر باللغة العربية من نصوص تلمودية وهو ما يتضح للقارئ جلياً في الملحق - ٢ الخاص بذكر المراجع التي استعان الباحث بها ، وهي لم تكن جميع ما رجع اليه الباحث ، لعدم وجوب ذكر كل مرجع وقف عليه الباحث لأن ذلك يتنافى مع المقصود من قائمة المراجع .

وحسبي أن ذكرت في هذا التمهيد ما عني لي من الحديث حول المراجع وكان بودي لو تمكنت من اجراء دراسة أوفى لذلك .

ويطيب لي هنا أن أدعو القارئ الكريم لقراءة هذا البحث المتواضع راجياً منه الصفح عن كل خطأ فيه .

وبالله نستعين

الباب الأول

الفلو الشيعة والفرق الباطنية

تمهيد: قبل الحديث عن الفلو والخلاة والباطنيين ؛ لابد لنا من نظرة

سريعة للتشيع ؛ لأن الخلافة والباطنيين يدعونه لحلي وذريته .

التشيع : يقولون

١. تشييع الرجل ، ادعى دعوى الشيعة .

والشيعة هم :

٢. شيعة علي بن أبي طالب .

ظهور التشيع : اختلف في الفترة التي ظهر فيها التشيع ؛ ف قيل : انه

كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد استدل محمد الحسين آل ١٠
(- ١٣٧٣)*

كاشف الغطاء ؛ أحد علماء الشيعة المعاصرين بأحاديث من رواية

أهل السنة - على حد زعمه - بصدق هذه الدعوى .^٤ ولن نناقش ذلك

هنا لأنه سيخرج بالبحث إلى موضوع آخر . وعلى ما تقدم قيل ان أصل

التشيع عربي المنبت .

١٥ هناك من قال : ان الأمر على نمط آخر بدعوى :

٥. ان العقيدة المتعلقة بالحق الالهي التي أودعت في

الأسرة الساسانية كانت ذات أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيع .

١. الرازي (- ٦٦٠) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصالح ، بيروت

دار الفكر ، ١٣٩٨ ، مادة ش ي ع ، ص ٣٥٣ .

٢. النويختي والحسن محمد بن موسى ، فرق الشيعة ، ط ٤ ، النجف ، المطبعة

الحيدرية ، ١٣٨٨ ، ص ٢٢ .

٣. انظر : النويختي ص ٣٦

٤. انظر : أصل الشيعة وأصولها ، ط ١٠ ، القاهرة ، المطبعة العربية ، ١٣٧٧ ،

ص ص ١٠٩ فما بعد .

* انظر : ترجمته في : الزركلي . الأعلام ط ٣ ، ج ٦ ، ص ٣٣٩

٥. محمد السعيد جمال الدين : دولة الاسماعيليه في ايران ، القاهرة ، سجل

العرب ، ١٩٧٥ ، ص

وأغاض من ذهب هذا المذهب في ذكر القرائن التي تقوّي هذا
الرأي ، وهو في جملته يؤدي الى أن للفرس - وقد كانوا مجوسا - يدا
في التشيع ، وصبغته بصبغتها ، كما يؤخذ من النص الأنف الذكر
وفي قول آخر لأحد المستشرقين وهو : إسرائيل فريد لاندريه الذي لم
ينكر دور الفرس الرئيسي في بدعة التشيع ، إلا أنه وضع اليهود
بعد الفرس مباشرة في هذه البدعة .

ان " فريد لاندريه " أخذ هذا القول عن المصادر السنية ، التي
انطلقت من مفاهيم تتعلق بالانتصارات الاسلامية الباهرة ، التي
هزمت الفرس - المجوس - واليهود فلجئوا الى حرب من نوع
آخر علمهم يهدمون الاسلام ويمزقونه .

هذا ملخص ما قيل عن التشيع ونشأته وأصله . إلا أن للباحث
أيا آخر حول ذلك ينطلق به من : -

١- النظرة السنية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه خاصة ولأهل
البيت عامة .

٢- الغلو في أهل البيت الذي كان سمة للتشيع على اختلاف مذاهبه
الافيا ندر .

وهذا الرأي يتلخص في اجراء دراسة عن حال المجتمع الذي كونه
الاسلام أعني به مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين هم
سلف هذه الأمة المباركة وعلى رأس هذا المجتمع أهل بيت رسول الله
(ص) . وهل كانت في ذلك المجتمع المختار بذور التشيع لأهل البيت
وإذا كانت هناك بذورا له ، فما هي العلاقة القائمة بين أعضاء ذلك المجتمع
على ضوء ذلك ؟

الفصل الأول

الصحابة والخلو في أهل البيت

- مجتمع عصر النبوة : بعث الله تعالى رسوله محمداً (ص) في مكة المكرمة التي كانت تعيش في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء ، شأنها في ذلك شأن بقية بلاد العرب . قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)
- صار رسول الله (ص) يعرض نفسه على القبائل كل موسم حج حتى آمن به رطب من أهل (يثرب) وبايعوه على مناصرته وتأييده فسموا الأنصار .
- أمر رسول الله (ص) أصحابه الذين آمنوا به في مكة بالهجرة إلى يثرب التي أصبحت بعد ذلك دارا للسلام ، فهاجروا من مكة هربا بدينهم وتركوا أموالهم وأولادهم فسموا بالمهاجرين .
- هاجر رسول الله (ص) بعد ذلك إلى (يثرب) التي سميت بعد هجرته بالمدينة ، وأخى بين المهاجرين والأنصار . وهكذا تكون أول مجتمع اسلامي في دار الاسلام .
- وصف الله تعالى هذا المجتمع بصفات عظيمة فقال تعالى في كتابه السني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) . هذا الوصف يشتمل على صفتين رئيسيتين للصحابة الكرام : أ - أنهم أشداء على الكفار . ب - أنهم رحماء بينهم .

وظهرت الصفة الأولى في حزنهم للمشركين خاصة في غزوة بدر الكبرى تلك المعركة الحاسمة بين الكفر الذي يمثل كفار قريش، والاسلام الذي يمثل المهاجرون والأنصار . قاتل الأنصار جنبا إلى جنب مع اخوانهم المهاجرين عدوهم المشترك كفار قريش الذين لم يكونوا سوى أقارب في النسب بالنسبة للمهاجرين ، وتلاشت قرابة النسب لتحل محلها الاخوة في العقيدة .

وظهرت الصفة الثانية للصحابة الكرام وهي أنهم رحما بينهم ، على صور مختلفة منها المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين والأنصار .

وكان الجامع لكل ذلك محبتهم للهادي الى صراط الله المستقيم محمد (ص) تلك المحبة التي كانت ولا تزال من تمام الإيمان كما نص على ذلك (ص) في الحديث الشريف فقال :

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين .

وقد ترجم الصحابة هذه المحبة الكاملة أقوالا وأفعالا تتضاءل أمامها ما عرفته كثير من الأم من مظاهر الحب والطاعة والتضحية والفداء .
محبة الصحابة لآل رسول الله (ص) :

قبل التعرف على ذلك ؛ تستحسن الإشارة الى المقصود بكلمة " آل " فسي هذا البحث . يقال في اللغة :

١. آل الرجل أهله وعياله ، وآله أتباعه أيضا .

وكلمة " آل " ما ورد ذكره في القرآن الكريم ؛ مثل : (آل موسى وآل هرون) و (آل ابراهيم وآل عمران) و (آل داود) . وليس فيما سبق من معنى لكلمة

" آل " سوى الأهل والعيال . أما الأتباع فان استعمال كلمة آل للدلالة عليهم لم يكن من مقاصد الآيات السابقة ؛ وعليه فان استبعاد هذا المعنى أولى حين نتحدث هنا عن آل محمد (ص) .

١. البخاري ك / ٢٦ ب ٨ ، أنظره في فتح الباري على صحيح البخاري ج ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٠ هـ ، ص ٥٨ .
٢. مختار الصحاح ب : أول ص ٣٣ .
* البقرة ٢٤٨ * - آل عمران ٣٣ * - سبا ١٣ *

ان آل النبي (ص) أهل بيته ومنهم زوجاته أمهات المؤمنين وهن
نساءه صلى الله عليه وسلم ؛ اللاتي خصهن الله تعالى بالآيات التالية
فقال جل من قائل ؛ (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن
فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في
بيوتكن ولا تهرجن تهرج الجاهلية الأولى وأقسن الصلاة وآتين الزكاة
وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا) *

ومن آل النبي كذلك بناته الطاهرات . وينو هاشم وينو المطلب .
وقد أحب الصحابة آل محمد (ص) ولم يناصرهم العداء بل كانت
هناك مواقف تشير إلى أنهم كانوا يكونون لهم تقديرا خاصا . كما أثبتت
الحوادث ؛ من ذلك :

- ١- استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص) ،^٢
- ٢- خطبة عمراثة علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء وزواجه منها .^٣
- ٣- ارسال علي بن أبي طالب أم المؤمنين عائشة بعد وقعة الجمل
إلى المدينة معززة مكرمة . كل ذلك جزء من الأدلة على محبة
السلف الصالح لأهل بيت رسول الله (ص) .

موالة علي بن أبي طالب :

كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الصبيان برسول الله (ص) ؛ فهو
من السابقين الأولين ، وله من المواقف الشجاعة في نصرة الاسلام ما لا يزال
مضرب الأمثال حتى يومنا هذا ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو

* الأحزاب ٣٢ ، ٣٣
١. أنظر : صحيح ابن خزيمة ج ٤ ، تحقيق الأعظمي ، دمشق ، المكتب
الاسلامي ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٦٣
٢. صحيح البخاري ك ٦٢ ب ١١ ، أنظر : فتح الباري ج ٧ ، ص ٧٧
٣. أنظر : ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، عبدالسلام هارون ، القاهرة ،
دار المعارف ، ١٩٧٧ هـ ، ص ١٥٢

ابن عم رسول الله (ص) ، وربيه ، وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين .

وفى فضل "علي" قال رسول الله (ص) :
١.
من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقال له رسول الله (ص) :

٢.
أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى؟ إلا أنه لانيي بعدي .

وقال (ص) في حقه :

٣.
لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق .

كل ذلك جعل من علي شخصية ذات مكانة خاصة في نفوس الصحابة الكرام ، ولا يستطيع أحد القول إن الصحابة كانوا مناصبين العداء لعلي أو مبغضين له ؛ بل انهم كانوا موالين له كما والوا رسول الله (ص) ؛ إلا أن يكون تفسير الموالاة بالخلافة أو الامامة وهو تفسير يخالف رأي الصحابة في الموالاة وعلى رأسهم "علي" نفسه كما سيأتي .

إن من يرجع إلى المصادر التاريخية يستنتج أن الصحابة بايعوا أبا بكر ولم يروا في ذلك أي نقص في حق "علي" أو أي جح لمكانته من رسول الله (ص) .

وإذا صدر أي تكذيب لذلك فإن تسلسل الأحداث في المدينة المنورة يكذبه ، فلو كان في الأمر انتقاصا من قدر "علي" وهضم لحقه المشروع للنم قيام طائفة منائفة للتي بايعت أبا بكر ، ولم ينقل التاريخ لنا شيئا من ذلك . مع وجود ما قد يستدعيه ، كالروايات التي قيلت عن رغبة بعض الصحابة في مبايعة "علي" بالخلافة وكان من بينهم الزبير بن العوام وأبوسفيان .

٤. أنظر : الطبري . تاريخ الطبري ج ٤ ، أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة دار المعارف ١٩٧٠ ، ص ٥٤٤ ، وانظر : اليعقوبي . تاريخ

اليعقوبي ج ٢ ، دار بيروت ١٣٩٠ ، ص ١٨٣ .

٥. أنظر مسند أحمد ٢٠٩/١ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ و ٣٦٨/٤ ، ٣٧٠ .

٦. أنظر الترمذي ك ٤٦ / باب ٢٥

١. أنظر : مسند أحمد ٨٤/١ و ٢٨١/٤ و ٣٥٠/٥

٢. البخاري ك ٦٢ ب ٩ ، ك ٦٤ ب ٧٨ أنظر فتح الباري ٧/٧١ و ٨/١١٢

٣. الترمذي ك ٤٦ ب ٢١ ومسند أحمد ٨٤/١ و ٩٥ ، ١٢٨

٤. أنظر : تاريخ الطبري ج ٣ ، ص ٢٠٣ و ٢٠٩

وغيرهما . أو ما قيل من أن عليا نفسه كان يرجو أن يكون الخليفة
بعد رسول الله (ص) ، حتى أنه لم يبايع أبابكر إلا بعد وفاة فاطمة
الزهراء .

٥ ان الشيعة يقولون: ان رسول الله (ص) نص عليا "امامة علي" في "حديث
الغدِير" بعد أن أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك
من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصك من الناس) .

١١ عند صحة هذا الحديث يصبح حدوث صراع أهلي في المدينة المنورة
أمرا حتميا لا يقل أبدا عن الجهاد في سبيل الله ولا عن "حروب الردة" التي
قامت حينئذ ، إلا أن الذي حدث غير ذلك تماما . بل إن عليا نفسه
لم يعر الأمر أي اهتمام فبايع "أبا بكر" . ثم بايع بعد أبي بكر "عمر"
ثم عثمان بالرغم من كون علي "أحد الستة الذين رشحهم" عمر ليتولوا الخلافة
بعده ، فلو كان منصوبا عليه بالامامة شرعا لرفض أن يقتصر مع أناس عاديين
غير منصوص عليهم .

١٥ ذلك كله يدل على أن موالاته "علي" لم تكن من مفاهيمها أن يكون اماما
للمسلمين .

٢٠ قد يقال ان عليا - حقنا منه لدماء المسلمين وجمعا لكلمتهم - لم يشأ
أن يصير على المطالبة بحقه في الامامة ، ولكن الذين يعلمون ما تعنيه
كلمة (النص الالهى على امامة علي) يعلمون ضحالة هذا القول ، لأن الذين
رفضوا مبايعة "علي" بعد وفاة رسول الله (ص) - في هذه الحالة - قد اكتسبوا
عداوة الله ورسوله لعصيانهم أمر رسول الله (ص) ، الذي هو هنا وجوب مبايعة
"علي" ، فلا بد من محاربتهم ، والله تعالى يقول : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ، وقال تعالى :
**

١. بخ ك ٦٤ ب ٣٨ أنظره في : فتح الباري ج ٢ ص ٤٩٣

٢. حديث مشهور عند فرق الشيعة ومذكور في كثير من مصادرهم على اختلاف
فرقهم .

* المائدة ٦٧ ** الأحزاب ٣٦ .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء *) ، وقال تعالى :
 (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله
 ولو كانوا آباءهم **) لذلك كان لزما علي * علي * والمولين له اعتبار كل من بايع
 أبا بكر خارجا عن الاسلام لعصيانه أمر الله ورسوله ، ولابد من محاربه وارجاعه
 الى الحق . وله في ذلك أسوة حسنة برسول الله (ص) الذي حارب قريشا
 وجميع المشركين ، اذعانا لأمر الله وأداء لرسالته . ولم يكن "علي" مغلها على
 أمره أو خاليا من العشيرة أو النصير ، ولم يكن يوما جبانا ولا خوارا يهاب
 الحرب .

ان مسألة اراقة دماء المسلمين في سبيل الحق ستهدو رخيصة رخص
 الدماء والأنفس التي ستذهب في هذا السبيل ، وليس من مطلب لعلي هـنا
 الا احدى الحسنيين . وقد وقف "علي" مثل هذا الموقف تماما فلم ييخل بأرواح
 المسلمين ، ولم يتوان عن خوض غمار الحرب ، لما دعى الأسر : فكان قتلى
 يوم الجمل عشرين ألفا وقتلى صفين سبعين ألفا كما ذكر خليفة بن خياط . فهل
 كان حق "علي" أمام أبي بكر وعمر وعثمان أقل من حقه — بعد أن بوح لله
 بالخلافة — أمام طلحة والزبير وهما "والخوارج" .

ثمة نقطة أخرى في موضوع الذين بايعوا "أبا بكر" من حيث كونهم حسب
 زعم الشيعة "مناصبين عليا العداء" ، وعصيانهم بذلك أمر الله ورسوله . فلا بد
 لعلي وشيعته من مقاطعتهم اذا لم يستطيعوا محاربتهم لسبب ما . ولكننا نجد
 لعلي من المواقف التي تدل على رضاه التام على هذا الوضع . بل ان
 مشاركته الايجابية في كثير من الأحكام التي قضى عمر بن الخطاب بها ؛ سواء
 بمخالفته اياه عليها أم بموافقته له ، وان مصاهرته لعمر ، وموافقته أن يكون أحد

* الممتحنة ١ ** المجادلة ٢٢

١. انظر : تاريخ خليفة بن خياط ط ٢ ، تحقيق أكرم العمرى ، بيروت ، مؤسسة

الرسالة ، ١٣٩٧ ، ص ص ١٨٦ ، ١٩٤ .

أصحاب الشورى ؛ يدل على أن عليا كان نعم الوزير ونعم المشير والصديق
للخلفاء الثلاثة قبله ، ولم يكن مناوئا لهم بأي حال من الأحوال . بل
ان مبايعة الصحابة عليا بالخلافة ؛ تلك التي تمت بعد مقتل عثمان
تعتبر دليلا على أن عليا غير منصوص له بالامامة شرعا ؛ لأن تلك المبايعة
كانت في معظمها من المهاجرين والأنصار ؛ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان
وفي هذا معنى ؛ أن هذا المجتمع لم يكن قط مناصبا لعلي العداء ، بل
كان مواليا له ولأهل بيت رسول الله (ص) ؛ ولكن ليست تلك الموالاتة
إلا على الطريقة التي رضي عنها علي بن أبي طالب نفسه ورضي عنها
السلف الصالح ، ولم تكن بأي حال تعني "الامامة" ،

سلف أهل البيت الصالح والتشييع :

ان كل دارس لفرق الشيعة لابد وأن يتساءل ؛ كيف ومتى بدأ التشييع ؟
وما علاقة سلف أهل البيت بالتشييع ؟ حفلت الاجابات التي وردت في
كتب الفرق قديمها وحديثها بتعليلات وأخبار منها أن أصل التشييع
لأهل البيت فارسي ، ظهر بعد زواج الحسين بن علي من ابنة
ملك الفرس . وهناك قول بأن التشييع انما كان في الأصل لعلي بن أبي
طالب ، كما يقول أبو الحسن النخعي (- ٣١٠ *)

فأول الفرق (الشيعة) وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام
المسمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وآله ،
وبعدده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بامامته .

يدل هذا القول على أن التشييع لأهل البيت كان منذ حياة رسول الله
(ص) وهذا يستوجب أن تكون هناك شيعة أخرى لأشخاص آخر ، كما أن القول

١. انظر محمد السعيد جمال الدين . دولة الاسماعيلية في ايران ، القاهرة ، سجل
العرب ، ١٩٧٥ ، ص ٨
- * أنظر ترجمته في الأعلام ج ٢ ص ٢٣٩
٢. فرق الشيعة ط ٤ ص ٣٦

بهذا يؤدي بنا الى أن شيعة عليّ أولئك ؛ انما كانوا يشايعونهم اما
تعاطفا واعجابا ، أو طاعة لله ورسوله .

ان المراجع القليلة التي وقف الباحث عليها لم تذكر أن الصحابة
كانوا شيعة وأحزابا على عهد رسول الله (ص) بل ان ما سبق به الحديث
المدعم بالآيات القرآنية أن رسالة الاسلام بعيدة عن مثل هذه الأمور
(ر . ص ٣٤ ، ٤٤ مجتمع عصر النبوة) فالاسلام لم يأت الا ليجمع ، لا يفرق .
قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) . ولو صح
زعم النوختي " لصارت المدينة بعد وفاة رسول الله (ص) ميدان حرب
أهليه بدلا من أن تكون كما كانت عاصمة الاسلام ومنبع الهداية والنور
والعلم ، والقيادات العظيمة التي أبهرت العالم فدكت أسوار أعنى دولتين ؛
الفرس والروم .

وان كان مقصود " النوختي " بالتشيع لعلي التعاطف معه والاعجاب
بشخصيته ومزياه فمن منا غير معجب بأبي الحسن على هذا النحو
الذي لا علاقة له بوجوب امامته ، أما أن يكون التشيع لعلي على
عهد رسول الله (ص) على النحو الذي يصوره الشيعة ، فان رسول الله (ص)
أجل وأعظم من أن يرضى لفئة من صحابته أن تتكبر هذا ، وتعادي عليا ،
ولا يدلهم على الخطأ الذي يكتنفه ، وهو
الهادي الى صراط الله المستقيم ، والمبعوث رحمة للعالمين . ولا يسح
الباحث هنا الا أن ينفي قول النوختي جملة وتفصيلا .

وان كان من رأي لبعض الصحابة في مبايعة عليّ بعد وفاة رسول الله (ص)
فهو لا يعدو أن يكون رأيا اجتهاديا محضا .

ان السنوات التي تقلد "الخلفاء الراشدون" الأربعة فيها أمر المسلمين كانت تكفي "علياً كي يوطد أركان" التشيح له ولولديه الحسن والحسين ووسح

دائرته ؛ اما جهراً أو بأسلوب التقية والطريقة الباطنية السرية . ان ذلك هو واجبه لأنه "الامام الوصي" صاحب الحق كما يزعمون * فلم لم يفعل ذلك أبان خلافته فضلاً عن سنوات خلافة الثلاثة الراشدين الذين كانوا

قبله . وهو دليل على أنه لا وجود أصلاً للتشيح الذي يقول بالنص الشرعي على "إمامة علي" . ولوتسنى لنا الاطلاع على رأى "الباطنيين" في ذلك لوجدنا انهم - فيما يصفونه علياً من صفات تتميز بالخلو - أنهم على غير صواب، فهم يقولون ان علياً عالم بما كان وما سيكون وأنه عالم بما سيجرى عليه من

أحداث وان ساع للباطنيين أن يعتبروا

هذا عذراً فهو لا يسوغ في نظر القرآن الكريم ، قال تعالى مخاطباً سيّد الأولين والآخرين (ص) : (قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) *

ورغم ذلك فان دعواهم تلك لا تمنح علياً من الدعوة لما أستوصاه به رسول

الله (ص) من أمر الأمة بالولا لأصبح والعياذ بالله خائناً للامانة وهي صفة لا ترقى بأي حال الى شخص يؤمن بالله واليوم الآخر فضلاً عن

علي بن أبي طالب ، إن علياً لم يحاول قط توسيح دائرة التشيح المزعوم بل لم يحاول تكوين شيعة خاصة به ، وان الذي أخبرنا التاريخ : أنه نهى

عن تفضيله على أبي بكر وعمر (ر . ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن سبأ) ، وأنه أحرق الذين

غلوا فيه (ر . ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن سبأ) مما يدل على أنه لا يدّ لعلي في نشر

التشيح فضلاً عن تكوينه وتأسيسه .

أما الحسن بن علي الذي يعتبره الشيعة اماماً بعد علي فان فرص

النجاح كانت مواتية له لو أراد تحقيق ما لم يحققه أبوه من نشر التشيخ لأهل

البيت والدعوة الى ذلك لو شاء .

ان حادثا جللا مثل مقتل علي بن ابي طالب ؛ وهو من هوحين استشهد ،
ليس على ظهر البسيطة من هو أفضل منه ، وهو ابن عم رسول الله (ص) ، ان
ذلك كله يجعل من الحسن بن عليّ رجل الساعة والزعيم المنتظر للأمة
الاسلامية ؛ فضلا عن مزاياه الخاصة به فهو ابن بنت رسول الله (ص) وأحد
سیدی شباب أهل الجنة ، ما يؤهله بحق أن يتقلد أمور المسلمين الدينية
والدنيوية ، وفوق ذلك كله النص الشرعي الذي يدعيه الشيعة له . الا أنه
والرغم من مبايعته بالخلافة فانه يتخلّى عن ذلك كله ويتنازل لمعاوية
ليتحقق فيه قول جده المصطفى (ص) :

ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين .^١

وهكذا يتضح أن الحسن لم يقف من التشيع - القائل بالنص على
امامة أهل البيت - موقفا سلبيا فحسب بل انه مدّ يده الى معاوية مبايعا
ومتنازلا عن بيعة المسلمين له .

يأتي بعد ذلك دور الحسين الذي يشترك مع الحسن أخيه في المزايا
وزيد عليه بكونه حسب القول القائل : انه آخر من بقي من أصحاب الكساء .
من أحق من الحسين لقيادة الجماهير ؟ ولكن لا شيء في ذلك ،
فالتاريخ أوضح لنا أن أهل الكوفة أغروا الحسين بالخروج ، ولنقل انهم
شيعة وعلى أحمر من الجمر في انتظار اليوم الذي ينتصرون فيه على مختصبي
الامامة . أيّ تشيع وأيّ امامة ؟ ذلك الذي يكون بالعراق وصاحب الدعوة
في الحجاز خال من شيعة المؤيدين ، ألا يكلف نفسه بنشر دعوته ولوسرا ؟
ليس هذا دليلا على أن خروج الحسين لا شأن له بالتشيع ؟ بل ان القوم
هم الذين ألحوا عليه في طلب القدم .

يخرج الحسين الى العراق ، ومنصحه ابن عباس بعدم الخروج ، أين أولئك
الذين ألحوا على الخروج ؟ أين الشيعة ؟ لقد فروا . فلم يكن معه حين

استشهد رضى الله عنه سوى ستين شخصاً^١ . ومهما قيل عن حركة
«التوابين» بعد ذلك وتقدمهم على خذل الحسين ، فإن الأمر لا يعدو
أن يكون أكذوبة كبرى عن علاقة أهل البيت بالتشييع سواء ذلك عند
«علي» أو «الحسين» ، وهم السلف الصالح لأهل البيت .

- هنا يصبح التشيع عبارة عن أصابع عملت في الخفاء^٥ ونسجت في
الظلام مؤامرات لهدم الدين . وأهل البيت بريئون منهم كما رأينا .
وهكذا لا يمكن بأي حال الاعتقاد أن بذور التشيع - الذي يقول
بنصر شرعي على أمانة أهل البيت - نشأت في مجتمع الصحابة برعاية
علي وأبنيه الحسين . وذلك يصبح أهل السنة والجماعة هم المشايعة
حقيقة لأهل البيت والموالون لهم إلى يوم القيامة ، ولكن على نحو لا علاقة
له بفرض الإمامة .

أما الصورة الأخرى للتشييع فقد ظهرت في فسنة بعيدة عن الاسلام
وأحكامه وتاريخه وهي صورة الخلو في أهل البيت . وذلك سيكون حديث
الفصل التالي :

الفصل الثانى ظهور الغلو

تعريف الغلو :

يقال : غلا فى الأمر جاوز فيه الحد ، وبابه سما^١ . والغلو المقصود هنا هو غلوبعض الشيعة فى عليّ بن ابي طالب وذريته ، وطلق عليهم^٥ الغلاة أو الغالية . وعرف أبو الحسن الأشعري (- ٣٢٤) الغلاة من خلال ذكره سبب تسميتهم بالغالية ، بقوله :

لأنهم غلوا فى عليّ ، وقالوا فيه قولا عظيما^٢ .

وعرفهم الشهرستاني (- ٥٤٨)^{**} بقوله :

هؤلاء هم الذين غلوا فى أئمتهم ، حتى أخرجوهم من حدود الخليفة ، وحكموا فيهم بأحكام الهية ، فرما شبهوا أحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير^٣ .

وهو تعريف يبدوا أكثر شمولا .

وقد نهج أصحاب المقالات والفرق طرقا مختلفة فى تحديد فرق الغلاة ، مما يدل على اختلاف لوجهات نظرهم فى تحديد هوية الغلاة ، الا أنه خلاف على ما يظهر شكلي اذا أعيد النظر فيه (ر . ص ٥٧) .

وقد صنف برنارد ليس فرق الغلاة على مجموعات أو نزعات ثلاث فقال :

١م مختار الصحاح . مادة غ ل ي ص ٤٨٠

* انظر ترجمته فى الأعلام ٦٩/٥

٢. الأشعري : مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، تحقيق عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية . د . ص ٦٦

٣. الشهرستاني . الملل والنحل ج ١ تحقيق الكيلانى ، القاهرة ، مصطفى الحلبي ، ١٣٨٧ ص ١٧٣

** انظر ترجمته فى الأعلام ٨٣/٧

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالة علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه * ويظهر أن الفاطمية كانت في عصرها الأول تمثل الطرف المحافظ .

ان "لوس" جعل "الخلاة" الذين قالوا بالحسين "نزعة" واحدة ذات طرفين أحدهما حسني والآخر حسيني ؛ وهذا معنى قول الباحث أنه جعلهم ثلاث نزعات * ويؤخذ على هذا التقسيم انه اعتبر ظهور الكيسانية^١ اتباع المختار بن ابي عبيد (- ٦٦) بداية لظهور الخلو وفي هذا ما فيه من اغفال للخلو الذي ظهر على يد عبد الله بن سبأ أيام علي ومعه مقتله * .

ان انكار وجود ابن سبأ موضوع يمس هذا البحث مساً مباشراً نظراً لما قيل عن أنه كان في الأصل يهودياً * فلا بد من ايفاء حقه من الدراسة قبل الحديث عن فرق الخلاة * .

١. برنارد لوس * أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت ، ص ٨٨ ، ٨٩

عبد الله بن سبأ :

من هو عبد الله بن سبأ : اختلفت كتب المقالات والتاريخ ففي

هوية عبد الله بن سبأ ، فتارة يسمونه : * عبد الله بن سبأ * وأخرى :

* ابن السوداء * ، غير ذلك وغيره ، وقد أوجد هذا الخلاف لبسا كان

من أسباب ظهور آراء متباينة في هذا العصر حول " ابن سبأ " ٥

وحقيقة وجوده ، وسماء الأشعري القمي (- ٣٠١)

عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني^١

ولكن المعروف أن * عبد الله بن وهب الراسبي * كان أحد زعماء الخوارج

وقد قتل في معركة النهروان (سنة^{٣٨}) وهذه المعركة انما جرت

بين علي والخوارج ، ورد هذا القول الذي جاء به الأشعري القمي وجود ١٥

نشاط لابن سبأ بعد مقتل علي (سنة^{٤٠}) فضلا عن الفترة التي

بعد النهروان * زيادة على البون الشاسخ بين الخلافة والخوارج عقديا

وفكريا .

وأورد الجاحظ (- ٢٥٥) أن ابن السوداء ، هو * ابن حرب * ؛ ولكن أصحاب^٣

المقالات أشاروا إلى من يدعى ابن حرب أنه عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي ١٥

صاحب فرقة " الحربية " الغالية ، وقد وجدت هذه الفرقة اثر وفاة ابن هاشم

عبد الله بن محمد بن الحنفية (ر . ص ٩٢ ف ١) .

ولا يخفى علينا ما نوه به الأشعري القمي ؛ من اتفاق بين مذهب السبئية وبين

أصحاب ابن حرب الكندي مما يدل على أن سبب الالتباس قائم بين (ابن^٤ -

السوداء) الذي هو ابن سبأ و (ابن حرب) وهو ، الاتفاق على مذهب ٢٥

الخلو ، وهي اشارة الى أن الخلافة هم في الحقيقة امتداد (للسبئية) .

١. انظر : كتاب المقالات والفرق * تحقيق محمد جواد مشكور ، طه — ران ،

مطبعة حيدري ، ١٣٤١ ش ، ص ٢٠

٢. انظر تاريخ خليفة بن خياط ص ص ١٩٧ ، ١٩٨

٣. انظر البيان والتبيين ، ط ٤ ، ج ٣ ، (عبد السلام هارون) القاهرة ، الخانجي

١٣٩٥ هـ ، ص ٨١

٤. انظر المقالات والفرق ص ص ٥٦ ، ٥٥ . (٥) انظر تاريخ الطبري ٤ / ٣٤٠

* انظر ترجمته في : الاعلام ٢٣٩ / ٥

*

وقد اعتبر البغدادي (٤٢٩ -) ابن السوداء شخصية أخرى غير (ابن سبأ) (ر. ص ٢٤٣، ٢٤٤) ^١ ووجه الخطأ في ذلك، الالتباس بين الكنيتين؛ والا فانه أوجدهما في فترة واحدة، وجعل أحدهما تابعا للآخر. وليس بهيعد أن اختلاف شيخ البغدادي في الرواية أوجد هذا التفريق. ولا سيما وأنه سابق اليه.

وذكر أن (ابن سبأ) هو (عبدالله بن سبأ العجلي) ^١ و (بنو عجل) من المشهور أنها قبيلة ظهر فيها الخلو لأهل البيت، ومن أشهرهم في ذلك (أبو منصور العجلي) صاحب الفرقة (المنصورية) الخالية (ر. ص ١١٧ فما) ولا يستبعد أنه كان يدعى عبدالله.

١٠ من ذلك يتضح لنا أن (عبدالله بن سبأ) ليس ابن وهب أو ابن حرب، وليس من بني عجل بل هو؛ (عبدالله بن سبأ اليهودي الصنعاني) ^٢ وذكر النوبختي أن ابن سبأ:

٣. كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام

نشأته: أن المعلومات التي توفرت لاتزيد على أنه كان يهوديا من (صنعاء) اليمن، وأنه ظهر في خلافة عثمان بن عفان، وأن أفاض بعض المحدثين في حياته قبل ذلك، إلا أن هذا من قبيل الاحتمال الذي لم يتأيد بنصوص؛ فحياته قبل ظهوره على مسرح الأحداث مجهولة إلى حد بعيد.

١. انظر: الشيباني. كامل مصطفي، العلاقة بين التصوف والتشيع، ط ٢، القاهرة

دار المعارف، ١٩٦٩، ص ٩٠

٢. انظر: الألوسي، محمود شكري، مختصر التحفة الاثنى عشرية، ط ٢، القاهرة،

المطبعة السلفية، ١٣٨٢، ص ٦

٣. فرق الشيعة ص ٢٠

* انظر ترجمته في الاعلام ١٧٣/٤

هل كان ابن سبأ أسطورة ؟ قبل التعرض للعقيدة التي ابتدعها ابن سبأ اليهودي ، لابد لنا من التعرض لما قيل في شخصيته من أنه مجرد أسطورة أريد بها الطعن في مذاهب (الشيعة) ، فهل كان ابن سبأ كذلك ؟

ان كثيرا من أصحاب الفرق والمقالات ، والمؤرخين ، تناقلوا أخبارا

(ابن سبأ) ودوره في بث الخلوفى التشيع لأهل البيت بين المسلمين ، بهدف القضاء على الدين الاسلامى .

وفي الساحة العربية ، ظهر (مرتضى العسكري) - وهو باحث

شيعة معاصر ، وعميد لكلية أصول الدين ببغداد - بكتاب سماه :

" عبدالله بن سبأ واساطير أخرى " . عالج فيه ظاهرة (ابن سبأ) باعتباره

أسطورة ، وبنى رأيه على أن ابن جرير الطبري (- ٣١٠) صاحب التاريخ

المشهور نقل أخبار ابن سبأ وفي سند روايته شخص كذاب ، يدعى

(سيف بن عمر الضبي التميمي) . (ر . ص ٣١) وقد ظهرت

آراء موافقة " للعسكري " من وجوه أخرى ، وكلها مجمع على أن (ابن سبأ)

شخصية ملفقة التكوين على أصح الافتراضات .

وعلى الصعيد الآخر أي الذى يثبت وجود شخصية ابن سبأ نجد

" عبدالرحمن بنوى " - أحد الذين كتبوا في الدراسات الاسلامية على

النحو الاستشراقى - يتحدث عن (ابن سبأ) باعتباره شخصية حقيقية ،

ويدفع قول بعض المستشرقين الذين قللوا من خطورة ابن سبأ .

كما أن " عبدالله حافظ " كتب رسالة جامعية تضمنت فصلا رد فيه بصفة

خاصة على " مرتضى العسكري " بسلسلة من روايات أئمة الشيعة ، تثبت

١ . *

عكس ما ذهب اليه " العسكري " .

١ . عنوان الرسالة : منهج النقد عند المحدثين . وقد قدمت الى قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ

* أنظر ترجمته في الأعلام ٢٩٤ / ٦

* ظهر أخيرا بحث مماثل كتبه : سعدى الهاشمي . مجلة الجامعة الاسلامية

بالمدينة المنورة . العدد ٤٦ السنة ١٢ جمادى ١٤٠٠

وقد حذرت " التحفة الاثني عشرية " من انكار شخصية ابن سبأ على النحو التالي :
عبد الله بن سبأ . . . وليس هو هيان بن بيان وزعم ذلك مكابرة وانكار^١
للمتواتر .

- وانذا علمنا أن مؤلف (التحفة الاثني عشرية) هو " شاه عبد العزيز الدهلوي " (١٢٣٩ -) ألفها في القرن الثالث عشر باللغة الفارسية ، وأنه اعتمد فيها^٥ على المصادر الشيعية ، لوجدنا أن من المحتمل أن تكون مسألة التعرض لشخصية " ابن سبأ " مما ظهر في تلك الأوساط حينئذ على نطاق ضيق ، اذا لم يكن المؤلف المذكور سابقا الى دفع هذا النفي قبل وقوعه كما هي عادة الباحثين والمناظرين الذين يردون على رأي يتوقعونه من أخصائهم قبل القول به .
- الا أنه من المؤكد أن مسألة " محاولة نفي وجود شخصية ابن سبأ " أو^{١٠} التقليل من قيمتها " . هي مما ظهر في القرن الرابع عشر مع ما ظهر من التشكيك في (التاريخ الاسلامي) اجمالا .
- ولا ينكر الباحث هنا تسرب بعض الأوهام الى جزء من التاريخ الاسلامي . الا أن الواجب يقتضي تمييز الأكاذيب من الحقائق استنادا على البحث العلمي النزاه الذي يراد به وجه الله تعالى ، لأن هناك من يتمنى أن يحذف بجرة قلم^{١٥} كل ما تميز به تاريخ المسلمين من أمجاد ومفاخر على حساب هنات وقع فيها . بعض المؤرخين . وهذا مما له علاقة قوية وثيقة بصلب العقيدة الاسلامية عامة .
- المستشرقون وابن سبأ : ليس من المستبعد أن تكون مسألة انكار شخصية ابن سبأ أو التقليل من شأنها ، من نتاج الفكر الاستشراقي ، لأن الاهتمام الذي برز في (العالم الغربي) بابن سبأ أكثر من ذلك الذي ظهر على الساحة العربية ،^{٢٠} كما أنه متقدم وسابق عليه .

ونذكر (برنارد لويس) أن كلا من " فلهاوزن " و " فريد لاندر " و " كيتانبي "^٣
اعتبروا ظاهرة ابن سبأ من اختلاق المتأخرين .

١. مختصر التحفة الاثني عشرية ط ٢ ص ٦

٢. أنظر: أصول الاسماعيلية، ص ٨٦

ومن الملاحظ أن " فريد لاندر " و"فلهاوزن " بنيا رأيهما على طعن بعض

رجال الجح والتعديل في روايات " سيف بن عمر ، ولكن " فريد لاندر " لم

يستطع انكار دور ابن سبأ في نفي موت علي بن أبي طالب .

أما " كيتاني " فقد ذهب من قبل مذهبا آخر بنى عليه رأيه في عدم وجود

دور سياسي لابن سبأ الموافق لرأي " فريد لاندر و"فلهاوزن" على أساس أن

المؤامرات السرية التي نسبت إلى ابن سبأ في عهد " عثمان " لا يمكن أن تتم

بهذه الصورة في هذا العصر :

ان مؤامرة بهذا الاحكام لا يمكن تصور حدوثها في

العالم الاسلامي عام ٣٥ هـ بنظامه القبلي ، وأنها تعكس

٢.

بالأحرى أحوال العصر العباسي .

١٠

وعلى صعيد يهودية ابن سبأ ، فاننا نجد (ديلافيدا) ينكر يهودية ابن سبأ

٣.

بلا دليل مقنع . ويقال ان (ديلافيدا) نقل مقالته هذه عن (ويماي) . واستبعد

كل من (ماسنيون) و (فلهاوزن) أيضا ، أن يكون ابن سبأ يهوديا بل اعتبره

٤.

عربيا .

ولا يستبعد الباحث أن نفي يهودية (ابن سبأ) انما قيل اعتمادا على أقوال

١٥

خاطئة قيلت في ابن سبأ ، من أنه (عبدالله بن وهب الراسبي) كما قال (الأشعري

القمي) أو أنه من قبيلة (كنده) كما قال (الجاحظ) أو أنه من (بني عجل) كما

نقل عن (الشعرائي) ، وقد سبق تفنيد هذه الأقوال (ر . ص ص ١٦ ١٧٤) .

١. انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ط الانجليزية ، مادة " ابن سبأ " .

طبعة ليدن وأنظر : عبد الرحمن بدوي . مذاهب

الاسلاميين ج ٢ . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢٠

٢. عبد الرحمن بدوي . مذاهب الاسلاميين ٣٥ / ٢ ، وأنظر : دائرة المعارف

الاسلامية . ط الانجليزية ، مادة ابن سبأ ٥١ / ١ .

٣. انظر : مذاهب الاسلاميين ٢٠ / ٢

٤. انظر : دائرة المعارف الاسلامية . ط الانجليزية ، ابن سبأ ٥١ / ١ .

الباحثون العرب وانكار شخصية ابن سبأ :

سبقت الإشارة إلى ما كتب (مرتضى العسكري) حيث نفى وجود ابن

سبأ واعتبره من الأساطير .

وهنا يورد الباحث ما استنتجه (العسكري) حول هذا الموضوع؛ انه يقول ان:

سند جميع من أورد هذه الأسطورة السبئية [ينتهي]

إلى هذه المصادر الأربعة [وهي الطبري (٣١٠-) وابن عسك

(٥٧١-)] .

وابن ابن بكر (٧٤١-) والذهبي (٧٤٨-) وهي

ترويهما عن سيف [بن عمر الضبي التميمي] وحده لاشريك له فـ

ذلك .

ان (العسكري) بذلك يضاھي قول من سبقه إلى هذا القول من المستشرقين،

الا أن أولئك المستشرقين الذين طعنوا في روايات (سيف بن عمر) لم ينفوا

تماما وجود ابن سبأ على هذه الطريقة .

أيد (العسكري) في دعواه (محمد جواد مخنيه) بأسلوب تجاوز فيـ

الموضوعية العلمية ، وأيده أيضا (حامد حفني داود) .

ساهم (طه حسين) في انكار شخصية ابن سبأ ، ولكن من وجهة نظر أخرى

قد تكون جديدة ؛ فهو يرى أن عدم ظهور (ابن السوداء) في (موقعة صفين)

ولا في فرقة (الخواج) ؛ يستلزم أن يكون وهما وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر

كالذي صورهُ المؤرخون .

وعلى استحياء ساهم (محمد حسين كاشف الغطاء) العالم العراقي

الشيعة ، في انكار شخصية ابن سبأ بالرغم من اعترافه أن " كتب الشيعة "

١. عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ، بيروت ، دار الكتاب ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٥٦ وما قبلها

٢. عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ص ص ٩ - ١٢ ، ١٣ - ١٦

٣. الفتنة الكبرى - علي وبنوه ، ط ٨ ، القاهرة ، دار المعارف ،

القديمة تلحن ابن سبأ حين تترجم له ، الا أن " كاشف الغطاء " يقول :

على أنه ليس من البعيد رأي القائل : ان عبد الله بن سبأ ...

[وأما له] كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون ، وأرباب

السمر والمجون ، فان الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط

الدولتين الأموية والعباسية .

ومن أنكر شخصية ابن سبأ على نحو آخر " علي الوردي " و " كامل

مصطفى الشيبى " . وقد عرض " علي سامي النشار " ذلك حين قال :

ولكن كاتب الشيعة الكبير المعاصر الدكتور علي الوردي يقدم لنا في براعة

نادرة تحليلا بارعا لقصة عبد الله بن سبأ ... ينتهى الى انكار وجود

هذه الشخصية اطلاقا ، ويحاول أن يثبت أن ابن سبأ ، هو هو عمار بن

ياسر ، ثم حمل النواصب أعداء البيت العلوي " ابن سبأ " تلك الشخصية

الوهمية - تلك العقائد الناشئة المنتشرة في كتب العقائد ، والتي لعنها

أهل السنة والجماعة جميعا كما لعنها الشيعة الإمامية أيضا . وكذلك

فعل الدكتور كامل مصطفى الشيبى في بحثه الرائع " بين التصوف والتشيع "

وقد أبرز وثائق جديدة تبين التطابق التام بين شخصيتي عبد الله بن

سبأ وعمار بن ياسر .

ولتوضيح رأي " الوردي " الذى لم أقت بعد - مع الأسف - على كتابه

" رهاظ السلاطين " ، ولكنني استعذت من " كامل مصطفى الشيبى " الذى

نقل آراءه بالنص ، أقول :

ان " الوردي " بنى رأيه القائل بتطابق شخصيتي " ابن سبأ " و " عمار بن

ياسر " على ما ورد في " الطبري " من أخبار " ابن سبأ " تلك الأخبار التى رواها

" سيف بن عمر " .

١. أصل الشيعة وأصولها ، ط ٣ ، (نائب بغداد) ، ١٣٦٣ هـ ، ص ٥٠

٢. نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، ج ٢ ، ط ٧ ، القاهرة ، دار المعارف ،

ان " كامل الشيبى " بآراء حول " ابن سبأ " ما هو الا امتداد
" للموردي " اللذين وصفهما " سامى النشار " بالروعة والبراعة . يقول الشيبى :

وللدكتور علي الوردي أدلة على أن هذين الرجلين

[عمار وابن سبأ] شخص واحد وهذا نصها :

٥ من غرائب التاريخ أن نرى أن كثيرا من الأمور التي
تنسب الى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار بن ياسر
على وجه من الوجوه :

١- كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء وقد رأينا كيف

كان عمار يكتفى بابن السوداء أيضا .

١٠ ٢- وكان من أب يمانى ومعنى هذا أنه كان من أبناء

سبأ ، فكل يمانى يصح أن يقال عنه : " ابن

سبأ " .

٣- وعمار فوق ذلك كان شديد الحب لعلي بن أبي

طالب عليه السلام يدعو له ويحرض الناس على

١٥ بيعته في كل سبيل .

٤- وقد ذهب عمار في أيام عثمان الى مصر وأخذ يحرض

الناس . . . وهذا الخبر يشابه ما نسب الى ابن

سبأ من أنه استقر في مصر واتخذ الفسطاط مركزا

للعوتى وشرع يرسل أنصاره منها .

٢٠ ٥- وينسب الى ابن سبأ قوله : ان عثمان أخذ الخلافة

بخير حق وأن صاحبها الشرعى هو علي بن أبي

طالب . والواقع أن هذا هو كلام عمار . . . فقد

سمع ذات يوم يصيح في المسجد اثريبعة عثمان :

يا معشر قرش ، اما اذا صرفتم هذا الأمر عن بيت نبيكم
هاهنا مرة وهاهنا مرة فما أنا بآمن عليكم من أن ينزعه الله
فيضعه في غيركم كما تزعموه من أهله ووضعتموه في غير أهله .

٦- ويعزى الى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعي الصلح
بين علي وعائشة ابان معركة الجمل حسب ما يقوله الرواة
ومن يدرس تفاصيل [ال]واقعة ٠٠٠ يجد عمارا يقوم بدور
فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الأشتر
الى الكوفة يحرض الناس على الانتماء الى جيش علي ، وكان
وقوف عمار بجانب علي أثناء المعركة سببا من أسباب ندم الزبير
وخروجه منها .

٧- وقالوا عن ابن سبأ أنه هو الذي حرك أباذر في دعوته
الاشتراكية ولودرسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا .
فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن أبي طالب ،
وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون معا .

١٥ بعد عرض " الشيبى " لآراء " الوردى " قام الأول بتدعيمها بالنصوص على

حد زعمه . فحن تسمية " عمار بن ياسر " بابن السوداء قال :

ورد نص رواه علي بن ابراهيم القمي صاحب التفسير الشيعي
القديم لمناسبة الآية (يمنون عليك أن أسلموا . ٠٠٠) فقال :
نزلت في عثكن . بن معاوية يوم الخندق ، وذلك أن مربي عمار
يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفرة فوضع عثكن كفه على
أنفه ومرة فقال عمار :

لا يستوي من يبتنى الملاجدا * يظل فيها راكنا وساجدا

ومن يمر بالخبار حايدا [؟] * يعرض عنه جاحدا معاندا

فالتفت اليه عثكن فقال : يا ابن السوداء اياي تعني ؟ / وأما كونه

[يعني عمارا] ابن سبا فقد ورد في نسب عمار في طبقات

" ابن سعد " فقال :

هو عمار . . . بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن

قحطان . وكذلك في " طريق الحقائق " (للحاج محصم) نقلا

عن الكامل . . . وكذلك في تاريخ ابن خلدون .

وأضاف " الشيبى " الى آراء " الوردي " آراء أخرى فقال :

ان الطبرى في تطرقه الى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي

فيها فكان اذا عدّهم وذكر اسم عمار في جملتهم أغفل ذكر ابن

السوداء " واذا ذكر ابن السوداء ثاشى ذكر اسم عمار مما يرجح

ان الرجلين شخص واحد . وقد كان أكثر زملاء حجر [بن عدي]

" يمانيين " أى سبئيين ، وقد سماهم زياد [بن ابيه] بالترابية

أى العلوية . وبهذا تكون السبئية هي الحجرية وتكون أفكارها

هي أفكار ابن سبا الذي هو عمار بن ياسر .

ويمكن هنا تلخيص آراء المنكرين لشخصية " ابن سبا " على النحو التالي :

١- انكار وجود (عبدالله بن سبا) تماما واعتباره اسطورة ؛ اعتمادا على تجريح

بعض الرجال لرواية " سيف بن عمر " في الحديث .

٢- انكار ذلك لعدم ظهوره في معركة " صفين " ولا بين " الخوارج " .

٣- انكار دوره السياسي فقط .

٤- انكار يهوديته .

- ٥- احالة الدور الذي قام به الى "عمار بن ياسر" واعتبارهما شخصية واحدة .
- هنا نقطة جديدة بالذكر وهي ، ملاحظه الباحث من أن المستشرقين بما فيهم "طه حسين" وان حاولوا انكار وجود "ابن سبأ" الا أنهم لم يستطيعوا انكاره مطلقا ، ومن الممكن اعتبار انكارهم على خطورته انكارا جزئيا أو تشكيكا الا أنه ^{فليس} في مجموعه انكارا كليا لهذه الشخصية .
- بينما نجد "عرب التشيع" ومن تبعهم يحاولون محو وجود هذه الشخصية تماما .

مناقشة المنكرين لعبد الله بن سبأ :

- ١- ان آراء المنكرين لابن سبأ استنادا على تجريحهم لروايات "سيف ابن عمر" تنحصر في انكار جانب ما من الدور الذي قام به "ابن سبأ" ذلك الذي يتجلى في :
- أ - تأليب الجماهير ضد الخليفة الراشد عثمان .
- ب - بث أفكار اشتراكية عن طريق "ابي ذر الخفاري" واعتبار أن المال مال الله ، بينما (معاوية) يريد أن يحتججه دون المسلمين ، ويمحو اسمهم .
- ج - اذكاء نار الحرب بين فريق "معركة الجمل" وتزعم ابن سبأ أحد الجيوش في تلك المعركة . ذلك هو ما أنفرد به الطبري من قصة "ابن سبأ" أما الجانب العقدي الذي يختص بابتداع "ابن سبأ" آراء غالية ، فلا يمكن بأي حال القول ان "الطبري" أو "سيف" منفرد به دون غيره .

١. انظر في النقاط الثلاث : الطبري ٤/ ٢٤٠ ، ٢٨٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ .

على رأس ذلك تأتي الروايات التي يرويها " الشيعة " عن أئمتهم ففي
نم ولعن " عبدالله بن سبأ " كما رواها (محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي)
*
(- ٣٤٠) في ترجمته لعبد الله بن سبأ ، حيث يقول :

- (١) حدثني محمد بن قولويه القمي قال : حدثني سعد عن عبدالله
ابن ابي خلف القمي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي ، عن
يونس بن عبد الرحمن عن عبدالله بن سنان قال : حدثني أبي عن
أبي جعفر عليه السلام : أن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة . الخ .
(٢) حدثني محمد قولويه : قال حدثني سعد بن عبدالله قال : حدثنا
يعقوب بن زيد ومحمد بن عيسى عن أبي عمير عن هشام بن سالم
قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : - وهو يحدث أصحابه
بحديث عبدالله بن سبأ وما ادعى من الربوبية في أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السلام . الخ .
(٣) حدثني محمد بن قولويه : قال : حدثني سعد بن عبدالله
قال حدثنا يعقوب ابن زيد ومحمد بن عيسى عن علي بن مهزيار
عن فضالة بن أيوب الأزدي عن أيان بن عثمان قال : سمعت أبا
عبدالله عليه السلام يقول : لعن الله عبدالله بن سبأ ، انه ادعى
الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام . . .
(٤) وهذا الاسناد عن يعقوب بن زيد عن أبي عمير وأحمد بن محمد
ابن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن
سالم عن أبي حمزة الثمالي قال : قال علي بن الحسين صلوات الله
عليهما : لعن الله من كذب علينا اني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت
كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما ماله لعنه الله . . .

٥ سعد بن عبد الله قال : حدثني محمد بن خالد الطيالسي عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن ابن سنان قال قال أبو عبد الله عليه السلام : إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقه بكذبه علينا عند الناس . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البرية لهجة وكان مسيلة يكذب عليه . وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الذي يكذب عليه من الكذاب [كذا] عبد الله بن سبأ لعنه الله وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قد ابتلي بالمختار ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان فقال : كانا يكذبان علي علي بن الحسين عليهما السلام ثم ذكر المنيرة بن سعيد وزيغا والسري وأبا الخطاب ومحمــــر وأبا بشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال : لعنهم الله

٢- ما ذكره " الجاحظ " (- ٢٥٥)

١٥ قال : حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن زحر بن قيس : قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - فلقيني ابن السوداء . وهو ابن حرب فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماعه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه .

١. الكشي . معرفة أخبار الرجال (نشر الحاج الحايري) بومبي ، ص ٢٠٠ ف ٧٠ ، ص ١٩٧ وأنظر : عبد الله حافظ . النقد عند الحديثين ، كلية الشريعة ، مكة ، ١٣٩٢ هـ ، ص ١٢٨ (رسالة علمية)
٢. البيان والتبيين ، ج ٣ ، ط ٤ ، (عبد السلام هارون) ص ٨١

٣ - ما ذكره " ابن قتيبة " (- ٢٧٦)

عبدالله بن سبأ . وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال :
علي رب العالمين فأحرقه علي وأصحابه بالنار .
**

٤ - ما ذكره " النashiء الأكبر " (- ٢٩٣)

وروي عن عبدالله بن سبأ أنه قال للذي أتى بنسبي
علي الى المدائن : والله لو أتيتنا بدماعه في سبعين صرة
ما صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يمت ، وأنه لا يمت حتى يسوق
العرب بعصاه . فبلغ قوله ابن عباس فقال : لو علمنا هذا
لم نقسم أمواله ولم نكح نساءه .
٢

٥ - ما ذكره الأشعري القمي (- ٣٠١)

هذه الفرقة تسمى السبائية أصحاب عبدالله بن سبأ
وهو عبدالله ابن وهب الراسبي الهمداني وساعده علي ذلك
عبدالله بن حرس وابن أسود ، وهما من أجلة أصحابه . وكان
أول من أظهر الطعن علي أبي بكر وعمر وعثمان والصحابـة
وتبرأ منهم ، وادعى أن عليا أمره بذلك ، وأن التقية لا تجوز
ولا يحل (كذا) فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقره وأمر بقتله ،
فصاح الناس اليه من كل ناحية يا أمير المؤمنين أقتل رجلا
يدعو الى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك
فسيره علي الى المدائن ، وحكى جماعة من أهل العلم : أن عبدالله
بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا . وكان يقول وهو علي
يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة ، فقال

١. المعارف . ط ٢ ، (ثروت عكاشة) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٦٢٢ .

٢. مسائل الامامه (يوسف فان اس) بيروت ، المعهد الالمانى للابحاث

الشرقية ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

* انظر ترجمته في : الاعلام ٢٨٠ / ٤

** انظر : ترجمته في الاعلام ٢٦١ / ٤

في اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى
يمثل ذلك ، وهو أول من شهد بالقول بغرض امامة علي بن
أبي طالب ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفته
وأكفرهم ، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة ان أصل الرفض
مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعيي
علي وهو بالمدائن وقدم عليهم راكب فساله الناس ،
فقال ما خبر أمير المؤمنين قال ضربته أشقاها ضربة
قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها ، ثم اتصل
خبر موته فقالوا للذي نعاه كذبت يا عدو الله لو جئتنا والله
بدمغه ضربة [كذا] فأقمت على قتله سبعين عدلا ما
صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يموت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق
العرب بعصاه ، ويملك الأرض .

١٥ (٦) ما ذكره النوبختي (— أوائل القرن الثالث) :

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام
أن عبد الله ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام ،
وكان يقول على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام
بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بغرض امامة علي عليه السلام
وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفته ، فمن هنا قال من
خالف الشيعة : ان أصل الرفض مأخوذ من اليهود . ولما بلغ
عبد الله بن سبأ نعي علي في المدائن قال للذي نعاه : كذبت
لو جئتنا بدمغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا

١. كتاب المقالات والفرق . (محمد جواد مشكور) طهران ، مطبعة حيدري ،
١٣٤١ ش ، ص ٢٠ ، ٢١

١. أنه لم يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض .

(٧) ما ذكره " الطبري " (- ٣١٠) عن الدور الفكري العقدي لابن سبأ :

فيما كتب اليسى السرى عن شعيب عن سيف عن عطية

عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً

من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل

في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز

ثم البصرة ، ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد

عند أهل الشام وأخرجوه حتى أتى مصره فاعتمس

فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب من يزعم أن عيسى

يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل :

(ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) محمد

أحق بالرجوع من عيسى . قال (الراوى) فقبل ذلك عنه

ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيه . ثم قال لهم بعد ذلك :

انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ، ثم

قال : محمد خاتم الانبياء ، وعلي خاتم الاوصياء ، ثم قال

بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وتناول أمر الأمة .

(٨) ما ذكره أبو الحسن الأشعري (- ٣٣٠) :

أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن علياً لم يمت وأنه

يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت

جوراً وذكروا عنه (يعنى ابن سبأ) أنه قال لعلي عليه السلام :

٣. أنت أنت .

١. فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ص ٤١٥ ٤٠

٢. الطبري ٣٤٠/٤

٣. مقالات الاسلاميين ٨٦/١

٤. القصص ٨٥

(٩) ما ذكره القاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥) :

وكان [يعني ابن سبأ] بالكوفة ، يظهر تعظيم
 أمير المؤمنين بما لا يرضاه أمير المؤمنين - ويستغنى
 بذلك من ليست له صحبة ولا فقه في الدين ، وكالبوادى
 وأهل السواد ، ويتحدث بينهم وربما استقصر عندهم فعل
 أبي بكر وعمر وعثمان ، ويقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل ،
 لأنه كان يدعي ما ادعاه أبو الخطاب وهشام بن الحكم . وكان
 يدعي عند أمثال هؤلاء أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج
 إليه بأسرار ولا يخرج بها إلى غيره ، وأمير المؤمنين لا يعلم .
 ... وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه : ان أمير
 المؤمنين قال لي انه يدخل [كذا] دمشق ويهبط
 مسجد هـا حجرا حجرا ويظهر على أهل الأرض ، ويكشف
 لهم أسراراً ويعرفهم أنه ربهم ...

ولقد أتى أمير المؤمنين رضي الله عنه سويد بن غفلة
 وكان من خاصته وكبار أصحابه . فقال له : يا أمير المؤمنين
 مرت بنفير من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بنو أبي
 هما من الأمة له أهل ، ويرون أنك تضر لهما على مثل
 ما أعلنوا ، فقال : أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين .

()
 (١٠) ما ذكره "البخاري" (٤٢٩) :

عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه
 كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله ، ودعا إلى ذلك قوما

١٥ تثبت دلائل النبوة . (عبد الكريم عثمان) بيروت ، دار العربية ، ١٣٨٦ هـ
 ص ٥٤٦ ، ٥٤٧
 * انظر ترجمته في الاعلام ٤٧/٤
 ** انظر ترجمته في الاعلام ١٧٣/٤

من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم الى علي رضي الله عنه فأمر
بأحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في
ذلك :

لترم بي الحوادث حيث شاءت

٥

إذا لم ترم بي في الحفرتين

١٠

ثم ان عليا رضي الله عنه خاف من احراق الباقيين منهم
شماة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى
ابن سبا الى سابط المدائن ، فلما قتل علي رضي الله عنه
زعم ابن سبا ان المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصور
للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد الى السماء كما
صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام ، وقال : كما كذبت
اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب
والخوارج في دعواها قتل علي وانما رأت اليهود والنصارى
شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، وكذلك القائلون بقتل علي
رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي ، وعلي قد صعد الى
١٥ السماء ، وأنه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه .

١٥

وزعم بعض البائية ، أن عليا في السحاب
وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، ومن سمع من هؤلاء
صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

٢٠

وقد روي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن
سبا قيل له : ان عليا قتل فقال : ان جئتمونا بدماغه
في صرة لم نصدق ببعوته ، لا يموت حتى ينزل من السماء
ويملك الأرض بحذاقيرها وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن
السوداء وكان يعين السبائيه على قولها وكان ابن السوداء

في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الاسلام
وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم
أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي ، وأن عليا رضي الله عنه
وصلي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء كما
أن محمدا خير الأنبياء ، فلما سمع ذلك منه شيعة علي قالوا
لعلي أنه من محبيك فرفع علي قدره ، وأجلسه تحت درجسته
مشيرة ، ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله ، فنهاه ابن عباس عن ذلك
وقال له : ان قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عظيم
على العود إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى إدارة أصحابك
فلما خشي من قتل [يخني ابن السوداء] الذي يعتبره البغداديين
شخصية أخرى غير ابن سبأ ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي
خافها ابن عباس " فافهما إلى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد
قتل علي رضي الله عنه ، وقال لهم ابن السوداء : والله
لينبعن لعلني في مسجد الكوفة عينا تفيض احداهما
عسلا والأخرى سمنا ويخترق منها شيعته .

وقال المحققون من أهل السنة : ان ابن السوداء كان
على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم .
بتأويلاته في علي وأولاده كي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى
في عيسى عليه السلام ، فانتسب إلى الرافضة السبائية حين
وجدتهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودلس ضلالتهم في
تأويلاته .

(١١) ما ذكره الشهرستاني (- ٥٤٨) :

عبدالله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه
أنت أنت ، يعني أنت الاله فلقاه الى المدائن ، وزعموا
أنه كان يهوديا فأسلم وكان في اليهودية يقول في
يوشع بن نون وصي موسى بن عمران عليهما السلام مثل
ما قال في علي رضي الله عنه ، وهو أول من أظهر القول
بالنص بأمامة علي رضي الله عنه ، ومنه اشعبت أصناف
الخلافة .

٥ زعم أن عليا حي لم يميت فيه الجزء الالهي ، ولا يجوز
١٠ أن يستولي عليه [كذا] وهو الذي يجيء في السحاب
والرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الأرض بعد
ذلك فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا .
وانما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي رضي
الله عنه .

١٥ (١٢) ما ذكره ابن أبي الحديد * (- ٦٥٦)

[أقول : أنه ذكر رواية عن أبي العباس أحمد بن عبدالله بن عمار الثقفي
عن محمد بن سليمان ابن حبيب المصيصي المعروف بنوين ، وأخرى عن علي
بن محمد النوفلي عن مشيخته أن قوما ^{سأ}الها عليا غير ابن سبأ فأحرقهم علي ،
ثم قال : -

٢٠ ثم استقرت هذه المقالة لسنة أو نحوها ثم ظهر عبدالله
ابن سبأ وكان يهوديا يتستر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين
عليه السلام فأظهرها ، واتبعه قوم فسموا السبائية ، وقالوا :

١. الملل والنحل ١/ ١٢٤ .
* انظر ترجمته في الاعلام ٦٠/ ٤ وفيه أن وفاته سنة ٦٥٥ .

ان عليا عليه السلام لم يمت وأنه في السماء والرعد صوته
والبرق صوته واذا سمعوا صوت الرعد قالوا : السلام
عليك يا أمير المؤمنين ، وقالوا في رسول الله صلى الله عليه
 وآله أغلظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كنتم
تسعة أئمة الوحي ، فنغى عليهم قولهم الحسن بن محمد
بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته التي يذكر فيها
الأرجاء رواها عنه سليمان بن أبي شيخ عن الهيثم بن
معاوية عن عبد العزيز بن إبان عن عبد الواحد بن أيمن المكي
قال شهدت الحسن بن علي كذا [بن محمد بن الحنفية
على هذه الرسالة فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه
السبائية : هدينا لوجي ضل عنه الناس وعلم خفي عنهم
وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كنتم تسعة
أئمة الوحي ، ولو كنتم صلى الله عليه وسلم شيئا مما أنزل
الله عليه لكنتم شأن امرأة زيد وقوله تعالى : (تبغني
أ. *
مراة أزواجك) .

(١٣) ما روي عن يحيى بن حمزة الزيدي (- ٧٤٥) :

وقد روى المؤيد بالله يحيى بن حمزة الزبيدي
في آخر كتابه (طوق الحمامة في مباحث الإمامة) عن
سويد بن غفلة أنه قال : مررت بقم ينتقصون أبا بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما ، فأخبرت عليا كم الله وجهه وقلت
لولا أنهم يرون أنك تضرر ما أعلنوا ما اجتروا على ذلك ، منهم
عبد الله بن سبأ . فقال " نعوذ بالله . رحمتنا الله . . ثم
أرسل ابن سبأ فسيروه الى المدائن .

١. شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ، القاهرة ، مصطفى الحلبي وأخيه ، ص ٣٠٩

٢. الألوسي . محمود شكرى ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ط ٢ ، القاهرة ، السلفية

١٣٨٧ ، ص ٦

*) التحريم ١

ان الذي يظهر بعد هذا العرض للروايات المختارة التي وقفت عليها الى
الآن ، أن "ابن سبأ" شخصية حقيقية تواتر ذكرها بين المتقدمين والمتأخرين
ولم ينفرد بها " سيف بن عمر " كما يزعم " مرتضى العسكري " ، وكما لمع الى
ذلك " فريد لاندر " و" فلهاوزن " و" دائرة المعارف الاسلامية " ضمن تشكيكهم
في وجود هذه الشخصية ، فقد روى قصة "ابن سبأ" الجاحظ عن الشعبي ،
ورواها " ابن قتيبة " بنص يختلف كلياً عن رواية " الطبري " عن " سيف " ،
وكذا " الناشي " الاكبر " ورواها " الأشعري القمي " عن جماعة من أهل
العلم ، و" النوبختي " عن جماعة من أهل العلم من أصحاب "علي" ، ورواها
" أبو الحسن الأشعري " بنص يختلف عن " الطبري " ، ورواها " عبد القاهر
البخداوي " عن الشعبي ، و" الشهرستاني " بنص يخالف " الطبري " ، ورواها
" ابن أبي الحديد " بثلاث روايات ، احداهن : رواية " أبي العباس
أحمد بن عبدالله بن عمار الثقفي " عن " محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي "
المعروف " بنون " ، والثانية : عن " علي بن محمد النوفلي " عن مشيخته
وهما تخصان القائلين بتأليه " علي بن أبي طالب " الذين يعتبرهم " ابن
أبي الحديد " عنصراً مخيراً " للسبئية " . والثالثة تحوي رسالة " الحسن بن
علي بن محمد بن الحنفية " في الارزاء هذه الرسالة التي يبدو أنها
مفقودة الآن ، وقد رواها " ابن أبي الحديد " عن " سليمان بن أبي شيخ "
عن " الهيثم بن معاوية " عن " عبدالعزيز بن أبان " عن " عبد الواحد
بن أيمن المكي " . وهناك الرواية التي ذكرت عن " سويد بن غفلة "
كما رواها " الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة " ، وذكرها بسندها " ابن حجر "
(٨٥٢) كما يلي : -

قال أبو اسحق الغزاري عن شعبة عن سلمة بن
كهيل عن أبي الزهراء عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة قال :

ان هذه الروايات مع ما أضافه اليها " القاضي عبد الجبار المعتزلى " وما أضافته روايات " الكشي " عن أئمة أهل البيت ، تشكل تواتراً واضحاً لقصة " عبدالله بن سبأ " وأنه شخص حقيقى يهودى . مما يدعو إلى القول ان التعلق برواية " سيف بن عمر " ليس الا مغالطة يتحمل وزرها كل من يقول بها .

٢ أما ما قاله " طه حسين " في انكاره لوجود " ابن سبأ " (ر.ص ٢١) فهو واهى الدليل ، لأن إغفال المصادر التاريخية ذكر " ابن سبأ " في معركة " صفين " ، لا يعنى عدم وجود شخصيته ، بل ان هناك أكثر من احتمال لسبب غيابها عن تلك المعركة .

١٠ وكذلك الأمر بالنسبة لإغفال " الخواج " ذكر " ابن سبأ " في مراجعهم اذا صح ذلك ، وعلى افتراض صحة دعوى " طه حسين " من جميع وجوهها فان ورود اسم " ابن سبأ " في كتب أهل السنة وكتب الشيعة بذلك التواتر يلغى بكل قوة هذا الزعم .

٣ المنكرون لدور " ابن سبأ " السياسى :

١٥ ان المنكرين لدور " ابن سبأ " السياسى هم فى الحقيقة المنكرون لرواية " سيف بن عمر " وان تجاوز " مرتضى العسكري " انكار هذا الدور الى انكار وجود " ابن سبأ " اعتماداً على تكذيب " سيف " فهو ليس الا من قبيل المغالطة المكشوفة .

كما أن من المنكرين لدور " ابن سبأ " السياسى كان من أنكره على وجه آخر وهو استبعاد حدوث مؤامرة من النوع المسمى فى عصر الخلفاء الراشدين .

رد " عبدالرحمن بدوي " على منكري دور " ابن سبأ " السياسى - الذين اعتمدوا على تكذيب بعض أهل الجرح والتعديل " لأحاديث سيف - بقوله :-

أما تشكيك " فريدلاندر " و " فلهوزن " في رواية
" سيف ابن عمر " استنادا الى ما يورده " الذهبي "
فهو ... لا محل له ، لأن كلام " الذهبي " أولا يتعلق
" بسيف بن عمر " بوصفه محدثا لا بوصفه مؤرخا
أو اخباريا ... والطعن فيه ان صح - فيما يتعلق
بالحديث لا يتطرق بالضرورة على الاخبار التي يرويها .
فضلا عن ذلك : فهل هناك مصدر آخر معاصر
له أو اسبق منه ينكر شيئا مما قاله عن عبدالله بن سبا ؟
لم نعثر على مصدر ينكر روايته هذه فلا مخلص من
اتخاذها الى أن يظهر مصدر أوثق منه ينفيه أو يعدل
من روايته .

ان رأى " عبدالرحمن بدوي " - الذي يمكن وصفه بالموضوعية - يوضح
لنا أن الذين أنكروا " ابن سبا " من هذا الوجه لم يكلفوا أنفسهم الا النظر
من زاوية واحدة للموضوع لتحقيق غرض معين لهم وهم في سبيل
هذا الغرض مصممون على عزمهم حتى لو طمسوا بعضا من الحقائق ، التي
تتجلى هنا في نقطتين الأولى : تتعلق بكون " سيف " اخباريا وليس
محدثا . والثانية : تتعلق بعدم وجود مكذب لروايته .

وقد رد " مرتضى العسكري " على النقطة الأولى ، بأن من يتجرا
الكذب على رسول الله (ص) لا يتورع عن الكذب على سواه . وهذا حق
أريد به باطل ، وهو التشكيك في الاصول الغربية لبعض عقائد " الشيعة "
الغلاة " والعسكري " شيعي ، وهو متهم هنا لا سيما وأن عباراته مما
يصعب على المرء أن يصفها بالموضوعية العلمية المجردة . وهنا تبرز

أهمية التساؤل الذي طرحه "عبدالرحمن بدوي" عن وجود مصدر آخر
معاصر "سيف" أو سابق له يذكر ما قاله عن ابن سبأ .

ويجد الباحث هنا أن من الضروري إيراد جانب مما ذكره "ابن حجر"
عن "ابن سبأ" ؛ لما لذلك من علاقة بالنقطة الثانية التي أثارها عبدالرحمن
بدوي " ه قال ابن حجر :

قال ابن عساكر في تاريخه : كان أصله من اليمن
[يعني ابن سبأ] وكان يهوديا فأظهر الاسلام
وطاف بلاد المسلمين ليقتلهم عن طاعة الأئمة
ويدخل بينهم الشرء ودخل دمشق لذلك ، ثم
أخرج عن طريق سيف بن عمر التميمي في الفتن
له قصة طويلة لا يصح اسنادها .

في النص تكذيب من "ابن حجر" لقصة جاءت الى "ابن عساكر"
عن طريق "سيف" والتكذيب متأخر في عصره ، فهل في ذلك ما ينحسب
الى الدور السياسي لابن سبأ ؟

بالرجوع الى "تهذيب ابن عساكر" ؛ فبعد أن ذكر "ابن سبأ" وأصله
اليهودى وطوافه في بلاد المسلمين - كما أورد ذلك "الذهبي" - نجده
يقول : -

وروى سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبي عثمان
قالا : لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستخلاهم
واستخلوه وعرض لهم بالكفر فأبعدوه وعرض لهم بالشقاق
فأطعموه ، فبدأ فطعن على عمرو بن العاص ، وقال : ما باله
أكثركم عطاء ورزقا ، ألا سنصيب رجلا من قريش يسوى بيننا ،

فاستحلوا ذلك منه وقالوا : كيف نطيق ذلك مع عمرو

١.
وهو رجل العرب ؟ قال : ستعفون منه .

هكذا يتبين لنا أن تكذيب " ابن حجر " لقصة " سيف " هنا لم يكن

له أية علاقة " بعبد الله ابن سبأ " من حيث شخصيته ولا من حيث دوره

السياسي بعامة بل ان التكذيب كان خاصا بذات القصة .

٥
أما نفي " دور ابن سبأ السياسي " من حيث استبعاد حدوث مثله فسي

" عصر الخلفاء الراشدين " ذلك الذي تزعمه " كيتاني " فقد قال

" عبد الرحمن بدوي " في معرض رده على المذكور :

ماذا كان يفعل ابن سبأ اذن في عهد خلافة عثمان ؟

١٩
وانذا كان قد أخذ دورا بارزا في عهد خلافة علي القصيرة

(٣٦ - ٤٠) . أفلا يدل هذا على أنه كان قبل ذلك

ذا شأن بين علي وأنصاره ؟ وهل يظهر بأفكاره الدينيـه

المهدويـه والتأليهية فجأة بعد وفاة علي ؟ أم أن الاقرب

الى الواقع والمعقول أن يقال انه لابد قد كان

١٥
ذا دور - ولو خفى مستور - أثناء الفتنة التي انتهت

بمقتل عثمان ؟ نرى نحن أن هذا هو الاقرب الى

المعقول ، وأن عبد الله بن سبأ شارك - سرا على

٢.
استحياء في هذه الفتنة .

فضلا عن ذلك فان المؤرخين ذكروا وجود تحركات سرية كانت على

٢٠
هيئات مختلفة منها رسائل مزورة الى الجماهير باسم " علي " و " عثمان " فقد

أورد الطبري رواية حول هذا الموضوع ، وقد وجدت الرواية نفسها

في " تاريخ ابن خياط " (- ٢٤٠) ذلك الكتاب الذي اكتشفه حديثا " أكـرم

العمري " وقدمه مشكورا للمكتبة العربية على اعتباره أقدم تاريخ حولي وصل اليـنا

١. ابن بدران (- ١٣٤٦) . تهذيب ابن عساكر ج ٢ ، دمشق ، المكتبة العربية ،

١٣٥١ هـ ص ٤٢٩

٢. مذاهب الاسلاميين ٣٥٤ / ٢

والرواية تقول :-

حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال سمعت أبي
 قال : نا أبو نصر عن أبي سعيد مولى أبي أسيد
 الأنصاري قال : سمع عثمان أن وفد مصر قد أقبلوا
 ٥ . . . [ألى أن قال الراوي] فآخذوا ميثاقه وكتبوا عليه
 شرطاً ، وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة
 وأقام لهم شرطهم ، ثم رجعوا راضين فبينما هم بالطريق
 إذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع اليهم ثم
 يفارقهم . قالوا مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين
 ١٠ إلى عامله بمصر ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان
 عثمان عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهم
 أو يقطع أيديهم وأرجلهم ، فأقبلوا حتى قدموا المدينة ،
 فأتوا علياً فقال : ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا
 وكذا ، وأن الله قد أحل دمه فقم معنا إليه . قال : والله
 ١٥ لا أقيم معكم قالوا : فلم كتبت إلينا ؟ قال : والله ما كتبت
 إليكم كتاباً . فنظر بعضهم إلى بعض ، وخرج علي من
 المدينة . فانطلقوا إلى عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا
 وكذا . فقال : انهما اثنتان : أن تقيموا رجلين
 من المسلمين ، أو يمين الله الذي لا اله الا هو
 ٢٠ ما كتبت ولا أملت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب علي
 لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا : قد
 أحل الله دمك ونقض المهد والميثاق وحصلوه
 .
 في القصر رضى الله عنه .

ولنفترض أن قائلا ما يقول : ان رسالة " عثمان " المزعومة الى والي مصر
انما كتبها " مروان ابن الحكم تزويرا منه على " عثمان " ، فما دخل " ابن سبأ " ؟
ولكن هذا بعيد لو اعدنا قراءة النص ان لو كانت المؤامرة مروانية لأمر
الرسول أن ينطلق الى مصر بأسرع ما يمكن حتى يصل قبل " الثوار " ، أو أن
يتنكر حتى لا يفتضح أمر الرسالة ، أما أنه يتعرض لقافلة " الثوار " ثم
يفارقهم ثم يعود اليهم ثانية ، فهو لا شك دليل على أنه مكلف بهذه
التعقيلية ، لأن الفرض ليس ايصال الرسالة الى عامل مصر بل انه وقوف
" الثوار " على فحواها ليعودوا الى المدينة وقد جن جنونهم على عثمان ،
بعد خروجهم راضين .

على ذلك فان الرواية السالفة الذكر توضح جانباً من المؤامرة السريسة
الحكيكة ضد عثمان ، كما توضح اساليب اصحابها الذين اتخذوا اسلوب
الرسائل في اثارة الفتنة ضد " عثمان " . وهذا يدعم رواية " سيف " عن
دور " ابن سبأ " السياسي ، وان كان الصواب عدم الجزم بأن " ابن سبأ "
هو الوحيد الذي قام بتلك التدابير ، الا أنه من الممكن القول أنه كان أحد
أعضاء شبكة سرية تكيد للإسلام .

وهكذا نعود الى " كيتاني " الذي يستبعد قيام " ابن سبأ " بهذا الدور
في عهد خلافة عثمان للظروف القبلية السائدة يومئذ والتي لا تسمح
بحدوث مثل ذلك فقد رد " عبدالرحمن بدوي " هذا الزعم بقوله : -

ولكن هذا الافتراض من جانب كيتاني لا مبرر له

من الوقائع التاريخية ، ان من الثابت ان مؤامرة دبـرت
ضد عثمان ، وأنها بدأت في مصر واشترك فيها بعض
أهل المدينة ، وكان من هؤلاء " عبدالله بن السوداء " (أو ابن
سبأ) ماذا يريد كيتاني ان أن يتنكر؟ وما معنى التحسـد

عن النظام القبلي في ذلك العصر، وكانت الخلافة
الاسلامية قد استقر وضعها كسلطة سياسية فوق
النزاعات القبلية ؟ وهل كان مقتل عثمان لاسباب
قبلية ؟ ان تدبير المؤامرة ضد عثمان كان تدبيراً
سياسياً فوق مستوى الخلافات القبلية ، ولم يكن
من السعة والبراعة والاحكام بحيث يحتاج الى تصور
ان ذلك غير ممكن الهوقوع قبل العصر العباسي .

ان الباحث مع ايراده هذا الرد يجد لزاماً عليه التحفظ على قول
"عبدالرحمن بدوي" ^{بعض} باشتراك /أهل المدينة في المؤامرة من حيث هسي
مؤامرة ^{سبئية} بل كان اشتراكهم نابعا من وجهة أخرى غير التي كانت لدى
المتآمرين الذين لم يكن لهم هدف أدنى من ضرب الاسلام وهدمه عن طسوق
منها اشاعة الاضطراب السياسي ، فلا مصلحة لأهل المدينة من هسذه
الوجهة حيث انهم هم المهاجرين والأنصار ، أى أبناء الاسلام حقيقسة،
وهذا التحفظ على هذه الجزئية لا يقلل من قيمة رد "عبدالرحمن بدوي"
على " كيتاني " الذى نفى الدور السياسي " لابن سبأ " وفي الختام ليس
من الضروري تصديق جميع ما نسب الى " ابن سبأ " في دوره السياسي ،
لان الذى يهم موضوع هذا البحث هو الجانب العقدي في " ابن سبأ "
وقد ثبتت حقيقته ، وليست مناقشة دوره السياسي الا من هذا المنطلق

٤- المنكرون يهودية " ابن سبأ " ،

ان الذين أنكروا يهودية " ابن سبأ " كان معظمهم من المستشرقين ،
وفيهم بعض اليهود ، واذا جاز اعتبار كل من " الوردى " و" الشيبى " منكرين
ليهودية " ابن سبأ " حيث حولا دوره الذى قام به في خلافة " عثمان " السى

"عمار بن ياسر" وهو ليس يهوديا بأي حال . فلا بأس بضمهما القسي
مفكري يهوديته جدلا . أما المستشرقون المعنيون فهم " ويلي " و" ليفسي
ديلافيدا " و" ماسنيون " و" فلموزن " (انظر ص ٣٨ و ٣٩)

وليس من داع الخوض في سبب انكارهم يهودية "ابن سبأ" . الا أن
"عبد الرحمن بدوي" أشار الى أن "ديلافيدا" إنما استنتج عدم يهودية
"ابن سبأ" اعتمادا عليه على قول "البلاذري" أن "ابن سبأ" هو
عبد الله بن وهب الراسبي . وقد تقدم القول أن "الاشعري القمي"
(٣٠١) كان قد ذكر ذلك من قبل كما تبين لنا خطأ هذا القول
(انظر ص ٢٩ من هذا البحث) من هنا فإن البناء على هذا الوجه

غير ذي بال لأنه مبني على خطأ واضح .

وقد أثبتت مصادر شتى يهودية ابن سبأ، مثل : "الاشعري القمي"
(انظر ص ٣٠ من البحث) و"النوختي" (ص ٣٠ من هذا البحث)
والطبري (ص ٣١ من هذا البحث) ، و"البغدادى" (ص ٣٤ من البحث)
و"الشهرستاني" (ص ٣٥) ، وابن أبي الحديد (ص ٣٥)

من هذا البحث) . بالإضافة الى ذلك فإن فيما ظهر به "ابن سبأ"
من أقوال تفصح عن يهوديتهما .

٥- انكار وجود "ابن سبأ" وإحالة الدور الذي قام به الى "عمار بن ياسر"،
وقد ظهر بهذا القول "علي الوردي" وتبعه وأيده "كامل مصطفى الشبيبي"
(و ص ص ٢٢ فما) وقبل مناقشة ذلك لابد من الإشارة الى أن

من يقول بهذا الرأي لا يمكن أن يعتبر منكرا للدور الذي قام به "ابن سبأ"
إعني الدور السياسي بصفة خاصة - وهذا الاقرار بالدور السياسي
هو الذي دعا الى تحويل ذلك الدور الى "عمار" أما مدى صدق ذلك فسيوضح

في الاتي :-

- ١ - ان القول باشتراك "ابن سبأ" و "عمار" في كنييتين : "ابن سبأ" و "ابن
السوداء" ، ليس رابطا بل ليس داعيا لأن يكونا شخصا واحدا هو عمار .
لا سيما وأن أحدا لا يستطيع أن يدعي أن عمارا كان يكنى أوينادى عليه
"بابن سبأ" ، بل ان المعلم تاريخيا أن "عمارا" كان يكنى أبا اليقظان .
٥ وكون أحد أجداد "عمار" من يسئ "سبأ" ليس مبررا لتلبسه شخصية
"عبدالله بن سبأ" . أما الرواية التي سقت في ذلك . أن "عثكن بن
معاوية" المزعم قال : أي أي "نعني" يا ابن السوداء " ، فلو ثبتت الرواية
فهي تدل على أنه استعمل هذه اللفظة لتحقير عمار وتعييره بأمة السوداء
"سمية" - رضي الله عنها - . هذا اذا سلم بقبول الرواية - فكيف
١٠ يقال ان فلانا معروف بأنه "ابن السوداء" لأن شخصا ما شتمه يوما بذلك
في مجتمع ينهذ التنازع بالالقباب ، مع العلم أني رجعت الى تفسير القمي
طبعة مصر (١٣٥٨) ج ٢ ص ٦ ويحث فيه فلم أعثر على ما يتعلق "بابن
السوداء" من هذا الوجه وانما الذي في المرجع أن عثكن قال "لعمار
يا ابن "سمية" وأما ابن سعد فلم أعثر له في ذلك على شيء بعد . ولا بد هنا
١٥ من اضافة قول "الوردي" نفسه : "فكل يمانى يصح أن يقال عنه انه
"ابن سبأ" . ومنه فان بالمستطاع القول ان كل من أمه سوداء يصح أن يقال
عنه "ابن السوداء" وهذا منطق عجيب فالتهمة ليست هنا خاصة "بعمار" بل
هي تعم كل يعني أمه سوداء . لا الأمر ليس هكذا فهذه مخالطة
مكتشفة فان التاريخ هو الذي أطلق على "عبدالله بن سبأ" "ابن سبأ" و "ابن
٢٠ السوداء" دون بقية اليمنيين الذين كانت أمهاتهم سودا .
ب - وقول "الوردي" و "الشيبي" في ربطهما بين الشخصيتين : "أن عمارا
كان شديد الحب لعلي بن ابي طالب" ، يدعو له ويحرض الناس على بيعته
في كل سبيل " (انظر ص ٢٣) .

ان " الوردى " مسئول وحده عن هذه القضية حيث لم يعلق " الشيبى " عليها . اما حب " ابن سبا " فليس كذلك لانه متهم بأنه قال لعلي أنت انت وأوضح منها أنه نفى موته وقال برجعته (أنظر ص ص ٢٨ + ٢٩) فهناك فرق بين مناصرة علي وبين الغلو فيه كما فعل " ابن السوداء " .

جـ - وضمن محاولة من " الوردى " في تدعيم رأيه بشطابق شخصيتي
" ابن سبا " و " عمار " أنه جعل " عمارا " يذهب الى مصر لتحريض الناس كما فعل " ابن سبا " . وهذه مغالطة واضحة المعالم لأن الوردى تصرف في خبر سفر " عمار " الى مصر ليصادف هواه . والخبر ذكره " الطبرى " في رواية عن " سيف " قال :

١٠ قال (عثمان) : فأتى شركاى وشهود المؤمنين ،
فأشيروا علي ، قالوا نشير عليك أن تبعث رجلا مسن
تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم .
فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة وأرسل
اسامة بن زيد الى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر
الى مصر ، وأرسل عبدالله بن عمر الى الشام وفرق
١٥ رجلا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار . واستبطن
الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد أقتل فلم يفاجئهم
الا كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم
أن عمارا قد استماله قم بمصر (او استمال قوما بمصر)
وقد انقطعوا اليه منهم عبدالله بن سبا وخالد بن
٢٠ ملجم وسودان بن عمران وكنانة بن بشر .

* ما بين القوسين في نسخة أخرى للطبرى شذت عن بقية النسخ
بهذه العبارة : ذكر ذلك المحقق في الهامش .
١. الطبرى ٣٤١/٤ .

مهما يكن عن أمر هذا الخبر ، فان إirاده هنا بصفته مصدرا " للوردي " استنتج منه ما وصل اليه ومرجعه في ذلك " ولكنسون " و " الطبري " هو مصدر الأخير في الغالب . وإذا كان الأمر كذلك فان في الخبر رداً على الوردي ؛ لأن " عبدالله بن سبأ " كما يقول الخبر كان بين القوم الذين استمالهم عمار أو استمالوه اليهم ؛ بالإضافة الى أن " عماراً " انما ذهب رسولاً من " عثمان " لاستطلاع اسباب الشكوى من الولاة ؛ بمعنى أن شخصاً " عمار " الى " مصر " كان بعد ابن سبأ الذي كان فيها من قبل . فكيف يمكن الاستدلال على أنهما شخص واحد .

د - وفي جمعه بين شخصيتي " عمار " و " ابن سبأ " ذكر " علي الوردي " مستدلاً بقول نقله عن " عبد الحميد جودة السحار " في كتابه (أهل البيت ص ٦٦) أن عمار بن ياسر سمع ذات يوم يصيح في المسجد بعد بيع حسنة عثمان :

يا معشر قريش أما اذا صرفتم هذا الأمر
عن بيت نبيكم ها هنا مرة وها هنا أخرى فما
أنا بآمن عليكم من أن ينزله الله فيضعه في غيركم
كما نزعتموه من أهله ووضعتوه في غير أهله .
ان النص السابق ورد في " السعدي " (٢٤٦) واستدل منه
" الوردي " على أن " ابن سبأ " ما هو الا " عمار " . ولا يستساغ أن يكون
النص دليلاً على ما ذهب اليه " الوردي " لو افترضنا صدقه ؛ وهو أمر لا يمكن
التسليم به من وجوه منها أن " عماراً " كان ناقماً على عثمان من مواقف

١. الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ٤١
٢. انظره في : مرجع الذهب ط ٥ ج ٢ (محمد محي الدين عبد الحميد) بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢ ، ص ٣٥٢ .

- كانت بعد خلافته ، والقصة كما رواها المسعودي كانت نتيجة لشائعة عن اغتيال " أبي سفيان ابن حرب " بخلافة عثمان ، وهي تعطي إيحاءً بأن خلافة عثمان ما هي الا بداية لدولة " بني أمية " . أو أن " أبا سفيان " يتمنى هذا ، ولما سمع بذلك " عمار " قال العبارات المذكورة في النص . ونبغي أن لا ننسى أن أبا سفيان كان من الذين يريدون مبايعة علي بعد وفاة رسول الله (ص) ، فهل يستطيع أحد القول أن أبا سفيان كان يومها ما شيعيا ؟ ومعنى ذلك أن عماراً كان متحمساً لخلافة علي كما كان " أبو سفيان " كذلك يومها ما ، وليس في ذلك علاقة بالشيع أو موالاته علي كما يحب الشيعة أن يصوروا مجتمع الصحابة على طريقتهم الخاصة ؛ وبالتالي ينفذون من عمار ليمحو بذلك الصورة الجميلة لتاريخ " عمار " ، فيضعوه في شخصية " ابن سبأ " البغيضة .

- وإذا أردنا مجازات النص كما يريد " الوردی " و " الشيبی " ؛ فهل يريدون القول أن عماراً كان مناوئاً لأبي بكر وعمر وعثمان . لا فعمار لم يكن كذلك ؛ بل على عكسه ولا فما معنى تولية عمر إياه أمانة الكوفة ، وكتاب عمر إليه وهو في الكوفة أن يسير إلى " تستر " لنجدة جيش أبي موسى الأشعري فيسير عمار ونجد الجيش ؟ معناه أنه لم يكن على خلاف مع عمر أو غير راض عن خلافته ؛ فضلاً عن خلاف بينه وبين أبي بكر الذي رشح عمر لخلافته ، فما وجه المقارنة بابي سبأ الذي اشتهر أنه قال : فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) (ر . ص ٣١) . وهذا يدل على أن الخلاف الذي كان بين عمار وعثمان إنما هو شخصي عارض لا دخل فيه للخلافة على النقيض الذي كان عليه ابن سبأ تماماً ، وبالتالي فإن في نص " المسعودي " عن عمار إعادة نظر .

هـ - قارن " الوردى " بين ابن سبأ وعمار من وقعة الجمل ، فقال :

وعزى الى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعى

الصلح بين علي وعائشة ابان معركة [الجمل] البصرة

فلولاه لثم الصلح بينهما حسب ما يقوله الرواة . ومن

يدرس تفاصيل واقعة البصرة يجد عمارا يقوم بدور

فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك

الأشتر الى الكوفة يحرض الناس على الانتماء الى

جيش علي وكان وقوف عمار بجانب علي أثناء المعركة

سببا من أسباب ندم الزبير وخروجه منها .^١

١٠ ان هذا الاستدلال لا يقوى وجهة نظر " الوردى " بل يضعفها

لعدم وجود أي علاقة بين مساعى الصلح بين علي وعائشة ، وبين التحريض

على الانتماء الى جيش علي ؛ ومن الممكن اضافة ما يأتي : ان المتبجح

لدور كل من عمار و " ابن السوداء " في وقعة الجمل يجد اختلافا كبيرا

بين دور كل منهما وهدفه ؛ فبينما كان هم عمار هو نصرة علي بن ابي طالب ،^٢

١٥ نجد أن هدف ابن سبأ كان شيئا آخر كما نص الطبري الذي يقول :

فاجتمع نفر منهم عليا بن الهيثم وعدي بن حاتم

وسالم بن ثعلبة العبسي ، وشريح بن أوفى بن

ضبيعة ، والأشتر ، في عدة ممن سار الى عثمان . . .

وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن

٢٠ ملجم وتشاوروا ، فقالوا ما الرأي ؟ هذا والله عليي ،^٣

وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلته

عثمان ، وأقربهم الى العمل بذلك . . . وتكلم ابن

السوداء فقال : يا قوم ان عزمكم في خلطة الناس ، فصانعوهم

١. الصلة بين التصوف والتشييع ط ٢ ص ٤١

٢. انظر: الطبري ٤٨٢/٤ - ٤٨٧

وإذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهـ
للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بدا من
أن يمتنع ، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير
١
ومن رأى رأيهم عما تكرهون .

- ٥ ذلك هو موقف ابن سبأ من المعركة وهدفه ، أما عمار فقد كان واقفا
الى جانب علي كما ذكر "الوردي" فقد كان على رأس خيالة علي وانعم به
من موقع . أما ابن سبأ الذي كان محسوبا على بني عبد القيس كما سيأتى
(ر. ص ٥٢) ؛ فقد ولّوه فى معركة الجمل قيادة فصيل من جيشهم
٣
كما يقول الطبري . فإين "عمار" من ابن "سبأ" . وعليه فليس بالامكان
قبول الزعم أنهما شخص واحد كما لا يمكن الإدعاء بأن الطبري تحاشى ذكرهما
١٥ معًا ، لأنه ذكرهما بالفعل إبان فتنه عثمان في مصر (ر. ص ٤٧) وذكرهما
فى معركة الجمل كلا منهما فى رهط مختلف عن الآخر .

- و- وجد "الوردي" أن آراء "أبي ذر الغفارى" - المشهورة حول توزيع
الأموال على المسلمين ، وتصريحه بذلك أمام "معاوية" والي الشام - أنها
كان بتحريض من "عبد الله بن سبأ" فبنى على ذلك بأن ابن سبأ هو "عمار بن
١٥ ياسر" بزعم أن :

لودرسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا
فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن
أبي طالب . وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون
معًا .
٢٠

١. الطبري ٤/٤٩٣ ٥ ٤٩٤
٢. انظر : ابن خياط ط ٢ ص ١٨٤
٣. انظر : الطبري ٤/٥٠٥
٤. الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤١

ان الامر من خلال تصور "الوردي" يظهر ان هناك علاقة سرية بين علي واتباعه ؛ يجعلنا نتعجل حدوث أسلوب الدعوة السرية الباطنية ولنتخيل ان الامر أبسط من ذلك ؛ فيصبح وجود مدرسة لعلي بن أبي طالب شيئاً ما ماله علاقة بهذا "التيق" الذي يستبعد حدوثه من علي بن أبي طالب ، لأنه حين رفض مبايعة أبي بكر فعل ذلك ولم يخش في ذلك أحداً ولما بايحه فعل ذلك ولم يخش أحداً ، ثم ما معنسى مدرسة علي بن أبي طالب التي يريد الشيعة تصورها اعتماداً على إعلان "أبي ذر" الخاص بأموال المسلمين ؟

ان مدرسة علي بن أبي طالب المزعومة لم تظهر لها أي نتائج تاريخية أو فكرية ، سواء علي تاريخ التشيع ذاته أو على التاريخ الاسلامي عامة (ر. ص ص ٧ - ٩ موالاة علي) ، ولكن من الممكن القول بكل ثقة ان المدرسة التي كانت لها نتائج تاريخية وفكرية على نطاق العالم كله ؛ فهزمت أعني قوتين على الأرض وأقامت دولة فريدة من نوعها على مر الزمان ، ولا زالت الى اليوم توتي أكلها كل حين ، هي مدرسة محمد بن عبدالله (ص) وأعني بذلك دين الاسلام .

أما مسألة التقاء "ابن سبأ" بأبي ذر وأن أولهما أثر في الثاني فهي ليست بذلك ؛ لأنها تحتاج من الباحثين الى إعادة نظر على ضوء ما يأتي :-
١- كان ظهور ابن سبأ ((ابن السوداء)) سنة اثنتين وثلاثين أو احدى وثلاثين ، على شكل رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام وفي جوار رجل من بني " عبد القيس" اسمه حكيم بن جبلة ، وذلك في البصرة ، لثلاث سنين خلت من إمارة عبدالله بن عامر بن كريز .

(١) انظر : الطبري ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧ وأنظر أيضاً ص ٢٦٤ ، وابن خياط

٢- ان مسألة اعتناق "أبي نذر" لأفكار "ابن السوداء" حدثت بنص الطبري سنة ثلاثين^١ . وهذا يتناقض تماما مع ما ذكر الطبري من أن اعلان (ابن سبأ) لاسلامه وظهوره على السطح كان من سنة احدى وثلاثين^٢ ثم قام بجولة في العالم الاسلامي الكوفة ، ثم الشام ثم مصر ...

٣- ان وفاة أبي نذر كانت في سنة اثنتين وثلاثين^٣ . ومعنى هذا أنه في الوقت الذي كان ابن السوداء يتجول فيه بين الكوفة والشام ومصر كان أبو نذر بين الأموات ، وفي الوقت الذي أعلن "أبو نذر" افكاره أمام معاوية ، لم يكن "ابن السوداء" قد أظهر نفسه أو اسلامه بعد .

ثم ان "أبا نذر" ليس بالشخصية السهلة - كما يتضح من قصة اسلامه^٤ - حتى يمكن تصديق هذه الرواية عنه . وذكر السعدي ١٠

(٣٤٦ -) القصة التالية التي حصلت في مجلس عثمان وفيه أبو نذر :

فقال عثمان : رأيتم من زكى ما له هل فيه حق لغيره ؟

فقال كعب [الأحبار] : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع

أبو نذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودي

ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب - ١٥

الاية) فقال عثمان : أترون بأسا أن نأخذ ما لا من بيت

مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكوه ؟ فقال

كعب : لا بأس بذلك ، فرفع أبو نذر العصا فدفع بها فسى

صدر كعب وقال : يا ابن اليهودي ما أجراك على القول

٢٠

في ديننا .

(١) أنظر الطبري ٢٨٣/٤

(٢) الطبري ٣٤٠/٤

(٣) أنظر : الطبري ٣٠٨/٤ وابن خياط ص ٦٦

(٤) أنظرها في البخاري ك ٦١ ب ١٠ في فتح الباري ٥٤٩/٦ ٥٥٠

(٥) مرجع الذهب ٣٤٨/٢ ٣٤٩

(*) البقرة ١٧٧

في النص نجد نقطتين احدهما ما استدل به أبوذر على وجهة نظره في الأموال تلك التي وُسمت في هذا العصر "بإشتركية أبي ذر" ، وهي ليست كذلك . الثانية توضح قوة شخصية "أبي ذر" واستبعاد أن تكون القصة المسندة اليه من أنه تلقى علمه هذا من ابن السوداء صحيحة .

كيف بعد ذلك نستند عليها في نفي شخصية ابن سبأ والقصة ذاتها ؟ لم تقع ، وإذا كان عمار هو الذي سلط أبا ذر ليقول بتلك الأفكار ، فما الذي منع عمارا أن يقول بها بنفسه أو أن يثرثر عنه كما أثرت عن أبي ذر . يتضح لنا أن "الوردي" لم يُقم على محاولته اثبات أن "ابن سبأ" هو "عمار بن ياسر" ، إلا بأدلة واهية ، وهذا ينطبق على محاولات "الشيبي" لتدعيم هذه الآراء .

ان استنتاج "الوردي" في أصله منسوق من قبل بالروايات التي تواترت أخبارها عن دور "ابن سبأ" الفكري ، والذي كان في معظمه بعد وفاته علي ، بينما كان استشهاد عمار في معركة صفين قبل علي ابن أبي طالب . لقد ثبتت إذن شخصية ابن سبأ حقيقة . كما اتضح وجهه نظر ككتاب الشيعة المتقدمين وأئمتهم حول "ابن سبأ" تلك التي تتميز بكراهيتهم له ولعنهم إياه ، وهي تتطابق تماما مع روايات "أهل السنة" الذين وجهت اليهم تهمة إيجاد هذه الشخصية من الخيال .

ابن سبأ في الفكر الباطني :

ان المصادر الباطنية خالية في معظمها من ذكر ابن سبأ ، إلا أن "دائرة المعارف الإسلامية" أشارت الى أن :

مصدرا اسماعيليا يؤيد الحادثة [أي ماري]

أن عليا أحرق ابن سبأ (ر. ص ٢٩ من ابن قتبية)

لصالح "ابن سبأ" مدعيا بأنه تحمل ذلك ظاهريا

فقط (قارن بين : المقدسي ، بدء الخلق ، نشر هارت ،

فصل ١٨١ ، وهفت بابي بابا سيدنا ، نشر ايفانوف ،

من رسالتين اسماعيليتين قديميتين . هومي ١٩٣٣ ،

١.
ص (١٥) .

- ٥ اشار " ايفانوف " في دليله الى ان كتاب " هفت بابي بابا سيدنا " من كتب الباطنيين النزاريين القديمة منذ كانوا في " قلعة الكوت الشهيرة " وتقتن اعداد من النزاريين " سوريا " اليم (ر. ص ١٥٢)
- ويبدو ان ما أثير اليه حول تعاطف النزاريين مع " ابن سبا " معروف لدى النزاريين اليم بل ويعتقدونه ؛ لان " عارف تامر " وهو نزاري محاصر ، سلك مسلكا سبئيا واضحا في مدحه لأهل اليمن ، يتفق الى حد ما مع ما عزته " دائرة المعارف الاسلامية " الى أسلافه ؛ يقول عارف تامر :

فلما رحل " عبدالله بن سبا الصنعاني " الى مصر بعد ان طاف بالكوفة والبصرة والشام التف حولسه المسلمون هناك ، لانه حمل على سياسة الخليفة الثالث عثمان التي كانت مثارا للسخط في العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لانه أولى من غيره بالخلافة ، فانضم اليه في مصر عدد كبير ، وفي مقدمتهم " محمد بن أبي بكر " وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبا في مهمته ، لانه النجل الأكبر

١٥
٢٠ للخليفة المناويء لعلي بن أبي طالب .

ان هذا يدل على ان لابن سبا مكانة ما في الفكر الباطني ؛ فضحها النزاريون ، وليس ببعيد ان يكون هذا رأي الباطنيين جميعا كما لا يستبعد ان يكون النزاريون وحدهم

١. الطبعة الانجليزية من الموسوعة المذكورة : { عبدالله بن سبا } مليدن ١٩٦٠ ص ٥١
٢. انظر : (683) pp. 133, 134 Ivanow. ISMAILI LITEATUR, Tehran, 1963
٣. أرى بنت اليم . (سلسلة اقرا - ٣٣) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٦٩

هم أصحاب هذا الرأي ، ومعروف ما بين التزاريين وغيرهم من الباطنيين من
خلاف عقدي .

وبعد : فان البحث بحاجة لتبيان العلاقة بين عقائد ابن سبأ
وعقائد الغلاة تلك العلاقة التي لا يستبعد أن تكون نواة لفكر
الباطنيين الذين يدينون في معظم عقائدهم إلى فرق من الغلاة ، كما
يجهزم البعض .

الفصل الثالث : الغلو بعد عبد الله بن سبأ

- الغلاة : سبقت الإشارة إلى قول أصحاب المقالات في الغلاة كما سبق ذكر طرف من رأي " برنارد لويس " في تقسيم الغلاة (ر. ص ١٤ ، ١٥) — وبالرغم من تعريف " الشهرستاني " للغلاة (ر. ص ١٤) إلا أنه حذف من الغلاة فرقاً تدخل ضمن تعريفه كالـ " كيسانية " رغم قوله باعتقادهم فـ في محمد بن الحنفية (فوق حده ودرجته) ، مما يدل على أن تقسيم الفرق لدى أصحاب المقالات كان يخضع لوجهة أخرى لم تتضح للباحث ، كما يتضح في ذكر (أبي الحسن الأشعري) " للبيانیه " و " الحربييه " مرتين أحدهما بين فرق " الغلاة " والأخرى بين فرق " الرافضة " وفي ترتيبهم لفرق " الغلاة " نجد أن أصحاب المقالات على خلاف ، فبينما كانت " السبئية " عند " النوبختي " أول من قال بالغلو ، وكذا كان البغدادي الذي أعطاها الأولوية في الترتيب بين الفرق التي انتسبت إلى الاسلام وليست منه ، إلا أن أبا الحسن الأشعري اعتبرها الصف الرابع عشر من أصناف " الغلاة " .
- ١٥ وعلى صعيد آخر نجد " برنارد لويس " يعتبر ثورة المختار بن أبي عبيد (٦٦ —) بداية للغلو الشيعي ، وعليه فقد قسم الغلاة إلى نزعتين رئيسيتين سمى الأولى " الفاطمية " و " الثانية " الحنفية " ، ويمضي في ذلك قائلاً :

١. انظر الملل والنحل ١/ ١٤٧

٢. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٢

٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٠

٤. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٢

٥. انظر: مقالات الاسلاميين ١/ ٨٦

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالته
علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب
النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه^(١)
من عقبه .

ان تقسيم لويس لا ينسجم تماما مع الحقيقة التي ينكرها
وهي وجود عبدالله بن سبا وفرقة " السبئية " ، الا ان من حق الباحث
ان يستفيد منه ليم تقسيم فرق الخلا على ما يأتي :-

١- السبئية ؛ وهم الذين غلوا في علي بن ابي طالب .

١٠ ٢- أتباع النزعة " الحنفية " ؛ وهم الذين دعوا الى امامة محمد بن

الحنفية وعقبه وغلوا فيهم ؛ وهم : ١- الكيسانية ، ب- الكربية ،

ج- الهاشمية ، د- البيانية [ويقال ان اصل صاحبها

" بيان " كربي ومات هاشميا اي تابعا للفرقة الهاشمية] ،

هـ- الجناحية [أو الحارثية] ، وهي هاشمية ، و- الرونديه ،

١٥ وهي هاشمية أيضا .

٣- أتباع النزعة " الفاطمية " ؛ وهم الذين دعوا الى امامة الحسنين

وذريتهما وعليه فيمكن تقسيمهما الى :

١- الحسينية ؛ وهم الذين دعوا الى امامة ذرية " الحسن

ابن علي " وغلوا فيهم مثل : المغيرية .

٢٠ ب- الحسينية ، وهم الذين دعوا الى امامة ذرية " الحسين بن علي "

وغلوا فيهم ؛ مثل : ١- المنصورية ٢- الناوسية ٣- الخطايبه

٤- البزيعية ٥- المباركية .

ان هذا يوضح لنا ان قصة الغلو بعد " عبدالله بن سبا "

١. أصول الاسماعيليه ص ص ٨٨ ، ٨٩ .

تبدأ بفرقة " السبئية " التي كانت أول فرقة حولت أفكاره الغالية إلى مذهب يدين به مجموعة من البشر ، وفي دراستنا للفرق الغالية يجدر بها أن تكون على رأس القائمة :

١- السبئية :

- ٥ هم أتباع " عبدالله بن سبأ " ، فنسبوا إليه . والعبرة تكتب " السبئية " أو " السبائية " (ر . ص ٣٥) . وقد وجدت عند " البغدادي " السبائية (ر . ص ٣٤ ، ٣٥) وهو مما يستغرب منه ، مع عدم استبعاد أن تكون " السبائية " بدلا من " السبائية " . أو بوجه أدق ، بدلا من السبائية .
وحيث أن يكون ما كتب عند " البغدادي " تصحيفا وقد حاول " كامل الشيبني " نسبة " السبئية " إلى اليمن ، إلا أن هذا لا يصح إلا من حيث انتسابهم إلى « سبأ » ، أما الفرقة الغالية السبئية ، فإن عدم نسبتها إلى " عبدالله بن سبأ " مغالطة واضحة .

- عقائد السبئية : أن من يتمعن في كتب المقالات يجد أن هناك آراء عقديّة غالية نسبت إلى عبدالله بن سبأ نفسه وهناك آراء مماثلة نسبت إلى " السبئية " ، وفي تعرض الباحث لعقائد " السبئية " لن يفرق بين ما نسب إلى المؤسس وما نسب إلى الفرقة .

٢- القول بحلول اللاهوت في الناسوت :

- نسب " الشهرستاني " هذا القول صراحة إلى " ابن سبأ " ع . قال : (زعم أن عليا حي لم يميت ففيه الجزأ الإلهي) ، (ر . ص ٣٥) . كما أشار إلى ذلك بعض أصحاب المقالات مثل البغدادي (ر . ص ٣٣) وابن أبي الحديد (ر . ص ٣٦) بأن السبئية : همون أن عليا في السحاب وأن الرعد

صوته والبرق سوطه أو تبسمه . وفي " السبئية " قال اسحق بن سويد العدوي
*
(- ١٣١) :

برئت من الخواج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

٥ وليس بعيداً عن ذلك ما ذكره ابن قتيبة (- ٢٧٦) من أن " ابن سبأ " قال في علي : انه رب العالمين (ر. ص ٢٩) ، وقد ورد مثل ذلك في كتب المقالات ، كقولهم انه قال له : انت أنت أو : أنت هو ، الخ . والقول بحلول اللاهوت في الناسوت ما قالت به " الباطنية " بعد ذلك في اثنتهم (ر. ص ٢٣٧ فما) .

١٠ وهذه الدعوى - أي حلول اللاهوت في الناسوت - منزع يهودي الأصل لأننا نجد في العهد القديم :

أخيراً دخل قدامي دانيال الذي اسمه
بلطشاصر كاسم الهي والذي فيه روح الاله
القدوسيين فقصص الحلم قدامه .

١٥ وقد تطورت الفكرة التي ربما كانت ذات أصل بابلي ، فظهرت في منحولات كليمانس (ر. ص ٢١٠ فما) .

ب - المهدية والرجعة :

قالت " السبئية " على لسان مؤسسها " عبدالله بن سبأ " ان عليا سيرجع وقد ذكر ذلك : الناشي ، الأكبر وأبو الحسن الأشعري والبغدادى والشهرستاني (ر. ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥) ، وأنفرد " الطبري " بالقول ان ابن سبأ

٢٠ * نقلت تاريخ وفاته من هامش كتاب : الجاحظ . البيان والتبيين ج ٣ ، عبد السلام هرون ، ص ١٢٢ عن تهذيب التهذيب .
١. البغدادى . الفرق بين الفرق ص ٢٢٤
٢. دانيال ٨/٤ وأنظر أيضاً ٩/٤ و ١٨ و ١١/٥ و ١٤

قال في حياة "علي" برجعة سيدنا محمد (ص) (ر. ص ٣١) .

وقد ربطت "الفرقة السبئية" الرجعة بالمهدية ، فقالوا ان عليا سيرجع وأنه سينتقم من أعدائه وأنه سيسوقهم بعصاه وأنه سيملك الأرض ويملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وهو ما نقله "الأشعري القمي" والنوختسي وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني (ر. ص ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٥ (٣٥

ومن الجدير بالملاحظة المعنى الذي اكتسبته المهدية في الفكر السبئي ، فانه إلى جانب (ملء الأرض عدلا كما ملئت جورا) - وهي صفة المهدي عند أهل السنة والجماعة - صفة أخرى هي صفة المسيح اليهودي الذي سيأتي من السماء ، لينتقم . وقد وردت هذه الصفات في ١٠ العهد القديم (ر. ص ص ٢٨٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨)

ان صفة القائم المنتقم في الفكر الباطني طغت كثيرا على صفات المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ، فعند النصيرية والاسماعيلية والدروز نجد أن من مهمات هذا القائم : قتل جميع الأضداد بيده ويبيد أوليائه ، كما نصت بعض المصادر الدرزية على أن الذين سيساعدون القائم ١٥ هذا على عملية الانتقام هم من ذرية بني اسرائيل الأسباط (ر. ص ٢٩٨) ويلاحظ أن مهدية "علي" ورجعته التي قالت "السبئية" بهذا تتميز بنقطتين :

الأولى : أن عينا ستنيعان لعلي في "مسجد الكوفة" تفيض أحدهما سمنا والأخرى عسلا يغترف منها شيعته ، كما نقل "البغدادي" ذلك عن "ابن ٢٠ السوداء" (ر. ص ٣٤) ، ولذلك أصل يهودي ورد في العهد القديم :- ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرا

والتلال تفيض لبنا وجميع ينابيع يهودا تفيض ماء

ومن بيت الرب يخرج ينبوع^(١) ينبوع

وكذا ،

يجلب الرب عليك وعلى شعبك ، وعلى بيت أبيك
أياما لم تأت منذ اعتزال افرائيم عن يهوذا أي ملك
آشور ... ويكون في ذلك اليوم ان الانسان يربي
عجلة بقروشاتين ويكون أنه من كثر صنعها اللبن
ياكل زيدا فان كل من أبقى من الأرض ياكل زيدا
وعسلا .

٥

الثانية : ان " ابن سبأ " كان يزعم : أن عليا قال له : انه سيدخل
دمشق ويهدم مسجدها حجرا حجرا ، كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار
(ر . ص ٣٢) . وقد كذب علي في ذلك ، الا أن ابن سبأ يعبر عن
أمنية يهودية جاء ذكرها في العهد القديم : -

١٠

وحي من جهة دمشق . هوذا دمشق تزال
من بين المدن وتكون رجسة ردم .
يقول رب الجنود . وأشعل نارا في سور
دمشق فتاكل قصور بنهدد .

١٥

وبذلك يتضح لنا أن جانبا كبيرا من الرجعة والمهدوية ذو أصل يهودي ،
وأن " ابن سبأ " أو " ابن السوداء " انما جاء بها من التراث اليهودي ، وهذا
رأي متفق عليه تقريبا ، لا سيما عند من لا ينكر يهودية ابن سبأ .

١. سفر أشعيا ١٧/٢ - ٢٢
٢. سفر أشعيا ١/١٧
٣. سفر أرميا ٢٦/٤٩ و ٢٧
٤. أنظر : ما نقله عبد الرحمن بدوي عن فريد لاندر في : مذاهب الاسلاميين
٢٥/١ فما ، وقارن ذلك بالنصوص التي وردت في العهد القديم .

ج - الوصاية والامامة :

قالت " السبئية " بالنص على ائمة "علي بن ابي طالب" وأنه وصي رسول الله (ص) ، وهذا لم يكن معروفا في البيئة الاسلامية (ر. ص ص ٥ - ٩) قبل أن يظهر به " عبدالله بن سبا " ، كما استنتج الباحث من نصوص " الأشعري القمي " و " النويختي " الشيعيين (ر. ص ٣٠) ، وقد نص الباطني " عارف تامر " على ذلك بقوله : -

فباعقادي ، أن أول بذرة وضعت في حقل
الامامة كانت البذرة التي غرسها (عبدالله بن سبا)

وعلى ذلك اشتهر في الأوساط العلمية منذ القديم أن من خالف الشيعة قال (ان أصل الرفض مأخوذ من اليهودية) كما نص الأشعري القمي ١٠ والنويختي (ر. ص ٣٠) ومن بعدهما ممن تحدث من كتاب الشيعة عن ظاهرة " السبئية " .

ويدل على أصل فكرة الوصاية والامامة اليهودي ما ذكره " البغدادي " أن " ابن السوداء " ذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا (ر. ص ٣٤) وقريب من ذلك ما ذكره الطبري ، أن ابن سبا قال لهم : (انه كان ألف نبي ١٥ ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد) (ص) (ر. ص ٣١) ، كما ذكر المحققون أن ابن سبا كان يقول بمقالته هذه في يوشع بن نون وصي موسى حينما كان على يهوديته منهم : " الشهرستاني " (ر. ص ٣٥) بالاضافة الى " الأشعري القمي " و " النويختي " .

وغالب الظن أن عبارة (لكل نبي وصي) غير موجودة في نصوص العهد ٢٠

القديم حالياً. إلا أن " فلها وزن " أشار إلى أن هناك فكرة يهودية تقول
 " بالزميل الثاني " لكل نبي ، ولكنه لم يذكر مصدره في ذلك ، إلا أن يكون
 ناقلاً لنص الطبري وغيره - أي معبراً عن وجهة النظر الإسلامية - باعتبار
 أن ابن سبأ هو الذي أتى بهذه الفكرة . ان قول " فلها وزن " هذا يؤيد
 أيضاً ما ذكره " البغدادي " على كل حال .

ويكفي هنا أن " ابن سبأ " شبه في معظم الروايات قوله بوصاينة
 النبي (صلى الله عليه وسلم) " لعلي " ، بوصاينة " موسى " " ليوشع بن
 نون " ، وهو يدل على أن أصل الوصاية بالامامة موجود في الفكر اليهودي
 وفي العهد القديم نجد ذلك في هذه القصة :

١٠ فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين
 جميع إسرائيل . تشدد وتشجع لأنك أنت
 تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم
 الرب لأبائهم أن يعطيهم إياها وأنت تقسمها
 لهم وقال الرب لموسى هوذا أياك
 قد قربت لكي تموت . ادع يشوع وقفاً فسي
 خيمة الاجتماع لكي أوصيه .

١٥

والموضوع على هذه الصورة لا يحتاج إلى نقاش لوضوحه ، إلا من وجهة
 أخرى ، وهي التي يقول بها الباطنيون من أن النص على " علي " موجود في
 القرآن .

١. أنظر: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الإسلام ، الشيعة
 والخوارج ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة
 ١٩٥٨ ، ص ٢٤٥ .
 ٢. سفر التثنية ٣١ / ٧ ، ١٤ .

ان وجود النص على " يوشع بن نون " بهذه الصورة الواضحة في العهد القديم ، يحتم وجوده بنفس تلك الصورة في القرآن الكريم ، ولزعم " الباطنيين " ان الأمور تجري على مسار واحد لا يتغير فما جرى على الأمم السابقة لا بد أن يجري مثله علينا (ر ٠ ص ٣٨١) ولعدم وجود النص على " علي " بصورة واضحة قاطعة تماماً في القرآن ،^٥ يتضح بطلان دعواهم ، ويؤكد أن " ابن سبأ " نقل ذلك عن خلفيته اليهودية لفسد هذا الدين ، وهذا القرآن ، الذي قال الله تعالى فيه :
" ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء " *

د - النيل من صحابة رسول الله (ص) وتكفيرهم :

ان الله تبارك وتعالى امتدح أصحاب نبيه في كتابه الكريم ، فقال^{١٠}
تعالى : " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعوك تحت الشجرة " **
وقد سبق الحديث عن الصحابة الكرام (ر ٠ ص ٣ فما) والصحابة هم الذين يمثلون أفضل مجتمع اسلامي بل أفضل مجتمع بشري ؛ فهم الذين آمنوا برسول الله (ص) حين كذبه الناس ، ونصروا الله ورسوله ، ونشروا الدين في أماكن كثيرة مما نطلق عليه اليوم العالم^{١٥} الاسلامي ، ويكفيهم أن الله تعالى اختارهم لصحبة سيد ولد آدم .
ولكن " عبد الله بن سبأ " ورهطه استهدفوا تلك الزمرة المباركة ، فصبوا جام

* النحل ٨٩

** الفتح ١٨

غضبهم وحقدهم عليهم فجعلوهم أظلم الأمة (ر. ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦)
وذكر الشعبي ذلك قائلا :

ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة

في خصلتين ، سئل اليهود من خير أهل

ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى ، وسئلت

النصارى ، فقالوا : أصحاب عيسى ، وسئلت

الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب

محمد ، أمرهم الله بالاستغفار لهم فشتوهم .

وقد انتقلت هذه الخصلة من السبئية الى كثير من فرق الخلا كما سيتضح

(ر. ص ٧٤ ، ٨١) ، كما حفلت المصادر الباطنية بشتم ابي بكر وعمر

وعثمان (ر. ص ١٩٦ فما) .

د- العلم الخفي :

قالت " السبئية " بوجود علم خفي عندهم ، وهم أول من أدخل ذلك

في الاسلام ، فقد ورد في ((شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد)) ، أن السبئية

قالوا : (هدينا لوشي ضل عنه الناس ، وعلم خفي عنهم ، وزعموا أن رسول الله

صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي (٠٠٠) (ر. ص ٣٦)

ان ادعاء العلم السري انتقل من السبئية الى بقية الخلا ، وخاصة

الكيسانية (ر. ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢) ولكن " عبد الرحمن بدوي " استبعد

ذلك من خلال استبعاده وجود تأثير " لفيلون " وتأويلاته الباطنية لدى يهود

٢

جزيرة العرب ، ما سيأتي تفصيله حين نتحدث عن التأويل الباطني (ر. ص ١٨٧ فما) ٢٠

١- ابن عبدربه الأندلسي (- ٣٢٧) . المقدم الفريد ، ج ٢ ، تحقيق أحمد

أمين وزميله ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٥ ، ص ٤١٠

٢- انظر : مذاهب الاسلاميين ١٦ / ٢

ولكن رواية ابن ابي الحديد تدل على قولهم بالعلم السرى ، واذا كانت هذه الرواية لاتتهم "ابن سبأ" مباشرة بذلك ، بل انها تتهم " السبئية " الذين كانوا أيام " الحسن ابن محمد بن الحنفية " وبينه وبين "ابن سبأ" فترة ليست قصيرة ، غذا يؤدي الى احتمالين :

- ٥ الاول : أن يكون ذلك من قول " السبئية " بعد "عبدالله بن سبأ" أى في عصر الحسن المذكور هذا ، وبذلك لا تكون " السبئية " هنا سوى " الكيسانية " ، وهو رأى يؤيد ما ذهب اليه " فلهوزن " من عدم التفريق بين الكيسانية والسبئية (ر . ص ٧١) ويكون ابن ابن الحنفية قد سمع هذا القول عن معاصرين له فرد عليهم بما ورد في الرواية .
- ١٠ الثاني : أن يكون هذا القول منقول عن "ابن سبأ" نفسه . ويقف
ضد هذا الرأى عدم استنكار من كان قبل الحسن بن محمد بن الحنفية عليهم ، هنا يمكن الاجابة بأن آراء ابن سبأ لم تكن تشيع الا بين من لم يكن له نصيب من العلم ممن يقبل كل قول ، وقد ذكر ذلك القاضى عبد الجبار (ر . ص ٣٢) ، فلذا لم يصل كل ما كان يقوله " ابن سبأ " الى أهل العلم الا فيما بعد ، ويؤيد ذلك ما نص عليه القاضى عبد الجبار من أن "ابن سبأ" (كان يدعي أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار لا يخرج بها الى غيره) (ر . ص ٣٢) ويؤيد ذلك أيضا ما ذكره " طه حسين " عن " البلاذري " (- ٢٧٩) من أن " ابن سبأ " احتفظ بنسخة من خطاب لعلي بن ابي طالب " ثم حرفه كما يشاء " .
- ٢٠ ويبدو أن " العلم السرى " ظهر عند " السبئية " وظهر معه أيضا التأويل

الباطني عندهم لأن للشعبي (- ١٠٣) التابعي المشهور قولا فـي ذلك ، وهو ،

ما صيبت تأويل الروافض في القرآن الا بتأويل
رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة
وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال يا شعبي :
ما عندك في تأويل هذا البيت ؟ فان بنـي
تميم يغلطون فيه ويزعمون أنه انما قيل في رجل
منهم ، وهو قول الشاعر :

بيتازرة محتب بفناءه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فقلت له : وما عندك " أنت فيه ؟ قال : البيت
هو هذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة ، وزرارة
الحجر ، زرع حول البيت ، فقلت له : فمجاشع ؟
قال : زعم جشعت بالماء ، قلت : فأبو الفوارس ؟
قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت : فنهشل ؟
ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة
طويل أسود ، وهو النهشل .

ان تصوير " الشعبي " للتأويل الباطني على هذا النحو تصوير دقيق ، وهو
بالتالي لا يبعد كثيرا عن ما سنعرفه من التأويل الباطني عند الفرق الباطنية .

أما النص الذي يستقى منه قول " ابن سبأ " بالعلم السري ، فهو الذي

ذكره الجاحظ وفيه أن " ابن سبأ " حينما نعى اليه " علي بن ابي طالب " قال :
(قد علمنا أنه لا يموت حتى ٠٠٠) وكذا ما ذكره الناشي " الاكبر (ر . ص ٢٩)

أما مسألة ادعاء " السبئية " ان الرسول كتم تسعة أعشار الوحي فقد وردت في مرجع آخر غير ابن أبي الحديد ، وهو ما ذكره ابن حجر (- ٨٥٢) الذي أضاف قائلا :

وقال أبو علي الموصلي في مسنده ثنا أبو كريب
ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا هرون بن صالح
عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي الجلاس سمعت
علياً يقول لعبد الله بن سبأ والله ما أفضى^١
إلى بشيء كتمه أحداً من الناس .

- كل ذلك يوضح لنا وجود " العلم السري " عند ابن سبأ وعند السبئيين
بل ووجود التأويل الباطني في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ الغلو .
ان عقائد الفرقة السبئية في مجملها - وهي تصور لنا عقائد عبد الله
ابن سبأ - انما توضع من جانب آخر بداية الغلو بعد " ابن سبأ " .

٢- الغلاة في ابن الحنفية :

- ان الغلاة في محمد بن الحنفية يشكلون مجموعة من الفرق ، يجمعهما القول
بإمامة محمد بن الحنفية وبنيه ، وان يكن من بينهم من دعوا في فترة ما إلى
إمامة " عبد الله بن معاوية بن جعفر " ، أو إلى إمامة " محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس " ، الا أن الذين فعلوا ذلك كانوا من الذين دعوا من قبل
إلى " محمد بن الحنفية " كما ذكر ، فهم لا ينفكون في الحقيقة عنهم على
هذا النحو ، وقد أطلق على هذه الفرق الغالية " الكيسانية " باعتباره اسماً^٢
لأول فرقهم ، وقد عدّهم أبو الحسن الأشعري " (- ٣٣٠) اثنتي عشرة فرقة
على النحو التالي :-

١- لسان الميزان ٢٨٩/٣ ، ٢٩٠
٢- انظر : مقالات الاسلاميين ٩١/١ - ٩٧

١- الفرقة التي نصت على إمامة " ابن الحنفية " بعد " علي " .

٢- التي نصت على " ابن الحنفية " بعد " الحسين " .

٣- " الكريية " التي زعمت الحياة لحمد بن الحنفية بعد موته باعتباره

مهديا منتظرا .

٤- الذين زعموا أنه حي عقوبة له لمبايعته " عبد الملك بن مروان " .

٥- " الهاشمية " ، الذين يسوقون الإمامة إلى أبي " هاشم بن محمد بن الحنفية " .

٦- لم تذكرها النسخة المطبوعة من كتاب (مقالات الاسلاميين) ومكانها تنقيط

٧- فرقة من " الهاشمية " عادت إلى القول بـرجعة" ابن الحنفية " بعد

١٠ موت " علي بن الحسن بن محمد بن الحنفية " ولم يُعقب .

٨- فرقة من " الهاشمية " قالت بإمامة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بعد " أبي هاشم " .

٩- " الرونديه " ، قالت بإمامة بني العباس بالنص النبوي على " العباس " ومنهم " الزامية " و" الأبو مسلمية " .

١٠- " الحربية " ، وقالوا بإمامة " عبد الله بن حرب " بعد " أبي هاشم " ثم تركوه إلى " عبد الله ابن معاوية " .

١١- " البيانية " أصحاب " بيان بن سمان " ، وقالوا به بعد " أبي هاشم " .

١٢- فرقة نقلت الإمامة بعد " أبي هاشم " إلى " علي بن الحسين بن علي " .

وقد أضاف غير " أبي الحسن " إلى هؤلاء غيرهم ، كما سيتضح . إلا أن

٢٠ المشهور أن أول فرقهم كانت " الكيسانية " ، وعلى ضوء ذلك يبدأ تفصيل هذه المجموعة من الغلاة .

١- الكيسانية :

يمكن اعتبار فرقة " الكيسانية " الثانية من الغلاة بعد " السبئية " وذلك

من حيث التسلسل التاريخي ، ويبدو أنها ظهرت بعد مقتل "الحسين بن علي" (٦١-) قائلة بامامة "محمد بن الحنفية" (٨١-) وان كان "اللويختي" يرى أنها ظهرت أول ما ظهرت بعد مقتل علي (٤٠-) ، وهذا رأى أبى الحسن الأشعري كما تقدم وهو أيضاً رأي البغدادي ، بمعنى أن "الكيسانية" فرقتين احدهما قالت بامامة "محمد بن الحنفية" بعد أبيه "علي بن أبي طالب" والثانية قالت بذلك بعد "الحسين بن علي" .

الا أن الأمر قد يتطلب اعتبارهما فرقة واحدة - ولوعلى سبيل التجاوز - لاعتماد الباحث أن دعوى اعتبارهما فرقتين صعب القبول .

ان فرقة "الكيسانية" ثبتت كثيراً من العقائد السبئية ، مما دعى "فللورن" الى اعتبارهما فرقة واحدة ؛ ولكن "فان فلوثن" فرق بين الكيسانية والسبئية لأن "الكيسانية" في رأيه لم يعتقدوا الجزء الإلهي في البشر بعكس السبئية ولكن قد يتبين لنا أن الأصوب اعتبار "الكيسانية" فرقة مستقلة مع عدم انكار أنها امتداد للسبئية .

مؤسس الكيسانية : يقال ان "كيسان" هو مؤسس هذه الفرقة ؛ ولكن الآراء تعددت في تعيين "كيسان" هذا ؛ فقليل ان :

المختار بن أبي عبيد الذي خرج وطلب

بدم الحسين بن علي ودعا الى محمد بن الحنفية

كان يقال له كيسان . ويقال انه مولى لعلي بن

أبي طالب .

* انظر ترجمته في الاعلام ١٥٢/٧ ، ١٥٣ ، و فرق الشيعة ص ٤٤

١. انظر : فرق الشيعة ص ٤١ ، ٤٤ ، وكذا الفرق بين الفرق ص ٢٧

٢. " : أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣

٣. " : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٤ ، ص ٨٠

٤. مقالات الاسلاميين ٢٧/١ ، وانظر : ابن قتيبة (٢٧٦-) ، المعارف ، ص ٦٢٢

ولكن " الشهرستاني " فرق بين شخصيتي " المختار " و " كيسان " ، فاعتبر
 " كيسان " مولىً للأمير المؤمنين " علي " أو تلميذاً " لمحمد بن الحنفية " ،
 و " المختار بن أبي عبيد الثقفي " صاحباً لفرقة " المختاريسه " التي يعتبرها
 من " الكيسانية " ، وصور " المختار " على أنه تلميذ لكيسان ، وهذا أمر مهم
 بالنسبة لمن أراد دراسة " المختار " ، وهو رأي للفخر الرازي (٥٤٤) أيضاً .
 كل ذلك يوضح أن " كيسان " شخص آخر يختلف عن " المختار " ، وقد كنى
 " الدينوري " كيسان " بأبي عمرة " ، وذكر أنه صاحب شرطة " المختار " .
 ونسبه إلى الأعاجم ، وقد أيد " الأشعري " القبي ذلك بل أضاف اليها
 اسم كيسان وهو : السائب بن مالك الأسعدي ، ولكن النسخة المطبوعة من
 كتاب (المقالات والفرق) للأشعري القبي ، تشير إلى ما قد يشكك في هذه
 التسمية حين قال :

وكان أبو عمرة كيسان بن عمران جبريل يأتي
 المختار بالوحي من عند الله .

ولكننا إذا حققنا الأمر نكتشف أن عبارة (بن عمران) لا تناسب مع ما بعدها
 والمرجح أنها (يزعم) في الأصل وليلاحظ القارئ الكريم ذلك بعين
 الفاحص . وقد فطن محقق الكتاب " محمد جواد مشكور " إلى ذلك فأحـال
 القارئ إلى (النويختي) الذي نجد العبارة عنده : (يزعم أن جبريل) ،
 وعلى ذلك فإن " السائب بن مالك الأسعدي " هو المحتمل أن يكون كيسان
 مع عدم استبعاد خطأ " الأشعري القبي " كما فعل في اسم عبدالله بن سبأ
 (ر . ص ٢٩) .

١. انظر : الملل والنحل ١/ ١٤٧
٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٥٦ ، ص ٦٢
٣. انظر : النشار . نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط ٤ ، ٤٥ / ٢ ، وانظر
 أيضاً النويختي ص ٤١ .
٤. المقالات والفرق ص ٢١ ، ٢٢

أما "المختار" فقد برأه "علي سامي النشار" مما نسب اليه من الغلو ورفعته الى درجة عالية في التشيع السوي لأهل البيت ، ولعله أتى بهذا الرأي من بعض روايات وردت في بعض كتب الشيعة الامامية ، وصب جام غضبه على الزبيريين والأمويين ، واعتبرهم المروجيين لكل مالحق بالمختار^٥ ما قاله فيه أهل الفرق والمقالات من القول بالغلو وخلافه . وأما الآراء^٥ الغالبة التي نسبت من قبل الى "المختار" ، فقد شك "النشار" أن يكون "كيسان" صاحبها ، بل الفرقة الكيسانية .

ان آراء "النشار" هذه تعتبر بداية لمشروع نفي وجود الكيسانية الذي بدأ ظهوره على ساحة البحث في الغلو والخلاة .

ومن ناحية أخرى نجد "كامل مصطفى الشبيبي" — أحد الباحثين^{١٠} الشيعة الاماميين — يعتبر "المختار" مشجعاً للآراء الاسطورية التي كانت عند "السبئية" مع تبرئته له من تهمة تأسيس فرقة "الكيسانية" ، وهو وان اعتبر (أبا عمرة — كيسان) صاحباً لهذه الفرقة الا أن نضجها في رأيه كان بعد موت "ابن الحنفية"^٢

وان كان من تعليق من الباحث على تينك الدراستين ، فهو ان الكيسانية^{١٥} ليست بأي حال الا امتدادا للسبئية من حيث العقائد والأفكار ، كما قد نلاحظ. الا أن هناك تغيراً في الشخصيات ، فبالامكان اعتبار "كيسان" المؤسس^{٢٠} الفعلي لفرقة الكيسانية ، وان كيسان على ما يبدو كان شخصاً سبئياً عمل تحت اشراف "المختار" على تطوير الغلو السبئي ابان ثورة "المختار" للأخذ بثأر "الحسين" سنة ٦٦هـ .

وعلى ذلك فان الغلو — الذي بذر بذرتة عبدالله بن سبا اليهودي — وجد

١. انظر : نشأة الفكر الفلسفي ، ط ٧ ، ص ٤٦ — ٥٢
٢. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ١٠٤ ، ١١٦

في البيئة العربية والأعجمية من يحضنه ويرعاه في هذه الفترة .

نفي وجود الكيسانية :

كما تعرضت أقلام بعض المعاصرين الى "عبدالله بن سبأ اليهودي" بالنفي والتشكيك ؛ فان "الكيسانية" أيضا وجدت من يحاول نفيها والتشكيك في وجودها ، ونحن نعيش في بداية ذلك حيث ان هذه الظاهرة لم تتخذ بعد طابع الحماس الذي صاحب حركة التشكيك في "ابن سبأ" ، وقد سبق الحديث آنفا عن طرف من هذا النفي على يد "سامي النشار" (ر، ص ٧٧) ظهر أخيرا كتاب سمي "مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام" ومؤلفه شيعي امامي جعفري يدعى "عبدالواحد الأنصاري" ؛ زعم فيه نفي وجود "الكيسانية" وكان بالامكان مناقشة الكاتب المذكور فيما كتب ؛ الا أن اعتماده فيما ذهب اليه كان في معظمه على آراء "طه حسين" ومرتضى العسكري في نفيهما لشخصية "عبدالله بن سبأ" ، وحيث ان كلا الرأيين مما سبق مناقشته (ر، ص ص ٢٦ - ٤٤) ، فان في اعادة ذلك تكرار لا مبرر له .

ان اعتماد "عبدالواحد الأنصاري" في نفي "الكيسانية" على من نفى "السبئية" ضعيف لثبوت وجود "ابن سبأ" و"السبئية" علميا ، اذا لم نقل انه باطل .

عقائد الكيسانية :

سبق القول أن "الكيسانية" كانت تقول بامامة محمد بن الحنفية (ر، ص ٧١ فما) وعليه فان ذلك من أميز عقائدهم ، وذكر النوبختي أن كيسان كان :
 يكفر كل من تقدم عليا ويكفر أهل "صفين" و"الجل" وكان يزعم أن "جبريل" عليه السلام يأتي المختار بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه .^{٢٠}

١. انظر : عبدالواحد الأنصاري . مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ، بيروت مؤسسة الاعلمي ، ١٣٩٣ ص ص ٧ ، ٨ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وهامش ص ص ٨٥ ، ٨٦ .
 ٢. فرق الشيعة ، ص ص ٤١ ، ٤٢ وانظر : الداعي الرازي . الزينة (عبدالله سلوم السامرائي) الغلو والخلاة) بغداد ، دار الحرية ، ١٣٩٢ ، ص ٢٩٦ .

وقال "البغدادي" ؛ بأن ما اجتمعت عليه الكيسانية ؛

قولهم بجواز البدأ [كذا] على الله سبحانه .^١

ان جواز البدأ على الله ما تعتقده كثير من فرق الشيعة وخاصة "الامامية"

وأما "الشهرستاني" ؛ فانه يقول :-

- ٥ الكيسانية : أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقيل تتلمذ للسيد
محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، ويعتقدون فيه اعتقادا
فوق حده ودرجته من احاطته بالعلم كلها ،
واقتراسه من السيد بين الأسرار بجملتها من علم
١٠ التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس .

ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، حتى
حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة^٢
والصيام والزكاة والحج وغير ذلك إلى رجال .

وذكر النوبختي أن نفرا من " الكيسانية " أيام " محمد بن الحنفية "

كانوا يقولون عنه ؛
١٥

هو الامام المهدي وهو وصي علي بن ابي طالب
عليه السلام ليس لاحد من أهل بيته أن يخالفه^٣
ولا يخرج عن امامته ولا يشهر سيفه الا بآذنه .

ان للكيسانية عقائد أخرى ظهرت بعد موت محمد بن الحنفية (سنة ٨١)

- فتفرقوا أعني تشعبت آراؤهم على نحو آخر وتسموا بأسماء أخرى ، وان ظل ٢٠
اسم " الكيسانية " علما يجمعهم .

١. الفرق بين الفرق (بيروت) ص ٢٧

٢. الملل والنحل ١/ ١٤٧

٣. فرق الشيعة ص ٤٤ ، وأنظر : الزينة (عبد الله سلم السامرائي) ص ٢٩٧ الذي
نسب ذلك إلى الكريية .

ب - الكريسة :

ان تاريخ ظهور فرقة " الكريسة " لا يمكن تعيينه قبل سنة ٨١ - السنة التي مات "ابن الحنفية" فيها ، وهي السنة التي يتوقع أن تكون بدايسة انقسام " الكيسانية " فكانت " الفرقة الكريسة " ، وقد نسبها أصحاب المقالات الى "ابن كرب" ، أو "أبي كرب الضرير". وكان من هذه الفرقة شخصيات عرفت أسماؤها مثل : " حمزة بن عمار البربري " "صائد النهدي" وبيان بن سمعان النهدي " ، كما كان كان من بينهم الشاعر كثير عزة* وله في عقيدته هذه شعر وكذا الشاعر السيد الحميري^٣ (١٧٢) ، وهذا يدلنا على أن الأفكار الكيسانية عثرت كثيرا ، مما يجعل المرء لا يستغرب ظهور الدعوة القرمطية في أول أمرها بعقائد كيسانية ،

عقائد الكريسة :

ان عقائد الكريسة في جملتها كيسانية ، الا انهم ينفون موت "ابن الحنفية" كما نفت " السبئية " موت " على بن أبي طالب " ، ان " الكريسة " ومن قال بخيبة "ابن الحنفية" يزعمون أن "محمد بن الحنفية" حي في جبال رضوى* ، أسد عن يمينه وتمر عن شماله يحفظانه ، يأتيه رزقه غدوة وعشية التي وقت خروجه وزعموا أن السبب الذي من أجله صبر على هذه الحال - أن يكون مغيبا عن الخلق - أن لله تعالى فيه تدبير لا يعلمه غيره ، ومن القائلين بهذا القول كثير الشاعروفي ذلك يقول :

١. انظر فرق الشيعة ص ٤٥ ومقالات الاسلاميين ٩٢/١
٢. انظر النوبختي ص ٤٥ والزينة (عبد الله سلم السامرائي) ص ٣٠٥
٣. انظر: أبو الحسن الأشعري ٩٢/١ و ٩٣ والنوبختي ص ٤٦ و ٤٧ ، واعتقادا
فرق المسلمين والمشركون ص ٦٢ .
* جبال رضوى أو جبل رضوى من الجبال المشهورة في جزيرة العرب ، وهي

ألا ان الائمة من قرش * ولاة الحق أربعة سوا
علي والثلاثة من بنيهم * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وير * وسبط غيبته كرسلا
وسبط لا يدوق الموت حتى * يقود الخيل يتبعه اللوا
تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده غسل وماء
ويلاحظ على النص الذي أورده أبو الحسن الأشعري خلوه من ذكر العسل
والما إلا فيما نسبته من الشعر إلى "كثير" كما أنه ذكر فرقة أخرى تقول
بغيبه "ابن الحنفية" عليها من الله عليه .
ان النويختي لم يذكر "جبل رضوى" مكانا لاختفاء "ابن الحنفية" في
عقيدة "الكريية" رغم تعرضه لعقيدتها ، ولكنه نسبته الى فرقة كيسانية ١٠
أخرى لم يسمها ، وهي التي تقول :-

ان محمد بن الحنفية حي لم يموت وأنه مقيم بجبال
رضوى بين مكة والمدينة تحذوه الأرام تحذوا عليه
وتروح فيشرب من البائها ويأكل من لحومها وعن يمينه
أسد وعن يساره أسد يحفظانه الى أوان خروجه
ومجيئه وقيامه ، وقال بعضهم عن يمينه أسد وعن
يساره نمر ، وهو عندهم الامام المنتظر الذي بشر
به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يملأ الأرض عدلا
وقسطا فمبثوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا الا قليلا
من أبنائهم وهم احدى فرق الكيسانية . ٢٠

= من مساكن قبيلة جهينة وهو قريب من مدينة "ينبع" أنظر: لسان اليمين
الهمداني (- بعد ٣٤٤) . صفة جزيرة العرب ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٤هـ
ص ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ .

١. الأشعري . مقالات الاسلاميين ١/ ٩٢ ، ٩٣ ، وانظر البغدادى ص ٢٧-٣٠
والأغانى للأصفهاني ، تصوير بيروت ٣١/ ٨ وفيه : وسبط لا تراه العين حتى ، وكذا
تغيب لا يرى عنهم زمانا ، المقالات والفرق ص ٢٨ ، ٢٩ وفيه : هم الأسباط ليس
لهم خفاء . . . يعود الخيل يتبعها اللوا . . . مغيب لا يراعيهم سفينا .

ومن الكيسانية السيد ... الحميري الشاعر (١٧٣-) وهو الذي

يقول :-

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى
حتى متى تحمي وأنت قريب
يا ابن الوصي ياسعي محمد
وكنت نفسي عليك تذبذب
لو غاب عنا عمر نوح أيقنت
منا النفوس بأنه سيثوب

ويقول فيه :-

ألا حي المقيم بشعب رضوى
وأهدله بمنزله السلام
أضر بمعشر والوك من
وسمك الخليفة والامام
وعادوا فيك أهل الأرض طرا
مقامك عنهم سبعين عام
لقد أمس بجانب شعب رضوى

١٠. تراجع الملائكة الكلام
١. ان "ابن حزم" نسب مثل هذه المقالة إلى أصحاب المختار بن أبي عبيد
الذي عددهم من "الزيدية" وهو أشد غرابة . والذي يهمنا هو وجود فرقة
كيسانية أخرى كانت تقول بمقالة "الكريية" في غيبة محمد بن "الحنفية"
ونظراً لهذا الاتفاق ؛ فان الرأي هو جواز اعتبارهما فرقة واحدة كما سبق
بالنسبة لما قيل عن وجود فرقة تقول بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي مباشرة،
١٥

١. فرق الشيعة ص ٤٦ ، ٤٧ ، وأنظر : الزينه ، (عبدالله سليم السامرائي)
ص ٢٩٦ .
٢. انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، بيروت ، تصوير دار المعرفه
١٣٩٥ هـ ، ١٧٩٩ م .

دون الحسين ، وهو مخالف لما عرف عن " المختارسة " التي كانت تقول
بإمامة ابن الحنفية بعد " الحسين " (ر . ص ٧٥) ، فكان اتفاق الفرقتين
في القول بإمامة " ابن الحنفية " مبررا لاعتبارهما فرقة واحدة ، رغم ما ورد في
كتاب " الزينة " من نسبة هذه المقالة إلى الكريية .

٥ إلى هنا لا نجد عند " الكريية " أي تطور للعقائد الخالية ، بل تكرار
للعقائد السبئية ، فان انكار وفاة الامام والقول بخيبيته في جبل رضوى
ماهو الا تهذيباً متواضعاً لقول " السبئية " في علي أنه في السحاب ، والرجعة
هنا هي الرجعة هناك لملء الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما .

الا أن هناك رأيا آخر للكريية ، وهو متعلق بالرجعة ، فقد ربطوه

١٠ بقيام القيامة ، كما يستفاد من قول النوبختي الذي يقول : —

فأصحاب (ابن كرب) وأصحاب (صائد) وأصحاب

(بيان) . . . يزعمون أن محمد بن الحنفية

يظهر بنفسه بعد الاستتار عن خلقه ينزل إلى

الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم .

١٥ ان هذا قد يشعرا للوهلة الأولى أنه تطوير للعقيدة السبئية ،

وهو من جانب آخر يهمننا جدا في هذا البحث ، بإمكانية اعتباره مقدمة

لانكار القيامة على الوجه الاسلامي — أي بعد البعث من القبور — وهو موضوع

تطور بعيدا لدى الفرق الباطنية (ر . ص ٩٦ فما) . واذا عدنا إلى

آراء عبدالله بن سبأ في رجعة علي وهدمه دمشق حجرا حجرا ونزوله

٢٠ للانتقام من أعدائه وكشف الأسرار لهم وتعريفه لهم أنه ربهم ، فأننا

نجد أن ذلك كله ارهاصات لظهور رأي " الكريية " بقيام القيامة على يد

" ابن الحنفية " لا سيما اذا قارنا ذلك بأصوله اليهودية (ر . ص ٣٢ — ٣٤)

هناك عقائد أخرى قال بها الكرييون ، أعني الذين كانوا يوماً ما أعضاء
في فرقة "الكريية" (ر٠ ص ٧٦) فتطورت العقائد الكريية على أيديهم
أو كونوا فرقة أخرى .

ان الوقوف على ذلك قد يلقي أضواءً أخرى تنير البحث ، من ذلك :

١- كثير عزة (- ١٠٥) :

ان علاقة " كثير عزة " بالكريية تظهر في الآيات التي قالها عن رجعة
" ابن الحنفية " (ر٠ ص ٧٧) فهو يتفق معهم في ذلك ، كما يتفق معهم
في القول بمهديته ، حيث يقول :

هو المهدي خبرناه كعب * أخو الأحبار في الحقب الخوالي

من المعروف أن كعب الأحبار (- ٣٢) كان يهودياً فاسلم ، فهل لهذا
البيت من الشعر ما يثبت وجود ارتباط بين " الكيسانية " والفكر اليهودي من
جهته ؟. اذا أضيف الى ذلك الآيات التي تحدث فيها " كثير " عن رجعة
ابن الحنفية ، تلك التي تعرض فيها لذكر الأسباط الأربعة :
علي والثلاثة من بنيهِ * هم الأسباط ليس بهم خفاء

ولذلك علاقة أخرى بالفكر اليهودي ، الذي نجد فيه الأسباط الأربعة
(لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين) كما سيأتى (ر٠ ص ص ٩٥ ، ٩٦) فان جانب
الشك يقوى .

* هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي وقيل الأزدي ، انظر ترجمته
في الأعلام ٧٢/٦ والأغاني ٢٦/٨ وأنظر أيضاً تعليق محمد محي الدين
عبد الحميد في مقالات الإسلاميين ٩٢/١ الهامش .

١. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج ٣ ، بيروت ، تصوير دار الفكر ، د . ت .
٣٢/٨

** أنظر ترجمته في الأعلام ٨٥/٦ .

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط ٧ ٧٤/٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

ان " لكثير " عقائد أخرى غير القول بامامة محمد بن الحنفية — بعد علي
والحسنين — والقول بمهديته ورجعته ، من ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني
من أنه كان :

يزعم ان الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى
*
" في أي صورة ما شاء ركبك " *

... نظر كثير الى بني حسن بن حسن وهم
صغار فقال بآبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار .
**

٢- السيد الحميري (١٧٣) :

كان السيد الحميري من أشهر الكيسانيين ، الا أنه قيل انه صار اماميا
في آخر حياته وقال في ذلك قصيدة مطلعها :

تجفرت باسم الله والله أكبر * تجفرت باسم الله فيمن تجعفر
ولكن الذي يظهر أن القصيدة منحولة له كما يقول من ترجم له .
٢
وكان السيد الحميري يقول بمقالة الكريية ، وله في ذلك أشعار تقدم

بعضها (ر ٠ ص ٧٨)

١٥ وذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمته للسيد الحميري كثيرا من أشعاره
التي توضح جوانب من عقيدته الكيسانية ، ما يلقي أضواء أخرى على ماورد
عن الكيسانية في كتب أصحاب المقالات من ذلك .

* سب السلف ولا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي ، من ذلك
قوله : شفيت من نعل في نحت ائلته * فاعمد هديت الى نحت الغويين

* الانقطاع ٨

١. الأغانى ج ٣ ، ٣٢/٨

** انظر ترجمته في الاعلام ٣٢٠/١ والنوختي ص ٤٦ ، والأغانى ج ٣ ٢/٧

٥ ٣ ٥

٢. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٢

* ادعائه العلم الخاص - (السري) - لعلي بن أبي طالب في قصيدته
الدالية المشهورة:

أشأقتك المنازل بعد هـند * وتربيتها وذات الدل دعد
وفيها يقول:

ألم يبلغك والأنباء تنمى * مقال محمد فيما يؤدي
إلى ذي علمه الهادي علي * وخولة خادم في البيت تردى
* قوله بالرجعة والتناسخ :

جاء رجل إلى السيد فقال : بلغني أنك
تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا
ديني قال أفعطيني مهيأاً بمائة دينار إلى
الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك إن وثقت
لي بأهلك ترجع إنساناً قال وأي شيء أرجع
قال أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً .

*

٣- حمزة بن عمار البربري (كان معاصراً لعبد الله بن معاوية المتوفى ١٢٩) :

تعتبر المراجع الشيعية مصدراً لسيرة "حمزة بن عمار البربري" ؛ لأن
أكثر من تحدث عنه كان يستقي ذلك من تلك المراجع مثل "فريدلاندر" الذي
كان مصدره "الكشي" ، "ولويس" عن "النويختي" و"الاسترابادي" و"علي
سامي النشار" عن "النويختي" ، ولكنه رجح أيضاً إلا الأغاني ، الذي
تحدث عن "عمار بن حمزة" وهو يختلف عن "حمزة بن عمار البربري" ولو
ظاهرياً من حيث الاسم وقد يكونان شخصاً واحداً . وكان مصدر "محمد السعيد
جمال الدين" عن "حمزة" (النويختي) و"الأشعري القمي" .

١. الأغاني ج ٣ ، ٧/٧ ، ٨ وأنظر أيضاً ص ٢ - ٢٣
- * أنظر عن تاريخ وفاة عبد الله بن معاوية في الإعلام ٢٨٢/٤ أما عن محاصرة حمزة له
فهو يتبين في الصفحات التالية . وذكر سامي النشار أنه معاصر للإمام الباقر ، أنظر:
نشأة الفكر الفلسفي ٧٨/٢ وقد توفي الباقر سنة ١١٤ أنظر: الإعلام ١٥٣/٧
٢. أنظر: JAOS xxix. p. ٩٥
٣. أنظر: أصول الاسماعيلية ص ٩٣ ، ٩٠
٤. أنظر: نشأة الفكر ٧٧/٢ ، ٧٨ ، ٩٤ ، ٩٥ أنظر: دولة الاسماعيلية في إيران ص ١٥

ان نص النوبختي أصل يمكن الاعتماد عليه هنا ، كما أنه لا زيادة تذكر عليه من النصوص الأخرى ، فيكون المعتمد عليه في الحديث عن " حمزة بن عمار " حتى حين : يقول النوبختي :

وكان حمزة بن عمار البربري ، منهم [يعني الكرية]

- وكان من أهل المدينة ففارقهم وادعى أنه نبي ، وأن
محمد بن الحنفية هو الله عز وجل تعالى عن ذلك
علوا كبيرا — وأن حمزة هو الامام وأنه ينزل عليه سبعة
أسباب من السماء فيفتح بهم الأرض ويملكها ،
فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة
فلبغته أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام
وبرى منه وكذبه ، وبرئت منه الشيعة ، فاتبعه على
رأيه رجلان من نهد يقال لأحدهما صائد وللآخر
بيان . . . وكان حمزة بن عمار نكح ابنته وأحل جميع
المحارم ، وقال من عرف الامام فليصنع ما شاء فلا اثم
عليه .

- ولكن " عبد الواحد الأنصاري " الذي نفى وجود " الكيسانية " (ر . ص
٧٤) ، جعل من " حمزة بن عمار البربري " كبش فداء لجميع
الغلاة ، وصب جام غضبه على " الشمرستاني " وغيره — أي الذين لم
يتعرضوا بذكر لحمزة هذا ، وهم أهل السنة كما يبدو — لأنهم تستروا على
حمزة المذكور وأغفلوا دوره لعصده في نفوسهم .

- وحبذا لوقام " الأنصاري " بالقاء الضوء على شخصية حمزة حتى يصبح
لغضبه الشديد معنى ، ولكنه مع الأسف لم يفعل ، بل اكتفى بأن ذكر أنه

وجد في هامش "النوختي" أن اسمه "حمزة بن عمارة البربري الزيري
اليزيدي". ثم أضاف الأنصاري من عنده إليه لقب : الأموي ، ليصبح "حمزة
بن عمارة البربري اليزيدي الزيري الأموي". ثم ذكر أن "النوختي" هو
الذي دل على شخصية "حمزة" على أنه المدني الزيري اليزيدي البربري
وهو بذلك ينسب ما ذكر في هامش كتاب "فرق الشيعة" إلى "النوختي" ،
وأخيرا جعل "عبدالواحد الأنصاري" حمزة بن عمارة "مؤسسا لفرق
الفلاة".

هل يريد "الأنصاري" أن يقول : أن "حمزة بن عمارة البربري" ينسب
إلى "الزير بن العوام" ، وإلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ؟ إن انتساب
شخص ما لأحدهما يكفي ليكتسب عداوة الشيعة فكيف بمن ينسب إليهما معا .

هل يريد "الأنصاري" أن يقول : أن العباسيين باعتبارهم سنيين استخدموا
شخصية "حمزة" هذا لنشر الغلو بين الشيعة ، وعلى ذلك فقد فرضوا
رقابة على نشر أخباره في كتب أهل السنة وأن أهل السنة قد غضوا النظر
عن أخبار "حمزة بن عمارة" قصداً ؟ إذا كانت آراء "عبدالواحد
الأنصاري" حول "حمزة بن عمارة" على هذا النحو - وإنها لقريبة من ذلك
وأكثر كما تفيد مقالته - فإن لأهل السنة الحق في اتهام الشيعة أنهم
أجروا تعتيماً واسع النطاق على شخصية "ابن سبأ" مساهمة منهم في
التقليل من شأن الدور اليهودي في الغلو ، ذلك الدور الذي تطرق إليه
البحث من قبل حول ما قيل عن أصل الرفض بين أهل المقالات قديماً .

ثم إن افتراض وجود التعتيماً السنّي المزعوم على دور حمزة الخفي أو الطنّي
في نشر الغلو في أهل البيت ، يجب أن تقابله دراسة موسعة من
الجانب الشيعي . وبصفة أخرى : فإن "الأنصاري" "عبدالواحد" لم يستطيع

١. انظر : عبدالواحد الأنصاري . مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ، ص
١٦٧ - ١٧٢ .

تأييد ما ذهب اليه من التعقيم السنّي على حمزة بن عمار حتى بعد إيراده
لما في كتب الشيعة ؛ تلك التي يفترض أن تكون خارج ذلك التعقيم على
حد قوله . اللهم الا ما ذكر أنه وجدته على هامش كتاب فرق الشيعة عن
خلاف في لقب " حمزة " وان الباحث يستبعد أن تكون ضالة الحويلة
ناتجة عن إهمال أو تهاون من عبدالواحد الأنصاري لوضوح جديته فـي
الانتصار لرأيه مع الحاجة الماسة لتدعيمه ولكنه لم يجد مستنداً أقوى
ما في هامش " النويختي " وعليه فانه اضطر بعد ذلك بأسطر إلى أن ينسبه
إلى النويختي نفسه .

ولوضح افتراضاً ما ذهب عبدالواحد الأنصاري اليه من مسألة التعقيم
السنّي على أخبار حمزة بن عمار ، فكيف يمكن اجتماع نسب زبيري وزبيدي
في شخص واحد يقوم بدور شبه سري ليجرف الشيعة إلى الخلو ، وكيف
يمكن تصديق ذلك .

الراجع كما يظهر أن سبب كثرة ألقاب حمزة ليس كما اشتكى " الأنصاري "
ولكن لأخطاء في النسخ واختلاف بين الرواة ؛ فلا تغيب عن فطن العلاقة
بين : بربري وزبيدي وزبيري ، بل وربيدي وريدي كما نقل " فريد لاندري "
حول نفس الموضوع .

إذا حسن الظن فان هناك التباساً بين شخصية " حمزة بن عمار البربري "
و " عمار بن حمزة بن مصعب بن الزبير " الذي كان أحد عمال الدولة
العباسية على " فارس " و " الأهواز " ثم على " أحداث البصرة " إلى سنة
(١٦٠) ، وآخر بين " عمار بن حمزة " من " بني هاشم " ذاك الذي
رُمي بالزندقة واستكتبه عبدالله بن معاوية " ذي الجناحين " (١٢٩) ، كما
أن هناك " عمار بن حمزة بن كليب " الذي لا يستبعد أن يكون هو المنسوب

١. انظر: مصدر فريد لاندري وهو : الكشي . معرفة أخبار الرجال ، هـ ص ١٨٨

ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .

٢. انظر: الطبري ٥١/٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ .

الى " بني هاشم " لما قيل من انه من " بني عقيل " بالولاء^١ .

وليلاحظ القارىء الكريم " عمارة بن حمزة " فهو من الموالي ومتهم بالزندقة

وله علاقة بعبد الله " ذي الجناحين " صاحب الفرقة الجناحية (ر٠ ص ١٠٢)

وهذا ما يقر به من " حمزة بن عمارة البربري " بحيث يحتمل كونهما نفس

الشخص لا أبا وابنه ؛ لورود " عمارة بن حمزة بن كليب " المتأخر نسبيا

عن " حمزة بن عمارة البربري " .

وبالامكان اعتبارا السطور السابقة تقييما لما قام به " عبد الواحد الأنصاري " من

حملة على " الزبيريين " و " الامويين " و " العباسيين " بزعم أن لهم دورا فى

نشأة الخوفاى أهل البيت .

١٠ ان الذي يعنينا أكثر هو ان " حمزة بن عمارة البربري " كان من أهل

" المدينة " ، وكان يقول بمقالة " الكريية " ، وأنه فارقههم ، فتبعه أناس من

أهل " الكوفة " منهم رجلان من " نهدي " وهما : " صائد " و " بيان " وفي

ذلك دليل على أن اقامته بالمدينة لم تستمر . وكان معاصرا لمحمد بن علي بن

الحسنى الباقر (١١٤—) الذى لعنه وبرى منه وكذبه ، كما أن جعفر^٢

الصادق (١٤٨—) لعنه لكذبه (ر٠ ص ٣٨) وعده من الذين تنزل عليهم

الشياطين وهم : المغيرة بن سعيد ، وبنان ، وصائد النهدي ، والحارث

الشامي ، وعبد الله بن الحارث ، وحمزة بن عمارة ، وأبو الخطاب^٣ .

١. انظر: الأغاني ج ٤ ٧١/١١ ، ٧٨/١٢ وانظر ج ٥ ٢٠/١٣

٢. انظر : الكشي . معرفة أخبار الرجال ص ١٩٦ .

٣. انظر : رجال الكشي ص ١٨٨ .

عقيدة حمزة بن عمار :

بعد أن ترك " حمزة " الفرقة " الكريية " ، ظهر بمقائد أخرى منها :

* ادعائه النبوة والامامة .

* ادعائه ربوبية " ابن الحنفية " .

* انتظاره سبعة أسباب تنزل عليه من السماء ليملك الأرض .

* تحليله المحارم وتكالح البنات فبدأ بإبنته ، لقوله : من عرف الامام

فليصنع ما يشاء فلا اثم عليه .

٤- صائد النهدي :

ان المعلومات عن " صائد " مقتضبة . ومن الصعب اعتباره كريياً

الا تجوز ، لأن الأصوب اعتباره من الذين قالوا بمقالة حمزة بن عمار

(ر : ص ٨٢) ، ويذكر النوبختي أن لصائد أتباع ، وقد سعى أبو حاتم

الرازي (- ٣٢٠) فرقه : النهدية ، وهذا يدل على أن صائداً كان

ذا نشاط أثر في فكر الغلاة مما دعى جعفر بن محمد (الصادق) (- ١٤٨) الى

لعنه وتكذيبه ، بل عده في مرتبة " مسيلمة الكذاب " و " عبدالله بن سبأ " ^١

في الكذب . ولا غرو فان صائداً كان ممن ادعى النبوة . أما نهاية حياته ^٢

فهي مجهولة مثل شيخه " حمزة ابن عماره .

١. انظر : فرق الشيعة ص ٤٦
* انظر ترجمته في : سركين ، تاريخ التراث العربي ٣١٦/٢ وقد تأتي
ترجمة مفصلة له في هذا البحث .

٢. انظر : الزينة (عبدالله سلم السامرائي) ص ٣٠٥ .

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٥ .

عقيدة صائد :

ليس بالامكان تحديد عقيدة "صائد" الا من كونه تابعا لحمزة بن عماره،
وحيث لا يمكن وصفه الا بتلك العقيدة (ر. ص ٨٧) بالإضافة الى
ما ادعى من النبوة.

٥- بيان بن سميان النهدي :

ذكرته بعض المراجع باسم "بنان" و "با" فنون (ر. ص ٨٦) ولكن
الراجع أنه "بيان" كما قيل انه "بيان" وهو ليس كذلك . وكان تابعا لبييع
التبن بالكوفة.

تقلب بيان في انتمائه العقدي و فقد كان كرييا مع حمزة بن عماره
البربري (ر. ص ٨٢) كما ادعى خلافة "ابي هاشم بن محمد بن الحنفية"
(٩٩ -) ، وأخرى خلافة "محمد بن علي بن الحسين" (١١٤ -) بالصاية
أيضا . وطلب مرة من "محمد بن علي" الايمان بنبوته (ر. ص ٩٢)
كانت نهاية "بيان" الموت حرقا في "مسجد الكوفة" مع عدد من
أتباعه سنة ١١٩ على يد خالد بن عبدالله القسري (١٢٦ -) .

١٥ ان "بيان" كونه فرقة خاصة عرفت عند أهل المقالات بالبيانـه
وهو وان قال بمقالة الكريية و الا أن فرقة أصبحت علما قائما بذاته بين
فرق الكيسانية و قد اعتبرها "أبو الحسن الأشعري" الفرقة العاشرة
منهم (ر. ص ٧٠) وسيأتي الحديث عن "البيانيم" باعتبارها فرقة
مستقلة عن "الكريية" (ر. ص ٩١) .

١. انظر : المقالات والفرق ص ٣٣

٢. انظر: المقالات والفرق ص ٣٣ و ٣٥

٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٥ والمقالات والفرق ص ٣٣

ج - الهاشمية :

تنسب هذه الفرقة الكيسانية الى "أبي هاشم" و"الهاشمية" بحسب ذاتها فرق عدة .

- وأبو هاشم هو : عبدالله بن محمد بن الحنفية (- ٩٩) ، وقال بامامته^١
الذين اعترفوا بموت محمد بن الحنفية (- ٨١) من الكيسانيين الا أن الأشعري^٥
القمي " (- ٣٠١) نسب الى " البيانيه " (ر ٠ ص ٩١) قولهم الذي يجمع
بين العقيدة " الكريية " التي تقول بعدم موت " ابن الحنفية " ويرجعته ،
وبامامة " أبي هاشم " بصفة مؤقته حتى يرجع " ابن الحنفية " وذكر^٢
" الشهرستاني " أن " الهاشمية " قالت بانتقال الاسرار الى " أبي هاشم "
من أبيه ، وأنه :

- أطلعته على مناهج تطبيق الافاق على الأنفس ،
وتقدير التنزيل على التأويل . وتصوير الظاهر
على الباطن . فقالوا ان لكل ظاهر باطنا
ولكل شخص روحا وكل تنزيل تأويلا ولكل مثال
في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم . والمنتشر^{١٥}
في الافاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص
الانساني . . . وكل من اجتمع فيه هذا العلم^٣
فهو الامام حقا .

ونسب " الهاشمية " الى " أبي هاشم " المعجزات واحياء الموتى ، وقالوا :

١. انظر : النويختي ص ٤٨ والشهرستاني ١٥٠/١

٢. انظر المقالات والفرق ص ٣٤

٣. الملل والنحل ١٥٠/١ ، ١٥١

١. ان الامام يعلم كل شئ ، ومن لم يعرف امامه لم يعرف الله .

عقائد الهاشمية :

ان أهم ما قالت به " الهاشمية " حتى موت ابي هاشم (- ٩٩) هو :

* الاستيداع في الامامة بمعنى أن ابا هاشم استودع الامامة التي هي

من حق " محمد بن الحنفية " حتى يرجع من غيبته وهو قول " البيانية " ٥

منهم .

* التأويل الباطني المبني على أن لكل ظاهر باطنا .

* ان الامام هو مصدر العلم .

* من لم يعرف امامه لم يعرف الله .

١٠ ولا يغيب عن البال ان هذه العقائد تطورت على يد الخلافة خاصة

بين الفرق التي تكونت عن " الهاشمية " بعد موت " ابي هاشم " .

الفرق التي تكونت عن " الهاشمية " :

بعد موت " ابي هاشم " (- ٩٩) تفرقت " الهاشمية " الى عدة

٢ فرق ، هي أربع كما يرى النوبختي ، وخمس كما ذكر الشهرستاني . ومهما ٣

١٥ يكن الامر فان هذا الانقسام كما يظهر كان نتيجة عن تفرق زعماء الهاشمية

وهذه الظاهرة لم تحدث بعد موت علي بن أبي طالب ، فان المصادر

الشيوعية لم تستطع اثبات تفرق للشيعة بعد موته الا في ما يختص بفرقة

الكيسانية وزعيمها " كيسان " أو " المختار " أما الفرق الأخرى التي تخيلوها

في اذهانهم فانهم لم يستطيعوا ايجاد زعامة لها وهذا يدل على أن عليها

٢٠ وكذا الحسين لم يشجعوا أبدا على انتشار التشيع . وبالنسبة للفرق

" الهاشمية " فان فرقا هي :

١. انظر : المقالات والفرق ص ص ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٩

٢. انظر : فرق الشيعة ص ٤٨

٣. انظر : الملل والنحل ١٥١/١

١- البيانية :

ان زعيم " البيانية " كان " بيان النهدي " (- ١١٩) (ر١ ص ٨٨) ،
ومما علمنا من تقلب " بيان " في انتمائه الخالي ، نجد أن من الصعب
القول بأنه كان ينتقل بفرقة من " الكريية " الى " الحمزية " الى " الهاشمية " ،
والذي يبدو أنه انضم الى " أبي هاشم " قبل أن يكون فرقة " البيانية " ،
ثم أصبح بعد ذلك شخصية قيادية في الغلو حتى استطاع تكوين فرقة
خاصة به . ادعى بين أتباعها ان أبا هاشم أوصى إليه . بعد أن مكث
أتباعه يقولون بمهدية أبي هاشم ورجعته ، شأنهم في ذلك شأن
معظم الفرق الشيعية الخالية بعد موت من تزعم أنه الامام .

١٠ ان فكرة الوصاية هذه تطورت عند " البيانية " الى حلول وتناسخ
بين روح " أبي هاشم " و " بيان " ، وهي تذكرنا بالفكرة السبئية القائلة
بحلول الجزء الالهى في على بن ابي طالب (ر١ ص ٥٩) . أما مزاعم
البيانية في ذلك فهي :

ان روح الاله دارت في الأنبياء والائمة حتى

١٥ انتهت الى علي ثم دارت الى محمد بن الحنفية
ثم صارت الى ابنه ابي هاشم ثم حلت بعده
في بيان بن سمعان .

وقد خسر بيان عليا بالالوهية وأنه سيظهر في بعض الأزمنة ، واستدل
على ذلك بقوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة) ففسر لفظ الجلالة على النحو السبئي بأنه في الغمام
٢٠

١. انظر المقالات والفرق ص ٣٥ ومقالات الاسلاميين ٦٧/١

٢. انظر النويختي ص ٥٠

٣. البغدادي . الفرق بين الفرق ص ص ٢٤١ ، ٢٤٢ وانظر : الشهرستاني

١٥٢/١ ، ١٥٣ .

* البقرة ٢١٠

١. والحمد لله رب العالمين .

ويبدو أن بياننا ومن نحس نحوه من الغلظة لم يكن يعني بذلك أن علينا

هو الله بقدر ما يعني تجسد الألوهية في أجساد الأنبياء والأئمة وصفة

خاصة في علي، وقد أشار إلى هذه النقطة علي سامي النشار^٢، ويوضح

هذه النقطة ما نسب إلى "بيان" بالذات من تجسده معبوده بأنه

هيكل من نور يشبه الإنسان في جميع أعضائه، وأنه يفنى كله

إلا وجهه^٣. وقد ادعى "بيان" النبوة معلناً أن "أبا هاشم" هو الذي

جعله نبياً، واستدل على ذلك بقوله تعالى: (هذا بيان للناس وهو الذي

وموعظة للمتقين)^٤. وأنه هو البيان والهدى والموعظة، وقد أرسل رسالة

١٠ إلى محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (- ١١٤) يقول فيها: -

أسلم تسلم وترتق في سلم وتنج وتغنم

فانك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة

وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر^٥.

كما ادعى بيان معرفة الاسم الأعظم الذي يستطيع أن يدعو به "الزهرة"

١٥ فتجيبه^٦. يمكننا هنا تلخيص أهم عقائد البينانية فيما يأتي: -

عقائد بيان والبيانانية:

* التأويل الباطني

* تجسيد الله وتشبيهه بالخلوقين

١. انظر النهرستاني ١٥٢/١

٢. انظر: نشأة الفكر ط ٧ ٧٨/٢

٣. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٤

* آل عمران ١٣٨

٤. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٧

٥. المقالات والفرق ص ٣٧ وانظر: النوبختي ص ٥٠، ٥١

٦. انظر: مقالات الاسلاميين ٦٧/١

- * انتقال جزأ لاهوتي حل في بعض البشر عن طريق التناسخ .
- * ادعاء " بيان " النبوة .
- * ادعاء معرفة الاسم الأعظم .
- * عقيدة قائم القيامة التي يشترك فيها مع صائد النهدي .

٢- الحرية :

هم أصحاب "عبدالله بن عمر بن الحرب الكندي الشامي" ؛ وقيل ؛ ابن عمرو الكندي ؛ وكان أبوه عمرو بن الحرب زنديقا مشهورا من أهل المدائن^١، وهذا ما توفر من معلومات عن "ابن الحرب" من حيث أسرته وأصله . ليس بعيدا أن تكون زندقة أبيه جاءت إليه من بيئة "المدائن" التي كانت منفى "لابن سبأ" .

ان الذي يظهر أن هذه الفرقة كانت إحدى الفرق التي تكونت بعد وفاة أبي هاشم (- ٩٩) ؛ ولكن في ذلك نظر ؛ ففي حين يقول "البغدادي" أن ابن حرب كان على دين "البيانية" في التناسخ ؛ نجد الأشعري القمي يقول بوجود عقائد "حربية" قبل موت ابن الحنفية مما قد يعني وجودها قبل "البيانية" ؛ يقول القمي :-

وقال أصحاب ابن حرب أيضا بالاسباط الأربعة
وهم الأئمة يؤمن عليهم الخلاف (بالعمد)
والخطأ والزلل . فسبط . . . علي وسبط . . .
الحسن وسبط . . . الحسين وسبط هو الذي
يركب الأسباب ويزجي الرياح وينفخ السد
وسد باب الرم . . . وهو المهدي المنتظر

١. انظر : النهرستاني ١/ ١٥١
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٣٥
٣. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

محمد بن علي بن الحنفية امام الحسق

فلما لم يروا من ذلك شيئا في حياته ومات

١

عينا قالوا لم يموت

ولكن "القي" نفسه أشار الى نقطة عن وجود توافق بين

٢

٥ "الحريية" و"البيانة" في ادعائهم أن عليا في السحاب وفي هذا

ما قد يؤكد ما ذكره "البغدادى" وان نص "الأشعري القبي" الذي

ورد آنفا لا يحتم علينا القول بأن الحريية قالوا به قبل موت "ابن الحنفية"

(سنة ٨١) وإنما قالوا به على سبيل أن "ابن الحنفية" سيمود وأن "أبا

هاشم" مستودع للإمامة (ر. ص ٨٩) "كاليانية" ، وعليه فان الذين

١٠ قالوا بالأسباط الأربعة يمكنهم قول ذلك حتى بعد وفاة ابن الحنفية

وقد قال بذلك كثير عزة (١٠٥ -) في ابيات له (ر. ص ٧٧) ، ولكن

الصعب هو وجود الفرقة "الحريية" في حياة "ابن الحنفية" على شكل

فرقة "كيسانية" لاستبعاد استفحال أمر الغلاة فيما خلا فرقة

"الكيسانية الخالصة" ، ويؤكد هذا وجود الفرقة الحريية بعد

١٥ ذلك بما يقرب من خمسين عاما أو يزيد ليكشف أتباعه بعد ذلك كذبهم

وبهتانه فيتركوه ويتجهون إلى عبدالله بن معاوية (١٢٩ -) كما نص على

٣

ذلك بعض أصحاب الفسق

ان الأمر على كل حال لا يستحق أكثر مما ذكر فيه لاسيما وأننا

ندرس مرحلة تظن فيها عقائد "غلاة الشيعة" كالمرجل ، ولا يعرف سافلها

٢٠ من عاليها الا بتدقيق وبحث ليس هنا موضعه

١. المقالات والفرق ص ٢٨

٢. انظر المقالات والفرق ص ٢٧

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٤٠ ومقالات الاسلاميين ٩٢/١ والمسائل والنحل ١٥١/١

ان ما يمكن قوله هو ان " الحربية " نشأت بعد وفاة أبي هاشم
(٩٩ -) من فرقة هاشمية اختارت " عبدالله بن عمرو بن الحرب " ليكون
امام لها على نحو ان :

- روح الله صارت في النبي وروح النبي صارت في علي
روح علي صارت في الحسن وروح الحسن صارت في
الحسين وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية
ولاح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم وروح أبي
هاشم انتسخت في عبدالله بن عمرو بن الحرب
فهو الامام الى خروج محمد بن الحنفية من الشعب
وفي ذلك دليل على ان قيام " ابن الحنفية " كان وشيك الوقوع في غيبة
" الحربية " ،
ان النقطة الخاصة بانتظار " ابن الحنفية " رغم القول بأئمة
بعده تعود بنا الى مسألة الأسباط الأربعة التي ذكرها " القمي " وخصص
بها الحربية ، بقوله :

- واعتلوا في ان الأسباط أربعة بأن قالوا :
ان القدر والنباهة والعز والنبوة من ولد يعقوب
ابن اسحق عليهما السلام في أربعة وصار الباقيون
أسباطا بهم فكانوا هم الأنبياء والملوك ولم يكن
للباقيين قدر الا بهم وهم لاوي ويهوذا ويوسف
وابن يامين ، لان يهوذا ولد داود وسليمان
وفيهما الملك الذي لا يشبهه ملك مع النبوة ، ومرم

١. المقالات والفرق ص ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر : مقالات الاسلاميين ١ / ٩٧ ،
والشهرستاني ١ / ١٥١ ، والفرق بين الفرق ص ٢٨ .

بنت عمران أم المسيح ، ورأس الجالوت وهو
الملك بعد الانبياء والرسل . وولد لاوي موسى
وهرون وعزير وحزقيال واليسع وأورميما
والخضر ، وهؤلاء ولد هرون . ومن ولدهم
ملوك وأنبياء ، ومنهم أصف بن برخيا صاحب
عرش بلقيس ، ومن ولد يوسف يوشع بن نون
ومن ولد ابن يامين طالوت الذي ذكره الله في
كتابه .

قالوا فبنوهاشم أسباط والامامة والخلافة والملك
في أربعة وذلك قول تبارك وتعالى " والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين " فالكلام
يكون رمزا ومثلا وكناية ووحيا ، فالتين علي
والزيتون الحسن وطور سينين الحسين وهذا البلد
الأمين محمد بن الحنفية .

- ١٥ من المعروف أن كلا من لاوي ويهودا ويوسف وبنيامين من أبناء يعقوب
ابن اسحق ولكن كلمة أسباط لا تنطبق بأي معنى على وبنيه الثلاثة
لا سيما اذا قارنا بأسباط بني اسرائيل ، فهي اذا انطبقت على الحسن
والحسين بالنسبة للنبي (ص) فكيف يدخل في ذلك علي بن ابي طالب
وابنه محمد بن الحنفية ، واذا انطبقت عليهم جميعا بالنسبة لهاشم بن
قصي فالجميع من ذرية عبد المطلب ، واذا انطبقت عليهم بالنسبة لعبد المطلب

* التين ١

١. المقالات والفرق ص ٣٠ .

٢. انظر: العهد القديم : التكوين ٤٦ وأخبار الأيام الأول ١/١

** الأسباط في اللغة ولد الولد والمفرد سبط أنظر : مختار الصحاح ص ب ط

، ص ٢٨٣ .

فالجَمِيع من ذرية ابي طالب :

ان قصة الأسباط هذه غير اسلامية كما هي غير منطقية هنا ؛ وهي
يهودية المصدر فمن الذي يمه اعطاء أهمية للأسباط في العالم الاسلامي
سوى اليهود ، بل من الذي يتبرع باجراء مقارنة بين الأسباط الاسرائيليين
والهاشميين في مطلع القرن الثاني للهجرة ؟ لا أحد سوى أصابع يهودية
خفية ، ظهرت من قبل في صورة عبدالله بن سبا ، وظهرت هنا في الحريصة
في شخصية ربما تخفت تحت اسم عبدالله بن عمرو بن الحرب ، أو أحد
أعوانه أو أحد أتباعه . وسوف تظهر لنا هذه الصورة عند السـدروز
(ر . ص ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

١٠ . وحينما تأتي هذه الأقصوصة ذات الأصل اليهودي مشفوعة بتأويل
باطني " لسورة التين " ؛ فان ذلك دليل آخر يؤكد وجود علاقة ما بين
الفكر اليهودي الغازي والتأويل الباطني عامة .

ولا يغيب عن البال أن " الحريصة " كانت تدين بما دانت به أشباهها
من فرق الغلاة المعاصره لها ؛ مثل القول برجعة " ابن الحنيفة "
وخروجه من مكة في عدد أهل بدر ودمدم " دمشق " برايات سـود
ورجال كالأسود .

ويبدو أن " دولة بني العباس " لم تقم بعد حين قالت " الحريصة "
بهذا القول ، وقد يكون هذا دليلا على القيمة العلمية للنص الذي حفظ
هذه النقطة ؛ فان " بني العباس " ظهروا برايات سود .

٢٠ . عن ترك الفرائض والمحرمات نجد ذات الرأي الخالي ؛ القائل بأن (من
عرف الامام فليصنع ما شاء) . ذلك القول الذي قالت به " الباطنية " فيما

١ . انظر : المقالات والفرق ص ٣١

٢ . انظر : المقالات والفرق ص ٣٩

١. بعد حين قالوا (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة)

ان " الحريصة " وان اعتبرت فرقة هاشمية كسياسة سيئة ، الا ان
" الاشعري القمي " انفرط بذكر اخبار عنها - وردت آنفا - قد توجس
بالاستغراب والارتباب ما قد يجعل " الاشعري القمي " في وضع المتهم
بالانحياز ضد هذه الفرقة ، الا ان حادثة فريدة وقعت في هذه
الفرقة ، فتفرق أعضاؤها بعدها الى فرقة وربما الى فرق أخرى - هذه
الحادثة - تجعل الباحث يقف موقفا ايجابيا من الاشعري القمي ، وقد
ذكر قصتها بعض أصحاب المقالات ، فقال " ابو الحسن الاشعري :

ثم وقفوا على كذب عبد الله بن عمرو بن حرب فصاروا الى
المدينة يلتمسون اماما فلقوا " عبد الله بن معاوية بن
عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب فدعاهم الى ان ياتسروا
٢. به فاستجابوا له .

وقال " الشهرستاني " عن ذات القصة :

والرجل [يعني ابن حرب] ما كان يرجع الى علم
وديانة ، فاطلع بعض القم على خيائته وكذبه فاعرضوا
٣. عنه وقالوا : بامامة عبد الله بن معاوية .

اما الاشعري القمي " فقد فصل القصة كما يأتي :-

فبينما هو يوما في منزل رجل بالمدائن وكبرا [؟] أصحابه
معه ان دق جلواز الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجة
[هكذا] ولم يعرف عبد الله بن عمرو بالأمس فوثب فزعجا
٢٠ وقال : دعيت [هكذا] اناك الشيطان فخرجوا جميعا وطفروا

١. انظر: مخطوطة المجالس الحاشمية المجلس السابع من المائة الأولى ق كد

٢. مقالات الاسلاميين ٩٧/١

٣. الملل والنحل ١٥١/١

هو الى دار رجل فالتقت ساقه فخرج صاحب الرجل
الى الرجل ، ثم خرج اليهم فقال لباس ، فرجع بعضهم
وهرب الباقيون ففيل لعبدالله ألت كيف تكون اماما كيف
تعلم الغيب وما فى الأرحام وأنت ستملك مع هذه الغفلة
وهذا العقل ؟ فكذبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا
الى المدينة يلتصقون اماما من بني هاشم اذا كان لابد
لهم من امام ، فبينما هم بالمدينة متحيرون اذ أتى عبد الله
ابن معاوية فأخبروه وخبرهم فأرسل اليهم .

ان هذه القصة مما يستحق الدراسة لأن من عادة " الخلاة الشيعية "
أنهم لا يتفرقون الا بعد وفاة زعيمهم ، ولابد من الوقوف قليلا أمام هذه
القصة - الظاهرة ، ولا يغرب عن البال أن حادثة كهذه برواية " الأشعري
القيي " لاتستدعي عند " الخلاة " التفرق والتخلي عن زعيمهم ؛ لأن من
يؤمن ويعتقد بأن انسانا يختفي في السحاب وآخر يعيش سنوات طويلة
في غار في حراسة أسد ونمره وأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء ، كل
ذلك من مصدر بشري ، لأهون عليه أن يصدق أي أكذوبه يمكن أن يقولها
" ابن حرب " للتخلص من هذا المأزق الذي وقع فيه ، وهنا يبرز احتمال
ان جهة ما يهمها ابراز عبدالله بن معاوية على شكل زعيم هاشمي طالبي
بعد استنفاد الغرض من ابن حرب وامثاله ، لا سيما وأن " ابن معاوية " لم
يات بعقائد أقل غلوا مما لدى ابن حرب .

ومن جهة أخرى فان حادثة تفرق " الحربية " كما رواها " الأشعري
القيي " ، يوضح أنه لم يكن متحيزا ضد هذه الفرقة بقدر ما كان على
علاقة بمصادر لم تتوفر لسواه من أصحاب المقالات من ذلك " النوبختي " الذي
يعتبر استاذنا له .

١. المقالات والفرق ص ص ٤١٠ ، ٤١١

٢. انظر: محمد جواد مشكور . مقدمة كتاب المقالات والفرق ص ص كج ، كد .

عقائد الحريية :

يمكن تلخيص عقائد فرقة " ابن حرب " على النحو التالي :

- * قولهم بالحلول والتناسخ .
- * قولهم بالتأويل الباطني .
- * قولهم بالرجعة ، وخاصة رجعة ابن الحنفية ومهديته الانتقامية .
- * قولهم بأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء .

٣- العباسية أو الروندية :

تخضت " الهاشمية " فيما تخضت عنه عن فرقة تسمى " العباسية " أو " الروندية " وهذه الفرقة تقول ان ابا هاشم اوصى بالامامه الكي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، وأنه دفعهم الى أبيه " علي بن عبدالله " حتى يبلغ فيسلمها اليه .^١

وقد أفاض بعض المحققين في أمر هذه الفرقة وفرقه شبيهة يمكن أن تسمى " الأبو مسلمية " وقد سميت " بالمتعة " أو " الرزامية " لاعتقادهم في " أبي مسلم الخراساني " وهو قول " الروندية " أيضا ، وقد اعتبر بعضهم أن بني " العباس " استغلوا فرقة " الكيسانية " الغالية في نشر الدعوة العباسية على نحو سري اعتمد على العددين ١٢ ، ٧٠ وقد أثار " فان فلوتن " هذه المسألة على هذا النحو فقال :

وقد أسس هذان الرجلان [سليمان بن كثير الخزاعي وشبيب بن قحطبة الطائي السرخشيري] مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رئاسة داعي الدعاة ، ثم اتخذ كل منهم لقب " نقيب " على نحو ما كان يفعله

١م انظر : النويختي . فرق الشيعة ص ٥٠

٢م انظر : الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص ٧٩

٣م انظر : الزينة (عبدالله سلم السامرائي) ص ٢٩٨

الاسرائيليون في مجلس شورا هم (القرآن الكريم ١٥/٤)
الذي كان يتكون من اثني عشر حواريا ، ثم النقباء
من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل
المدينة ، وهكذا تأثر العباسيون في تنظيم دعوتهم
بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا
اثني عشر نقيبا ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس
الشورى في عهد الرسول فاتخذوا سبعين داعيا .

ان ما حكاه " فلوتن " هنا يحتاج الى تفصيل لأن اصطلاح " داعي
الدعاة " لم يعرف بعد في هذه الفترة الزمانية التي نشأت فيها
الكنسانية العباسية ، لاسيما وأن المستشرق المذكور لم يستند هذا
اللفظ الى مصدر ، مما يوضح أنه استعار اللفظ من فكر الباطنيين فسي
" الدولة العبيدية " التي قامت بعد هذا التاريخ بأكثر من قرن ونصف
(ر . ص ٢٦٨ هـ) . وما ذكره عن مجلس شورى الاسرائيليين واستشهاده
بآية قرآنية يعني بها قول الله تعالى " ولقد أخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا " وهي لم تذكر الحواريين بل ذكرت
اثني عشر نقيبا . أما ما ذكره عن السبعين الذين ادعى أنهم مجلس
الشورى في عهد رسول الله (ص) ، فان أي مجلس شورى لم يثبت وجوده
على عهد رسول الله (ص) على هذا النحو ، حتى " الباطنيين " وهم
من أكثر الناس تعلقا بالأرقام بين غداة الشيعة فانهم لم يوردوا شيئا
يستندون اليه من هذا الوجه ولو وجدوه لفعلوا ، ولكن المعروف أن النبي
(ص) بعد أن بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين
رجلا وامرأتين ، قال لهم (ص) :

أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا . . . قال ابن اسحق
حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله (ص)
قال للنقبا : أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين^١
لميسى بن مريم .

٥ إذا ليس هناك مجلس شورى ولا غيره ؛ بل اثنا عشر نقيبا يكفلون
قومهم ، أما السبعون رجلا ؛ فقد وردت في القرآن الكريم عن ذلك قصة
أخرى ، قال تعالى : " واختار موسى قومه سبعين رجلا ليقاتلنا " - ويبعدوا
أن " فلوتن " استعان في ترقيمه للآية الأولى التي تتحدث عن النقباء^٢
بتعداد " فلوجل " الذي يعتبرها الآية ١٥ من سورة المائدة .

١٠ ان الاعتماد على العددين ١٢ ، ٧٠ في القصة يجب أن تستند
بشقيها إلى موسى عليه السلام ، وهذا أيضا يمكن للباطنيين أن يدعوا أن
نظام الدعوة الباطنية الذي سارت عليه فرقهم فيما بعد - في أصله - هو
النظام العباسي ذو الأصل الموسوي ، وقد أخذ به سيدنا محمد (ص) من
قبل .

١٥ لو سلمنا بصحة جميع الآثار فان قيمة هذا الاحتمال يتضح بعد الاثبات -
* مدى تمسك " الدولة العباسية " بهذا النظام بعد تكوينها ؛
* مدى التزام السيرة النبوية بالعددين ١٢ ، ٧٠ في تنظيم الدعوة
الاسلامية .

وإذا لم يكن هناك تعويل على هذين العددين هنا وهناك فان بالامكان
اعتبار أن فلوتن لم يوفق كما يظهر في مقارنته التي أوردها . أما وقد استند
فيما ذهب إليه إلى " تاريخ الطبري " ، فان الطبري يقول : -

١. ابن حجر العسقلاني (٨٥٢) فتح الباري ٢٢١/٧
٢. انظر محمد رشيد رضا . تفسير المنار ج ٦ تصوير بيروت ص ٢٧٩
* الاعراف ١٥٥

والتقباء الاثنى عشرهم الذين اختارهم محمد بن علي

من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله الى

خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة .^١

وفى " الطبري " هو الحكم الفصل في القضية .

ثمة مسألة أخرى تتعلق بأحد دعاة " العباسيين " ، ويسمى " خدائش " .

ففي كتاب " البدء والتاريخ " أنه أول من قال بالتأويل الباطني ، وهو قول لا يقف

أمام ما سبق ذكره من وجود التأويل الباطني عند الخلافة منذ " السبئية " .

عقائد " العباسية " :

ان " العباسية " في عقائدهم لم يخرجوا عن بقية الكيسانية الا في

القول بأن أبا هاشم أوصى بالامامة للعباسيين ، وقد قالوا أيضا بتسرك

الفرائض وقالوا ، الدين معرفة الامام وأداء الأمانة ، وقد استتاب ابي

جعفر المنصور " الروندية " فرجع بعضهم ، وقتل الذين أصروا على عقيدتهم .^٢

٤- الجناحية أو المعاوية :

سميت هذه الفرقة " بالجناحية " نسبة الى زعيمهم " عبدالله بن

معاوية بن عبدالله ابن جعفر بن ابي طالب " (- ١٢٩) ، وقد لقب حده

بالطيار أو بذى الجناحين بعد استشاده في معركة مؤتة أيام رسول الله

(ص) ، فسرى ذلك اللقب في ذريته ومنهم عبدالله بن معاوية الذي تزعم

بعض غلاة " الكيسانية " ، فسموا بالجناحية . وذكر " الأشعري القبي " أنهم

يتسمون أيضا المعاوية .^٣

١. الطبري . تاريخ الطبري ٣٧٩/٧

٢. انظر : البدء والتاريخ ، ج ٦ ، تصوير طهران ، ص ٦٠ ، ٦١ .

٣. انظر : الزينة (عبدالله سليم السامرائي) ص ٢٩٨ - ٣٠٦ .

* انظر ترجمته في : الاعلام ٣٨٢/٤

٤. انظر أحاديث غزوة مؤتة : صحيح البخاري ٤٤/٦٤ في فتح الباري ٥١٠/٧ -

٥. انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩

٦. انظر : المقالات والفرق ص ٤٢ .

لما تكون هذه الفرقة فهو جدير بالإشارة إليه ، وقد سبق القول

ان الحرية صاروا أتباعاً " لعبد الله بن معاوية " (ر . ص ٩٨ ، ٩٩) ، ويدعي كل من " النوبختي " و " الاشعري القي " أن فرقة غالبية تسمى " الحارثية " أتباع " عبد الله بن الحارث " انضمت الى " الجناحية " وأنهم هم مكونوا فرقة الجناحية " ، ويقول البغدادي ان فرقة المغيرة أتباع " المغيرة بن سعيد " (ر . ص ١١٢) قالوا بإمامة ذى الجناحين أو الوهيتة على نحو من الحلول والتناسخ في قصة مشابهة لقصة اكتشاف كذب عبد الله بن عمرو بن الحارث ، ولا يخال الباحث الا أن هناك شيئاً ما من اللبس في الأمر لاستبعاد تكرار القصة ذاتها بين الغلاة الشيعة بالذات . ولكن بالامكان القول ان " الجناحية " فرقة تكونت من عدة فرق غالبية .

أما بالنسبة لأصلحلال هذه الفرقة ، فإن فيه شيئاً ما من الغرابة ويكفي في ذلك أن بعضاً من أصحاب هذه الفرقة وقعوا في أشكال عقيدتي (ربما بعد موت ابن معاوية سنة ١٢٩) مع فرقة " العباسية " والمشكّل هو أنّ من أوصى " أبو هاشم " (- ٩٩) بالإمامة بعد وفاته ، فأفتى أحمد علمائهم ويكنى " بأبي رياح " (٢) بأن الوصية كانت لبني العباس ، فانضموا أو أكثرهم الى " الروندية " ، كما ذكر الداعي " أبو حاتم الرازي " أنه بعد فتوى " أبي رياح " أو رياح كما يسميه بقيت طائفة منهم على القول بإمامة ذى الجناحين .

١. انظر : فرق الشيعة ص ص ٤٩ ، ٥١ والمقالات والفرق ص ٤١ .
٢. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١٥ .
٣. انظر : فرق الشيعة ص ٥٠ والمقالات والفرق ص ٤٠ .
٤. انظر : الزينة (عبد الله سلم السامرائي) ص ٢٩٨ .

ان فرقا تتكون على هذه الشاكلة ثم تفترق في فترة لا تتجاوز ثلاثين عاما
لدليل واضح على الفوضى الفكرية التي كانت تسود فرق غلاة الشيعة .

والظاهر أن هذه " الفرقة " تكرر للفرق الغالية التي سبق
الحديث عنها ؛ فقد قالوا بالتناسخ والحلول الذي ينتج نبوة أو الوهيسة^١

الزعيم ، على نحو التقسيم الموصى اليه بالأسباط الأربعة (ر . ص ص ٩٥

٩٦) وقد اعتبروا أن التناسخ الذي يحدث هو الثواب والعقاب

وذلك من حيث الجسد الذي تسكنه الروح وعليه فقد ادعوا عدم فنا^٢

العالم ، كما سمح " الجناحية " لأنفسهم ارتكاب المحرم تأويل^٣

لقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا^٤

أو على أن العبد يبلغ مرحلة من المراحل يسقط عنه التكليف اذا وصل^٥

درجة الكمال والبلاغ بمعرفة الامام ، وذكر " البغدادي " ان الجناحية

يعتقدون بأنهم يوحى اليهم وبأفضلية بعضهم على الأنبياء والملائكة^٦

ويمكننا اعتبار فرقة الجناحية أول من سمي مخالفيهم " أهل الظاهر^٧

وسموا أنفسهم " بأهل العلم الباطن " ؛ رغم أن القول بالتأويل الباطني

ظهر قبل " الجناحية " عند من سبقهم من غلاة الشيعة كما تقدم

(ر . ص ص ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢)

عقائد الجناحية :

* التناسخ والحلول .

* نفي الآخرة والثواب والعقاب ، وأن لا نهاية للعالم .

١ . انظر ابو الحسن الأشعري . مقالات الاسلاميين ٦٧ / ١ ، والشهرستاني
١٥١ / ١ والفرق بين الفرق ص ٢١٥ ، والأغاني ج ٤ ٧١ / ١١

٢ . انظر المقالات والفرق ص ص ٤٢ ، ٤٣

٣ . انظر المقالات والفرق ص ٤١ ومقالات الاسلاميين ٦٧ / ١ والملل والنحل
١٥١ / ١ والفرق بين الفرق ص ٢٤٢

* المائدة ٩٣ - ٤ . انظر المقالات والفرق ص ص ٤١ ، ٤٢ ومقالات الاسلاميين
٦٧ / ١ والملل والنحل ١٥٢ / ١ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٩

٥ . انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ . ٦ . انظر : عطاء ملك الجويني (١٨١)
تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٥٢

* رفع التكليف عن من عرف الامام .

* المهدية والرجعة .

* التأويل الباطني ، وتسمية مخالفينهم على ضوء ذلك بأهل الظاهر .

٥ - فرقة غير معروفة باسم معنى عند أصحاب المقالات :

يمكن تسمية هذه الفرقة " الكيسانية الخلس " أو " المختارية ، كما سماها " الأشعري القبي " و " النويختي " .^١

ان المعلومات المتوفرة حالياً عن هذه الفرقة تنحصر في أنها ساقبت الامامة بعد " أبي هاشم " في ذرية " محمد بن الحنفية " ، وما عدا ذلك فلا ذكر لعقائد غالية دانت بها هذه الفرقة رغم أنها نسبت الى بني محمد ابن الحنفية ذاتهم - سوى ما قيل عن هودتهم الى القول بانتظار رجعة^٢ " محمد بن الحنفية " بعد موت آخر أئمتهم قبل أن يعقب .

والقول بانتظار رجعة ومهدية ابن الحنفية كما يظهر عقيدة جميع فرق

الكيسانية .

ان تسمية هذه الفرقة " بالمختارية " أو " الكيسانية الخالصة " قد

يسهل الأمر على من أراد التنقيب عن عقائدهم اذا أضاف اليهم بشكل ما عقائد^{١٥} " الهاشمية " قبل موت (أبي هاشم) .

هناك اعتقاد حول هذه الفرقة - التي يمكن اعتبارها الجذع لو تصورنا

الفرقة الكيسانية بعامة على شكل شجرة ذات فروع - وهذا الاعتقاد يرتبط مباشرة بظهور الفرقة الباطنية الشهيرة (القرامطة) ، فقد كتب

١ . انظر : المقالات والفرق ص ٣٩ و فرق الشيعة ص ٤٨
٢ . انظر : مقالات الاسلاميين ٩٤ / ١ و فرق الشيعة ص ٤٨ و المقالات والفرق
ص ص ٣٨ و ٣٩ .

" الطبري " (- ٣١٠) في حوادث سنة ٢٧٨ مؤرخا لظهور القرامطة ؛

أنه وجد في كتاب أنهم جعلوا من شخص اسمه " أحمد بن محمد بن الحنفية "

شخصا لاهوتيا على النحو الكيساني ، وقد بنى " كازانوف " على ذلك رأيه

القاتل ان الحركة القرمطية انما تطورت عن " الكيسانية " الحنفية ،

ولكن " عبدالعزيز الدوري " اعتبر ما ذكره " الطبري " حجة ضعيفة لكازانوف^٥

وذلك بزم أن في عقائد " القرامطة " عقائد تتصل " بالكيسانية " والاسماعيلية

وحتى " بالخواج " ،

ان الواجب في هذا المجال الاستناد الى ما ذكره غير " الطبري " مثل

ابن قرة الصابي " (- ٣٦٥) ، والقاضي عبد الجبار (- ٤١٥) الذي

ذكر من أمر " القرامطة " ما ذكر " الطبري " من حيث الأصل الكيساني الحنفي^{١٠}

لهم ، والذي نسب فيه الى أبي سعيد الجنابي أنه رسول " محمد بن

عبد الله ابن محمد بن الحنفية " المختفي في بعض الجبال وأنه سيظهر

سنة ثلاثمائة ، وأن أبو سعيد ظهر بهذا القول في سني ثمانين ومائتين^٣ .

وان كان هناك تقارب زمني بين قول الطبري وقول القاضي عبد الجبار

الا أن نسبة " القرامطة " الى " الكيسانية الحنفية " كان معزوا عند^{١٥}

الطبري الى " أحمد بن محمد بن الحنفية " ، الذي افتقده فيما وقعت

عليه يدي من المصادر ، وهذا يدعوى احتمال وقوع خطأ ما في الاسم أو أنه

اسم حركي مخترع .

١. انظر: تاريخ الطبري ٢٦/١٠ وأنظر : ابن قرة الصابي (- ٣٦٥) تاريخ

اخبار القرامطة ، سهيل زكار ، بيروت ، دار الامانة ، ١٣٩١ هـ ، ص ١٢-١٣

٢. انظر : عبدالعزيز الدوري ، مقدمة الترجمة العربية لكتاب : أصول

الاسماعيلية لبرنارد لويس ، ص ١٩-٢١ .

* كل ما زاد عن العقد فهو نيف أنظر: مختار الصحاح مادة نى ف ، ص ٦٨٧

٣. انظر : تثبيت دلائل النبوة ٣٧٩/٢ ، ٣٨٠ .

٤. انظر في أسماء ولد محمد بن الحنفية : هروج الذهب ١٢٣/٢ وجمهرة

أنساب العرب ص ٦٦ .

أما نسبة " القرمطة " الى " الكيسانية الحنفية " من حيث عزوها الى " محمد بن عبدالله بن محمد الحنفية وهو قول " القاضي عبدالجبار " فان له احتمال يشبه ما قيل عن " أحمد بن محمد بن الحنفية " أنفأه لأن وجود شخص بهذا الاسم يعني وجود عقب لأبي هاشم الذي هو " عبدالله بن محمد بن الحنفية " . وقد علمنا المشكلة التي تسببت في موت أبي هاشم دون أن يعقب ؛ حتى قال بعض " الكيسانية " بأنه أوصى الى أحد " بني العباس " (ر . ص ص ١٠٠ ، ١٠٦) وما يزيد من قوة الاحتمالين ظهور " القرامطة " بعد ما يقرب من مائتي عام من موت أبي هاشم .

١٠ في خاتمة الحديث عن " الكيسانية " يمكن القول : ان هذه الفرقة ظلت حيناً من الدهر - من منتصف القرن الأول الى ما بعد العقيد الثالث من القرن الثاني - متسمة بذرة الغلو الشيعي ؛ بل ومرادفة لمعناه ، وأن الكيسانية تعتبر بحق حاملة للعقائد السبئية بعد هلاك " ابن سبأ " وهذا يؤكد قول القائل ان " الكيسانية " تكونت من بقايا " السبئية " وبمنظرة شاملة على عقائد فرق الكيسانية يتضح لنا مدى صدق هذا القول الذي من الممكن اعتباره النتيجة التي توصل اليها فيما يختص بغلو الكيسانية .

عقائد السبئية والفرق الحنفية الكيسانية على ضوء الفكر اليهودي :

٢٠ ان في عقائد السبئية والكيسانية كثيراً من الجوانب التي لا يستبعد انتماءها الى الفكر اليهودي بشكل أو بآخر مثل :

١- القول بحلول الجزء الالهي في أجساد البشر . قال به السبئية (ر . ص ٥٩ ، ٦٠) والكيسانية حين ادعى " حمزة بن عمار " أن محمد بن الحنفية هو الله (ر . ص ٨٧) ، وقالت " البيانية " بحلول روح الله في

الأنبياء والأئمة (ر.ص ٩١) ، وقالت الحزبية بحلول روح الله في
النبي ثم في علي ٠٠٠ حتى صارت في عبد الله بن عمرو بن الحرب (ر.ص ٩٥)
وهذا الحلول هو الذي تطور عند بقية فرقهم الى القول بالتناسخ
كما سبق ، وكما هو حال الفرقة الجناحية (ر.ص ١٠٤) . وقد سبقت
الإشارة الى وجود ذلك من حيث مبدئه في الفكر اليهودي كما ورد في
سفر دانيال (ر.ص ٦٠) الذي نجد فيه ماله علاقة بالقول بالأكوار
والأدوار والتناسخ . وهو قول دالت به بعض الكيسانية كما ذكر آنفا .

٢- المهدي المنتقم ورجعته بعد الغيبة :

ان الرجعة في بحث السبئية والكيسانية مختلفة ، فعند السبئية
نجد أنها جعلت عليا في السماء وأنه سينزل بصفة المهدي المنتقم
من أعدائه وان لم يطلقوا عليه ذلك (ر.ص ص ٦٠ ، ٦١) والرجعة عند
" الكيسانية " ليست من السماء بل انهم جعلوا ابن الحنفية مختبئا
في " جبال رضوى " (ر.ص ٧٦) على نحو ما وسيعود مهديا لينتقم أيضا ،
وفي الفكر اليهودي نجد صيغة رجعة " علي بن أبي طالب " من السماء
على النحو السبئي : (ر.ص ٤٨٦) .

وقد تقدم ذكر نماذج أخرى من العهد القديم تعبر عن العقيدة السبئية
في رجعة علي بن أبي طالب مثل ما ورد في " سفر يوشع " و " سفر أشعيا " و
" سفر أرميا " (ر.ص ص ٦١ ، ٦٢) .

وبالنسبة لمهدية ابن الحنفية ورجعته من بين الجبال التي يظن أنها
صدى لما ورد في العهد القديم كما ذكر ذلك فلهوزن (ر.ص ٤٨٧) . وقد
تجلت صلة القرابة بين الكيسانية والفكر اليهودي في هذه النقطة صراحة
في أشعار كثير عزة (ر.ص ٨٠) وما قالت به الفرقة " الحزبية " التي اعتنقت

فكرة الأسباط الأربعة (ر. ص ٩٥ فما) وان للرجعة في الفكر اليهودي نصيب ، وهي مما أدى بهم الى القول بالتناسخ حيناً وورط ذلك بمجىء المسيح ثانياً (ر. ص ص ٢٩٢ ، ٢٩٣) .

٣- القول بالامامة والوصاية :

٥ ان القول بامامة علي بن أبي طالب وأنه وصي رسول الله (ص) عقيدة لعبد الله بن سبأ اليهودي وهو أول من قال بذلك وظهر به في "الاسلام" (ر. ص ٢٩ ، ٣٠) وقد سار على ذلك "الكيسانية" ، وظهر ذلك جلياً في أشعار "السيد الحميري" (ر. ص ص ٨١ ، ٨٢) ، وهي عقيدة جميع "الشيعة" كما هو معلوم . وان يكن هذا المتكلم لا ينسحب بالضرورة الى الزيدية .

١٠ وترتبط هذه العقيدة بالفكر اليهودي ، حيث نسب اليها ذلك منذ ظهور ابن سبأ بها (ر. ص ٦٣ ، ٦٤) كما ربطها الشعبي بهذا الفكر حين تحدث عن خصل الرافضة . وفي العهد القديم ما يؤكد صحة ما ذهب اليه الشعبي اليه من قولهم بأن الملك لا يكون الا في ذرية داود (ر. ص ٢٣٦) .

٤- التأويل الباطني :

١٥ سنرى أن التأويل الباطني من أخص عقائد الباطنيين . وقد قالت به السبئية ، على أنه العلم الخفى (ر. ص ص ٣٦ ، ٣٧) كما قالت به الكيسانية (ر. ص ص ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧) . أما عن علاقة ذلك بالفكر اليهودي فسيوضح مفصلاً في بحث التأويل الباطني (ر. ص ص ١٩٠ فما) .

٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق :

٢٠ ان هذه العقيدة ظهرت بين الكيسانية بخاصة في الفرقة "البيانية"

حسين جسد "بيان" معبوده على نحو له علاقة بالحلول (ر.ص ٩١) ،
وكان لهذه العقيدة أثرا واضحا في الفرق الباطنية التي تصور "الامامة"
على هيكل من نور يتلبس من نُصّ عليه بالامامة (ر.ص ٢٣٨) .

ان معظم اليهود يقولون بتشبيه الخالق بالخلق^١ ، وقد نفى ابن
ميمون اليهودي (٦٠٢) ذلك مستدلا بما جاء في سفر إشعياء
٥٠/١٨ ، ٢٥ ، وما جاء في سفر أرميا ١٠/٦ ؛ ولكن ما جاء في "سفر التكوين"
يوضح لنا أنهم شبهوا الله بالخلق ، والقصة كما يأتي :-

فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلع الفجر
ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه وانخلع حلق
فخذ يعقوب في مصارعة معه وقال اطلقني لأنه قد
طلع الفجر قال لا أطلقك ان لم تباركني فقال ما اسمك
فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل
اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل
يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي
وباركه هناك .

فدعا يعقوب اسم المكان فنثيل قائلا لأنني نظرت
الله وجهها لوجه ونجيت نفسي .^٣

١. انظر : الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢
٢. انظر ترجمته في : مقدمة دلالة الحائرین . حسين آتای ، ص XII
٣. انظر : دلالة الحائرین . تحقيق حسين آتای ، أنقره ، مطبعة
جامعة أنقره ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٦
٤. سفر التكوين ٢٤/٣٢ - ٣٠

٦- القول بجواز البداء على الله :

ان عقيدة " البداء " تعني أن يظهر لله صواب على خلاف ما أراد وحكم وهو البداء في العلم ، أو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعده بخلاف ذلك وهو البداء في الأمر . وقد كتب " علي سامي النشار " نبذة عن ذلك .^١

وقد نسبت هذه العقيدة الى المختار بن أبي عبيد الثقفي فـ في أصلها (ر. ص ٧٥) والذي يظهر أن هذه العقيدة مما اختص به غلاة الشيعة عموماً وأما أهل السنة فليس في عقيدتهم مثل ذلك .

وقد أورد المستشرق اليهودي " فريدلاندر " أن بعض اليهود يفضلون القول بالبداء ، ولم يدفع الكاتب المذكور هذه الدعوى ولم يرفضها ،^٢ مما يدل على أن هناك شيئاً ما من ذلك في الفكر اليهودي ، مع العلم أن " الشهرستاني " ذكر أنهم لا يجيزون هذا القول .^٣

ثالثاً : الغلاة ذوي النزعة الفاطمية :

١- الغلاة الحسنيون : وهم الذين غلوا في ذرية " الحسن بن

علي بن أبي طالب " وقد اشتهرت منهم فرقة واحدة ، هي :

١٥ المغيرية :

ان فرقة " المغيرية " دعت فيما دعت الى امامة " محمد بن عبد الله بن

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب " الشهير بالنفس الزكية

(- ١٤٥) ، وأحسب أن " المغيرية " هم الوحيدون بين غلاة الشيعة

١. انظر : التفكير الفلسفي في الاسلام ط ٧ ص ص ٥٧ ، ٥٨
٢. انظر مقالة فريدلاندر في : ٢٢ م. xxix JAOS VOL :
٣. انظر : الملل والنحل ٢/ ٢١١
* انظر : ترجمته في : الاعلام ٧/ ٩٠

في القول بامامة " النفس الزكية " ، ولكن " ابن حزم " ذكر أن طائفة من الفرقة الغالية " المنصورية " (ر. ص ١١٧ فما) قالت بامامة " النفس الزكية " أيضا .^١

سبقت الإشارة إلى أن " المغيرة " تفرعت عن الفرقة الجناحية كما يقول البغدادي (ر. ص ١٠٤) ، وهو أيضا قول " الأشعري القسبي " ،^٥ الذي أضاف إلى " المغيرة بن سعيد " - صاحب هذه الفرقة - القول بامامة " أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين " ،^{*} الباقر (- ١١٤) ، وأن " الباقر " أوصى إلى " المغيرة " حتى خرج المهدي " النفس الزكية " ،^٢ وعلى ذلك يمكن القول أن هذه الفرقة تقلبت في غلوها بين شعب الخلافة الثلاث ، فقد كان " المغيرة " كيسانيا حينما كان " جناحيا " و " الجناحية " كيسانية في أصلها ،^{١٠} كما كانت " حسنية " حين قالت بمهدية " النفس الزكية " . وقالت أيضا بامامة " الباقر " ، وهي هنا " حسينية " الغلو .

وإذا عدنا إلى النص المنقول عن " جعفر بن محمد " (ر. ص ٨٦ ، ٢٨)

فاننا نجد " المغيرة بن سعيد " أول السبعة الذين لعنهم لكذبهم

عليه ، وهذا يعني أن المغيرة هذا كان إحدى الشخصيات ذات الدور^{١٥} الواضح في الغلو الشيعي . وقد قيل في " المغيرة " أنه كان من موالي " خالد بن عبدالله القسري " ، الذي قتله وصلبه ، أو أحرقه فيمن أحرق مع " بيان النهدي " (ر. ص ٨٨) في ستة نفر أو سبعة في سنة ١١٩ . أن عدد القتلى هؤلاء قد يستدل منه على أن الفرق الغالية الشيعية لم تكن

١. انظر : الفصل ١٨٦/٤

* انظر : النويختي . فرق الشيعة ص ٧٣

٢. انظر المقالات والطرق ص ص ٤٣ ، ٧٧ وكذا النويختي ٧٥

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٧٧ والمطل والنحل ١٧٦/١

٤. انظر : تاريخ الطبري ١٢٩/٧

تتكون الا من أفراد قلائل ؛ ولكن في ذلك من هذا الوجه - على الأقل -
 شيئاً من عدم الدقة ؛ لأن " الفرقة المغيرية " ليست هي كل من أبسار^١
 " القسري " ؛ بل ان " المغيرية " استمرت بعد " المغيرة " ؛ فاختلفوا
 عقدياً ؛ فمنهم من قال برجعة المغيرة ؛ ومنهم من قال بأمامة ابنه " عبد الله
 بن المغيرة " ؛ ومنهم من استمر على مقالة المغيرة^٢ ، وهذا بالإضافة
 الى كونه دليل على عدم قلة عددهم ؛ فانه أيضاً دليل على غرابة أمر غلاة
 الشيعة .

عقائد المغيرية :

ظهرت في هذه الفرقة من العقائد الغالية الشيء الكثير ، وهذه
 العقائد وان تميزت بوجود الجديد فيها ؛ الا أنها في معظمها لم تخرج
 كثيراً عن ما تقدم من عقائد " الكيسانية " ذات الأصل السبئي . وأشهر
 تلك العقائد :

- * ادعاء " المغيرة بن سعيد " النبوة .
- * تجسيم الذات الالهية .
- * ايمان " المغيرة " بقدرة النجوم وتأثيرها لذا فقد ادعى القدرة على
 احياء الأموات بالسحر .
- * التأويل الباطني ؛ وهذا مشهور عنهم من تفسيرهم " للأمانة " في قوله
 تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض)^{*} بأنها ؛ منع علي
 من الامامة .

١. انظر : الفصل ١٨٤ / ٤
 ٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٤ والمل والنحل ١٧٧ / ١
 ٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٧ و فرق الشيعة ص ٥٦ ، ٧٥ ،
 ومقالات الاسلاميين ١ / ٧٠ ، ٧١ والمل والنحل ١ / ١٧٧ ، ١٧٨ وتاريخ
 الطبري ١٢٨ / ٧ والكامل لابن الأثير ٢٠٩ / ٥ والفصل ١٨٤ / ٤ .

* الأحزاب ٧٢

* وقوفهم من الرجعة والكرات موقفاً حيادياً ، وهذا غريب منهم باعتبارهم

فرقة شيعية غالية ، ولكن المغيرة كان يقول بالتناسخ .

* قولهم بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع .

عقائد المغيرة على ضوء الفكر اليهودي :

٥ تجسيم الذات الالهية-الذى قال به المغيرة-نسب الى اليهود كما
تقدم الحديث (ر.ص ١١١) .

الايمان بالقدرة السحرية على احياء الموتى ، التي كان المغيرة يدعيها
موجودة بجلاء في الفكر اليهودي ، وهو ما يعتقده " حاخامات اليهود " على نفس الطريقة :

١٠ جاء في التلمود (سنهدين ص ٢ فما) أن أحد مؤسسي
ديانة التلمود كان بإمكانه أن يخلق [كذا] رجلاً بعد
أن يقتل آخر .

وكان يخلق [كذا] كل ليلة رجلاً عمره ثلاث سنوات
بمساعدة حاخام آخر وكانا يأكلان منه معا .

١٥ وكان أحد الحاخامات أيضا يحيل القرع والشمع
الى غزلان ومعيز (سنهدين ص ٧٠) .

التأويل الباطني : ان التأويل الباطني مما سبقت نبذة عنه في هذا المجال

(ر.ص ١١٠) وسيأتي الحديث عنه تفصيلاً في الباب الخاص بعقائد

الباطنيين (ر.ص ١٨٠ فم) .

٢٠ قول المغيرة بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، مما عزاه

١. الكنز المعبود في قواعد التلمود ، ط ٢ ، بيروت ، ١٣٨٨ ، ص
ص ٥٦ ، ٥٧ .

"لويس" الى فرقة "العیسویة" اليهودیة التي ظهرت أيام عبدالمملک
ابن مروان (تولى الخلافة من ٦٥ - ٨٦) . وكانت " العیسویة " تقول
بصدق نبوة محمد (ص) وعيسى (عليه السلام) بالنسبة لوطنیهما
وشعییهما اللذین ظهرا فیما ؛ واعتبر " لويس " ذلك نواة لما تطور عند
الباطنيين - بعد ذلك - وسماه شمولیة العقيدة .
٥

وتحدث " الشهرستاني " عن الفرقة اليهودیة " العیسویة " المفسومة
الى " أبي عيسى اسحق بن یعقوب الاصفهاني ؛ أو " عوفید الوهمی ای غابد
الله ؛ فذكر أنه ؛

كان فی زمن المنصور [العباسي الذي تولى الخلافة
من ١٣٦ - ١٥٨] ، وابتدأ دعوته فی زمن آخر ملوک بنی
أمیة مروان بن محمد الحمار [تولى الخلافة من ١٢٧ -
١٣٢] ، فاتبعه بشر كثير من اليهود
١٠

زعم أبو عيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر .
وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا
بعد واحد . وزعم ان الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص
بنی اسرائيل من أيدي العاصين والملوك الظالمين . وزعم
ان المسيح [ربما يعني المنتظر] أفضل ولد آدم ، وأنه
أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ، وأنه هو رسوله فهو
أفضل الكل .
١٥

* انظر ذلك في: الاعلام ٣١٢/٤
** انظر: الاعلام ٢٥٩/٤
*** انظر: الاعلام ٩٦/٨ و ٩٧ .
١. انظر: أصول الاسماعيلية ص ١٩٤
٢. الملل والنحل ٢١٥/٢ و ٢١٦

وعلى ضوء ما ذكر " الشهرستاني " فإن عصر الفرقة العيسوية ليس في أواخر القرن الأول كما ذكر " لويس " بل في أوائل القرن الثاني بين الدولتين الأموية والعباسية ، وفي هذا مقال . ومن ناحية أخرى فإن ما ذهب إليه " لويس " من اعتباره دعوى " العيسوية " في عيسى ومحمد (ص) بداية للقول بشمولية العقيدة ، كل ذلك يكاد يكون بعيدا . وان ما يمكن للباحث قوله هو : أن شيئا ما قد يقع بين تفكير " المغيرية " وما ذهب إليه " العيسوية " ، ويحتمل أن تكون دعوى " شمولية العقيدة " مما شجع اليهود على انتشاره ليظلوا متميزين بين غيرهم ، ولكن على نحو آخر له علاقة تشبه ما قيل عن : " بروتوكولات حكماء صهيون " وأمثاله وهو بحث يحتاج إلى دقة أكثر كي يقال فيه رأي .

وعلى العموم فإن " المغيرية " - سواء من حيث كونها كيسانية حنيفية أم حسنية أم حسينية - لم تعتمد في عقائدها عن الأصل السبئي أو المنهج السبئي للخلو كثيرا .

ب - الغلاة الحسينيون :

هم الشيعة الذين غلوا في الأئمة من ذرية " الحسين بن علي بن أبي طالب " ، وهؤلاء يمكن اعتبارهم - منذ النظرة الأولى - البعد التاريخي للفرق الباطنية على هذا الأساس . وأشهر فرقهم :

١ - المنصورية :

ظهرت هذه الفرقة كما سيأتي بعد وفاة " أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين " الباقر (- ١١٤) إذ زعم مؤسس هذا الفرقة ، " أبو منصور العجلي " أنه الامام بعد " الباقر " على سبيل التفويض والوصية ، وكان " أبو منصور "

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٦ و فرق الشيعة ص ٥٤ و مقالات الإسلاميين ٧٤ / ١ و ٧٥

١. يلقب " بالكسف " اثر مخاصمة بينه وبين نظرائه في الخلو " بالمخيرية " فاول على نفسه الآية الكريمة " (وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم) ، كما لقب أيضا " بالخنق " لأمره أتباعه باغتيال مخالفهم خنقا وسمه " الجهاد الخفي " ، وذكر " ابن حزم " سبب ذلك نقلا عن " هشام بن الحكم الرافضي " في كتابه " الميزان " ، وهو أن " المنصورة " و " المخيرية " :

لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه ، فهم يقتلون الناس بالخنق والحجارة .

يمكن بعد ذلك القول أن : المنصورة ممن قال بأن ظهور القائم المنتظر هو اعلان لظهور دولتهم ، و اعلان للجهاد ضد مخالفهم ، ولذلك ١٠ علاقة بما يوجد في عقائد بعض الغلاة أمثال " جابر الجعفي " (- ١٢٨) الذي ذكر سفيان بن عيينه (- ١٩٨) تفسيراً غالياً للآية (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) . بأنهم ينتظرون منادياً ينادى من السماء ان اخرجوا مع فلان ونسب ذلك التأويل الباطني الى جابر المذكور ، وقد سبق الحديث عن " حمزة بن عمار البربري " الذي ينتظر سبعة أسباب ١٥ من السماء ليملك الأرض (ر. ص ٨٧) ، ولكل ذلك علاقة بفكرة القائم المنتظر المنتقم ؛ السبئية الأصل (ر. ص ٦١) وهذا مما له علاقة وثيقة بما قالت به الباطنية من أن القائم السابع رمز على الدعامنة

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٨

* السطور ٤٤

** انظر ترجمته في الاعلام ٩٣/٢

*** انظر ترجمته في الاعلام ١٥٩/٣

**** سورة يوسف ٨٠

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ و فرق الشيعة ص ٥٤

٣. الفصل ١٨٥/٤

٤. انظر : صحيح مسلم بشرح النووي . القاهرة ، المطبعة المصرية ومكتبتها ،

د . ت . ص ١٠٢ و ١٠٣

السابعة من دعائم الاسلام وهي الجهاد^١ . ومن رأي
" المنصورية " هذا بذاته يمكن القول ان العمل في الخفاء ظهر على
يد هذه الفرقة اول ما ظهر عند الخلافة حتى صار رمزا للعقيدة
الباطنية .

ولكن لقب الخنق الذي اقترن " بأبي منصور " وفرقه ، اقترن كذلك
بمقتل " ابن ابي منصور " وخليفته من بعده " الحسين بن ابي منصور "^٢
الذي قتله أحد الولاة وكان يلقب " بالخنق " أيضا ، فهل في ذلك
التباس أم مجرد مصادفة .

وبالعودة الى انتماء هذه الفرقة الشيعية الخالية فان من
الصواب الاشارة الى أنها لم تكن حسينية تماما ، بل ان فرقة منهم قالت
بعد وفاة أبي منصور (- ١٢٥) بامامة " النفس الزكية " وأنه اسلم^٣
صامت . وربما كان هذا أول قول بالامام الصامت .

ان " المنصورية " ظهرت بعقائد غالية كان بعضها معروفا
لدى من سبقها من الخلافة ، كما قالت بعقائد غالية أخرى لم تعرف
من قبل .

ففي الامامة مثلا ، قال أبو منصور :

٤ .
آل محمد هم السماء والشيعه هم الأرض .

١ . انظر : القاضي النعمان . دعائم الاسلام ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف
فيضي ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩ ، ص ٢

٢ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤
* انظر في هذا التاريخ : لويس ص ٩٥
٣ . انظر : المقالات والفرق ص ٤٨ والفصل ١٨٦ / ٤
٤ . المقالات والفرق ص ٤٨ وانظر أيضا : مقالات الاسلاميين ١ / ٧٤

ان " ابا منصور العجلي " بعد أن ادعى الامامة بعد أبي جعفر
 " الباقي " بالوصاية والتفويض ؛ بدأ يخلط - كمادة زعماء الفرق
 الخالية حيثئذ - بين النبوة والرسالة والامامة ؛ فقال :

كان علي بن أبي طالب نبيا رسولا وكذلك الحسن
 والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا
 بعدهم نبي ورسول ، والنبوة والرسالة في ستة
 من ولدي يكون بعدي آخرهم المهدي القائم .

يلاحظ على النص وهو " للأشعري القمي " أن عبارة (يكون بعدي)
 غريبة وقد لا تنسجم مع ما قبلها وما بعدها ، ولذلك لابد من الإشارة أن العبارة
 وردت عند " النوبختي " هكذا (يكونون بعدي أنبياء) وهذا يرجح
 احتمال خطأ في نسخ النسخة الوحيدة لكتاب " الأشعري القمي " .

ومن ناحية أخرى فإن ما ذكره " الأشعري القمي " و " النوبختي " مؤيد
 بملاحظة معسوبة " لابن فقيه " [؟] ذكرها " دي جويه " ونقلها
 عنه " فريد لندر " ، وهذه الملاحظة تقول : ان أبا منصور ؛

كان يتولى سبعة أنبياء من بني قريش [كذا] وسبعة من بني عجل .
 ان ما نقل عن ابن فقيه ، قد يختلف عن نص النوبختي والأشعري
 القمي في نقطة هي أن قول أبي منصور بسبعة أنبياء من قريش لا يتأتى
 الا بإضافة سيدنا محمد (ص) ومحمد بن الحنفية ، وهو احتمال قد لا يحتاج

١. المقالات والفرق ص ٤٧ وانظر أيضا " النوبختي " ص ٥٤
 * الشخص غير معروف عندي وانظر في الاعلام ٥٥/٤ ترجمة عن من ورد فيه
 بهذه الكنية وهو : ابن فقيه نفسه (١٠٢١) ، واسمه : عبد الباقي
 بن عبد الباقي بن عبد القادر .

٢. انظر مقالة فريد لندر في : JAOS vol. xx م. ٨٩

اليه ، لأننا بصدد دعوى جاء بها " أبو منصور " فحواها أن هناك سبعة
أنبياء من بني عجل : أولهم " أبو منصور " وآخرهم " المهدي القائم " .

أضاف بعض أصحاب المقالات الى " أبي منصور " زعما آخر ؛ وهو :

ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه يعنى نفسه

بالتأويل ، وأن منزلته من رسول الله منزلة يوشع

بن نون من موسى بن عمران ، وأنه الذي يقيم الأمر بعده .

قد يتطرق الشك الى صحة هذا النص لمصادمته ما ورد آنفا من قول

أبي منصور بنبوة " علي بن أبي طالب " ومن بعده من ولده فلا يعقل أن يعتقد

في هذا العدد من الأنبياء ؛ ثم يعتبر نفسه الزميل الثاني لمن بينه وبينه ما يقرب

من قرنين من الزمان ، وعليه فاحتمال أن أبا منصور لم يعن نفسه بقدر ما عنى

علي بن أبي طالب قائم ، وأقول هذا عطفًا على ما في النص من دلائل ، وإضافة

الى وجود تلك العقيدة من قبل لدى الخلافة .

وقد يكون مغزى ما ذهب اليه " أبو منصور العجلي " مما يتعلق بالحوال

الذي يعتبر روح الله حالة في شخص ثم في شخص آخر بعد موت الأول (رءص

٢٣٩) وبذلك يكون وصفه لنفسه بأنه مبعوث بالتأويل على هذا الأساس

الذي قد يكون له علاقة بما قالت به الباطنية من عدم انقطاع الامامة لأنها

تنتقل من شخص لآخر ولذلك لن نستغرب ما قال به أبو منصور من أن :

٢

رسل الله لا تنقطع أبدًا .

وذلك بمعنى التأويل وليس بمعنى التنزيل .

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ و فرق الشيعة ص ٥٤
٢. مقالات الاسلاميين ٧٥/١ وانظر : الفصل ١٨٥/٤ و الثقة الاثني عشرية ص ١١

ونقل أن "أبا منصور" زعم أنه عرج به إلى السماء ، وأنه قابل ربه ورسب عليه وقال له " بالفارسية " أو " السريانية " : يا بني بلغ عني .

وقالت " المنصورية " بالتأويل الباطني ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك

في تفسيرهم لكلمة " الكسف " ، كما أولت هذه الفرقة الجنة ، بأنها

رجل أمروا بمولاته وهو امام الوقت والنار آخرهم أمروا بمعاداته وهو خصم

الامام . وكذا الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك

أولوها إلى رجال حرم الله مولاتهم ، فاستحلوا المحارم وأسقطوا الفرائض

واستدل أبو منصور في ذلك بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا

الصالحات جناح فيما طعموا) * وذكر " الشهرستاني " مقصودهم من ذلك

التأويل ، ما يمكن أن يلخصه الباحث بأرجاع القاري الكريم إلى ما ذكرته

الفلاة بأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء (ر ، ص ٨٧) .

وليس بعيدا أن تكون المنصورية موجودة بشكل أو بآخر حتى سنة

١٦٠ أو ما بعدها لأن " عمر الخناق " الذي قتل " الحسن بن أبي منصور "

كان في زمن " أبي جعفر المنصور " (- ١٥٨) وفي رواية أخرى أن قتل

الحسن المذكور كان على عهد الخليفة المهدي بن أبي جعفر (- ١٦٩) .

عقائد المنصورية :

على ضوء ما سبق يمكن تلخيص عقائد أبي منصور وفرقته على النحو التالي :

* ادعائه الرسالة والنبوة والامامة .

١. انظر فرق الشيعة ص ٥٤ والمقالات والفرق ص ٤٦ والفرق بين الفرق ص ٢٣٤ والملل والنحل ١/ ١٧٩

* المائدة ٩٣

** انظر ترجمته في: الاعلام ٧/ ٩١

٢. انظر: الملل والنحل ١/ ١٧٩ وانظر ايضا: مقالات الاسلاميين ١/ ٧٥ والفصل ١٨٥/٤

٣. انظر: المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤ والفرق بين الفرق ص ٢٣٥ والفصل ٨٩/١ والملل والنحل ١/ ١٧٩ .

* القول بسبعة أنبياء أو أئمة آخرهم المهدي القائم .

* القول بالامام الصامت والامام الناطق .

* القول بالاستيداع في الامامة .

* القول بعدم انقطاع الرسل والرسالات .

* القول بالتأويل الباطني .

* تجسيد الله وادعاء أبي منصور أنه قابل معبوده وأنه ربت على رأسه .

وناداه بالأبوة .

* اغتيال الخصم سراحتي يظهر القائم المنتظر .

الفكر اليهودي في عقائد " المنصورية " :

١٠ حيث ان معظم عقائد " المنصورية " مما سبق الحديث عنه في فرق الخلافة الشيعية من حيث علاقتها بالفكر اليهودي ، فان لبعض العقائد التي ظهر بها علاقة ما بالفكر اليهودي من ذلك مثلا :

* قوله بالتسبيح وقد سبق الحديث عن ذلك في فرق الراوندية والعباسية (ر.ص ١٠٠) وسيأتي تفصيل له في عقائد الفرق الباطنية (ر.ص ١٩٩ فما)

١٥ * وقولهم باغتيال الأخصام سرايس من الأساليب الاسلامية في نشر الدعوة فهو لم يؤثر في عقيدتنا ، وما ذكر من ذلك حول مقاتل بعض أفراد من اليهود في المدينة على عهد رسول الله (ص) انما حدثت بعد حرب بين المسلمين واليهود ، لجأ فيها اليهود الى الخيانة والمؤامرة للنيل من الاسلام ولم يكف شرهم الا بعد قتل الطلائع التي كانت تتزعم تلك الطريقة .

٢٠ واسلوب الاغتيال للأخصام قد يوجد في أي بيئة تظهر فيها دعوى جديدة ، الا أن اليهود كما هو معروف يتعاطون هذا الأسلوب حسب عقائدهم الخفية وله طقوس تتعلق بعباداتهم ، كما تفصله حادثة مقتل

القس ثوما^١

- * زعم أبي منصور أنه عرج به الى السماء في قصة تشبه ما نسب الى الفرقة اليهودية " العيسوية " التي ادعى مؤسسها " أبوهيسى الاصفهانى " نفس هذه الدعوى ، كما تقدم ذلك من قول الشهرستاني (ر . ص ١١٦)^٢ وكما نقل " فريد لاندر " عن " المقرئى " ونبه الاول الى وجود تشابهه أو علاقة ما بين الفرق اليهودية التي تكونت تحت السلطة العربية^٣ على حد قوله . وبين الفرق الاسلامية ؛ وخاصة الشيعية منها . ان عبارة فريد لاندر قد لا توحى بأي معنى ؛ الا أن يكون قصد وجود تأثير من الخلافة وخاصة الفرقة المنصورية في الفرق اليهودية التي ظهرت حيثئذ ، وهذا عكس الصورة التي كانت معروفة وهي الوجود اليهودي في الفرق الباطنية . وهذا لا يعني عدم صحة الاحتمال الجديد فالفرقة اليهودية العيسوية كانت معاصرة تقريبا للمنصورية بل كانت المنصورية سابقة لها ؛ لأنها ظهرت بعد وفاة " الباقر " (- ١١٤) بينما ظهرت " العيسوية " أيام مروان بن محمد الشهير بالحمار الذي تولى زمام الحكم (سنة ١٢٧) أى بعد وفاة أبي منصور العجلي (- ١٢٥) ، ولكن توافق المنصورية مع " العيسوية " في هذه النقطة الخاصة بالعروج الى السماء وما الى ذلك ، وفي مسألة أخرى هي قول أبي منصور بسبعة أنبياء من بني عجل آخرهم المهدي القائم (ر . ص ١٢٠) وقول أبي عيسى الاصفهانى بظهور خمسة من الرسل قبل مسيحه المنتظر . وإذا اعتبر أبوعيسى اليهودي الرسل الخمسة غيره ؛ فإنه يكون بهم ستة والسابع هو المسيح ، أما اذا اعتبر نفسه أحد الخمسة

١. انظر ما كتب عن الحادثة بالتفصيل في كتاب الكنز المرصود ص ص ١١١ -

٢١٨ .

٢. انظر: دائرة المعارف اليهودية العامة *UJLEJ (Isfahani, Abu Isa)* p. 607

٣. انظر مقالته : *JAOS, ٤٠ x x ١ x p. 90*

فيكون المسيح المنتظر هو السادس . وفي كلا الحالتين فالتقارب واضح جدا بين " المنصورية " و " العيسوية " وهذا يجعل الباحث في حاجة ماسة الى الانتظار كي يصدر حكما في هذه المسألة .

ب - الخطابية :

- فرقة ظهرت أيام أبي عبدالله جعفر بن محمد " الصادق " (١٤٨ -) وسميت بالخطابية نسبة الى زعيمها : أبي الخطاب بن أبي زينب^١ وهو : محمد بن مقلص بن أبي زينب الأجدع البراد^٢ ، عبد بني أسد ، كما نسبته جعفر بن محمد نفسه . وقد كني " أبو الخطاب " أيضا بأبي الطبيان وأبي اسماعيل^٣ ، ولكنية الأخيرة أبعاد عدة تتعلق بنشأة الاسماعيلية فليلاحظ ذلك من الآن . وذكر الأشعري القمي أن " الخطابية " أو فرقة منهم يسمون بالخمس لقلوبهم بظهور الله عزوجل في خمسة أشباح هم : محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين .^٤

سبقت الإشارة الى أن " جعفر بن محمد " لعن أبا الخطاب بين السبعة

الذين لهم (ر.هـ ٢٨)^٥

- ولكن تاريخ أبي الخطاب " كان قبل لعن " جعفر " له كما يرى الباطنيون وغيرهم .^{١٥} فقد :

كان أبو الخطاب في عصر جعفر بن محمد (ص) من أجل

دعائه ، فأصابه ما أصاب المغيرة [يعني صاحب فرقة المغيرة]

فكفر وادعى النبوة ، وزعم أن جعفر بن محمد اله .

* انظر: ترجمته في الاعلام ١٢١/٢

١. انظر: مقالات الاسلاميين ٧٦/١

٢. انظر: المقالات والفرق ص ٥٥

٣. انظر: رجال الكشي ص ١٨٧

٤. انظر: المقالات والفرق ص ٥٦

٥. القاضي النعمان بن حيون المغربي (داعي الدعاة) (٣٦٣ -) . دعائم الاسلام ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف فيضى ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩ هـ ص ٤٩ وانظر ايضا : الملل والنحل ١٧٩/١

وانا صدق هذا الوصف لحالة أبي الخطاب ، فانه يكرر لنا شخصية

"عبدالله بن سبأ اليهودي" ، حين كان يتقرب الى أمير المؤمنين علي في

الوقت الذي كان ينشر الخلو ، كما ذكر ذلك عنه القاضي عبد الجبار (ر . ص

٣٢) والبخداوي (ر . ص ص ٣٣ ، ٣٤) ، والذي ذهب الباحث اليه

بنفسه يتضح في رواية " الكشي " عن أبي عبدالله جعفر بن محمد : اننا

أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ٠٠٠ (ر . ص ٢٨) ، وذكر

سلسلة من الكذابين بدءاً بميلمة فابن سبأ وانتهاء " بأبي الخطاب " .

ان " ميلمة " وان كان أول الكذابين شهرة ، الا أنه لم يكن على الصورة

المخادعة التي ظهر " ابن سبأ " بها فقد كان مقيماً باليمامة ، فادعى النبوة

وأرسل خطاباً بذلك الى النبي (ص) بدأه بقوله :

١ .
من ميلمة رسول الله الى محمد رسول الله ٠٠٠

ان ميلمة وان وفد الى " المدينة المنورة " فانه لم يكن برغبة صحبة

النبي (ص) ليكذب عليه ، بل انه قدم اليها ليفاض رسول الله (ص) على أن يكون

٢ .
الأمير له بعده .

١٥ أما " عبدالله بن سبأ " فقد اندس بين المسلمين على أنه واحد منهم ، وليحيك

في الظلام أمراً مبيتاً ، وكذا فان " أبا الخطاب " وأمثاله ظهروا من خلال

دعوى مشايحة أهل البيت النبوي والدعوة اليهم ، فخيروا في الاسلام وبدلوا

وقدموا ديناً جديداً على أنه الاسلام كذباً وزوراً ، فهل كان أبو الخطاب قسازاً

ليد مجهولة أم أنه شخصية تفكرت بهذا الاسم ؟

١ . يراجع كتاب ميلمة في: أبي داود ، ك ١٥ ب ١٥٤ وانظره أيضاً في تاريخ الطبري ١٤٦/٢ .

٢ . انظر الأحاديث عن ذلك في صحيح البخاري ، في فتح الباري ج ٦ ، ك ٦١ ب ٢٥ ح ٣٦٢٠ و ج ٨ ك ٦٤ ب ٧٠ ح ٤٣٧٣ ص ٨٩ و ص ٩١

وعلى ذلك فلا غرابة اذا قيل ان أبا الخطاب ادعى : —

ان جعفر جعله قيمه ووصيه من بعده وأنه علمه اسم
الله الأعظم . . . [كما ادعى أيضا] أنه جعفر بن محمد
وأنه يتصور في أي صورة شاء ، وذكر بعض (الخطابية
ان رجلا سأل) جعفر بن محمد عن مسألة وهو
بالمدينة فأجابها فيها ثم انصرف الى الكوفة سأل [كذا]
أبا الخطاب عنها فقال له : أولم تسألني عن هذه المسألة
في المدينة فأجبتك فيها ؟ .

وقد أجرى " علي سامي النشار " دراسة حول تناقض وجده بين ما ادعاه
" أبو الخطاب " من صحبة " جعفر " ثم تأليه له ، الأمر الذي شككته
فيما اجتمعت عليه المصادر السنية والشيعة على حد قوله فيما أسماه
بأساطير حول الرجل — أبي الخطاب — . وقامت النشار دراسته الى القول
بأن أبا الخطاب بريء من آراء الفرقة الخطابية .^٢

ولكن الأمر يبدو على غير ذلك تماما اذا درس من زاوية أخرى ، أكثر
موضوعية ، وهذا يتطلب الوقوف على المصادر " النصيرية " التي رغم
الخرافات المسيطرة عليها فاننا نستطيع من خلال تبجيلها لأبي الخطاب أن نستشف
ما كان عليه هذا الرجل من الغلو الذي أجمعت عليه مصادر السنيين ،
والشيعة بالإضافة الى النصيريين ، ورغم ذلك فليست الفرقة " الخطابية "
بمنأى عن عقائد غالية نسبت الى أبي الخطاب . وفوق ذلك فليس أبو
الخطاب شخصا طارئا بغلوه ، بل هو حلقة في سلسلة الخلافة . والعقائد
التي جاء بها أو نسبت اليه ليست شيئا جديدا على هذه الطائفة .

* ما بين القوسين زيادة من المحقق .

١. المقالات والفرق ص ٥١

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي ٢٣٤ / ٢ — ٢٤٣

وفي مرجع " نصيري " نجد حديثاً مقترناً بالاعجاب بأبي الخطاب
والحديث تأكيد لظهور أبي الخطاب بدعوى غالية ، وهو كما يلي : -
اليوم الذي نصب فيه " جعفر " محمد الزينبي " وأقامه
للناس علماً وقال من كنت وليه فمحمد وليه . . .

و قال " محمد بن سنان " سألت عن اليوم الذي
أظهر فيه أبو الخطاب الدعوة بدار الرزق فقتل . فقال
ذلك يوم عظيم .

ان دعوة أبي الخطاب التي أظهرها في " دار الرزق " فقتل من أجلها
هي غلوه في أبي عبد الله جعفر بن محمد بادعائه الألوهية فيه وادعائه
النبوة والرسالة لنفسه ، وقد ذكر الأشعري القمي القصة بالتفصيل ووضع
١٠ ان ظهوره بهذه الدعوى كان في " مسجد الكوفة " وأن " دار الرزق " كانت
المكان الذي قتل فيه أبو الخطاب وصب على يد " موسى بن عيسى " عامل
أبي جعفر المنصور على الكوفة .^٢

الفرق الخطابية :

الغالب في فرق غلاة الشيعة أنها لا تتفتت الا بموت زعيمها ، أو الامام
الذي تنتسب اليه ، وقد شذت عن هذه القاعدة بعض الفرق ، من ذلك
ما كان من أمر " الخطابية " التي قيل أن تفرق أصحابها كان بعد لعن جعفر
أبا الخطاب ولعنهم وتبرأ منه ومنهم ، وقيل في تفرقهم أنهم أصبحوا أربع فرق
كما قيل أنهم غير ذلك . ولن نتحدث الا عن أربع فرق من الخطابية اكتفاء بما أشير
اليه .

١. مخطوطة : مجموع حقيقة حق اليقين في معرفة سر أسرار مولانا أمير
المؤمنين . مكتبة جامعة كامبرج رقم BROWNE. Ms. E2: ص ١١٨ هـ
١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
٢. انظر المقالات والفرق ص ٨١ - ٨٣ وانظر أيضاً : الزينة (عبد الله سلوم
السامرائي) ص ٢٨٩ - ٣ - انظر : المقالات والفرق ص ٥١
٣. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٦/١ والمقالات والفرق ص ٥١ والفرق بين الفرق
ط صبيح ، ص ٢٤٧ والفصل ١٨٦/٤

١- المعمرية : قالوا بامامة "مَعْمَر" بعد أبي الخطاب وعبدوه كآبي الخطاب^١
على نحو من حلول روح الله فيه بعد خروجها من جعفر الى أبي الخطاب^٢
"فمعمر" واسمه "معمر بن الأحمر" يباع الطعام .

٢- البزيعية : أو البزيعية ؛ وهم أصحاب بزيع أو بزيع بن يونس أو ابن موسى^٣ . وكان حائكا في الكوفة . وقال أتباعه فيه انه شريك أبي الخطاب^٤ في النبوة والرسالة أي زميله في ذلك ؛ مثل هارون وموسى . وهذا يذكرنا بعبارة الزميل الثاني التي ظهرت في البيئة الاسلامية على يد عبدالله بن سبأ باسم الوصي ، ومن المحتمل أن ذلك رأي كثير من الفرق الباطنية في علي بن أبي طالب .

٣- العميرية ، أو العجلية : اتباع عمير أو عمر بن بيان العجلي التبان بالكوفة ..

٤- الخطابية المطلقة : وهي الفرقة التي ثبتت على "أبي الخطاب" وأكثرت امامة من بعده ؛ وليس ببعيد أن تكون هذه الفرقة أساسا للفرق الباطنية القائمة اليوم ؛ لأننا نجد "النصيرية" تقول بآراء خطابية أو مؤيدة لأبي الخطاب . وبالنسبة للاسماعيلية فإن تكونها من الخطابية أو فلولها مما أشار اليه الأشعري القمي والنوختي وذكر الداعي أبوحاتم الرازي أن أبا الخطاب كان يقول بامامة اسماعيل ابن جعفر . وفي ذلك نظر ، وقد أكد الداعي الباطني المذكور ما ذهب اليه الأشعري القمي والنوختي .

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٨/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٥٣ والفصل ١٨٦/٤ والملل والنحل ١٨٠/١ ، والزينة (السامرائي) ص ٣٠٦
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٢ ومقالات الاسلاميين ٧٨/١ والبغدادي ط صبيح ص ٤٨ والفصل ١٨٦/٤ والملل والنحل ١٨٠/٠ والتحفة الاثني عشرية ص ١٠ . ٤. انظر : المقالات والفرق ص ٥٢
٥. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ والفصل ١٨٦/٤ والتحفة ص ١٢ والملل والنحل ١٨٠/١ - ٦. انظر الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٥٠
٧. انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨١ وفرق الشيعة ص ٨٠

وردت في كتب المقالات أسماء الفرق خطابية أخرى مثل : الخمسة
والفضلية وأصحاب السري الأقسام والميعة والعينية^١ . ولعظم هذه
الأسماء عقائد خطابية ظهرت بشكل أو بآخر في الفرق الباطنية.

قالت الفرق الخطابية :

- ٥ ان الأئمة أنبياء محدثون ، ثم قالوا : انهم رسل الله وحججه على خلقه^٢
وقالوا بالناطق والصامت ، فالناطق محمد (ص) والصامت علي ، واستدلوا
على ذلك بقوله تعالى : " ثم أرسلنا رسلنا تنرى^٣ *
ان الأئمة يعلمون ما كان وما هو كائن وان طاعتهم مفترضة على
جميع الخلق ، ثم ادعوا الوهيتهم وخاصة جعفر بن محمد ، وهذا^٤
دليل على قولهم بالحلول ، ويوضحه قولهم بظهور الله عز وجل في أصحاب
الكساء وهذا يخص فرقة الخمسة منهم (ر : ص ١٢٦) وحينما قالت
فرقة منهم بذلك ردوا عليهم بقولهم :-

كيف يكون هذا ومحمد صلوات الله عليه لم يزل مقرا أنه

عبد الله وأن الله الله واله الخلق أجمعين وهو اله واحد

وهو رب السماء والأرض والهما ، واله من فيهما لا اله

غيره ، قالوا : ان محمدا كان يوم قال هذا عبدا رسولا

وكان الذي أرسله أبو طالب ، وكان النور الذي هو الله في

عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار

في علي فهم آلهة كلهم .

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٩/١ ، والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ ،
والملل والنحل ١٨١/١ والمقالات والفرق ص ص ٥٢ ، ٥٦ وفرق الشيعة

ص ٥٨ والزينة (السامرائي) ص ٣٠٧

٢. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٦/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ ،
والملل والنحل ١٧٩/١ والتحفة الاثني عشرية ص ١٢ .

وقالوا : ان بني الحسين أو الحسن والحسين أبناء الله وأحبائه ثم
قالوا ذلك في أنفسهم ، ونسب الأشعري القمي ذلك الى فرقة منهم تولت
نبوة " السرى الأقصم " ، وهم :

زعموا ان جعفرًا هو الاسلام والاسلام هو السلام والسلام

هو الله ونحن بنوا الاسلام ، كما قالت اليهود : نحن

أبناء الله وأحبائه .

وقد قال رسول الله لسلطان : سلمان بن الاسلام .

اذا وضع مفهوم العبارات التي احتواها النص السابق في اطار

أعمق ، فانها تذكرنا بكلمة اليهود عن أنفسهم انهم (شعب الله المختار)

وبما ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن

أبناء الله وأحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق)

وقال الخطابيون : ان الدنيا لا تنفَى ، وعليه فقد اعتبروا الجنة ما يصيب

الانسان من خير ونعمة وعافية ، والنار ما يصيبه من خلاف ذلك وقد عـزـزـا

الداعي الباطني " أبو حاتم الرازي " ذلك الى جميع أصناف الفلاة . وقد

٣. انظر: المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ٧٦/١

٤. انظر المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ٧٧/١ والفرق

بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ والملل والنحل ١٧٩/١ ودعائم

الاسلام ٤٩/١ .

٥. المقالات والفرق ص ص ٥٣ ، ٥٤ وانظر فرق الشيعة ص ص ٦٠ ، ٥٩

* المائدة ١٨

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٧/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧

والملل والنحل ١٧٩/١ والتحفة الاثنى عشرية ص ١٢ والفصل ١٨٧/٤

٢. المقالات والفرق ص ٥٢ وانظر ايضا فرق الشيعة ص ٥٨

** المائدة ١٨

٣. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٨/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨

والملل والنحل ١٨٠/١

٤. انظر : الزينة (السامرائي) ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩

وجد مثل ذلك عند الباطنية واليهود (ر. ص ٣٠٠ فما) .

وقالوا بعدم موتهم واستبدلوا به البلوغ وهو العلو والارتفاع في العبا ،
فان أحدهم اذا بلغ النهاية في دينه رفع الى الملكوت، وآتوا معاينة
مرفوعهم بكرة وعشياً . وكذبت فرقة منهم هذا القول وهي الفرقة
العميرية * وقالت بالموت .
٥

وفي التأويل الباطني سارت الخطابية على ما سار عليه نظراؤهم
من الخلافة ؛ فقادهم ذلك الى استحلال الزنا والخمر وسائر المحرمات
وزعم " معمر بن الأحمر " أن كل شيء فرضه الله في القرآن وحرمه وأحلّه ؛
فانما هو رجال وتأولوا على ما استحلوا لأنفسهم قوله تعالى : (يريد الله أن
يخفف عنكم) وذكر داعي الدعاة الباطنيين القاضي النعمان (- ٣٣٦) ؛
١٠ أن الخطابين كانوا :

كلما ثقل عليهم أداء فريضة ، أتوه وقالوا : يا أبا
الخطاب خفف علينا ، فيأمرهم بتركها ، حتى تركوا
جميع الفرائض .
٥٤

وفي مثل ذلك قال كل من النوختي والأشعري القمي ؛ أنهم :
قالوا خَفَّفَ عنا بآبي الخطاب ووضع عنا الأغلال
والأصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج .
٥٥
ونجد مثل ذلك عند الفرق الباطنية (ر. ص ١٧٠، ١٧١) .

-
١. انظر مقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ، ٧٩ والفرق بين الفرق ، ط صبيح
ص ٢٤٨ والفصل ١٨٧/٤ .
 ٢. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ .
 - * النساء ٢٨
 ٣. انظر : المقالات والفرق ص ص ٥١ - ٥٣ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ،
والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨ وفرق الشيعة ص ٥٧ .
 ٤. دعائم الاسلام ١/ ٤٩ .
 ٥. فرق الشيعة ص ٥٨ وانظر أيضا : المقالات والفرق ص ٥٢ .

وفي التفسير الباطني لقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر فأردت أن أعيبها) ؛ فان الخطابيين يقولون :

ان السفينة أبو الخطاب وان المساكين أصحابه

وان الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى ، وهو الذي

قتل أبا الخطاب ، وان أبا عبد الله أراد أن يصيبنها

يلعنه ايانا في الظاهر ، وفي الباطن عنا [ربما كان

الصواب ظن] أضدادنا ومن خالفنا^١

ونذكر " الأشعري القمي " أن " جعفر بن محمد " لما سمع تلك المقالة

أكد له أنه لا يبي الخطاب نفسه فسماه ونسبه (ر. ص ١٢٥) .

ذكر " ابن حزم " ان الخطابية كثروا في الكوفة حتى تجاوز عددهم

الآلاف ، ولعل ذلك سبب بعض المشاكل من حيث احتكاكهم بسواهم

في المجتمع الكوفي ، مما حدا بزعيمهم أبي الخطاب إلى أن يحلل لهم

شهادة الزور ضد خصومهم ، وقبل مناقشة هذه الظاهرة التي عرفت عن

الخطابية لابد من ايراد النصوص التي تتحدث عن ذلك . قال أصحاب المقالة

أن الخطابية :

أباحوا الشهادات بعضهم لبعض ، وقالوا من سأل

أخوه في دينه أن يشهد له على مخالفه فليصدقه وليشهد

له بكل ما سأله وان ذلك فرض واجب عليه ، فان لم يفعل^٢

فقد ترك أعظم فريضة من فرائض الله بعد المعركة .

٤

وهم يتدينون بشهادة الزور لمواقبيهم .

١. المقالات والفرق ص ص ٥٤ ، ٥٥

٢. انظر : الفصل ١٨٢/٤

٣. المقالات والفرق ص ٥١ وأنظر ذلك في : فرق الشيعة ص ٥٧

٤. مقالات الاسلاميين ٧٨/١ وانظر : التحفة الاثني عشرية ص ١٢

١. وهم يرون شهادة الزور لموافقهم على مخالفتهم .
٢. وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور .

هناك احتمال قد يرد أمام كل من يناقش هذه الظاهرة بنزاهة ؛ وهو أن ذلك مما قد تلجأ اليه كل أقلية اجتماعية في مجتمع ما ؛ وهو ما قد يصور على أنه أسلوب غريزي للحماية تلجأ اليه هذه الأقلية . ولكننا إذا استعرضنا جماعات الخلافة لآجد فيها تلك النقيصة مع العلم أن ظروف الخلافة متقاربة زمانا ومكانا . لذا فإن هناك احتمال وجود عامل خارجي دعا الخطابية إلى القول بجواز شهادة الزور على خصوصهم .

العقائد الخطابية :

يمكننا هنا تلخيص العقائد التي قالت بها فرقة الخطابية على ما يأتي :-

- * الحلول والتناسخ .
- * اضعاء صفات فوق بشرية على الأئمة .
- * قولهم في النبوة بوجود الناطق والصامت .
- * ان أبناء الحسين أبناء الله وأحباؤه . وقولهم بذلك في أنفسهم .
- * عدم فنا الدنيا .
- * انكار الثواب والعقاب في الدار الآخرة .
- * التأويل الباطني .
- * اباحة شهادة الزور على مخالفتهم .

عقائد الخطابية على ضوء الفكر اليهودي :

بما أن أكثر عقائد الباطنية مما سبق الحديث عنها حول هذه النقطة

بين عقائد الغلاة ، فان الباحث ينظر بعين الاعتبار الى عقائد تميزت بها
الفرقة الخطابية ، في الوقت الذي وجدت فيه تلك العقائد في الفكر
اليهودي ، من ذلك :

١- قول الخطابية أنهم أبناء الله وأحباءه وقد اشير حين الحديث عن ذلك
الى ما قيل من تشبههم في ذلك بما قالته اليهود بأنهم شعب الله المختار
(ر. ص ١٣١) وتجد في التلمود :

ان نفوس اليهود مُنعم عليها بأن تكون جزءا من الله
فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر
أبيه [schefer, tal. f. 4; Schene Luch. hab. f. 262, 362
un grand nombre de rabbins].

وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولا وأعظم
شأنا عند الله من نفوس سائر شعوب الأرض ، لأن هؤلاء

تشتق نفوسهم من الشيطان .
[schefer, t. f. 4, 2; Menachem, p. 23, —
f. 226, 4.] .^١

٢- انكار الخطابية للثواب والعقاب في الدار الآخرة :

ان قول الخطابية هذا الذي ينسبه البعض الى جميع الغلاة جعلهم
يعتبرون الجنة والنار هي ما يصيب الانسان في هذه الدنيا من خير أو شر
(ر. ص ١٣١)

ان مثل هذا القول نسب الى اليهود صراحة (ر. ص ١٣٦) على
اعتبار أن التوراة في أصلها خالية من ذكر القيامة .

ولكن الملاحظ أن التلمود أشار الى النعيم والجحيم في أسلوب قد يشير
الى أنهما يقعان في دار غير الدنيا .^٢

١. بولس حنا مسعد . همجية التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي
١٩٦٩ ، ص ١٢٧
٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ص ١٣٠ ، ١٣١ والكنز المصنوع
ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

ومن ذلك يمكن القول باختلاف الأقوال في ايمان اليهود بالثواب

والعقاب في الآخرة ؛ اننا اذا رجعنا الى القرآن نجد أن الله خاطب

موسى بما خاطب به سواه من النبيين . ومن ذلك قوله تعالى : (ان الساعة

آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدك عنها من لا يؤمن

بها واتبع هواه فتردى) . وقوله تعالى مخاطبا اليهود : (أفترئون

بعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في

الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما

تعملون) . وهذا يعني أن الدين اليهودي في أصله كان يوجب الايمان

باليوم الآخر ؛ الا أنهم على ما يظهر حذفوا ذلك من عقيدتهم تحريفا لها

فبدت التوراة خالية من ذلك كما سلف القول واعتبروا الثواب والعقاب دينيين

كما هو حال الخطابية ،

ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود ، الا بعد

أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في الأرض .

... والدارس للكتب الاسرائيلية يجدها تسير مع

الفكر الذي أوضحناه آنفا ، فهي لم يرد فيها شيء

عن البعث واليوم الآخر ، وانما ورد بها حديث عن

الأرض السفلى والجب التي يهوي اليها العصاة ولا يعودون

" وأن الذي ينزل الى الهاوية لا يصعد " ويقول ARTHUR

HERIZDERG ان الكتاب المقدس نفسه يعيد

الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان ، وليس هناك

اعتقاد بعد ذلك في بعث أو جنة أو نار [Judaism, p. 205]

انظر : أحمد شلبي . اليهودية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة

المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ص ١٤٨ و ١٤٩

* سورة طه ١٥ - ١٦ ** البقرة ٨٥

... وعلى العموم فان فكرة البحث لم تجد لها
أرضا خصبة في عالم اليهود ، وقد حاول بعض
الفرسيين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت
معارضة شديدة ، أما باقي الفرق اليهودية فلم
تعرف عنها شيئا .

ولن يزيد الباحث على ما سبق الا اشارة الى أن بعض الفرق الباطنية
حين تتحدث عن القائم المنتظر تشير الى ما يؤول اليه أضدادهم حينئذ
وقولهم في ذلك بالسلسلة والعذاب الأكبر (ر. ص ٣٠١) .

٣- اباحة الخطابية شهادة الزور على مخالفهم :

سبق الحديث عن هذه الظاهرة التي انفرد بها الخطابية عن جميع
من تعرض لهم البحث من الغلاة (ر. ص ١٣٣ فما) ، ولا يستبعد أن تكون
من تأثير الفكر اليهودي على " الخطابية " ، واذا أردنا التأكد من ذلك
فعلينا بعد مراجعة النصوص التي وصفت " الخطابية " بهذه الوصمة مقارنتها
بآراء اليهود حول هذه النقطة ، فالتلمود شرع ما يأتي :-

على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض
أحد اخوانه اليهود لضرر ما .

في ختام هذا التلخيص للخطابية وعقائدها يمكن القول ان البحث تعرض
لكثير من " فرق غلاة الشيعة " التي وجدت عندها عقائد باطنية غالية،
تلك التي مهدت لظهور الفرق التي سميت بعد ذلك بالفرق الباطنية ، والتي
من أشهرها الفرق الاسماعيلية التي صارت كلمة الباطنية علما عليهما . والسؤال
المطروح الان قبل الحديث عن الباطنيين هو : هل الفرق الباطنية امتداد

١. شلبي . اليهودية ص ١٩٩ - ٢٠٠

٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥ .

لفرق الخلاة أم أنها ظاهرة أخرى متصلة قائمة بذاتها ؟ ان الجواب
عن هذا السؤال قد يستوجب منا الالمام بالفرق الباطنية وتكونها وعقائدها
مع عدم انغال ما سبق من لفتات نحو توافق بين بعض عقائد الخلاة ومثيلها عند
الفرق الباطنية ؛ الا أن الفصل التالي قد يوضح لنا ان كان هذا التوافق
من الندره بحيث يمكن وصفه بأنه صدفة أم أنه غير ذلك وهو ما يعطي الاجابة
التفصيلية للسؤال .^٥

(الفصل الرابع)

ظهور الفرق الباطنية من الخلافة

تمهيد :

اتضح مما سبق أن هناك ظاهرة تستلقت الانتباه في فرق الخلافة وهي

- ٥ أن هناك انقساماً ما يحدث عادة بعد موت زعيم الفرقة أو الامام المذي
تنسب إليه بعض الفرق الغالية فيحدث بموجب عدد من الفرق ، وقد
أشير إلى ذلك من قبل (ر : ص ٩٩) ، وقد تجلت هذه
الظاهرة في انقسام الكيسانية بعد وفاة محمد بن الحنفية (- ٨٦) وبعد
وفاة ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمد (- ٩٩) على سبيل المثال
(ر : ص ٧٦ ، ٩٠)

١٠

وقد كانت في أيام جعفر بن محمد " الصادق " (- ١٤٨) فرق غالية
مختلفة ، لعن جعفر زعماءهم (ر : ص ٢٨) ومنهم " أبو الخطاب
الزبيني " صاحب الفرقة الخطابية التي تفرقت بدورها إلى عدة فرق
(ر : ص ٢٨ انظر) .

١٥

وكان الخلافة في العادة يلتصقون أحد أهل البيت ليكون اماماً لهم
ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكون هذا الامام موافقاً لآراء تلك
الفرق التي تنسب إليه ، كما لا يعني هذا عدم وجود فرق شيعية
غير ذات غلو تنسب إلى أحد أئمة أهل البيت ، ومن المحتمل أن
يكون الامام في هذه الحالة محتضناً لتلك الفرقة . ان هذه الحالة قد

٢٠

تنسجم تماماً على جعفر بن محمد الذي لعن أبا الخطاب ، في نفس
الوقت الذي كان الأخير يدعي امامية جعفر حيناً من الزمان .

كما لا يستبعد أن تكون لجعفر فرقة تدعوا إلى امامته وربما كانت هذه

الفرقة أقل غلوا من الخطابية ، فالصادر الباطنية خاصة تدعي وجود
فرقة كهذه كما سيأتي .

وكان لجعفر بن محمد ستة أبناء : اسماعيل وموسى ومحمد واسحق
وعبدالله . وهكذا نستطيع أن نتخيل كم فرقة ستحدث بعد وفاة جعفر !

٥ ان الذي يهمننا هو الفرق الباطنية ، وهذا الاهتمام يجعلنا نشير
بدقة إلى الاسماعيليه وهي التي اشتهرت أكثر من غيرها بالقول بعقائد
باطنية . ولكن هذا لا يمنعنا من الاطاحة بالفرق التي ظهرت في هذه
الفترة من الزاوية التي نحن بصددتها ، مثل :

١- الناوروسية : وهي الفرقة التي ساقته الامامة إلى أبي جعفر
محمد بن علي بن الحسين ، الذي نص عندهم على جعفر بن محمد ، وهذا
يدلنا على قدم هذه الفرقة .

١٠ قالت الناوروسية بحياة جعفر بن محمد بعد موته على الطريقة السبئية
وأستدلوا بحديثين عن جعفر يقول فيهما انه صاحبهم صاحب السيف المنتظر ،
وفي قول للشهرستاني ان هذه الفرقة زعمت ان عليا باق وستنشق الأرض عنه
يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً .

١٥ وسميت " الناوروسية " بذلك نسبة إلى رجل من أهل البصرة يقال
له : فلان بن الناوروس أو عجلان بن ناووس أو ناووس أو ناوس المصري أو قرية
يقال لها ناووسا . كما سميت " بالناموسية " .

١ انظر : جمهرة أنساب العرب ط ٤ ص ٥٩

٢ انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٠/١

٣ انظر : المقالات والفرق ص ٧٩ والملل والنحل ١٦٦/١ ، وفرق الشيعة
ص ٧٨ ، ومقالات الاسلاميين ١٠٠/١ .

٤ انظر : الملل والنحل ١٦٧/١

٥ انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ وفرق الشيعة ص ٧٨ ومقالات الاسلاميين
١٠٠/١ والفصل ٨٠/٤ والملل والنحل ١٦٦/١ .

وببدو أن هذه للفرقة هي التي تقول عنها مراجع الباطنيين أنها رجعت
بالامامة القهقرى، أي قالوا بللممة جعفر بعد وفاته . وعلى أي حلل فإن هذه
الفرقة لم تستمر طويلا ثم انقرضت كما يقول الداعي لبو حاتم السمرائي
١
(- ٣٢١) .

٥ ٢- الشمطية : تسمى : الشميطية أو الشمطية أو السميطية . . أو
الشمطية : نسبة إلى يحيى بن أبي السميط ، أو ابن أبي سميط أو ابن
أبي سميط أو ابن أبي شط .

ساق هؤلاء : الامامة " بعد " جعفر بن محمد " في ولده " محمد " .
وولده من بعده ؛ واحتجوا في ذلك بحديث عن جعفر ، وقال الشهرستاني
١٠ عنهم أن جعفر قال لهم : صاحبهم اسمه اسم نبيكم وذكر الداعي الباطني
ابو حاتم أنهم بالاضافة إلى قولهم بالامامة في محمد بن جعفر قالوا بها
في أخيه اسحق بن جعفر .

٣- الفطحية : سميت كذلك نسبة إلى " عبدالله الأفتح بن جعفر بن
محمد " الذي قيل أنه كان أفتح الرجلين أو الرأس أو برئيس لهم كان
يسمى عبدالله أفتح أو ابن فطيح . كما قيل أن اسم رئيسهم صار ، وقيل
١٥ في اسمهم أنهم القضيبة .

قالت الفطحية بامامة " عبدالله بن جعفر " أكبر ولد جعفر ، وهو
شقيق اسماعيل بن جعفر وقد اختلف في أيهما الأكبر إلا أن المشهور أن
جعفر كان يكنى بأبي عبدالله (ر : ص ص ٢٧ و ٢٨) .

١. انظر : الزينة (السامرائي) ص ٢٨٦
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٧ ومقالات الاسلاميين
١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦ واعتقادات
فرق المسلمين ص ٥٤
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٨٦ و فرق الشيعة ص ٨٧ والملل والنحل ١٦٧/١
والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦
٤. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ ومقالات الاسلاميين
١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والفرق بين الفرق ص ٥٢
٥. انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١

وقيل في سبب قولهم بامامة عبدالله أنهم رَوَوْا في ذلك أحاديث عن جعفر بن محمد وأبيه بأن الامامة في أكبر أبناء الامام ، وقيل أنهم رَوَوْا حديثاً عن جعفر أنه قال : الامامة فيمن جلس مجلسي ، وحديثاً عنه أنه قال : الامام لا يغسله الا الامام وأنه هو الذي تولى غسله والصلاة عليه .

وقد انقضت هذه الفرقة أيضاً حيث لم يعش عبدالله بن جعفر بعد أبيه سبعين يوماً ولم يخلف ولداً ذكره ، وقيل ان عجز " عبدالله بن جعفر " في الاجابة عن بعض المسائل كان سبباً في الشك بامامته من قبل كثير من مشايخ الشيعة وفقهائها الذين قالوا ذلك .

٤- الموسوية : هي الفرقة التي قالت بامامة " موسى بن جعفر " .

وقد قال بعض اصحاب المقالات ان الذين شكوا في امامة " عبدالله بن جعفر " انضموا الى " الموسوية " .

منذ ظهور هذه الفرقة بعد وفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وحتي سنة ٢٦٠ وهي السنة التي يدعي الاماميون الاثنى عشريون اختفاء امامهم فيها ، ظهرت فرق موسوية كثيرة ، لا يهمننا منها في هذا البحث سوى الفرقة " النصيرية " التي ظهرت على يد (السيد أبي شبيب محمد بن نصير النميري) الذي ادعى وخلفاؤه وراثه الاثني عشر النصيرية ، تعتبر إحدى الفرق الباطنية ، ولها أتباع الى يومنا هذا

-
١. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ و الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ .
 ٢. انظر : الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ و المقالات والفرق ص ٨٧ و فرق الشيعة ص ٨٨ و ٨٩ و مقالات الاسلاميين ١٠٢/١ و الفرق بين الفرق ص ٥٢ و الملل والنحل ١١٧/١ .
 ٣. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، بيروت ، دار الاندلس ١٩٦٤ ، ص ١٥ .

في أماكن مختلفة من سوريا (التي صار لهم فيها لميم حكم ومكانة)
وقد هاجر بعضهم إلى أميركا الجنوبية وفيها كما توجد قطاعات
منهم في انطاكية واسكندرونة وأضنة ما يعرف اليوم بتركيا .

ان عقائد " النصيرية " في مجملها باطنية فهم يقولون بالتأويل الباطني
والحلول والتناسخ ؛ كما سيتضح ذلك حين يأتي الحديث عن عقائد
الباطنيين . الا أن أهم عقائدهم هي : القول بالوهية علي بن
أبي طالب أعلن النحو السبئي . ويقول مصطفى غالب ان دعوى الوهية
علي بن أبي طالب هي عقيدة فرقة رئيسية منهم تسمى الشمالية ، وهناك
فرقة أخرى تسمى الكلازية تدين بعبادة الشمس والقمر ؛ ويقول سليمان
الأذني :

ان الكلازية يعتقدون بأن السواد الذي في القمر هو
المعبود علي وله يدان ورجلان ويدن وعلني
البدن رأس وعلى الرأس تاج ويده سيف —
ذوالفقار

٥- الاسماعيليه : هم الذين ساقوا الامامة في اسماعيل بن جعفر أوفي ابنه
محمد بن اسماعيل بن جعفر ؛ والاسماعيلية فرق عديدة يجمعها هذا
الاسم ، ويمكن لتسهيل التعرف على هذه الفرقة تقسيمها الى قسمين حسب ظروف

١. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ص ١٤ و ١٧
٢. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ١٩
- * كان سليمان الأذني أحد نصيرية انطاكية ولد سنة ١٢٥٠ ثم تنصّر
وفضح مذهبه السابق في رسالة أسماها الباكورة السليمانية .
٣. الباكورة السليمانية ، ط بيروت القديمة ، مصورة عن نسخة في مكتبة
كلية الآلهيات جامعة انقره .

نشأتها واستمرارها .

١ - الاسماعيلية الأولى :

وأسماء فرقههم :

- ١- الاسماعيلية الخالصة : وهم الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر بن محمد (- ١٣٣) وستأتي ترجمته مفصلا (ز . ص ص ٢٦٠ - ٢٦٨)^٥ ذكر الداعي أبوحاتم الرازي أن "أبا الخطاب الزينبي" صاحب الفرقية الخالصة " الخطابية " كان يقول بامامة اسماعيل^١ وإذا علمنا أن كلا من اسماعيل بن جعفر وأبي الخطاب ماتا قبل جعفر بن محمد (- ١٤٨) لشعرنا بخطورة هذا القول الذي جاء به أبوحاتم الرازي وربما قال به غيره من أصحاب المقالات كما سيأتي ؛ لأنه لم يحدث في تقاليد الفرق الشيعية الخالصة^{١٠} عموما ولا الباطنية أن دعوا لشخص غير الامام القائم عليهم بالنس على حد قولهم .

- وقد ادّعى هؤلاء أن وفاة اسماعيل قبل أبيه كان على سبيل التلييس من أبيه جعفر " الصادق " على الناس ، كما ادعوا أنه القائم المنتظر؛ واستدلوا على دعاوهم أن أباه جعفر أشار إليه بالامامة بعده وأنه صاحبهم^{١٥} والامام لا يقول الا الحق ، ولما أعلن جعفر موت ابنه اسماعيل هذا أيقنوا^٢ بصدق ذلك فيه .

- وزعم كل من " الأشعري القمي " و " النوبختي " أن الاسماعيلية الخالصة^٣ هم " الخطابية " وفي هذا تأييد لما قال به الداعي أبوحاتم في أبي الخطاب وهذا يذكرنا بأحدى كتبي " أبي الخطاب " الذي كان يكتفي أيضا "أبا اسماعيل" .^{٢٠}

١. انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ .

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ و فرق الشيعة ص ٧٩ والزينة (السامرائي)

ص ٢٨٧ والملل والنحل ١ / ١٦٧ .

٣. انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ و فرق الشيعة ص ٨٠ .

ويقول الداعي "أبوحاتم" أن الاسماعيلية الخالصة قالت بعد ذلك^١
بامامة محمد بن اسماعيل وأنكروا امامة جميع أولاد جعفر^٢، وهو اقرار
بموت اسماعيل، إلا أن هذا القول منسوب عند بعض أصحاب المقالات
إلى فرقة من الاسماعيلية^٣، وقد قالوا بذلك على زعم^٤ :

أن النص لا يرجع القهقري^٥، فالامام بعد اسماعيل: محمد بن اسماعيل^٦
وهذا تفسير لقول آخر عنهم بأن الامامة لا تكون إلا في الأعقاب^٧
بعد الحسن والحسين^٨. وهذا انكار لرأي الكيسانية في امامة محمد بن
الحنفية.

٢- المباركية: نسبت هذه الفرقة إلى شخص يسمى المبارك، وكان
يوالي جعفر بن محمد وقيل أنه كان مولى لاسماعيل بن جعفر^٩، ويبدو أن^{١٠}
بعض أصحاب المقالات ظنوا أن فرقة المباركية هي الفرقة التي انفصلت
عن الاسماعيلية الخالصة فقالت بامامة محمد بن اسماعيل^{١١}، وهذا غير
ما ذهب إليه الداعي أبوحاتم الذي يعتبرها فرقة أخرى مستقلة.

ظهرت من الفرقة المباركية فرقة القرامطة المشهورة وهي فرقة لا تنفك
أبدا عن الفرق الباطنية لاعتبارات فكرية وتاريخية^{١٢}.

١٥ ان الخطابية باعتبارهم اسماعيليين، والمباركية والقرامطة غير موجودين
في عصرنا باعتبارهم كيانا مستقلا، إلا أن كثيرا من عقائدهم لا يزال باقيا في
الفرق الباطنية على اختلاف نزعاتها.

١. انظر: الزينة (السامرائي) ص ٢٨٧
٢. الملل والنحل ١/ ١٦٨
٣. انظر: المقالات والفرق ص ٨٣ وفرق الشيعة ص ٨١
٤. انظر: الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨٣ وفرق
الشيعة ص ٨١.

ب - الاسماعيليون العبيديون :

ان هذه التسمية لم ترد في أي من كتب أصحاب المقالات ، وانما أطلقها الباحث على سبيل التجوز .

ان هذه الفرقة في الحقيقة ظهرت قبل ظهور الدولة العبيدية وكان الأولى تسميتها بالاسماعيلية القداحية نسبة الى ميمون القداح الذي يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة ؛ ولأن هذا لم يتأكد تماما في هذا البحث فان تسميتها بالاسماعيلية العبيدية أقرب للصواب لان الدولة العبيدية الشهيرة بالفاطمية ظهرت بعقائد هذه الفرقة .

١٠ وليس معنى تسميتهم بذلك فصلهم عن الاسماعيلية الأولى التي قادها الخطابيون والمباركيون .

ان القيمة العلمية لدراسة هذه الفرقة تأتي في الدرجة الأولى بين الفرق الباطنية عموما ؛ وذلك لاعتبارات عدة منها :-

١- أن هذه الفرقة لاتزال تعيش بين ظهرانينا بفكرها وأشخاصها .

١٥ ٢- أنها حكمت رقاب المسلمين حينما من الدهر باسم الأئمة الفاطميين من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر .

٣- ان لها تراثا فكريا غزيرا يمكن للباحثين من خلاله الوقوف على عقائدها من أقلام أهلها مباشرة ؛ رغم السرية والكتمان السني يحاول زعمائها حتى اليوم - فرضها على ذلك التراث .

٢٠ ظهور الاسماعيلية :

ان هذه الفرقة باطنية العقيدة والأسلوب ، بخلاف الفرق الغالية التي سبقت دراسة بعضها وكانت تدين بالتأويل الباطني ؛ الا أنها لم تتخذ

السرية أسلوبا لها . ولأن الاسماعيلية العبيدية دانت بذلك فإن نشأتها وتكونها كان ولا يزال مما يكتنفه الغموض والتناقض .

ان المصادر الباطنية حين تتحدث عن ظهور الفرقة الاسماعيلية تتحدث عنها بأسلوب متناقض غامض ملفق سواء ما كان يختص باسماعيل

بن جعفر ، الذي تنتسب اليه الفرقة (ر . ص ص ٢٦٠-٢٦٨) أو ما يتصل

بمحمد بن اسماعيل ، الذي أضافوا اليه من الصفات الغالية الشيء

الكثير (ر . ص ص ٢٧٥-٢٧٧) أو ما يتصل بالأئمة المستورين الثلاثة

الذين تلقوا الامامة واحدا بعد آخر عن محمد بن اسماعيل (ر . ص ٢٧٩) ،

ومن الممكن القول ان الفترة التي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وتنتهي

بظهور دولة العبيديين في المغرب على يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦ فترة

غامضة متناقضة يصعب على الباحث ترتيب أوراقها ، فيما عدا جزئية

بسيطة منها تبدأ من سنة ٢٦٧ تقريبا وتنتهي بظهور دولة عبيد الله المذكور

ولا أعني منها الا ما يختص بظهور الدعوة الباطنية في اليمن والمغرب

(ر . ص ص ٤٠٢ فما)

وأما غير الباطنيين ، فان ما ورد في كتب أصحاب المقالات لا يتحدث

الا عن ما أشير اليه في هذا البحث بالاسماعيلية الأولى (ر . ص ١٤٤) .

أما الحركة الاسماعيلية التي صارت بعد ذلك علما لكثير من الفرق

الباطنية ، وهو ما أطلق عليه هنا بالاسماعيلية العبيدية فان تاريخ

ابن رزام الذي عاش مؤلفه في أوائل القرن الرابع كما خمن لويس^١ ، يعتبر

أول من تحدث عن نشوء هذه الفرقة ، ونسب هذه الفرقة الى ميمون القداح

وابنه عبد الله ابن ميمون وقد ذكر ابن رزام هذا أن القرامطة نشأوا عن

الاسماعيلية القداحية ، كما أورد ما يمكن أن يعتبر أول تاريخ للاسماعيلية هذه . وذكر القاضي عبد الجبار ما يقرب ذلك من نسبة تكون هذه الفرقة الى القداحيين ، وتحدث عن نشوء الاسماعيلية من هـ هذا الوجه: محمد بن مالك بن أبي الفضائل (- أواسط القرن الخامس) فقال:

وأصل هذه الدعوة الملحونة ٠٠٠ ظهور
عبد الله بن ميمون القداح في الكوفة ٠٠٠ وكان
ظهوره في سنة ست وسبعين - ومائتين
٠٠٠ وكان هذا الملحون يعتقد اليهودية
ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد

الشلع .

وقد اشتهر هذا النص بين الذين اهتموا بتاريخ الباطنية الاسماعيلية من أهل اليمن كما نجد ذلك فيما كتبه محمد بن الحسن الديلمي (القرن الثامن) الذي نسب الى أهل العقالات اتهامهم في نشر عقائد هذه الفرقة الى المجوس والفلاسفة واليهود .

ان نسبة نشأة هذه الفرقة الى ذرية ميمون القداح ما تشير الىه بعض المصادر الباطنية نفسها ، تلك المصادر التي تعتبرهم دعاة للائمة من ذرية محمد بن اسماعيل (ر. ص ص ٤٣٠ فما) ، وقد مر علينا في فرق الخلافة من كان يدعو للائمة من أهل البيت باسمهم على كره منهم لذلك كما حدث بالنسبة لأبي الخطاب الذي كان يدعو لجعفر بن محمد زورا ما دعى بجعفر الى لعنه وتكذيبه (ر. ص ١٣٣) (٢٠)

١. انظر: ابن النديم (- ٣٧٨) . الفهرست ، القاهرة ، المكتبة التجارية د . ت ، ص ص ٢٧٨ - ٢٨٠ .
٢. انظر: تثبيت الأيل النبوه ٥٩٧/١
٣. ابن أبي الفضائل . كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة ، عزت العطار ، ١٣٥٧ ، ص ص ١٦ و ١٧ .
٤. انظر: الديلي . قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، عزت العطار ، ١٣٦٩ ، ص ص ١٢ و ٣١

واستنادا الى ما سبق ذكره عن نشأة الاسماعيليه نجد أنها على أي حالة وضعت فان جانب الغموض والتناقض يكتنفها بوضوح لا يقبل الجدل ، ولا ينفك عن فرق الخلاة من ناحية أخرى .

تفرق الاسماعيليه :

- ٥ ان الفرقة الباطنية الاسماعيليه لم تشذ عن مثيلاتها من فرق الخلاة من حيث التفرق الى عدة فرق بالرغم من أن هذه الفرقة تميزت عن الخلاة بالقوة بحيث استطاعت تكوين عدة دول كانت ذات تأثير على التاريخ الاسلامي سياسيا وفكريا ، من ذلك كانت فرقة القرامطة : ان فرقة القرامطة في حقيقتها ليست الا فرقة اسماعيليه باطنية كما يظهر من عقائدها ، سواء في ذلك نسبتها الى الاسماعيليه الاول ، كما فعل النوبختي الذي نسبها الى المباركية ، أو نسبتها الى الاسماعيليه القداحية كما أشير الى ذلك من وجهة نظر ابن رزام (ر. ص ١٤٧) .

وقد قامت الفرقة القرمطيه بأعمال لاتزال الى اليوم مضرب مثيل للوحشية والقسوة والاستهانة بالاسلام والمسلمين ومعاداتهم ومحاربتهم .

- ١٥ وقد انتهت هذه الفرقة واضمحلت وصارت مماثلة لمن سبقها من الفرق الخالية .

ولا يمكن للباحث أن يعتبر القرامطة فرقة منفصلة عن الباطنية الاسماعيليه لأنها ليست الا جناحا لها فحسب .

- أما أول انفصال حقيقي في الفرقة الاسماعيليه الباطنية ، فهو كما سيتضح ظهور الفرقة الدرزية :
>

الدروز : ظهرت فرقة الدروز في القاهرة عاصمة العبيديين في أيام
"الحاكم بأمر الله" سنة ٤٠٨ هـ ، وكانت هذه الفرقة بزعامة شخصيات أحسبها
متعددة وعلى رأسهم كان : حمزة بن علي النوزني الذي يلقبونه بأنه :

قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادي

المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف

١.
مولانا الحاكم جل ذكره .

وقد قالت الدرزية : بنسخ جميع الأديان والشرائع السابقة ،
وبالحلول والتناسخ ، ويتأليه الحاكم بأمر الله .
٢.
كما قالوا بالتأويل الباطني ،
والخبيبة والرجعة .

انتشار الدرزية :

ظهرت هذه الفرقة في مدينة القاهرة ، إلا أن المجتمع المصري لم
يستجيب لها ، كما لم يستجيب للعقائد الباطنية عموماً .
انتشرت هذه العقيدة على نطاق ضيق في جبال الشام ، ويعيش
الدروز حالياً في سوريا ولبنان .

ظهور فرقتي التزارية والمستعلية :

*
كانت وفاة المستنصر بالله العبيدي (٤٨٧ -) ايذاناً بانقسام آخر للفرقة

١. التميمي . اسماعيل بن محمد بن حامد . كتاب تقسيم العلوم ، مخطوط
في الخزانة التيمورية ، عقائد - ٦٦٢ هـ ص ٢١٢ وانظر : محمد
كامل حسين . مقدمة الرسالة الواعظة . مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، مايو ١٩٥٢ هـ ص ٥ ومحمد عبدالله عنان . الحاكم
بأمر الله ، القاهرة ، دار النشر الحديث د . ت ، ص ١٩٣

٢. انظر : الحاكم بأمر الله ص ١٨٤
* . انظر ذلك في : المعريزي . اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين
الخلفاء ، ج ٣ ، القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
١٣٩٣ هـ ، ص ١١ .

الباطنية الاسماعيلية ؛ بسبب النزاع الذي صار على الامامة بين ابن -
المتنصر الأكبر " نزار " وأخيه " المستعلي " ، وكان كل منهما يدعى
الامامة لنفسه بأقوال مروية عن أبيهما المتنصر ، وهذا يذكرنا بما كان
عليه الحال بعد وفاة جعفر الصادق وادعاء كل فرقة من غلاة الشيعة امامة
أحد أبناءه بأقوال رويها عن جعفر نفسه (ر. ص ص ١٤٠ - ١٤٢) .

النزارية : هم الذين قالوا بامامة " نزار بن المتنصر " ورفضوا امامة
" المستعلي بن المتنصر " . وقد استطاع النزارية اقامة دولة باطنية
في بلاد فارس بزعامه الحسن بن الصباح صاحب " قلعة الموت " الشهيرة
التي ادعى أنها محكومة بيد الأئمة من أولاد نزار . ويدعى " المستعلي " ^{١٠}
أن " نزارا " لما قتل بمصر قتل معه أبناءه ما يعني أن الأئمة الذين ادعت
النزارية مختلفون كما يرى المستعليون . وهذا ما نفتته المراجع النزارية .
ويعرف " النزارية " اليوم بالاسماعيلية " الاغاخانية " ؛ نسبة إلى
امامهم الذي يتخذ لقب آغاخان ؛ وهو حاليا الأمير عبد الكريم
آغاخان الرابع وهو امامهم التاسع والأربعون .

وتعتقد النزارية اعتقادات غالية باطنية ؛ مثل تأليه الأئمة ، ولعل
أقرب مثال لذلك ما ذكره محمد كامل حسين عن ذكرياته مع آغاخان الثالث
(- ١٩٥٧) - امامهم الثامن والأربعون - ؛ قال محمد كامل حسين له :

١. انظر: تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٧٩
٢. انظر: جمال الدين الشيال . الوثائق الفاطمية ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة
دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ومصطفى غالب
سنان راشد الدين شيخ الجبل ، بيروت ، دار اليقظة ، ١٩٦٧ ، ص ٥٨
٣. انظر: مصطفى غالب . اعلام الاسماعيلية ، بيروت ، دار اليقظة ، ١٩٦٤ ،
ص ٥٨٥
٤. انظر: محمد حسن الأعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم ، ج ١ القاهرة
دار المعارف ، ص ٢٤ .

لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك ، فكيف
 تسمح لاتباعك أن يدعوك إليها ؟ فضحك
 [يعني الاغاخان] طويلا جدا وعلت قهقهاته
 ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال :

هل تريد الاجابة عن هذا السؤال ، ان
 القوم في الهند يعبدون البقرة ، أليس
 خيرا من البقرة ١١

مواطن النزارية : تعتبر مدينة كراتشي مركز الاغاخان ، وهذا يدل على
 وجودهم في شبه القارة الهندية الباكستانية . والنزارية بالاضافة
 الى ذلك موجودون في سورية ، وشرق افريقيا ، مثل كينيا وأوغنده ومدغشقر
 وزنجبار .

المستعلية :

ينتسبون الى المستعلي بن المستنصر ، وقد ظلوا يحكمون مصر منذ
 اعتلاء المذكور مدة الحكم سنة ٤٨٧ حتى سنة ٥٢٥ وهي السنة التي
 انقسمت فيها المستعلية الى قسمين طيبية وحافظية .

أما الحافظية فقد تولى الامامة منهم : الحافظ والفائز والعاقد (٥٦٧)
 الذي كان آخر من حكم مصر من العبيديين ، وتسلمها بعدهم الأيوبيون .

أما الطيبية فهي في الحقيقة استمرار للمستعلية ، وقد اضطر امامهم
 الطبيب ابن الأمر بن المستعلي^{الدخول الى} كهف الستر - على حد زعمهم - وتحولت

١. محمد كامل حسين . طائفة الاسماعيلية ، المكتبة التاريخية - ٤ ،
 القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٦ .
٢. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٢١٢ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
٣. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٦٠ .
٤. انظر : محمد حسن الأعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم
 ص ٢١ - ٢٣ .

دعائه الى بلاد اليمن حتى سنة ٩٤٦ فانتقلوا الى الهند .

حدث بعد ذلك انقسام آخر للمستعلية في الهند بعد وفاة

الداعي : داود بن عجب شاه (- ٩٩٧ أو ٩٩٩) فانقسموا الى قسمين :

- ٥ الداودية : وهم الذين يطلق عليهم " البهرة " ولزمهم اسم الداودية من داعيهم المطلق داود بن قطب شاه (- ١٥٢١) الذي استقل بالامر .

- ١٠ السليمانية : نسبوا الى داعيهم سليمان بن الحسن (- ١٥٠٥) ، ويطلق على أتباع هذه الفرقة (سليمانى بهرة) في بلاد الهند وباكستان وفي اليمن يسمون (المكارمة) ، ويقال ان زعيمهم يعيش الان فى مدينة نجران في جنوب المملكة العربية السعودية ، وتعتبر هذه المدينة مركز هذه الفرقة حاليا .

ان عقيدة المستعلية " البهرة الداودية " يصفها محمد كامل حسين بأنها :

- ١٥ لا تختلف عن عقائد غيرهم من المسلمين في الظاهر
أما عقيدتهم في " الباطن " فهي بعيدة كل البعد عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهم مثلا يؤدون الصلاة كما يؤديها المسلمون .
ولكنهم يقولون ان صلاتهم هذه للامام الاسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الامر .
٢٠

ان " البهرة الداودية " يعتبرون أكثر الفرق الباطنية قربا للمسلمين، ولكن

١. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٥٢

٢. طائفة الاسماعيلية ص ٥٣

ذلك لايعفيهم من القول بالتأويل الباطني ، والخلو في الأئمة ، وقد كشفت ذلك بعض كتبهم السرية التي ظهرت أخيراً .

مواطن البهرة الداودية : ان مركز هذه الفرقة في مدينة "بومباي" بالهند ، ويحمل زعيمهم رتبة الداعي المطلق وهي إحدى مراتب الدعوة الباطنية (ر. ص ٢٦١ فما) ، ولهم في تلك البلاد مراكز ثقافية منها على سبيل المثال " الجامعة السيفية في مدينة "سورت" ، والبهرة منتشرون في الهند واليمن . ولهم في الأماكن المقدسة بيوت يأوي إليها حجاجهم ويسمى " رباط البهرة " ويقع رباط البهرة في مكة في محلة جواد فلي الجانب الشرقى من مستشفى جواد ويطلقون عليه اسم " المحل السيفي " .
كما تدل على ذلك لافتة على بابه ، أما رباط البهرة الذي في المدينة المنورة فيقع في محلة باب المجيدي ويطلقون عليه اسم " المحل البرهاني " كما ان لهذه الفرقة أماكن للزيارة في العراق .

أما عقائد " البهرة السليمانية " أو " المكارمة أو " المكرمة " ، أكثر غلوا من الداودية ، كما تدل على ذلك مراجعهم الخاصة ، وستتضح عقائدهم في الباب الثاني ، مع كثير من عقائد الباطنية الأخرى .

ان هناك تكوينات أخرى للفرق الباطنية الاسماعيلية العبيدية ولكنها فروع لما ذكر من فرقهم .

وقد يلاحظ عدم توسع الباحث في الحديث عن هذه الفرق كما توسع في فرق الخلافة ، فان ذلك يعود لسببين :

- ١- عدم توفر المعلومات الكافية التي تتأكد بها كثير من الأقاويل نحوم .
- ٢- ان التوسع في الحديث عن هذه الفرق ، قد لا يخدم البحث من ناحية

العقائد التي ظهوروا بها ، فمعظم التطورات التي ظهرت في عقائدهم إنما هي ما حصل في التاريخ القديم فالعقائد الباطنية في معظمها لا تزال كما هي ،

في ختام هذا الباب نجد أن الباحث توصل إلى أن :

١- المجتمع الإسلامي الأول في المدينة لم يعرف الغلو في رسول الله

(ص) وفي أهل البيت النبوي . سواء ذلك عهد رسول الله (ص) وعهد

الخلفاء الراشدين الأربعة .

٢- أن ظهور الغلو الشيعي مناط بشخصية يهودية تظاهرت بالاسلام

وعرفت باسم " عبدالله بن سبأ " .

٣- أن عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية كانت ذات دور فكري واضح وسياسي

خفي ، وكان لهذا الدور الأثر البالغ في عقائد غلاة الشيعة على مسر

العصور .

٤- أن هناك عقائد تتصل بالفكر اليهودي بشكل أو بآخر ظهرت لدى غلاة

الشيعة .

٥- أن الفرق الباطنية الأربعة المشهورة : الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية

والدروز ليست في أصلها إلا من بقايا الغلاة الذين ظهوروا في الفرق

الشيعية ما بين منتصف القرن الأول حتى منتصف القرن الثاني .

٦- أن الأفكار الباطنية لم تظهر في العالم الإسلامي أول ما ظهرت إلا على

يد غلاة الشيعة قبل ظهورها في الفرق المعروفة بالباطنية .

وعليه فإن التفريق بين الباطنية والغلاة ليس معنيا به على أي حال ما يختص

بالعقائد فكلها عند الفريقين واحد تقريباً .

الباب الثاني:

عقائد الفرق الباطنية

جرى الحديث في الباب الأول عن استعراض لظاهرة الغلو الشيعي ونشأتها وأشهر الفرق التي قالت بالغلو ، كما جرى الحديث عن كثير من عقائد الخلافة ، تلك التي أشير خلال الحديث عن بعضها ^{التي} وجود تلك العقيدة في الفرق الباطنية .

ويجد الباحث هنا لزما عليه التحدث عن العقائد التي ظهرت في الفرق الباطنية بشيء من التفصيل .

ولكن ما هي عقائد الفرق الباطنية ؟ أنها عقائد كثيرة . أفاض المحققون في ذكرها ، وقد اتهم بعض كتاب أهل السنة في أنهم لفقوا على الباطنيين كثيرا من العقائد لم يقولوا بها . وعلى ذلك فإن من الصواب الرجوع إلى المصادر الباطنية في مسألة عقائدهم .

إن التأويل الباطني يعتبر أهم ما في العقائد الباطنية ، فجميع تلك العقائد مبنية عليه ، وسيكون بحث التأويل الباطني في المرتبة الأولى بين عقائد الباطنية ثم تأتي بعد ذلك عقيدة التسبيح أي الاعتماد على رقم ٧ خاصة ، لأن لهذه العقيدة أثرًا على العقائد الباطنية كما لها نفس الأثر على أسلوب الدعوة عندهم وبعد ذلك عقيدتهم في الله عز وجل وملائكته وبعد ذلك عقيدتهم في النبي محمد (ص) ، فعقيدة الإمامة والأئمة ، يتلو ذلك الحديث عن عقيدة المهدي المنتظر الذي يسميه الباطنيون قائم القيامة .

ثمة عقائد نسبت إلى الباطنيين ولم يتمكن الباحث أن يشير إليها بالتفصيل مثل عقيدة الحلول وعقيدة التناسخ ، ولكن البحث بصفة عامة لم يخل من الحديث عنهما في فصول مختلفة منه ، سيطلع عليها القاري الكريم

في حينه .

أما بالنسبة لعقائد الباطنيين في الآخرة والثواب والعقاب والجنسية
والنار؛ فقد رأى الباحث أن هذه العقائد في الفكر الباطني مرتبطة
بعقيدة المهدي المنتظر؛ فهي مدرجة فيه .

- ٥ وقد حوى هذا الباب ترجمتين الأولى : لاسماعيل بن جعفر الذي تسمى
به بعض الفرق الباطنية وأعني بذلك الاسماعيلية . والثانية : لابنه محمد
ابن اسماعيل باعتباره الشخصية التي تعلق الباطنيون الاسماعيليون بها ، ولكن
قد يسأل سائل ما علاقة ذلك ببحث يختص بالعقائد ، والجواب هو
أن الباحث لم يجد بدءاً من ادراج هـتين الشخصيتين في هذا الباب
١٠ باعتبارهما ظاهرياً الشخصيتين اللتين قامت باسمهما الفرق الاسماعيلية
الباطنية .
-

الفصل الأول : التأويل الباطني

تمهيد : من أبرز ما تميزت به الفرق الباطنية عن غيرها ، " التأويل الباطني " ومن أجل ذلك لقبوا بـ " الباطنية " ، قال الشهرستاني : -

من أشهر ألقابهم " الباطنية " وإنما لزمهم

هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل

تنزيل تأويلاً^١ .

فالتأويل الباطني وقولهم به كان سبب تسميتهم " بالباطنية " .

ما هو التأويل الباطني ، تتكون الجملة من كلمتين : التأويل - الباطني .

وفي اللغة : فإن التأويل :

٢.

تفسير ما يؤل اليه الشيء .

١٠

وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم : قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله

*)

يوم يأتي تأويله يقول الذين ممسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق .

وقال تعالى : (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

**)

وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله) .

أما الباطني : فنسب الى الباطن ، وهو خلاف الظاهر ، كما ورد في

١٥

القرآن الكريم . (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله

العذاب) .

ولنعرف ما هو الظاهر وما هو الباطن في فكر الباطنية ، لابد لنا أن نستعير

عبارة لأحد الدعاة الباطنيين الذي يقول : -

١. الملل والنحل ١/ ١٩٢ وأنظر : قواعد عقائد آل محمد ص ٣٤

٢. مختار الصحاح مادة : أول ص ٣٣

* الأعراف ٥٣

** آل عمران ٧

*** الحديد ١٣

١. ان الله ... جعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً .

وعبارة أخرى تسبها الباطنيون الى النبي (ص) ؛ فزعموا أنه قال :

٢. ان الله أسس دينه على مثال خلقه ، ليستدل بخلقه على دينه .

من ذلك يتضح أن لهم في كل شيء ظاهرًا وباطنًا فللقرآن ظاهر

هو الذي بين يدي الناس ، وباطن لا يعرفه الا هم لأن علم الباطن بزعمهم :

صعب مستصعب وسر مستتر مقتنع بالأسرار مبطن برموز لا يحمله

٣. الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان .

وللحديث النبوي ظاهر وباطن وللشهادتين وأركان الاسلام ظاهر وباطن

وللجنة والنار ظاهر وباطن وهكذا لكل شيء عندهم ظاهر وباطن .

١٠. وعلى ذلك يمكن القول ان الباطنيين قسموا الدين الاسلامي الى قسمين :

ظاهر وسموه التثليل وهو ما جاء به محمد (ص) وسموه أيضا العبادة

العملية أو الدعوة الظاهرة .

وباطن سموه التأويل وهو خاص بعلي بن أبي طالب وسموه العبادة العلمية

٤. أو الدعوة الباطنة .

١٥. ولعل ذلك يتضح حين ترد نماذج من تأويلهم الباطني (ر. ص ١٩٩ فما)

أهمية كل من الظاهر والباطن عند الباطنيين :

كاد يجمع أصحاب المقالات على أن الباطنيين يقولون بتفضيل الباطن

على الظاهر .

١. محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، دار الفكر العربي

١٩٦٣ ، ص ٢٧ .

٢. الداعي المؤيد : المجالس المؤيدية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر

١٩٧٥ ، ص ٢٥٣ .

٣. شهاب الدين أبو فراس (- ٩٣٧) مطالع الشمس في معرفة النفوس ، نشر

عارف تامر ، أربع رسائل اسماعيلية ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٢ ، ص ص

٣٤ ، ٣٥ وأنظر النص ذاته في : كشف أسرار الباطنية ، القاهرة ١٣٥٨ ، ص ١٥ .

٤. انظر : مسائل مجموعة في الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن

١٩٤٢ ، ص ص ٣٠ ، ٣٨ .

نقل الشيباني أن الأمليني (٣٩٤ -) يقول : انهم يفضلون الباطن
على الظاهر .^١ كما نقل محمد حسين الذهبي (١٣٩٧ -) عن الكازراني
أن مذهبهم انكار الظاهر ، وذكر البغدادي (٤٢٩ -) انهم يقولون :
ان الظاهر كالقشر والباطن كالب واللب خير من القشر . وقد نقل هذه
المقالة عنهم : الامام الخزالي (٥٥٥ -) والمهدي بالله العرضي ، وفي قواعد
عقائد آل محمد ، انهم يقولون :

انه لابد لكل ظاهر من باطن وهو المقصود
في الحقيقة ، وهو بمنزلة اللب والظاهر
بمنزلة القشر .^٥

وفي الحملة التي يشنها بعض الكتاب المعاصرين ضد أصحاب المقالات
الذين ناقشوا رأي الباطنية في أهمية الظاهر والباطن ، ودرجة كل منهما ،
ظهر محمد كامل حسين بقول يرد فيه عليهم قائلاً :

اخطأ القدماء في اطلاق لقب " الباطنية "
على فرقة الاسماعيلية ، لأن هذه الفرقة تدين
بالباطن والاسماعيلية يقولون بالباطن حقاً ولكنهم
يقولون بالظاهر أيضاً وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر
والباطن معاً ، بل كفروا من اعتقد بالباطن من دون
الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن ، ومن ذلك
يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله

١. انظر : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٣٨٦ ، ص ١٣٠ .
٢. انظر : التفسير والمفسرون ، ج ٢ ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨١ ، ص ٥٥ .
٣. انظر فضائح الباطنية ، (عبد الرحمن بدوي) الكويت ، دار الكتب الثقافية ، ص ١١ .
٤. انظر مخطوطة المنية والأمل ، مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٥٣ علم الكلام ، ق ٣٨ ، باب .
٥. انظر : قواعد عقائد آل محمد ص ٥٩ .

الشيرازي " من عمل بالباطن والظاهر معا فهو مناة

ومن عمل بأحدهما دون الآخر فالكلب خير منه وليس

منا .^١

وفي معرض ذلك يقول الداعي الباطني جعفر بن منصور اليموي (عاش

حتى أواخر القرن الرابع) :

ولا يستقيم الباطن الا بالظاهر الذي هو

جثته والدليل عليه . . . كما لا يصلح في الحياة

جسم الا برح ولا يثبت روح الا في جسم .^٢

وقال بمثل ذلك الداعي القاضي النعمان . ان كل هذه الأقوال تؤيد

- ١٠ ما ذهب اليه محمد كامل حسين وأعني به نسبة الخطأ الى القدماء في تسمية الباطنية بذلك ، ولعل كامل حسين يعني بالقدماء المؤرخين وأصحاب المقالات ، وهذا يعني أن عددا كبيرا من أهل السنة والجماعة يدخلون تحت هذه التهمة كما يدخل تحتها بعض علماء الامامية أمثال : الاملي والكارزاي ، والزيدية مثل الديلمي والمهدي بالله المرتضي ، وهؤلاء هم خطير لعلماء المسلمين قاطبة حيث لم يبق أحد خارج هذه التهمة . فهل
- ١٥ صحيح أن تجنيا ما وقع على الباطنيين من هذا الوجه ؟ أن كان هناك شيئا من ذلك فلا بد من توضيحه للملا وتبرئة الباطنيين من ما نسب اليهم زورا وظلما .

١. طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨ وأنظر أيضا : مقدمته لديوان المؤيد في الدين ، القاهرة ، دار الكاتب المصري ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٥ .
* أنظر ترجمته في : اعلام الاسماعيلية ص ١٨٥ و

٢. جعفر بن منصور . مخطوطة الشواهد والبيان ، الخزانة التيمورية عقائد رقم ١٨٤ ، ص ٩
٣. أنظر : القاضي النعمان . أساس التأويل ، مخطوط غير مرقم في مكتبة جامع صنعاء الغربية ، ق ٢٠ ب .

وهذا يتطلب عودة إلى المصادر الباطنية على مختلف نزعاتها حتى تكون
النتائج أكثر دقة :

ان الكاتب الباطني المعاصر عارف تامر - وهو نزارى - يصف الاسماعيليه
فيقول :

- ٥ الاسماعيليه كنز مقل [٠٠٠] أو قل عنها ،
عالم قائم بنفسه سمي عالم المثل أو باطن الأشياء
وأما ما هيته أو جوهره أو الفكرة المجردة التي
لا تقع تحت مكان أو حس أو زمان ، أما عالم
الطبيعة المحدود بالزمان والمكان فهو غير
١٠ عالمها ، وأنه مثولها والمثل ليس كالمثول .

ان هذا تصريح خطير من قلم من يعتنق العقيدة الباطنية ذاته
ما يدل أن لهذا التصريح أصلا باطنا غاب عن محمد كامل حسين ، ومن
لحا لحوه ، وإذا قلبنا الأوراق الباطنية التي كتبها دعائهم نجد الداعي
أبا فراس شمس الدين بن أحمد الطيبي (- ٩٣٧) وهو أحد نزارية سوريا
يقول في قصيدة له :

- ١٥ انما النفس للخليقة لب * وكذا الجسم في الحقيقة قشر
فاطلب اللب وأترك القشر * يشرح لك صدر ثم يوضح وزر
هنا نجد أنه لا فرق بين تصوير القدماء من أصحاب المقالات لقيمة الظاهر
والباطن عند الباطنيين ، وبين تصوير الداعي أبي فراس ، الذي نص على
٢٠ أن لا قيمة للظاهر عند الباطنيين سوى قيمة القشر بالنسبة لللب الذي
هو هنا الباطن الذي يدينون به . الا أن هنا قول لبعضهم وهم النزاريون ، وعليه

*

فلا بد من الرجوع إلى سواهم ، حيث نجد ناصر خسرو (- ٤٨٠) يؤيد

١.

الباطن دون الظاهر كما صح بذلك في ديوانه الشهير ، ونجد للـدروز

ذات الوجهة حيث يقولون :

٢.

الظاهر في الأصل . . . دين الاسلام وباطنه الديانة الباطنة .

٥ بالامكان هنا القول بأن لقب الباطنية لانهم ليس لتسمية القدماء لهم به ولكن لنصهم على تفضيل الباطن على الظاهر .

يبرز هنا احتمال طالما تحجج الباطنيون بمثل ، في دفاعهم عن

مذهبهم ، وهو أن القول بالباطن ليس الا من أقوال غلاتهم ، وأن المعتدلين

منهم يريثون من أولئك ومن أقوالهم ، ولعل في ذلك شيئا من الصواب

١٠ اذا وقفت المناقشة عند هذه النقطة ، لأن النصوص التي استدل

بها الباحث في التحقق من هذا القول ليست سوى نصوصا نزارية

ودرزية ، وقولاً عن ناصر خسرو ، وهذا لا يكفي لأن بقية الطوائف

الباطنية وعلى رأسها المستعلية الذين يصفون أنفسهم بالاعتدال لزالوا

خارج هذا التصنيف .

١٥ اذا عدنا إلى نصوص الذين وصموا الباطنية بتفضيل الباطن على الظاهر

نجد من بينهم المهدي بالله المرتضى ومحمد بن الحسن الديلمي (ر.ص ١٦٠)

وكلاهما من زيدية اليمن ، مما يدل على أن مصادرها في أقوالهما عن

الباطنية إنما هي من المصادر اليمنية وهي باطنية مستعلية . وليسوا

دروزا ولا نزاريين بل هم معادون لهم . فلماذا تطابق النص اليمني مع نص

١. انظر : أعلام الاسماعيلية ص ص ١٦١ ، ٥٦٨

٢. رسالة النساء الكبيرة ، مخطوطة في الخزانة التيمورية ، تحت رقم

٢٦٦ عقائد ، ص ١٠٨

* انظر ترجمته في أعلام الاسماعيلية ص ٥٦٢ فما

الدلمي أبي فراس النزاری في القول بأن الظاهر كالقشر بالنسبة للباطن الذي هو كالب ، مما يرجح أن مصادر باطنية مستعيلة طيبة تقول بذلك ، وأن هذه المصادر ما لا يزال في الكتمان في مكتبات الباطنيين بالهند أو اليمن .

- ٥ ولكن دعنا من الاحتمالات والظنون والترجيحات فلدينا نص يوضح قيمة كل من الظاهر والباطن ، وأن الباطن هو المقصود . ومصدر النص مرجع باطني موسوم بالاعتدال التام والمكانة العالية لدى المفكرين وهو القاضي النعمان الذي يروى قصة جرت بين المهدي عبيد الله (مؤسس الدولة العبيدية) وحفيده المنصور بالله وكان المهدي قد أهداه كتابا وأوصاه أن لا يطلع به حتى على أبيه القائم بزعم أنه كتاب من كتب الطب وكان ١٠ قد نصح به بالقراءة في الطب . قال المنصور بالله :

- فلما صرت الى مكاني ، نظرت فيه فاذا فيه من علم الباطن ، وأنا لا أعرف يومئذ ذلك ، فتحيرت فيه ، وتوهمت أنه أمثال مضرورة في الطب ، وأقمت يومي وليلتي أدرس فيه فلا أرى الا علم الباطن محضاً ١٥ فلما دخلت الى المهدي (صلح) من غد : أدنانني وقال لي : نظرت في الكتاب ؟

- قلت : يا مولاي نظرت فيه وليس فيه من الطب شيء . فان كان امير المؤمنين أراد به الطب فليس في هذا الكتاب شيء منه . ٢٠

فتبسم (ص) وقال لي : يا بني . ذلك هو الطب الحقيقي وهو طب الأرواح الباقية في السدار الآخرة ، به يعالج من المهاداوى من سقمها

فأما الابدان القانية فهي أقل من أن يرفع بها

هذه الرفعة . انظر فيه واعرف معانيه واحفظ

أصوله فان فيه أصولا من العلم الشريف .^١

وعليه فان القول بتفضيل الباطن على الظاهر يضاف الى جميع الفرق

الباطنية كما أضيف اليهم القول بظاهر وباطن . ويصبح القدماء على

صواب في تسميتهم الباطنية بذلك سواء كان على هذا الوجه أو على

وجه آخر ، اذا علمنا أن الباطنيين يسمون مخالفيهم أهل الظاهر

أما من حيث واقع الباطنيين فان المتبع لمذهبهم يستطيع بسهولة

أن يرى قيمة الباطن بالنسبة للظاهر عندهم لا سيما في العقائد

وسياتي تفصيل ذلك في الفصول التالية ان شاء الله .^{١٠}

ماهية الظاهر عند الباطنيين : في دفاعهم عن عقيدتهم يقول الباطنيون

ومن يتحمس للدفاع عنهم ، انهم في ظاهر العقيدة والشرعة لا يختلفون

عن بقية المسلمين ، بل هناك من يقول ان مذهبهم الفقهي لا يختلف

كثيرا عن المذهب المالكي .^٢

ان القاضي النعمان الذي يعتبر من مفاخر الفكر الباطني بل انهم

يعتبرونه الواجهة المشرفة لهم ، فهو أول من دون فقههم ، لذا فهم

لا يترددون في دعوة أي شخص لقراءة كتبه لظنهم أن ليس فيها سوى

ما يرفع من قدرهم بين مخالفيهم - هذا الداعى الباطني لم يستطع أن يخفى

أن الظاهر الباطني يختلف عن ظاهر الأمة ، فهو يرى أن على المتجيب -

أي الذي يدخل مذهبهم لأول مرة - أن يتعلم أول ما يتعلم ظاهر دين

١. المجالس والمسايرات ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣

٢. من حديث مع عباس همداني ، بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، في يوم الجمعة ١٣٩٩/٢/٥

٣. انظر : محمد حسن الأعظمي . مقدمة تحقيق كتاب تأويل الدعائم .

الأئمة ويترك الظاهر الذي كان عليه من قبل^١ . وهذا دليل على أن ظاهرهم يخالف ظاهر الأمة الإسلامية . هذه واحدة ، والثانية ، أن الداعي النعمان المذكور ؛ ألف كتابا أسماه (دعائم الاسلام) وهو من أجل كتبهم الظاهرية ، وذكر فيه أن للإسلام عندهم سبع دعائم هي ؛ ^٢ الصلاة ، والطهارة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد . لماذا جعل دعائم الاسلام سبعة ؟ لقد جعلها كذلك بل قل جعلوها كذلك كي تتناسب مع باطنهم الذي يقدس التسبيع وكل ما يمت إلى رقم ٧ بصلته (ر . ص ٩٩ انما) كما حصروا الرسالة الالهية في سبعة من الرسل سموهم النطقاء (ر . ص ٢٢٥) .

- ١٠ ان الصيام صيام شهر رمضان وكذا الحج الذي يكون يوم التاسع من شهر ذي الحجة يومه الاكبر لا يتحقق زمانهما - وهما مما يعتبره الباطنيون من ظاهر الشريعة - الا برؤية الهلال عند جميع المسلمين بدليل قوله تعالى " يستلوك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " وقوله تعالى : " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " *
فمن شهد منكم الشهر فليصمه " وبدليل الحديث الذي يرويه^٣ الباطنيون أنفسهم : " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " يعني الهلال .
- ١٥ الا أن الباطنيين لا يعتبرون ذلك أبدا بل ان لهم جدولا لا يتغير أبدا جعلوا فيه شعبان ٢٩ يوما ورمضان ٣٠ يوما ، ويزعمون أن رؤية الهلال لا تتحقق الا من خلال رؤية الأئمة ؛ الذين صنعوا لهم ذلك الجدول الذي يصومون بموجبه ويحجون بموجبه أيضا .

- ٢٠ ١. انظر : تأويل الدعائم . ج ١ ، تحقيق الأعظمي ، القاهرة ، دار المعارف د . ت ، ص ٤٩ .
٢. انظر : فيض . مقدمة دعائم الاسلام ص ٩ ومحمد كامل حسين . مقدمة ديوان المؤيد في الدين . ص ٦٧ .
٣. انظر المجالس المؤيدية ص ١٦٢ - ٤ . انظر : المجالس المؤيدية ص ١٦٤ ، ١٦٥ والمجالس المستنصرية . تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت ، ص ١٣١ .
- * البقرة ١٨٩ ** - البقرة ١٨٥ *** - الحديث في البخارى كتاب ٣٠ باب ١١ انظره في فتح الباري ٤ / ١١٩ .

هذه أمثلة للظاهر الذي يدين الباطنية به فما أبعد عن ظاهر^١

بقية المسلمين ، ناهيك عن باطنهم الذي يقولون عنه انه غيب لا يدرك .

وعلى ذلك فقد صنف الباطنيون الناس الى قسمين : ١- أهل الظاهر

الذين لا يؤمنون بظاهرهم ولا بباطنهم . وقد توعد الباطنيون أهل

الظاهر بالعذاب الأكبر . وفي وصفه لأهل القبلة يدعي القاضي النعمان

أنهم في الباطن هم أهل ولاية امام الزمان ويعني بهم الباطنيين . ان

تسمية الباطنيين مخالفيهم أهل الظاهر كانت منذ أيام الفرقة الجنايمية

الخالية الذين سمو مخالفيهم أهل الظاهر ، وسموا أنفسهم أهل

الباطن ، وجدير بالذكر أنهم أول من وضع جدول أشهر السنة (ر. ص

١٠ (١٠٥) .

٢- المؤمنون وهم يعنون بذلك أنفسهم أي الذين يؤمنون بالظاهر

والباطن على نحو ما سبق الحديث من الاهتمام بالباطن واعتباره لسبب

العقيدة ، أو الايمان بظاهر الغرض منه خدمة الباطن الذي هو الهدف

المقصود ، ولذلك فان الباطنيين لا يصرحون للمستجيب أول ما يصيدونه

بأي فكرة باطنية بل يمهّدون له بأمور ظاهرية ثم يلوحون له بالباطنيات

شيئا فشيئا (ر. ص ٣٢٦) كما أن هناك مرحلة ليس مطلوب فيها من

المستجيب الا أن يعلم أن هناك باطنا يجب عليه الايمان به ، أما ذاك

الباطن ما هو فلا يدري ؛ فهو يعامل معاملة الطفل . ومع الأسف الشديد

فان بعضا من اتباع الباطنية اليوم في اليمن والهند لم يتعدوا هذا الدور

١. انظر : تأويل الدعائم ٣١٨/٣

٢. " : " " " " " "

٣. انظر : دعائم الاسلام ٦٧/٢ .

١. الذي يسمونه دور الترييه اذ لو علموا حقيقة الباطن الذي يؤمنون به لتخلوا عنه لما فيه من التناقض والعجائب - لاسيما في هذا العصر الذي يصعب فيه التصديق بمثل هذه الأمور - وهؤلاء هم عامة الباطنيين ويؤدون الواجبات الدينية الظاهرية بلا خلاف .

٥. سقوط العمل بالظاهر : اتهم بعض أصحاب المقالات الباطنيين بأن مذهبهم يخطط كي يسقط عن أتباعه الظاهر الذي هو في حقيقة الأمر الدين الاسلامي ، كما يقول الدروز (ر . ص ١٦٣) مثل الصلاة والصوم والحج وخلافه ، قال البغدادي :

زعموا [أي الباطنية] أن من عرف معنى
العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله
تعالى (واعبد ريك حتى يأتيك اليقين) واليقين
٢. معرفة التأويل .

١٠. وقال الغزالي (- ٥٠٥) في معرض حديثه عن سبب تسميتهم بالباطنية :

فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف
واستراح من أعبائه ، وهم المرادون بقوله تعالى :
* * * (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم)

وقال المهدي لدين الله المرتضى (- ٨٤٠) : إنهم يقولون : -

إن فائدة الظاهر من الأعمال أن يتوصل
بها الى فهم الباطن فمتى فهم العبد سقطت
٤. عنه الأعمال اذ قد حصل المقصود بها .

٢٠. ١. أنظر : الداعي محمد بن طاهر الجارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة ، (نشر محمد حسن الأعظمي ، الاسرار الخفية) . القاهرة الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٩ .
٢. الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٠ . ٣. فضائح الباطنية ص ١٢ .
٤. مخطوطة المنية والأمل ق ٣٨ ب .
* الحجر ٩٩ * * * الاعراف ١٥٧ .

ولا يغيبن عن البال أن مثل هذا الانسلاخ كان موجوداً عن الفلاة

(ر. ص ٨٣، ٩٧، ١٠٥، ١٢٢، ١٢٣) .

ان الموضوع ألى هنا لا يزال من أقوال المخالفين للباطنيين فماذا يقول

الباطنيون عن ذلك .

- ٥ ذكر القاضي النعمان عن تجاوزات لبعض الدعاة الباطنيين مثل تحليل
المحارم وخلق الدين بالفلسفة ، وأن المعز لدين الله أعرب عن أن هذا
تغيير في الدين ، ومع الاعتراف الباطني بحدوث ذلك بين دعائها فإن
الاستنكار الرسمي لا يمكن اغفاله . وفيه احتمال أن يكون ذلك الاستنكار
من الامام الباطني حقيقي وبه تكون مسألة اسقاط الظاهر عن الباطنيين
١٠ مجرد اشاعة مغرضة من أعدائهم وأن هذه الاشاعة مرتكزة على
تجاوزات لدعاة كانوا في منأى عن سلطان الامام الذي لم يرضه ذلك حين
سمع به .

ولكن بالعودة الى الكتب السرية نجد أن للمعز لدين الله نفسه

دعاء اشتهر في الاوساط الباطنية بدعاء يوم السبت ، يتحدث فيه عن

٢

- ١٥ محمد بن اسماعيل بن جعفر بأن الله عطل بقيامه ظاهر شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم (ر. ص ٢٧٦) ، ورغم محاولة الباطنيين تأويل
هذه الوصية من تصريح المعز ، إلا أن ذلك لم يزد الأمر إلا اوضحاً
حيث حاول الباطنيون اخفاء ما أظهره تاريخهم من اسقاط الظاهر عليهم
منذ ظهورهم بهذا المذهب ، وقد أفصحت مصادرهم عن مرحلة

١. انظر : المجالس والمسائرات ، نشر الجامعة التونسية ، ١٩٧٨ ، ص

٤٠٨ .

٢. انظر ايفانوف . المنتخب - زهر المعاني للداعي ادريس ص ٥٦
وانظر الحقائق الخفية - كتاب الأنوار اللطيفة في الحقيقة ص ١٣٠

من المراحل يصل اليها الانسان فيسقط عنه الظاهر. وعن وجـود
مجموعة من الدعاة يسقط عنهم الظاهر ؛ فعند النصيرية-وهم ليسوا
اسماعيلية كما تقدم- نجد رواية عن جعفر الصادق يقول فيها ؛
نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه

عمل الظاهر . . . [واستدل بقوله تعالى ؛]

(وأن الي ريك المنتهى) . . . وانما

وضعت الأصفاة والأغلل على المقصرين ؛

أما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي

قرأتها عليك فقد أعتقه من الرق ورفعت عنه

الأغلل والأصفاة واقامة الظاهر ؛ ثم تلا قوله

تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

جناح فيما طعموا . . .)

الآية)

وعند الاسماعيلية النزارية نجد داعيهم سنان راشد الدين

يقول عن الانسان ؛

متى عرف الصورة الدينية ؛ فقد عرف

حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه

التكليف وسائر الأسباب .

* . النجم ٤٢

** المائدة ٩٣

١. اللفت الشريف ص ٦٥

٢. مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية

ص ١٤١ .

وعند الاسماعيلية المستعلية ، الذين يعتبرون الفرقة الباطنية —
المحافظة نجد أن :

حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع
عنهم في أدوار الستر التكليف الظاهرة لعلـ^١ـو
درجاتهم .

وعند المكارمة ان :

لكل امام اثنتى عشر حججا [كذا] في حضرته
السامية وهم أهل الحقائق السانية لا يدخلون
تحت التكليف لأنهم قاموا بذلك قبل التصاريف^٢ .

- ١٠ يمكن القول هنا أنه ليس بعيدا أن تكون مسألة اسقاط الظاهر عند
الباطنيين مسألة نسبية ؛ إذ تتساهل بعض الفرق فيها حتى يصبح
من المسلمات الخاصة بتلك الفرقة اسقاط الصلاة والصوم وسائل التكليف
عن أفرادها منذ الجلسات الأولى^٣ كما هو حال الاسماعيلية النزارية فقد
ورد في رسالة " الدستور ودعوة المؤمنين للحضور " الباطنية ؛ استعمال
الآية : (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح . . . الآية)
ثم بعده يشرب الجلوس الخمر على أشكاله وهو ما سماه المؤلف شعاعا وماء^٣
في قدحين .

وكذا عند المستعلية ذكر مثل ذلك وأشد ؛ ذكره محمد بن مالك
اليمني ؛ الذي دخل مذهبهم أيام الدولة الصليحية ؛ ولكن لا يمكن

١. الأعظمي ، الحقائق الخفية — الأنوار اللطيفة ص ١٠٢
٢. حياة الاحرار مخطوط مصور في حوزتي ق ٦١
٣. انظر ذلك بالتفصيل في أربع رسائل اسماعيلية ص ٧٦ فما
* المقصود بالعبارة : منذ الجلسات الاولى لدخوله المذهب الباطني

للباحث أن يعتمد على مقال غير باطني رغم اعتقاد صدقه فيما قال
لا سيما وأنه لعن من يكذب عليهم ودعا عليه ،

- وأن بعض الباطنيين كما يبدو يتشددون في إسقاط الظاهر عن
اتباعهم فيصبح وقفا على خاصتهم دون عامتهم ، وهذا ربما كان
من سياسة خاصة بهم ، كما أنه ليس بعيدا أن يكون سبب ذلك
ماله علاقة بالترتيب التصاعدي لدرجات المجتمع الباطني ، وقد عبرت
النصوص عما يشعر بذلك ، كما أن " الرسالة الجامعة " التي يدعي
الباطنيون أنها من تأليف أحد أئمتهم المستورين - أحمد بن عبد الله
ابن محمد بن اسماعيل - تقول ان الله سبحانه نزه بعض الملائكة
عن السجود لآدم ، بزعم أنهم هم الذين عناهم الله بقوله : (استكبرت
أم كنت من العالين)^١
مما يدل على أن المقصود بالزام بعضهم العمل بالظاهر وإسقاطه
عن خاصتهم هو المفاضلة والا فانه ليس في الظاهر الا أنه دليل
على الباطن كما قال قائلهم :

- يا معشر المؤمنين ان الله ضرب لكم الأمثال
جملا وتفصيلا ولم يستح من صغر المثال
إذا بين به مثولا ، وجعل ظاهر القرآن على
باطنه دليلا .^٢

١. كشف أسرار الباطنية ص ص ١٢ - ١٦
* سورة ص ٧٥
٢. انظر : الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ، تحقيق مصطفى
غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ١٧
٣. انظر النص في : كامل حسين . في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٦

وقول الداعي المؤيد في ديوانه-هذا الداعي الذي يعتبر معتدلا
في فكره:-

١.

اقصد حتى مثوله دون المثل * ذا ابر النحل وهذا كالعسل

هنا نقطة أخرى حول الظاهر والباطن ؛ وهي تتعلق بما يقولون من
ظهور قائم الزمان المنتظر ، وأنه سيسقط العمل بالظاهر ، وهذا ما يتفق
عليه متطرف الباطنيين ومعتد لهم . (ر . ص ٢٢٨ فما) .

ان الذى تحقق الآن من خلال مراجعهم وعلى لسان أئمتهم ودعاتهم
أن قيمة الظاهر عندهم أيا كانت ، وان أقاموه ليست كقيمة الباطن
بل هي أقل ، وهنا نعلم أن المشكلة ليست في تطبيق الظاهر
أو عدم تطبيقه .

١٠

أما الباطن وقرينه أو بعده عن الاسلام فسيوضح لنا أكثر حين نقف
على أمثلة من التأويل الباطني (ر . ص ١٩٩ فما) .

أصل التأويل الباطني :

من أين جاء التأويل الباطني ؟ من أين جاء القول بظاهر الشريعة
وباطنها ؟ هل ذلك مما أنزل على محمد ؟ أم هو دخيل على الاسلام ؟
ان الأقوال في ذلك تتضح من خلال ما يأتي :-

١٥

تاريخ الباطن عند الباطنيين : ان الباطنيين يرون أن دينهم نشأ مع
بدء الخليقة . وإذا قال قائل : ان القول بالباطن والظاهر كان منذ
آدم فقد أخطأ بزعمهم لأنهم لا يعتبرون آدم أباً للبشر على حقيقته بسبب
لا يصورون بدء البشرية على النحو القرآني ؛ فهم يرون أن هناك آدم الكلي

٢٠

١.

وآدم الجزئي وآدم الأول وآدم الروحاني وآدم الجسماني وآدم المستر

وان في مذهبهم أن الله خلق ثمانية وعشرين شخصا من غير تناسل

٢.

كان آدم أبو البشر من بينهم وصرح الداعي الباطني " سنان راشد

الدين " (- ٥٨٨) أنه يعرف ثلاثمائة وستين آدم وعن الأم التي تناسلت

٥

من كل منهم وأديانهم ومذاهبهم إلى أن ينقضي دوره ويأتي آدم آخر

٣.

من ذريته ، ويبدو أن آدم أبا البشر كان آخر آدم ؛ لذا فقد لقبوه

٤.

بالأدنى ، أما اسمه عندهم فهو عبدالله بن تنجيم .

ان الباطنيين يزعمون أن آدم قام رسولا ناطقا وأقام دعوة ظاهرة

فأخبرى باطنة وكذلك من جاء بعده ؛ فكان نوح وإبراهيم وموسى وعيسى

ومحمد صلى الله عليهم وسلم .

١٠

وعن انتقال الدعوة الباطنية بالتفصيل قال الباطنية :

لما تم دور آدم (ع) بأخر متميه قام بعده

نوح دعائه [كذا] بالدعوتين الظاهرة والباطنة

إلى أن تم دور نوح (ع) بأخر متميه ، وقام

١٥

بعده إبراهيم (ع) ناطقا . . . فاجتمعت

عنده النبوة والرسالة والوصاية والامامة . .

و أقام دعوته إلى أن استخرج منها ولده اسماعيل

١. انظر مجهول . مسائل مجموعة في الحقائق ، إيفانوف ، أربعة كتب
ص ص ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ .

٢. انظر ، طاهر الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة ، نشر
الأعظمي ، الحقائق الخفية ، القاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ص
١٠٠ - ١٠٣ .

٣. انظر : أبو فراس . مناقب الولي راشد الدين نشر مصطفى غالب . شيخ
الجبيل الثالث ، بيروت دار اليقظة العربية ، د . ت ، ص ص ٢٠٤ ،
٢٠٥ .

٤. حياة الأحرار ق ٢٢

٥. أنظر : ابن الوليد . رسالة تحفة المرتاد وفصحة الأضداد ، نشر
إيفانوف ، أربعة كتب ص ص ١٦٣ - ١٦٨

٠٠٠ وصيا وسلم اليه رتبة الوصاية والامامة
 بأمر الله تعالى ٠٠٠ وسلم الى ولده اسحق
 رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدي
 أخيه اسماعيل (ع) وحجابا عليه وداعيا اليه
 ٠٠٠ وانتقل ابراهيم (ع) الى دار كرامته
 الله تعالى ، وقام ولده اسماعيل بعده وصيا في
 مقامه مستترا وقام اسحق حجة له ظاهرة ، وحجابا
 عليه الى أن أتت نقلة اسماعيل (ع) . وسلم
 الى ولده قيدار الامامة والوصاية ، ولم تنزل
 متسلسلة في ولد قيدار من ولد الى ولد ٠٠٠
 وسلم اسحق الى ولده يعقوب رتبة ولم تنزل تنتقل
 فيهم ٠٠٠ الى أن تسلمها قائم ولد اسماعيل
 فاجتمعت [عند عبدالمطلب] ٠٠٠ الرتب الأربع
 التي اجتمعت عند جده ابراهيم (ع) ٠٠٠

١٥ [وكانت اثنتان منهن مدخرتين لقائم ولد اسماعيل
 هما الوصاية والامامة واثنتان لقائم ولد اسحق
 (ع) وهما النبوة والرسالة ٠٠٠ فسلم عبدالمطلب
 رتبة الوصاية والامامة الى أبي طالب ورتبة
 النبوة والرسالة الى عبد الله ٠٠٠ فلما أتت نقلة
 عبد الله استودع أباه عبدالمطلب لولده محمد (ص)
 رتبة النبوة والرسالة ٠٠٠ [ثم] قام أبو طالب بالرتب
 الأربع الى أن بلغ محمد أشده ، وسلم اليه
 ما استودع له وهي رتبة النبوة والرسالة ٠٠٠ وهو

قائم ولد اسحق (ع) الذين سبق القول عليهم .
وكان هيكلا نورانيا ومقاما الهيا اجتمعت عنده
صور أهل الدعوات الظاهرة ، القائمين بالعبادة
الظاهرة والقائمين بالأعمال الصالحة .

٥

من اسحق بن ابراهيم الى عبدالله بن
عبدالمطلب . . . [فقام] بالأمر وأعلن بالشهادتين
وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة . . . فلما كملت
[فاطمة] زوجها أبوها أمير المؤمنين (ص) بأمر
الله ووصيه فتم التمام ، واتسق النظام ، وأزدوج

٦

الايمان والاسلام ، وجرت الدعوة الظاهرة على
حالتها والدعوة الباطنة في ضمئها واستمر أمرها
الى ان استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن (عه)
ومن الدعوة الباطنة الحسين (عه) وكانت الدعوة
الظاهرة قسط الناطق ، والدعوة الباطنة قسط

١٥

الوصي الى أن أوفى الناطق خدمته وسلم إلى
ولده الحسن رتبة النبوة والرسالة ، وجعلها
مستودعة له عند أمير المؤمنين ، اذ كان ذلك
قسط الحسن (عه) . وانتقل الناطق (ص) وقام
الحسن بما وجب له به القيام ، الى أن انتقل

٢٠

بعد أن سلم إلى أخيه الحسين (عه) رتبة
النبوة والرسالة فصارت الأريح عند الحسين (عه)
غير خارجة منه ، ولا من ذريته ، حتى تسلم

١- جميع ذلك قائم القيامة .

هذه صورة تاريخ الباطن عند الباطنيين كما تصوره مراجعهم ، والذي يهمنا من كل ذلك ما يأتي :-

١- التأويل الباطني يتناقله الأنبياء والأئمة منذ آدم حتى قيام

قائمهم ابناعن أب .

٢- أن رسول الله (ص) لم يكن الا صاحب التنزيل أى تنزيل القرآن . وهو معنى للظاهر مطلقا .

٣- ان علم الباطن - وان نزل على محمد (ص) فقد خص به عليا ؛ لذلك فهو صاحب التأويل .

٤- ان أئمتهم هم أصحاب التأويل الذي ورثوه عن علي .

٥- ان من مميزات الباطن أنه سري منذ أن كان ، لا يعرفه الا القليل .

سبق للباحث أن نفى التأويل السري عن علي والحسين ، بل ان تصرفهم

الذي أثبتته التاريخ لا يدل على وجود شيء من ذلك عندهم (ر. ص ١١)

والا لظهرت آثاره ، وحتى لو كانوا يعملون على نشر التأويل الباطني سرًا

لُعريف ، كما عرف المؤرخون وأصحاب الفرق من قال بالتأويل الباطني من الغلاة ، وكما وقف أهل العلم اليوم على مؤلفاتهم الباطنية السرية ، رغم

كل المحاولات التي بذلها الباطنيون ، وعلى ذلك فان ما ذكره الباطنيون عن

تاريخ التأويل الباطني ليس الا من نسج الخيال ، وكم كان بود الباحث

١. الأنوار اللطيفة في الحقائق (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية)

ص ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

وانظر عن الدعوى الظاهرة والباطنة : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٣٨ .

ر. تحفة المرتاد وغصة الأضداد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٣

أجراً مقارنة بين " رسائل اخوان الصفا " و " الرسالة الجامعة " لها وبين الكتابات المتأخرة للدعاة الباطنيين ، كي يتضح مدى الصدق في تاريخ التأويل الباطني الذي يدعوه ، لأن " الرسالة الجامعة " بصفة خاصة تحيل التأويل الباطني صراحة على الحكمة والفلسفة^١ حيث لم يدر بخلد مؤلفها أن من سيأتي بعدهم من الباطنيين سيضطر إلى نسبة علم الباطن إلى أهل الديانات لأن أصحاب أو أصحاب " الرسالة الجامعة " لم يُقدِّروا الفرق بين الدين الاسلامي الذي يعتمد على القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبين ما كان يضعه من أفكار باطنية بل اذا كنا أشد صراحة فلأن الباطنيين أصحاب " رسائل اخوان الصفا " كانوا يتصورون أن الاسلام سيضمحل ليحل محله الدين الباطني .

أما ما قاله الباطنيون عن انتقال التأويل الباطني بين أئمتهم ، فإن تاريخهم أثبت استحالة ذلك ، في مثل امامة اسماعيل بن جعفر المختلف في حياته ومات (ر . ص ٢٦٤ فما) وفي امامة محمد بن اسماعيل الذي عاش في المدينة المنورة ردحا طويلا وله فيها من الأبناء من اعتبرهم الباطنيون خاليين من الامامة ، وتحويل الامامة إلى ابن له ولد ونشأ في ظروف غامضة صعبة التصديق (ر . ص ٢٧٤) وكذا اعتبار بعضهم ان " عبدالله المهدي " ليس من الأئمة المستقرين ونفى بعضهم ذلك عنه (ر . ص ١٩٤ فما) وغير ذلك من الأمثلة كثير يستحيل فيها انتقال علم الباطن من أب لابنه مطلقا .

١. انظر: الرسالة الجامعة ص ٨ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٥١

تاريخ الباطن عند غير الباطنيين :

- ان معظم من تحدث عن التأويل الباطني عَزَاهُ الى الفلاسفة اليونانيين ،
 من أولئك كان الشهرستاني (٥٤٨ -)^١ ، وابن الجوزي (٥٩٦ -)^٢ ، وعطاء
 الملك الجويني (- نهاية القرن السابع)^٣ وابن تيمية (٧٢٨ -)^٤ وغيرهم
 ومن المحدثين قال بذلك المستشرقان : دي بور وبراون (١٣٤٣ -)^٥ الذي
 يضيف أن المذهب الباطني قد استمد كثيرا من أسسه من المذاهب الايرانية
 والسامية القديمة ، هذا وان محمد كامل حسين ذكر أن الباطنيين أخذوا
 التأويل الباطني من خلال الكتب اليونانية التي ظهرت باللغة العربية
 في عصر الترجمة أيام المأمون العباسي وما بعده .^٦ ولكن هذه الدعوى
 لا تصمد أمام المصادر القديمة التي ذكرت أن التأويل الباطني ظهر عند الغلاة
 قبل هذه الفترة بزمان طويل (ر. ص ١٤٠) . الأمر الذي يدل
 على أن التأويل الباطني لم يظهر من خلال عصر الترجمة بل ظهر من خلال
 أفراد انضموا إلى الفرق الخالية أو أسسوها لغرض هدم الدين الاسلامي .
 اتجهت اصابع الاتهام بعد ذلك إلى المجوس واليهود ؛ لأن لهذين
 الفريقين مصالح في النيل من الدين الاسلامي ردا منهم على الانتصارات
 الاسلامية التي أبادت نفوذ اليهود في شبه الجزيرة العربية وأبـادـت
 دولة الفرس في بلادهم .

١. انظر الملل والنحل ١/ ١٩٢
٢. انظر : عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٦ -) . تلبيس ابليس ، نشر
 الاسلامبولي ، ١٣٩٦ ، ص ١٠٦ .
٣. انظر : حياتكشاي ، ترجمة جمال الدين . ص ١٥٠
٤. انظر مجموع الفتاوى ، ج ٣٥ ، ابن قاسم ، مكة ، مطبعة الحكومة ، ص ١٣٣
٥. تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة أبوريدة ، القاهرة ، لجنة التأليف
 ، ١٣٥٧ ، ص ٩٥ .
٦. انظر ما كتبه الشيبني ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ط ٢ ص ٢٠
٧. في ادب مصر الفاطمية ص ٢٨ .

بالنسبة للمجوس فان " اصابع الاتهام قد تصدق في مظاهر أخرى
للخلو الشيعي . أما التأويل الباطني بخاصة ، فان المصادر القليلة
التي تيسرت للباحث ، لم تقل بوجود التأويل الباطني عندهم على
النحو الفلسفي اليوناني ، ولكن رغم ذلك لا أحد يستطيع نفى الجهود
المجوسية في المساعدة على نشر الباطنيات ، فهم وان لم يكونوا مصدرا
للتأويل الباطني فقد أعانوا على نشره .

أما اليهود فان في تاريخهم ما يشي بوجود التأويل الباطني
الفلسفي اليوناني في فكرهم على نحو واضح الى حد ما ، وهذا يدعو
الى مرافقة التأويل الباطني الفلسفي اليوناني في رحلته الى فكر
اليهود .

اليهود والتأويل الباطني :

قبل الحديث عن التأويل الباطني عند اليهود ، لا مناص من العلم
بشيء عن أصل التأويل الباطني عند اليونان . وشيء عن سيطرة
اليونان على اليهود .

١٥

ان اليونان أخذوا بالتأويل الباطني بعد ظهور شعر هوميروس
فحينما أصبح هذا الشعر ناصا ذا سلطة ، أخذ المفكرون اليونانيون
والأدباء في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله .

ثم سلك هذا المسلك (زينون الرواقى) وتبعه عليه (فسيفور فوروس)
أما عن انتقال التأويل الباطني الى اليهود فقد أتى من اعجابهم
باليونان على النحو التالي :-

٢٠

بعد احتلال " قورش " ملك فارس (٥٣٨ ق م) لبابل صار له سلطان
على أرض يهوذا التي كانت تحت النفوذ البابلي . وقد مكن هذا الاحتلال
الفارسي اليهود من الفكك من الأسر البابلي ، فعادوا إلى فلسطين
الآن :

٥ عودة اليهود من المنفى [كان] عودة الجموع

وليس عودة الدولة فان بعض بني اسرائيل
عادوا ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة
تابعة للحكم الفارسي ، ولكن دولتهم لم تعد
فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي ، وخاضعة
له وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم
من الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالاسكندر
الأكبر حينما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق م .
وقد آل حكم فلسطين إلى البطالسة بعد
الاسكندر .

١٥ [ولاشك أن لهذا الترحيب باليونان آثاراً أهمها
الاتصال بالحضارة اليونانية .]

ولكن الديانة اليهودية القديمة ، بفضل
اتصالها بالحضارة اليونانية التي كانت آخذة في
التقدم حول فلسطين . . . بصورة حتمية ، أقله
في أوساط الارستوقراطية اليهودية التي استهوتها
هذه الحضارة ، ورغبت في ارضاء الملوك اليونانيين

١. انظر : شلبى . اليهودية ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٧٤

ص ٨٨ .

٢. شلبى . اليهودية ، ص ٨٩ .

وقد انتشرت الحضارة اليونانية انتشارا أوسع في مجتمعات
اليهود المهاجرين المقيمين في مصر وفي المدن الآسيوية
[ويبدو أن ذلك وغيره مهد إلى قيام] . . . ثورة
الماكابيين [سنة ١٦٦ ق م] . . . والتي انتهت بفضـل
ضعف المملكة السلوقية إلى قيام دولة يهودية مستقلة
٥ . . . ولكن سرعان ما انتهت دولتهم المستقلة ، ففي
أواخر القرن الثاني قبل المسيح ، إلى ملكية هــل أول
ملك فيها اسما يونانيا هو أرسطوبولوس ، ويكفي هذا الحديث
للدلالة على أن مناهضة الحضارة اليونانية التي بدأت
بثورة الماكابيين قد أخفقت . . . ثم أن الأدب اليهودي . . .
١٠ قد تأثر ، مع محافظته على طابعه الديني بالفلسفة اليونانية
كما نرى في كتابي " الجامعة " و " الحكمة " . ويتضح أن
واضح هذا الكتاب الأخير ملم بالأفلاطونية من مقـدـم
الألوهية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بالعالم ، وهكذا
فقد تمهدت الطريق لمؤلفات " فيلون " في العهد التالي .
١٥ ولنرى بعد ذلك من هو " فيلون " هذا الذي جاء في العهد التالي ، وما
علاقته بالتأويل الباطني .

٢٠ فيلون : فيلسوف يهودي من بعد العصر الهليني أي ما
يقارب ٢٠ سنة قبل المسيح ، عاش في الإسكندرية - أي ملكة
مصر القديمة ، الكثير عن حياته غير معروف ، في سنة ٤٠ بعد
المسيح كان زعيما لبعثة يهودية أرسلت إلى (جاليجولا)
طالبة منه التوقف عن ملاحقة الدين اليهودي واليهود . . . كانت

دراسته مع الطبقات الأورستقراطية الأغريقية كان شديد
الاطلاع على الفلاسفة الكلاسيكيين والدراماتيكيين ، وكانت
لديه معرفة كافية في الحساب وعلم الطبيعة ، ومن ناحية
أخرى يظهر أنه لم يكن لديه معرفة بالتاريخ
حضور حلقات الجامع والكُنس اليهودية . هناك تعلم
التوراة في الترجمة السبعينية . ما يظهر أنه لم يكن على
اطلاع على اللغة العبرية .

الملاحظ من خلال النصوص السابقة أن هناك إعجابا يهوديا بالحضارة
اليونانية وأن هذا الإعجاب قد ترجم إلى تعلق الأدب اليهودي وتأثره
بالحضارة اليونانية مع المحافظة على الطابع الديني ، كان هذا في
القرن الثاني قبل ميلاد المسيح ، أما الفترة التي تلت ذلك وهي الفترة
التي وجد فيلون فيها ، فإن الدراسات اليهودية عامة أصبحت باللغة
اليونانية حتى وجدنا فيلون اليهودي لا يقرأ التوراة إلا بترجمتها اليونانية
الشهيرة بالسبعينية ، ولنا أن نتخيل مكانة الثقافة اليونانية في نفس
أمثال فيلون .

وقد سبق لنا معرفة قيمة التأويل الباطني في الفكر اليوناني أو الأغريقي
لأنه أصبح من مظاهر فكرهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، لا عجب
اذن أن يسلك فيلون الاسكندري اليهودي مسلك الأغريق في ذلك . وهكذا ،
انتقل التأويل الرمزي [الباطني] إلى اليهودية على
يد فيلون اليهودي في القرن الأول الميلادي ، الذي يعد من
أكبر مثلي النزعة إلى التأويل في العصر القديم وقد
دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب الحملة التي قام بها

١. دائرة المعارف اليهودية J.E.V.IX. now york. 1903. (Philon) p. 495

* عن الترجمة السبعينية أنظر هامش الصفحة التالية .

المفكرون اليونانيون على ما في التوراة (العهد القديم) من قصص واساطير ساذجة أو غير معقولة ، مثل برج بابل ، والحية التي أغرت حواء في الجنة ، وغضب الله ، وأحلام يوسف ، فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضع الاسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلاً بالباطن ، ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وأن التفسير بالمعنى الحرفي - هو مجرد جسم هذا النص المقدس (Philon: de Migt Abr. 1, 450) -

لنص سيؤدي إلى الكفر والاحالة .^١

١٠ وفي ذلك تقول موسوعة تاريخ الحضارات العام ان فيلون :

يفسر حوادث التوراة تفسيراً مجازياً ، منها ظهور يهوه ومدخلاته في شئون بني البشر . وهكذا توصل بفضل ما اقتبس من نظريات أفلاطون وزينون الفلسفية أن ينسج كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجي .^٢

١٥ وقالت دائرة المعارف اليهودية عن فيلون :

انه يعظم مكانة الاله ومن طهارته ومن كماله ، ولكنه يجعل من فلسفته [أن] العالم مبني على مواد أزليه كعالم الأفكار

* = الترجمة السبعينية للتوراة هي ترجمة إلى اللغة اليونانية قام بها بطليموس وقد أخذت هذه الترجمة على لسان سبعين من علماء اليهود استجلبوا من فلسطين لهذه المهمة " انظر في ذلك : تاريخ يوسفوس اليهودي ، ط بيروت ١٨٧٢ ، ص ص ٤٩ - ٥١ .

١. عبدالرحمن بدوي . مذاهب الاسلايين ، ج ٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ١٢ .
٢. الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ص ٤١٨ .

الخيالية ، انه اي الاله يؤثر على العالم بطريقة
غير مباشرة مبدئيا من خلال التوسط وبعض الاحيان من
١. خلال الملائكة والشياطين والنجوم .

بالامكان هنا التعرف على ماهية التأويل الباطني عند فيلون على
٥ ضوء المصادر السابقة ؛ وهي أنه : ينسخ كل اتصال مباشر لله مع
العالم الخارجي أي أن تأثير الله على العالم يكون بطريقة غير مباشرة
من خلال وجود واسطة بين الله وخلقته . وظهور هذا عند فيلون يعتبر
ترجمة لما ذهب اليه من أن التأويل الباطني للنص هو الروح .

ان التأويل الباطني حسب ما سبق ظهر بعد أن أصبح شعر هوميروس
١٠ نصا ذا سلطة وهذا تفسير لما ذكره الشهرستاني بأن :
٢. وجود الشعر [عند الأغريق] كان قبل الفلسفة .

وهذا يعني أن التأويل الباطني الذي هو جزء من الفلسفة الاغريقية،
انما كان وسيلة اجتماعية للمروب من النص الذي صار أمراً ذا سلطة ،
والنص الذي هو الشعر هنا بشري وكذا التأويل الباطني له بشري من جنسه .

١٥ ان هذا لا يمكن تطبيقه أبداً على التوراة فهي نص سماوي ذو سلطة على
بني اسرائيل منذ نزوله على موسى في القرن الثالث عشر قبل المسيح تقريبا .
ولكن التأويل الباطني لم يظهر للتوراة الا في القرن الثاني قبل المسيح
حينما ظهر قبل فيلون الاسكندري ، مع أن اليهود تعرضوا لكثير من النواصب
خلال هذه الفترة ، الا أن أيا منهما لم يؤد إلى ظهور التأويل الباطني
٢٠ للنص التوراتي ذي السلطة . وان ظهور هذا التأويل في فترة استقرار

١. دائرة المعارف اليهودية : ٤٩٦ (Philon)

٢. الملل والنحل ج ٢ ص ١٠٨

اليهود يعني أن سلطة النص لم تكن هي الدافع للتأويل الباطني - ما يعني أن مجارات الحضارة اليونانية كانت السبب في ظهور التأويل الباطني هنا بالامكان التساؤل : هل معنى ذلك أن اليهود نقلوا التأويل الباطني من الاغريق ثم انتقل بواسطتهم إلى الباطنيين ؟ .

- ٥ اجاب عبدالرحمن بدوي على ذلك بالنفي لأنه يزعم أن التأويل الباطني الذي ظهر به فيلون لم يجد صدًى كبيراً في الفكر اليهودي عامة فضلاً عن أن يكون له صدًى في يهود جزيرة العرب وعليه فإن من المستبعد أن يكون عبدالله بن سبأ مثلاً قد علم التأويل الباطني الفيلوني ونقله إلى فكر الخلافة وبالتالي تم نقله إلى الباطنيين . ان رأى " بدوي " هذا الذي استقاه من اساطين الفكر الغربيين . وهذا يعني أن أهل هذا الفن توقفوا عند هذه النقطة .
- ١٠

وحيث قد سبق للباحث ان استبعد انتقال التأويل الباطني عن طريق المجوس ، كما استبعد انتقاله عن طريق ترجمة الكتب اليونانية في عصر المأمون (ر. ص ١٨٠) ، فإن في الأمر حلقة مفقودة ، أو أن

- ١٥ هناك تقييماً خاطئاً لفترة تاريخية ما .

ان عبدالرحمن بدوي قد فطن إلى ذلك فذكر أسباباً تدعوا الفسوق الباطنية للأخذ بالتأويل الباطني أو للجوء إليه دون أن يدلهم إليه أحد ، وذلك لدواعي :

١- التحرر من قيد النص للتوفيق بينه وبين الرأي الذي

- ٢٠ يذهب إليه صاحب التأويل .

٢- التحرر منه ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح

اللفظ وبين ما يقتضيه العقل .

١.
٣- الرغبة في تعميق صريح النص السانج .

ان هذا الرأي يتلخص في أن الحاجة تفتق الحيلة . وهو احتمال
يفتقر الى وقائع ثابتة . كيف يمكن الأخذ به وهو في أحسن حالاته
تهرب من وقائع أثبتتها هذا البحث . بعد الرجوع الى المصادر الخاصة
بأصحاب المقالات والفرق ؛ وهم الذين تتبعوا التأويل الباطني وظهره
في فرق الخلاة ، وقد أشير اليه في مواضع مختلفة من الباب الأول في
هذا البحث . ان العودة الى ما كتب في ذلك يوضح لنا بجلاء أن
احتمال ظهور التأويل الباطني في الفرق الباطنية كان لأسباب فطرية
وليس بتدخل عوامل خارجية انما هو احتمال يفقر الى الكثير ليكنون
احتمالا صادقا .

متى ظهر التأويل الباطني عند الخلاة ؟

ظهر التأويل الباطني أول ما ظهر على زعم وجود علم سري عند علي
بن أبي طالب .

ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي والبغدادى وابن أبي الحديد ،

وكان بطل هذه الدعوى عبدالله بن سبأ اليهودي وجماعته السبئيين ١٥

وكان هذا " العلم السري " عبارة عن أخبار توراتية ، ودعاوى تأويلية

مثل هدم دمشق حجرا حجرا (ر . ص ٣٢) ونبع عين من مسجد الكوفة

(ر . ص ٣٤) وادعاء أن رسول الله (ص) كتم تسعة أعشار الوصى (ر . ص ٣٦)

كما ذكر كثير من الذين أرخوا لابن سبأ : قوله لمن جاء ينعي اليه أمير المؤمنين

٢٠ : كذبت . . . لعلمنا أنه لم يموت حتى ، وإذا عدنا الى التواريخ

اليهودي فاننا نجد أن " العلم السري " ظاهرة معروفة ؛ الا أنني لا أزم

أنه التأويل الباطني الفلسفي بعينه .

في محاضر التحقيق في حادثة مقتل الكاهن النصراني "توما" الشهيرة ،
وجه أحد المحققين سؤالاً إلى الحاخام "موسى أبو العافيه" الذي أسلم
وتسمى "محمد أفندي" قائلاً له :

قلت [بفتح الأخيرة] انهم أخذوا الدم لأجل الفطير مع
ان الدم عند اليهود محرم وهو رجس ، ولو كان دم حيوان
فكيف هذا التناقض ؟ فسر لنا ذلك ان كنت من الصادقين .
— بموجب التلمود هناك دمان مقبولان عنده تعالى : دم
الفصح ودم الطهور فصادق الحاخام يعقوب العيثاني على
هذا التفسير .

قال المحقق : ان جوابك لا يظهر جلياً كيف يحل استعمال
الدم البشري ؟

[قال محمد أفندي] : هذا سر من أسرار الحاخامات الكبار
كما أن كيفية استعمال الدم هي من أسرارهم أيضاً .

ان العلم السري عرف عند اليهود أيضاً باسم "القانون الشفهي" السني
يتناقله الحاخامات جيلاً بعد جيل ثم كتبوه وسموه التلمود . وهذا القانون
الشفهي ما اشتغل به فيلون .

انتقل "العلم السري" إلى الكيسانية فيما انتقل من العقائد السبئية على يد
"المختار الثقفي" الذي :

شجع الآراء الاسطورية عند غلاة الشيعة — وهم الآن السبئية —
وسمح بتكوين عقيدة جديدة تقوم على محاولة اسباغ علم سري
على الامام^٤ ،

على ما تقدم من الروايات يمكن القول : ان عقيدة "العلم السري" لم تقم على أكتاف

١- الكنز المرصود ص ١٤٧ ٢- انظر الكنز المرصود ص ٤٥
٣- انظر : دائرة المعارف اليهودية ٤- الشيعي : الصلة بين التصوف والتشيع ط ٦٢
ص ١٠٤

ماكانت هذه العقيدة قائمة من قبل لدى السبئيين ، وانما ترعرعت لدى الكيسانية على اختلاف فرقهم كما ذكر الشهرستاني عن الكيسانية ؛ وتأويلهم الأحكام الشرعية الى رجال ، وكذا ما اعتبروه في شخصية " ابي هاشم " مما أخذ من أبيه " محمد بن الحنفية " من أسرار التأويل الباطني (ر. ص ٨٩) ، وما أظهره حمزة بن عمار البربري من تحليل المحام (ر. ص ٨٣) . وقد اتخذ التأويل الباطني أشكالا مشابهة لتحليل المحام وتأويل الأحكام الشرعية . لدى فرق الغلاة الكيسانية بعد أبي هاشم ؛ بل ان جميع فرق الغلاة بعدهم قالوا بالتأويل الباطني .

كما لم يظهر التأويل الباطني عند " الخطابية " " والمباركية " ومن سار سيرتهم ؛ الا على ذلك النحو وتلك الوتيرة ، وان لم يخل الامر من تأويلات فلسفية ظهرت عندهم وهم الذين يعتبرون نواة للاسماعيلية ؛ كل ذلك كان قبل عصر الترجمة العباسي .

يتضح لنا أن التأويل الباطني انما أدخله عبدالله بن سبا اليهودي ، وسارت الغلاة عليه تطوره وتزيد عليه . وقد اتضح لنا أن عبارة " العلم السري " انما هي اصطلاح يهودي ؛ ولذا فان اللفظ المشترك ومعناه يتطابقان مع مدلول نفس اللفظ عند السبئية فهو أحد العوامل المشتركة في ذلك بين اليهود والباطنيين ، أما العامل الثاني فهو :

تعدد تأويلات العبارة الواحدة ؛ فقد ذكروا أنهم يروون عن الأئمة أن :

الكلمة لها سبعة وجوه ، فقال قائل سبعة وجوه . فقال :

سبعون . فقال القائل : سبعون . فقال : سبعمائ .

٤٠

١. الديلمي قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٥٢ وأنظر تأكيد ذلك في مسائل مجموعة من الحقائق (شروثمان . أربعة كتب) ص ٣٢ .

وكقول بعض الطوائف اليهودية بتعدد تأويل العبارة الواحدة مع التناقض في التأويل :

قال الحاخام "مناحم" في أقوال الحاخامات المتناقضة : انها من كلام الله مهما وجد فيها من التناقض : فمن لم يعتبرها ، أو قال انها ليست من أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى .

ان أقوال الحاخامات المتناقضة منزهة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير

حصلت مشاحنة يوما بين حاخامين أحدهما يدعى

الراي (شايا) والثاني (باركبارة) وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال له : كيت وكيت مما ادعوه ولم يفصل في الخلاف الواقع بينهما . فجاء الحاخام (روسكي) وقال : ان الحاخامين المذكورين قالا الحق لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ .

يزعم التلمود أن أقوال الحاخامين ذات سلطة متعاقبة ،

وذلك لأن نداء مقدسا هتف على (جابنيه Jabneh)

قائلا : كلمات هذا وذاك كلمات الله الحي .

الظاهر أن تعدد تأويل العبارة الواحدة لم يظهر عند الغلاة كمبدأ ساروا

عليه بقدر ما كان عاملا فرضته اختلاف زعمائهم باعتبار كل فرقة من فرقهم في الحقيقة مدرسة غالية مستقلة ، أما ما حدث بعد ذلك فقد كان باختلاف تأويلات دعاة الباطنية المتناقضة ، فلما اكتشفوا ذلك في مذهبهم صاغوا له تلك الرواية كما فعل

١. الكنز المقصود ، ط ٢ ، ص ٤٧

٢. ظفر الاسلام . التلمود تاريخه وتحاليمه ، ط ٢ ، بيروت ، دار النفائس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ .

اليهود من قبل .

أما ثالث ما تطابق عليه اليهود في التأويل الباطني مع الباطنية فهو :-

أن باطن النص هو المقصود وأنه كالرجح بالنسبة للجسد :

- أشار الباحث فيما سبق الى ما يؤيد القائلين بأن المقصود من النص
أيا كان هو باطنه وأن ظاهره قد كُيف ليتلائم مع الباطن في كثير من
الأمور (ر. ص ص ١٦٥ ، ١٦٦)

- أما اليهود فابتداءً من " فيلون " يقولون بذلك في نصوصهم ، وقد سبق
الإشارة الى النص الذي أورده عبدالرحمن بدوي من كتاب الله " فيلون " نفسه ، بأن التأويل بالباطن هو روح النص (ر. ص ص ١٨٥) . والتلموديون
ينهجون الطريقة نفسها في صرف النظر عن ظاهر نص التوراة ، يقول
(باركلي) عن ذلك :

الأساس الكلبي الذي يقوم عليه القانون الثاني

أو الشفهي هو عدم الالتفات لما صرح به موسى

في التوراة .

- ان الباحث هنا يجد نفسه أمام النصوص القوية التي تشير الى
تطابق التأويل الباطني عند الغلاة وعند اليهود عامة و " فيلون " خاصة ،
يشير بالاتهام الى عبدالله بن سبأ لا سيما وأن شيئاً من ذلك ظهر في العقائد
التي نشرها هذا اليهودي . ويصدد استبعاد دوره في ذلك ، فان الأمريكاد
يصبح مثل الأقصوصة التي تقول ان هناك شخصاً في يده مسدس وآخر
على مرمى سلاحه مفرج بالدماغ . فكيف يستساغ القول ان صاحب
المسدس غيرتهم باطلاق النار على المجندل بحجة أننا لم نر الرصاصة حين
خرجت من المسدس وانطلقت حتى استقرت في جسم القتيل ، مع اعترافنا بأن

رصاصه أطلقت ؟ ١٢ هل يستساغ ذلك ويمكن قبوله ١٤

نماذج من التأويل الباطني للقرآن الكريم عند الباطنيين :

تفسير آية الكرسي *

ان قوله تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " هو تنزيهه
من القائل للمبدع الحق تعالى الذي لا تجاسر نحوه الخواطر
وان كانت الألفاظ لا تقع عليه حقيقة كما قال سيدنا حميد الدين أعلی
الله قدسه : ان حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل الا على
محدث مثلها ، وانما يضطربنا العجز الى أن نكني عنه بما يستحقه
أسمائه العليا ، لعدمنا ما نصفه به ، فكان المكنى عنه حقيقة
بالحي القيوم ، وسائر النعوت المذكورة في الآية ، هو أول مبدع
أبدعه الله تعالى وهو اسمه الأعظم ، وقوله : " لاتأخذه سنة ولا نوم "
هو تنزيهه له عما يعتري أبناء الطبيعة من السنة التي هي الغفلة
والنوم ، قوله تعالى " له ما في السموات وما في الأرض " هو اخبار
أن من لا تجاسره الخواطر ملكه ، لما خصه به ، وانعم عليه من
المدة الأزلية التي كانت جزاء عن تلتزمه لمبدعه عن جميع ما في
العوالم الروحاني والطبيعي والديني ، وما احتوت عليه سمواتهم
وأرضهم والسموات الطبيعية هي الأفلاك والأرض هي المركز في
عالم الكون والفساد . والسموات في عالم الروحاني والديني هم
المفيدون والأرض هم المستفيدون ، فكل واحد منهم سما لتاليه
وأرض لعاليه ، والمبدع الأول تعالى مبدعه مالك للجميع ممد
للكل ، وبأمره الساري اليهم قاموا ، وبمادته الأزلية المتصلة
بهم داموا واستقاموا . وقوله تعالى : " من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه " معناها أنه لا يقدر على الشفاعة ويقبل منه ، الا من قام

- في مرتبة من مراتب العالمين الروحاني والديني بآذنه ، وأفاد
وهَدَى بأمره الوساطة من سبق عليه من الحدود . وقوله تعالى
: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم * فالذي بين أيديهم هي
الآخرة والذي خلفهم هي الدنيا وعلمه محيط بالكل . وقوله
تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء * إخبار منه
سيحانه أن أحدا من هذه العوالم لا يحيط بعلم الا بما أفاضه
عليه وشاء أن يهديه اليه . وقوله تعالى * وسع كرسيه السموات
والأرض * فكرسيه في العالم الروحاني هو تاليه الذي أقامه لهداية
أهل عالم الابداع وسعهم رحمة ، وأفادة ، وكرسيه في العالم
الديني ، هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وإمام وهو
الذي وسع من في ضمنه من سموات الدين وأرضه هداية ورحمة
وكرسيه في العالم الحسي الطبيعي النفس الفلكية والحيوة
المحركة لها العناية الالهية التي وسعت كل ما في عالم
الطبيعة تجرسة ونقلا لكل شيء من جزئياتها الى ما يليق
به من كون أو فساد ، وقوله تعالى * ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم * معناه أنه لا يثقله ولا يشغله ما صرف اليه
مبدعه تعالى من حفظ العوالم بأمر لكونه عاليا في شريف منزلته
عظيما في تدبيره للخلائق بأمر موجد وقدرته . فاعلم .

تفسير قصة ابني آدم ؛ وهى قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني
آدم بالحق انذ قريا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لأقتلك قال انما يتقبل الله من المتقين . لكن بسطت الى يدك
لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين .
انى أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا
الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه
قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الخراب فاواري سواة
أخي فأصبح من النادمين * . كما وردت في كتاب الرياض للداعي الكرمانى ؛
ان كلا من الضد والولي اعتقد في العبادة لله تعالى
شيئا هو قربانه الذي به يتقرب الى الله تعالى فالضد اعتقد
أن العبادة ليست الا بالظاهر من الأعمال فقط ، وأن الخلاص
ليس الا به وأنه سيكون بهذا الاعتقاد والاخلاص فيه هو القائم
مقام الرسول (صلعم) والولي اعتقد أن العبادة لله تعالى
ليست الا بالظاهر الذي هو العمل ، والباطن الذي هو
العلم وأن الخلاص ليس الا بهما جميعا ، وأن القائم مقام
الرسول (صلعم) من قدمه الرسول صلى الله عليه وآله وارتضاه
فتحاربا في ذلك يوما واختصما فيه الى النبي وأوضح كل منهما
اعتقاده له فيما تعبد الله به ، وذلك قوله : (انذ قريا قربانا)
أى اعتقد كل منهما فيما يقربه الى الله تعالى والى رسوله
شيئا فتقبل من أحدهما وهو الوصي أي ارتضى الناطق القائم

- مقام الله اعتقاده في الله وفي عبادته ولم يتقبل من الآخر وهو
الضد أي لم يرتضي [كذا] الناطق اعتقاده كونه على غير
وجهه ، وكان ارضاه الناطق عليه السلام ما ارتضاه من اعتقاد الوصي
في نفسه من غير أن يصح ظاهرا اشفاقا من أن ينسب الضد
منه الميل الى الولي من دونه ، فقال : (ان أكرمكم عند الله
أتقاكم) . وكان قد سمع الضد منه صلى الله عليه وآله
يقول : أتقاكم أبوبكر فقد رجع سماعه ذلك من الرسول الأيية
التي قراها . انما قراها لارتضائه اعتقاده وطريقته ،
وأنه القائم بعده ذلك [كذا] ، فقام وفي قلب الضد أنه قد
غلب الولي ، فقال له لأقتلك أي لأدفعك من هذا الاعتقاد
الذي لم يرتضيه منك وعن الأمر الذي تقدره أنه لك ، فقال
له الولي : (انما يتقبل الله من المتقين) يعني أن القائم مقام
الله الذي هو الرسول لا يقيم مقامه أحدا ، ولا يرتضي من أحد
اعتقادا الا من المتقين الذين يجمعون بين العلم والعمل ، ويتقربون
الى الله تعالى باقامة معالمها جميعا ، فعهد الضد الى الطعين
والوقية في الولي ، وأنه لا يعرف شيئا فانهما ترافعا الى النبي
عليه السلام في اعتقادهما فرضي اعتقاده من اعتقاده ، فقال
الولي : (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي
اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين) اي لئن أعنت عليي
وبسطت لساك في ووضعت من مقداري ، وقتل في غير الواجب
ولا ترضى بما اعتقد في عبادة الله رب العالمين فاني لا أفعل
بك مثل ذلك ولا أطعن فيك فاني تحت أمر الناطق القائم مقام الله

- الذي هو صاحب الدور ، ورب الأمة ، وتحت طاعته ،
وأخافه ولا أقدم على شيء إلا بأمره ، فعمل هذا القول
من الولي في الضد ففتر عما كان عليه ، فطوعت له نفسه
قتل أخيه ، فنفسه على الضد الثاني ، جرى على الضد
الذي كان لا يحل ولا يعقد ولا يشاور الا معه ، أي لما
أعاد الضد الأول ما جرى على الضد الثاني ، قال له
ليس الاعتقاد في الله وفي عبادته إلا ما قلت ، والذي قاله
هذا يعني الولي فهو الحاد ، وحسن له الأمر في الوضع
من الولي ، ومنعه من رتبته ، ونسبه إلى أنه لا يحسن
شيئا ، قتله أي دفعه عن مرتبته ، وتغلب عليه وقال : ليست
العبادة إلا بهذا الظاهر ، ولا بما يقوله له هذا ، فأصبح
من الخاسرين لما عبد الله بطاعة الناطق ، من دون طاعة
الأساس ، وبالظاهر من دون الباطن (فبعث الله غرابا
يبحث في الأرض) ، أي لما تطاولت المدة وحان انتقال
الضد ، أراد الولي أن يحكم الحجة عليه ، لتكون مفارقتة
العالم بعد تذكير ، فبعث إليه (وهو قوله فبعث الله) أي القائم
مقام الناطق الذي هو القائم مقام الله رجلا من أصحابه ليوضح
له أمره ومزله ، وما لله تعالى عنده من السر في سكوته عن طلب
حقه ، ويجعل له مخرجا مما فعله ، ويشوقه إلى رد الحق
إلى أهله ، وذلك معنى بحث الغراب في الأرض ليريه
كيف يتخلص مما جنى على نفسه ، ويرشده إلى الواجب ،
فالرجل الذي بعثه ولي الله لذلك هو (محمد بن أبي بكر)
أذ هو من المختصين بالولي من جهة الدين ، وبالضد من جهة

النسب ، ففعل محمد ما بعث لأجله ، فتنبهه ضد لجنايته ،
ولانت نفسه ، وانقاد إلى التزام ولايته ، فغلب الضد
الثاني على رأيه ، ومنعه من مراده ، فيما هم به من الاقرار
للولي بحقه ، فتحسّر فقال في نفسه لما منع : (يا ويلتي
عجزت أن أكون مثل هذا الخراب أي ياليت أني في مثابة
هذا الرجل يعني محمدا ولده ، الذي هو غريب عن الولي
ومثله في المحافظة على عهد الله ودينه وكنمان أسرار ولي
الله ، فأصبح من التلاميذ على ما فاته من اتباع الولي أولاً ، وعلى
فعله الذي ينتقل عليه إلى دار الآخرة آخرًا .

- وفي هذا البحث نماذج أخرى للتأويل الباطني للقرآن ، نذكر منها على ١٠
سبيل المثال تأويل قوله تعالى : " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض " (ر. ص ٢١٤) وتأويل قوله تعالى : " الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم " وقوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها " (ر.
ص ٢٢٠) . وتأويل قوله تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر " (ر. ص ٢٢٦) ، وكذا ١٥
ما قيل في تأويل قوله تعالى : " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله " (ر. ص ٢٢٩) .
ان كل هذه التأويلات ليست مما نسبته أهل المقالات إلى الباطنيين
ولكنه مما في كتبهم الباطنية فحسب ، وهي كافية في اخبارنا عن حقيقة
الدعوى الباطنية عموما والتأويل الباطني خصوصا . ٢٠

١. الداعي الكرمانى . كتاب الرياض ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، دار الثقافة
١٩٦٠ ، ص ١٨٢ - ١٨٥ .
* الأنعام ٧٩ ** النمل ٢٦ *** الزمر ٤٢
**** البقرة ٦٢ ***** التوبة ٣٣ .

الفصل الثاني : التسبيع :

تمهيد : ان الباطنيين يقدسون الاعداد بصفة عامة . الا ان أهم عددین

في عقيدتهم هما سبعة واثنى عشر؛ يقول الداعي جعفر بن منصور اليماني :

جعل الله سبع سموات وسبع أرضين ، وسبع [كذا]

أهر وجعل الأيام سبعة والليالي سبعة ، وجعل أيضا في

السما اثني عشر برجاً والأرض اثنتي عشرة جزيرة [١] وفي كل

يوم اثنتي عشرة ساعة وفي كل ليلة اثنتي عشرة ساعة وجعل

السنين في كل سنة اثني عشر شهراً فجعل السبعة والاثني

عشر موجودة في كل ما خلق . ثم خلق الانسان وجعل

طوله سبعة أشبار ، كل انسان طوله سبعة بشبره [١]

وغير ذلك من دلائل السبعة والاثني عشر في كل شيء

ما يطول شرحه ولا يجهله من تدبره ، وإنما جرى الذكر

بذلك تثبيها عليه ولما جعل الله عز وجل دينه انما

يقوم بالرسول والائمة واسبابهم جعل مراتبهم ومقاماتهم

على السبعة والاثني عشر وجعل هذه المخلوقات دلائل

[كذا] عليهم وأمثالا لهم وأشارات اليهم . وسماهم

الآيات في الباطن .

ولا يخفى أن هذه التسبيحات وتلك الاثني عشرات من الأمور التي لاعلاقة

لها بالعقيدة الاسلامية ، كما أنها ليست في الحقيقة على الصورة التي

ذكر الداعي الباطني فالشهر مثلا ليس سبعين يوما وكذا السنة ليست كذلك ،

والأصابع ليست سبعة وكذا الاذان والعيون والأفواه والوجوه وغير ذلك كثير ،

وقد رد على الباطنيين في هذا القول محمد بن الحسن الديلمي (القرن الثامن)

١.
فذكر ما يدحض تلك الآراء .

ان الذى يهمنى هنا استعرانى هذه العقيدة التى بنى الباطنيون عليها كثيرا من أفكارهم ، ولما كان للرقم (٧) مالم يكن لغيره من الأعداد عندهم فهو أخص ما في العقيدة الباطنية منها بل هو قطب الرحا بالنسبة للباطنيين ، فقد اخترته نموذجا لما تقول به العقيدة الباطنية من تقديس للأعداد .

التسبيع عند الباطنيين : ذكر النوبختي أن القرامطة ،

كانوا في الأصل على مقالة المبركية ثم خالفهم فقالوا

لا يكون بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا سبعة أئمة

... وأولوا العزم عندهم سبعة ... بإضافة علي عليه السلام

١٠ ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع والأرضين

سبع وان الانسان بدنه سبع ، وأن الرأس سبع .

ولهذه العقيدة أصل عند الخلافة ، فان الفرقة المنصورية قالت بما يشبهه

ذلك (ر. ص ١٢٠) ، وقد طور الباطنيون عقيدة التسبيع حتى لازمهم فسموا بالسبعية .

١٥ في عقيدة التسبيع دروب شتى ، فقالوا بأن هناك سبعة كواكب تدبر

عالم الكون والفساد ، وفي التأويل الباطني قالوا بأن للكلمة سبعة معانى

وسبعين وسبعمائه (ر. ص ١٩٠) ، وفي الدعوة الباطنية من التسبيع

الشيء الكثير وفكر الباطنيين عموما زاخر بتسبيعات شتى .

١. انظر قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٣٥

٢. فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ٨٢

٣. انظر : الامام المستور . الرسالة الجامعة ، مصطفى غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ص ٤٠١ - ٤٠٩ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ص ٩٥ ، ٩٦

٤. انظر : المحاسن المؤيدية . تحقيق عبدالناصر ، القاهرة ، دار الثقافة ١٩٧٥ ، المجلس ٢٤ ، ص ص ١١٢ - ١١٥ .

١.

وفات الباحث في حديثه عن الغلاة أن يتحدث عن هذه النقطة التي

قال بمثلها " الخطابية " الذين :

زعموا أن أرواح من جحد أمرهم يجري في كل

الانشاء [كذا وربما كان الصواب تجري في كل الأشياء]

في الانسانية وغير الانسانية ، وإنما يجري في كل ذي روح

وفي جميع المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات ...

حتى النجوم والكواكب فإذا جرى في ذلك كله صار جماداً

صخرة أو مدرة أو حديداً وتأولوا في ذلك قول الله : قل

كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً ما يكبر في صدوركم فسيقولون

من يعيدنا قل الله الذي خلقكم [كذا والصواب هو : قل

الذي فطركم أول مرة *] فذلك عندهم جهنم يحذب بذلك

أبد الأبدين .

وزعموا أن المؤمن العارف منهم لا يتنقل روحه في شيء

من الأشياء وأن روح المؤمن منهم ألبس سبعة أبدان بمنزلة

٢.

سبعة أقمصه .

وبالنسبة لأقصة مؤمني الخطابية بزعمهم فإنها مشابهة لما نسب إلى

اليهود من أنهم يقولون :

بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت أماراً أقلها ثلاثة

وأكثرها سبعة وذلك لأجل تكميل الوصايا التوريه [ربما كانت

١ هـجيرة التعاليم الصهيونية ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وانظر الكنز المرصود

ص ٦١

* انظر الآية في سورة الاسراء ٥١

٢ المقالات والفرق ص ٥٨ ، ٥٩

عقيدة الأدوار السبعة : ان عقيدة الأدوار السبعة في الحقيقة جانب

رئيسي من جوانب التسبيع عند الباطنيين وهذه العقيدة توضح لنا

مدى قيمة السبعية عندهم ، وهي أخص ما في التسبيع .

فالباطنيون يصورون حياة البشر على هذه الدنيا ، على طريقة خاصة ؛

فهم يرون أن الحياة على هذا العلم لا تنتهي أبداً ، بل انها على شكل

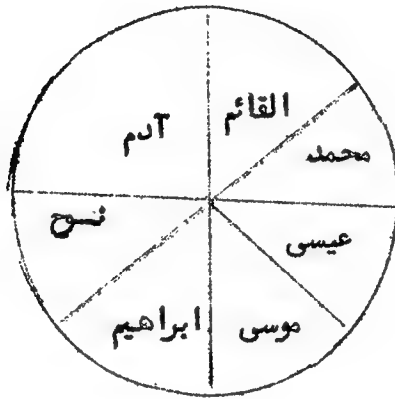
دائرة تبدأ من حيث انتهت ، أم تحيا وأخرى تموت ، وقسموا هذه الدائرة

الى سبعة أقسام سماوا كل منها دوراً ، وجعلوا كل دور مغنوباً الى أحد

الناطقين السبعة والناطق كلمة قد ترادف كلمة الرسول (ر . ص ٢٢٥)

والناطقون السبعة هم آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ،

القائم المنتظر ، على هذا النحو :



الأدوار السبعة ١.

سمّى الباطنيون هذه الدائرة باسم الخلقة الدينية وهي مقابلة للخلقة

الطبيعية التي تصور مراحل تخلق الانسان كما تشير اليه الايات الكريمة

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين

ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا الحلقة مضه فخلقنا المضة عظما فكسونا العظام

*

لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

١. انظر : الداعي ابويعقوب السجستاني (- قبل ٣٨٦) كتاب اثبات النبوات
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ ، ص ١٣١ وانظر : رسالة بذر

الحقائق ص ١٦٨ .

* المؤمنون ١٢ - ١٤

قادم عليه السلام مقابل للسلالة ونح للنفقة وإبراهيم
للعلاقة وموسى للمضغة وعيسى للعظام ومحمد صلى
الله عليه وعليهم مقابل اللحم .

٢.

واعتبروا القائم المنتظر مقابلا للخلق الآخر . واعتبروه آخر الرسل وآخر

النفقة .

٥

ان التصوير الباطني هذا يوضح أن فكرهم يهمل من منافع غير اسلامية
وأن هدفهم هو تحقيق دين لا علاقة له بالاسلام ، فهمهم من الاستشهاد
بالآيات الكريمة السالفة الذكر ليس تعظيم القرآن الكريم : بل أنهم أرادوا بذلك
صبغ فكرهم بالصبغة الاسلامية للتغريب بالبسطاء الذين ينطلي عليهم

مثل هذا ، والدليل على ذلك أنهم حذفوا قصدا بقية الآيات التي تصور
خلق الانسان وموته ثم بعثه بعد موته وهو أمر لا يؤمنون به فاقصروا استشهادهم
بها على ما يؤيد عقيدتهم التسييعية على طريقة من قال : لا تقربوا الصلاة .
لأن الله تعالى بعد أن قال : (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين) قال : (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)
فأغفلوا مرحلتين ليم بذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتسييع .

١٥

وشبه الباطنيون الناطقين السبعة بأيام الأسبوع فجعلوا آدم مثالا على
الأحد ومحمدا مثالا على الجمعة والقائم المنتظر مثالا للسبت . قال
الداعي جعفر بن منصور اليماني :

والجمعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم فلماذا أمرنا بتعظيم

٢٠

يوم الجمعة وتشريفه فاتخذناه عيداً تعظيماً لنبينا محمد صلى الله عليه

وسلم والسبت مثل القائم من آل محمد صلوات الله عليه

٣.

وعليهم أجمعين فهو سابع النطق والسبت سابع الأيام وهو اليوم الآخر .

١. رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان ٠ أربعة كتب) ص ١٦٧

٢. أنظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي ٠ الأسرار الخفية) ص ١٠٧

* المؤمنون ١٦٤ ١٥ ٣. مخطوطة : الشواهد والبيان ص ٤٠

ولعل القارئ الكريم تنبئه الى ما في النص من تلغيز تعودناه من الدعاة الباطنيين فهو أسلوبهم في نشر دعوتهم . هذا التلغيز الذي يوحى بتعظيم السبت أكثر مما عظمت الجمعة لأن السبت من نصيب القائم المنتظر الذي هو في نظرهم أفضل من سيدنا محمد (ص) . (ر. ص ٢٣٠) .
 وهم بذلك يظاهرون قول اليهود بتعظيم هذا اليوم لليهود أعقباد آخر يتصل بالسبت . وهو أن مسيحهم المنتظر يجي من نهر السبت . والمقارنة واضحة .

وتلتقى عقيدة التسييع مع عقيدة التناسخ التي دان بها الباطنيون في عقيدة الأدوار السبعة هذه لأن الباطنيين يرون أن بعد الدور السابع الذي هو دور القائم سيعود دور آدم من جديد ، وسيأتي بعد آدم نوح فابراهيم . . . الخ . كما توضحه صورة دائرة الأدوار السبعة .
فشل الباطنيين في اثبات التسييع واقعيا :

إذا أعيد النظر الى الدائرة السبعية فلنتخيل أن كل سُبج منها انما هو في حد ذاته دائرة تتكون من سبعة أجزاء ، لأن دور كل ناطق عند الباطنيين يحتوي على سبعة أئمة ، فبعد آدم كان وصي وستة أئمة وبعده نوح كذلك وكذا بعد ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) . وقد ظل الباطنيون يقولون بهذا الرأي حيثما من الدهر كما ورد في نص النويختي عن القرامطة (ر. ص ٢٠٠) وكما أشارت رسالة المهدي عبيد الله إلى

١. انظر : العهد القديم سفر التكوين ٢/٢ ، ٣
٢. انظر : الاب الطوبان . كشف الفخاخ الدرزسية ، مخطوط مصور في مكتبة تيمور ، عقائد ٦٦٣ .
٣. استشهادا بالآية (كما بدأنا أول خلق نعيده) سورة الأنبياء ١٠٤ . انظر تفصيل ذلك في الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي ، الاسرار) ص ص ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ فما .

باطنية اليمن الذين كانوا يعتقدون كما يعتقد جميعهم أن :-

بين الناطق الى الناطق سبعة أئمة .

ولكن بعد قيام الدولة العبيدية أضطر الباطنيون الى التخلي عن تلك الدعوى ، بعد أن أوجدوا لذلك تبريرا على الطريقة الباطنية ، فقالت رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن :

انما هي سبع مراتب ، تدور كما تدور الأيام ، يكون فيها من الأئمة ما شاء الله ، حتى يظهر الناطق بغتة متكى
٢
أراد الله سبحانه ،

وقد أيد الداعي ابو يعقوب السجستاني ذلك فقال :-

محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذي هو صاحب الدور
٣
السابع .

وعلى ذلك يمكن القول ان عقيدة التشيع لم تكن أمرا ذا بال في الفكر الباطني بعد ظهور دولتهم العبيدية التي وقع فيها كثير من الانتهاكات لهذه العقيدة . والأصح أنهم لم يستطيعوا تطبيقها عمليا .

وعلى اثر قيام الدعوة الدرزية لتأليه الحاكم بأمر الله العبيدي في عهده ، كتب الداعي الكرمانى دحضا لتلك الدعوى ، ولكنه في نفس الوقت أضفى على الحاكم بأمر الله صفات أكبر من صفات أي امام سابق عند الباطنيين فقال :

١. في نسب الخلفاء الفاطميين ، نشر ، الجامعة الامريكية ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٤
٢. في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٤
٣. اثبات النبوات ص ١٩٣
٤. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٠١

ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه في كونه
 اماما في وقته وقائما في زمانه وقائدا لأهله وشفيعا للمتعلقين
 بحبله وان لم يكن سابعا من الأسابيع فله من القوة والتأييد
 الممتد اليه من جهة الله تعالى بموازنته للأعداد التي من شأنها
 افادة التمامية ومناسبتها اياها ما يخدمه باذن الله تعالى الفلك
 بأجراره والزمان بشهوره وأعوامه فينجز الله تعالى به وعده
 لمحمد جده صلى الله عليه ، بقوله تعالى : " يوم نظوى السماء
 كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا اننا
 *
 كما فاعلين "

- ١٠ ويلاحظ أن كلمة (التمامية) التي وردت في النص ذات علاقة بالامم
 السابع في الفكر الباطني وقد ورد نص يوضح ذلك في هذا البحث
 (ر : صص ١٧٥ ، ١٧٧) .

- ان عدم استطاعة الباطنيين السير بالتسبيح كما وضعت نظرياتهم
 لدليل على فساد تلك النظريات وأنه لا علاقة لما يصير على هذه الانبياء
 بحركات الكواكب والبروج التي يرون أنها ذات سيطرة على الحوادث (ر : ص
 ٢٠٠) لأن حركات الكواكب تخضع لنظام لا يتبدل ولا يتغير بينمنا
 ١٥ الأحداث التي تقع بين الناس لا يمكن وصفها بذلك والتاريخ الباطني خيسر
 شاهد على ذلك . خاصة قيام دولتهم وزوالها .

* الانبياء ١٠٤

١. الرسالة الواعظة . مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة
 مايو ١٩٥٢ ، ص ٢٣ ، وأنظر كتابه : مباسم البشارات .

أصل التسبيح : من أين جاء الباطنيون بالتسبيح ، هل هو من تأثير الديانات البابلية القديمة مثلا كما قد يظن البعض . أم أن عقيدة التسبيح ونحوها من تقديس الأعداد كان من تأثير القبلا اليهودية ، في الفكر الباطني .

- ٥ أن فكر القبلا اليهودية يعتمد على السحر ويقولون انه منزل من الله الى الأنبياء ، لذا فلا غرابة أن يقدسوا الأعداد ، ولا شك أن القبلا قد حشرت التسبيح في كثير من المصطلحات . فهم في اعتقادهم أن اليهود هم النسل الطاهر من آدم الى يعقوب يقولون عن آدم אָדָם הָאֱדָמִי [آدم قديم] ويلاحظ أن العبارة تتكون من سبعة حروف ، ومن اللفظ يظهر ما يشبه الحرف قبل الحرف الأخير وهو [ד] وهو ليس بحرف بل هو حركة مد للحرف الذي قبله وهو [ד] .
- ١٠

وإذا عدنا الى عقيدة الأدوار السبعة ، فقد ضرب لها الباطنيون مثلين رئيسيين أحدهما عن حياة الانسان في بطن أمه حتى ولادته ، وقد اشير الى أن اعتمادهم كان على الآيات الكريمة (ولقد خلقنا الانسان من سلاله... الآيات) . وأشار الى أنهم كتوا آيتين تدلان على الموت ثم البعث بعد الموت في يوم القيامة . وذلك لغرض تحقيق التسبيح الذي لا تحققه الآيات المقحمة الا بكتمان الآيتين (ر. ص ٢٠٢) لذلك فإن هذا الاستدلال لا يحقق لعقيدة الأدوار السبعة شيئا ، ولكن الذي تستطيع عقيدتهم تحقيقه هو اعتمادهم على السبعة الأيام التي أعطوا كل ناطق

١. انظر : سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي ط ٧ ، ص ٣٠٧

٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٧

٣. انظر : مقالة فريدلاندر في JAOS ١٠٤ ١٩٨١

٤. انظر : ربيعي كمال . المعجم الحديث - عيني - عربي ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٥

من ناطقيهم السبعة يوما وأعطوا الناطق السابع يوم السبت (ر. ص ٢٠٢ ٢٠٤ م)

وهذا يدل على معان كثيرة منها أن العنصر اليهودي واضح فـ في

الاستدلال لأن الباطنيين يدعون أن دور الناطق السابع — قائم

الزمان — . إنما هو خلوه من الشرائع التكليفية وسموه دور الكشف

(ر. ص ٢٢٨ فما) ومعنى الخلو من الشرائع التـكـلـيـفـيـة الاستراحة

من العبادات التي تتطلب العمل فلا صلاة ولا صوم ولا حج ، وما قالوه

عن الجهاد في هذا الدور لا يعني شيئاً لأنه لا يعني الجهاد المقصود

به اعلاء كلمة الله ليدخل الناس في دين الله ؛ ولكنه يهدف

فقط الى الانتقام من أعدائهم على طريقة مسيح اليهود المنتظر (ر. ص ٢٩٧)

وفوق ذلك فانهم أشاروا صراحة الى أن دور القائم المنتظر سبت واذاعدنا

الى العهد القديم وجدنا أن الله استراح في اليوم السابع الذي هو

يوم السبت ، واليهود مأمورون بالاستراحة من الأعمال في هذا اليوم

ففى العهد القديم :

اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع

جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك

لاتصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنك

ونزلك الذي دخل أبوابك .

ستة أيام يُعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة

محفل مقدس . عملاً ما لا تعملوا . انه سبت للرب في

٢.

جميع مساكنكم .

كل ذلك دليل على أن تقسيم الأدوار السبعة ، بحيث يكون آخر الأدوار
- السابع - خاليا من العبادات التكليفية . كل ذلك يدل على أن الأمر
لم يأت اعتباطا ، سيما وأن للباطنيين في كل شيء من عقيدتهم رمز ومثّل
بعيد الإدراك . وهو هنا يدلنا على الأصل اليهودي للفكرة وهو نابغ
من السبت وما تعنيه الكلمة عند اليهود .

ذكر محمد كامل حسين أن عقيدة الأدوار السبعة عبرانية وبابلية
قديمة في أصلها^١ ، وقوله هذا يذكرنا بما وقع بين دانيال ونبوخذ نصر ملك
البابليين وقد أشير إلى طرف من القصة في هذا البحث (ص ٦٠)
وتكلمتها أن دانيال طلب من الملك البابلي أن يتخلى عن ملكه ليعيش
سبعة أزمنة مع الحمر الوحشية ويطعم حشيشا كالثيران . الخ . ويمكن
اعتبار هذه القصة التي وردت في سفر دانيال نموذجا لفكرة تناسخية
قال بها اليهود ، كما يلي :-

أما اليهود الذين يمرقون من دينهم أو يقتلون
أحد أبناء ملتهم فان نفوسهم بعد الموت تسير تسوّا
إلى الحيوانات والنباتات وتقطن بها ، ثم بعد حياة
شقية يرسلون إلى الجحيم ليحتملوا ألوان العذاب اثني
عشر شهرا . وعقب انتهاء المدة يبعثون أحياء ويتقلون
متجسدين في الجماد والحيوان وعبداء الأوثان وعندما
يظهرون يعودون إلى اليهودية [Seph. emek hamel, f. 16, I].

وهذا الانتقال الروحاني والجسماني هو رحمة من
الرب الذي يريد أن يشرك جميع أبناء إسرائيل بسعادته

الخالدة . [Seph. abad, hak II, 48, 2; & Nischm. Chajim, f. 163, 2].^٢

١. انظر : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٦

٢. انظر هامش ١ . الصفحة التالية

١. التوراتية] حتى لا يهلك منهم ولا واحد .

وقد نسب الباطنيون ذات الفكرة التناسخية التي تقول بانتقال الروح خلال الكائنات الى الكواكب في مراحل طويلة . يقول الداعي علي بن

محمد بن الوليد (- ٦١٢) *

وقد دفعت تلك العناية المنارية صفو ذلك
المعدن والنبات والحيوان من بين سائر الخلقة الى
شخص الانسان فيتناول ذلك الصفو مفتديا بمعدنه
ونباته وحيوانه المحلل الصاعد بعد طول انحداره
وترادف كراته فتنقله الى الدائرة البشرية وترفعه
بعد الركس والعكس والركس والركس الى القامة
الالقية [يعني البشرية] ويشجبه ان قارنه التوفيق
الى الطريقة المثلى السوية .

وفي مصدر باطني آخر نجد :

ان اهل العذاب اذا ماتوا وشاعت نفوسهم فسي
اجسادهم سلك بها في براخ العذاب وقمصه السبعين
المشار اليها بالسلسلة وكون زحل والمريخ نحسي
الفلك يتوليان من موجودات عالم الطبيعة الاخرس منها
الارذل من معدنه ونباته وحيوانه التي يسلك فيها
اهل العذاب فتلك الروحانيات اشارة الى تحريك
زحل والمريخ لما هو يتولى له من هذه البراخ حركة
خفيفة بها يكون تنقل المعذبين في مراتب العذاب
فاذا بلغوا غاية ذلك وهو آخر السلسلة وأوقفوا الى

* انظر ترجمته في اعلام الاسماعيلية ص ٤٠٨ فما

١. مخطوطة كشف القضايع الدرزية ق ٨

٢. الداعي ابن الوليد . رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتي الجسم والدين (شروثمان . أربعة كتب) ص ١٤٤ .

١. أوان القيامة ليحصلوا في العذاب الأكبر .

ونعود بعد ذلك الى عقيدة الأدوار السبعة التي يعتبر ما مضى جزءاً منها بطريق غير مباشر كان الغرض منه اثبات أن هذه العقيدة وان نسبت بطريقة ما الى البابلية القديمة فان اتصال الباطنيين بها لم يكن الا بوساطة اليهود .

ولكننا نجد فريد لاندر يعود بهذه العقيدة - الأدوار السبعة - الى مفتولات كليمانس المسيحي (١٥٠ - ٢١٧ م) . ذكر فريد لاندر ما قيل من أن الرسل الحقيقيين هم آدم وأنوش ونوح وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ، وفي قول آخر له نجد فريد لاندر يحذف موسى ليضع بدلا منه المسيح بين حاصرتين هكذا [المسيح] ، وعزا القول الأول الى سيمون المجوسي ، والثاني الى محلّق على كلام سيمون . ولكن هذا الرأي لا ينسحب بالضرورة الى الفكر المسيحي ، لأن

ما يستفاد من عبارات فريد لاندر يعني تناسخ الأنبياء - أى أنهم شخص واحد يتبدل جسمه كل مرة ، وليس فيما نسب الى كليمانس هنا من علاقة بالتسبيح بقدر ما له من علاقة بالتناسخ الا من حيث كون عدد الأنبياء سبعة فذلك صحيح . وأما قول سيمون المجوسي فليس في تسلسله السبعي للرسل ذكر لنبي بعد موسى ، مما يرجح وجود الفكرة اليهودية الخالصة فيه ، ويؤيد رأي الباحث هذا ما ذكره فلها وزن حول هذا

١- مسائل مجموعة من الحقائق . . . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٦٤ وأنظر أيضا ص ٤١ وأنظر مخطوط حياة الأحرار ق ٣٧
* انظر عن كليمانس : يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيروت دار القلم ١٩٧٧ ، ص ص ٢٦٣ فما .

٢- انظر : AOS . vol. xxix . pp. 104, 85 ، وعن سيمون المجوسي اقلب الصفحة

الموضوع من حيث علاقته بكليمانس من جهة وبالتناسخ من جهة أخرى
فاحتمل - بصيغة التأكيد - كون الفكرة يهودية الأصل^١.

على العموم يمكن اعتبار كلا الفكرين : الباطني واليهودي زاخران
بتسبيحات كثيرة في الملائكة (ر. ص ٢١٥) والرسل والانبياء ، والدعاة
ومراتب الدعوة (ر. ص ص ٣٢٧ ، ٣٥٩) والتناسخ والشياطين والكواكب
وغير ذلك .

ثمة نقطة أخرى تتعلق بالحروف وما لذلك من علاقة وثيقة بالأعداد
وهي جديرة بالبحث هنا الا أن الوقت لم يسمح الباحث في التحدث
عنها وهي ما نجده في الفكر الباطني من استعمال حساب الجمل عند^٢
الاسماعيليين والدروز وعلاقة ذلك بالقبالا^٣ . وحيث أن الموضوع لم يطرق
فلا بأس بالإشارة اليه على هذا النحو .

٢. يقول فان فلوطن : سيمون المجوسي صاحب الفرقة الفلسطينية السدي
جمع بين العقائد التوراتية وعقائد الوثنيين (أنظر : السيادة
العربية ، هامش ص ٧٥) .

١. انظر : فلهاوزن . أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) القاهرة ،
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤٩ .

٢. انظر في القبالا : النشار . نشأة الفكر الفلسفي ٢/٤ ط ٤ وفي
علاقة الباطنيين بالحروف رسالة الاسم الأعظم (شروثمان . أربعة
كتب) . خاصة ص ١٧٥ وأنظر :

الشبيبي . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ص ص ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤

٣. انظر نموذجا من ذلك في مخطوطة . رسالة نسخة تقليد
المقتنى . دار الكتب المصرية . رسائل درزية سرية - ٥٤ ق ٦٠ .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين

ان دعوى العمل بالظاهر والباطن التي يحتج الباطنيون بها ، تصبح شيئا عجيبا غريبا اذا كان الحديث عن الذات " الالهية " وأفعاله تعالى . فعن أفعال الله تعالى سبقت الإشارة الى أن " فيلون اليهودي " نسخ كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجى بفضل ما درسه عن نظريات " أفلاطون " و " زينون الرواقي " ، وكذا ما فعله اليهودي صاحب كتاب " الحكمة " الذى سبق " فيلون " في التأويل الباطني للكتب السماوية (ر. م ص ٨٣ ١ - ١٨٦) .

ان التأويل الباطني عند الفرق الباطنية يسير على ذات المنوال ، ولتوضيح

١٠ ذلك لابد من معرفة قصة الخلق عندهم ، حيث يقولون :-

ان الله أبداع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان بل أوجدتهم كما قال سيدنا حميد الدين الكرمانى في كتاب (راحة العقل) دفعة واحدة . . . لا شرف لأئمتهم على

غيره عند الابداع ، بل الكل في الكمال واحد متساوون

١٥ فكان من واحد منهم أنه فكر في ذاته بذاته لا من معلم ولا من ملهم ، بل جعل له من ذاته تصور وعلم أنه له ولجميع

ما معه من أبناء جنسه مبدعا وخالقا ليس هو كهم فنفسى

حينئذ عن نفسه الألوهية وأقر لمبدعه بالوحدانية وهو

قوله تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم

*

٢٠ قائما بالقسط لا اله الا هو " فكان هو الشاهد بالغييب

سبحانه فلم يسم ولم يكن بل قال : الاهو لقلسة
 ١.
 احاطته بمبدعه وتصوره عن ذلك .

جدير بالملاحظة أن هذا النص في تفسيره للآية الكريمة ، يجعل
 من كلمة " الله " ذاتاً مخيرة لكلمة " هو " التي تعني هنا الذات الالهية ،
 فالباطنيون كما سيأتي لا يعتبرون اسم " الله " واقعاً على الذات الالهية ،
 ٥ لأن الذات الالهية عندهم لا تسمى ولا تكتفى ، فحروف المعجم محدثة
 لاتقع الا على محمد لذا فان ميسن يقرأ الكتب الباطنية سيفاجأ بأنهم
 يطلقون على الاله من لا تتجاسر نحوه الخواطر .

أما ذلك المبدع (بفتح الدال) الذي تحدث النص السابق عنه فهو
 ١٠ ليس الا " العقل الأول " وهي تسمية فلسفية يونانية ، كانوا يطلقون
 عليها " اللوغوس " .

بعد العقل الأول الذي يعتبرونه أول من اكتشف مبدعه ، نجد
 الباطنيين يكررون القصة مع عقول أخرى فأوجدوا " العقل الثاني " أو النفس
 الكلية " أروح القدس ، فالقدس هو العقل الأول وروحه العقل الثاني .
 ١٥ وهكذا حتى تكون لديهم عشرة عقول ، هذا هو كل ما خلق الله عندهم
 وفعله . أما سوى ذلك فهو من فعل تلك العقول العشرة ، ولنقف على
 أفعال أدنى هذه العقول وهو العاشر وهو مدبر عالم الطبيعة ، يقول
 الباطنيون :

قدرة مدبر عالم الطبيعة التي تسير . . . في كل لحظة
 ٢٠ الى عالم الكون والفساد والنفس مجبورة على ذلك الفعل

١. حاتم الحامدي (٥٦٦) الداعي الباطني " رسالة زهر بذرة الحقائق " نشر : عادل العوا ، دمشق ، الجامعة السورية ، ١٣٧٨ ، ص ص ١٦١
 ١٦٢ .
 ٢. كتاب الأنوار اللطيفة . (محمد حسن الأعظمي ، الأسرار الخفية) ص ٨٤

بتلك القدرة لاتختاران تفعل ذلك ولا تشعر به بل هي

مثل الفضة التي يصوغها الصائغ أي صورة أراد بالالات

صياغته ، كذلك مدبر عالم الطبيعة يصور كل مادة من

المكونات من معدن أو نبات أو حيوان أي صورة شاء بحسب

ما يستحقه بالاته التي هي القوة الفلكية والامهات الطبيعية .^١

وفي تفسيره لقوله تعالى " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض

حنيفا وما أنا من المشركين " يقول أحد الدعاة الباطنيين :

اني وجهت وجهي للذي فطر الأنبياء العظام ، وأرسلهم

بالظواهر في الأنام . وأرسل حججهم بتأويل ما أتوا به

وبحقائقه وأسراره ودقائقه وما أنا من القائلين انه يحلل

في الأجسام ، بل هو يتجلى في كل زمان ومكان بكل

مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر .^٢

بعد أن عرفنا مهمة " العقل العاشر " ليس بالضرورة معرفة مهمة من

فوقه من العقول ، الا أن هناك ملاحظة وهي ان العقول التي بين

التالي الذي هو النفس الكلية والعاشر الذي نحن بصدده عقول

أخرى وهي الثالث والرابع والخامس . . . الخ ، ويسميا الباطنيون

الكروبيين السبعة .

قبل الحديث عن الكروبيين السبعة لابد من الإشارة الى نص " حياة

الأحرار " الأنف الذكر الذي نفى عن نفسه اعتقاد أن العقل العاشر

١- مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ٢٣ ، ص ٢٤

وأنظر أيضا ص ٦ ، ٧ وأنظر حياة الأحرار ق ١٤

* الانعام ٧٥

٢. حياة الأحرار ق ٢٤ ب .

يحل في الأجسام ، انه ينفى ذلك عن نفسه بخلاف " النصيريين " الذين يقولون بالهية علي بن أبي طالب ، كما قال أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي . وأنكر البعض قول الدروز بظهور الاله في الاشخاص البشرية عن طريق الحلول بل عن طريق التجلي أيضا .^١

ولكنه في نفيه تلك التهمة عن نفسه أنبتها من وجه آخر حيث يقول :
ان مدبر عالم الطبيعة يتجلى في كل مقام ويعني بكل مقام فيما يعني أئمة .
أما ما قاله الباطنيون عن الكروبيين السبعة فهم :

كما وصفهم سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في
مناجاته : . . . وذكر أن كل واحد منهم ناظر إلى
فلك من الأفلاك الجرمانية متول لتدبيره وإدارته لاحظ
لكل ذي مرتبة من رتب الدين مقبل عليه بامداد
واقادته . . . وأما أسماءهم فهم الموسومون بالكروبية
وبالحقول المجردة بلسان الدعوة وبالملائكة بلسان
الشرعة فاعلم ذلك .^٢

ووردت في رسائل اخوان الصفا كلمة الملائكة بأنهم كواكب السماء خلقهم
لعمارة عالمه وتدبير خلائقه . ولفظه الكروبيين يهودية وردت في " العهد
القديم " بلفظ " الكرويم " واليهود يزعمون انهم الملائكة .^٣

وليس المقصود هنا التشابه اللفظي للكروبيين عند كل من الباطنيين وان كان
أمرا مهما ولكن العمل الخاص بالكروبيين عند الفريقين يكاد يكون متقاربا ، لأن تصويرهم

١. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، عقائد النحل ٥٤

ق ق ١٠٥ أ - ١١١ ب وفيه ما يشبه القول بالحلول .

٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٣٣ وانظر
أيضا ص ص ٦٢ ، ١٣٢ .

٣. انظر : عارف تامر . مقدمة كتاب الايضاح ص ١٠

٤. انظر : سفر التكوين ٢٤/٣ وسفر الخروج ١٧/٢٥ وسفر خرقيا ١

في الفكر الباطني أنهم يمدون أصحاب المراتب الدينية ويفيدونهم^١
 وأن العمل الخاص بالنفس الكلية هو محاسبة الناس يوم القيامة وأن العمل
 المطلق " للسابق " أو " العقل الأول " ؛ انه أبدع كل شيء . ان ذلك
 يدل على أنهم نسخوا كل اتصال مباشر لله تعالى بالعالم الخارجي . ذلك
 الذي أثبتته القرآن الكريم * *
 ٥ . ويؤكد ذلك على توافق
 آخر بين تأويلات الباطنيين وتأويلات فيلون وفي مايمائله . اليهود . وفوق
 ذلك نجد " ابن ميمون اليهودي " (- ٦٠٢) يسلك نفس المسلك
 حيث يقول :

ان شريعتنا [يعني شريعته اليهودية] لا تكرر كونه

١٠ . تعالى يدبر هذا الوجود بوساطة الملائكة .

ان ابن ميمون يعتبر من عظماء المفكرين اليهود ، ومن عرفه فأنا—
 سيقف على خطورة هذا التصريح الذي أدلى به باسم الشريعة اليهودية ،
 واذا وقف شخص ما قائما بالاعتراض على هذا النص بزعم ان فكر ابن ميمون
 مشوب بالفلسفة اليونانية ؛ فان الباحث على استعداد لاستبعاد الجانب
 ١٥ . الفلسفي اليوناني من الموضوع عند كل من الباطنيين وابن ميمون ، لتصبح
 الفكرة المجردة عند كل : ان تدبير أمر هذا الوجود يتلخص في أن هناك
 من يعين الله فيه — تعالى الله عن ذلك — ان هذه الفكرة موجودة عند
 اليهود قبل ابن ميمون فحكماء التلمود يقولون ان الله : —

تبارك وتعالى لا يصنع شيئا دون أن يستشير الحشم

٢٠ . فوق . [هذا اللفظ مأخوذ من التلمود اليورشليمي :

براشيت ره ١٢ وسنهدرين ٢ والتلمود البابلي : سنهدرين

[٣٨] . . . وفي براشيت ره أيضا قالوا : أينما قيل : والرب
 [القصد منه *] هو ومحكمته .

١ . انظر : الرسالة الجامعة ، ص ٣٦٠ . ٢ . دلالة الحائرين ص ٢٩١
 ٣ . دلالة الحائرين ص ٢٩١ * الحاصرتين وما بينهما من وضع المحقق .
 * * أنظر في ذلك : سورة النمل الآيات ٥٩ - ٦٦

وورد أيضا في كتب اليهود :

ان عمل الملائكة الرئيسي هو سكب النوم على عيون
البشر وحراستهم في الليل ، أما في النهار فائهم
يصلون عن البشر ، ولذلك يجب أن نلجأ
اليهم [Jal/kchod. p. ١١٤]

ان ما مضى من نصوص يهودية يوضح لنا وجود هذه العقيدة عند
الباطنيين واليهود ، أما في الدين الاسلامي فان الله تبارك وتعالى يقول في
كتابه العزيز : (ان الله لخنى عن العالمين) وقال : (الا له الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين) وقال : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى
يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين) وقال : (ولقد خلقناكم
ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، فبين سبحانه أنه غنى
عن العالمين وأن له الخلق والأمره وفى الآية الأخيرة دليل على أن صيغة
الجمع في قوله تعالى (ولقد خلقناكم) لاتعنى أن معه شركاء فى
الخلق أو نوابا بل تعنى الذات الالهية بدليل قوله تعالى : (ثم قلنا
للملائكة) ان لا يمكن أن يتكلم الله عن ذاته وملائكته كمجموعة خلقت وصورت
ثم يقول ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ان لا يعقل أن يأمر هو وملائكته
مطلق الملائكة بالسجود لآدم .

ان فكرة العقول العشرة ودورهم في تدبير الكون ، لاتعدو أن تكون
فكرية شركية بعيدة كل البعد عن الاسلام ، وهى مما جرّه القول بالتأويل
الباطني على الباطنيين . هذا عن أفعال الله .

١. همجية التعاليم الصهيونية ص ١١٦
* العنكبوت ٦ * * * الأعراف * * * فصلت ٩
* * * * الأعراف ١١

أما عن اسم الله فان الباطنيين لا يجدون غضاضة في ذكر اسم
الله تعالى ؛ فكتبهم تبدأ بالبسملة والحمدلة • الا أن باطن هذه الكلمة
لا يشير بالضرورة الى ذي العزة والجلال رب العالمين كما تقدم.^١
انهم كما أشركوا مع الله عقولا عشرة في الملك والخلق والرزق وتدبير
الأمر ؛ فانهم أشركوا معه غيره في لفظ الجلالة ذلك اللفظ الذي
لا يدل على سواء عند جميع المسلمين ، وزادوا على ذلك أن لفظ الجلالة
انما هو في الأصل مما يستحقه العقل الأول ؛ فقد نقلوا عن الداعي
الكرماني ؛

ان اسم الالهية لا يقع الا على المبدع [بفتح الدال]

الأول ، وان ذلك اشتق من الوله الذي هو التحير في
ادراك مبدعه ومن المهانية التي هي الاشتياق الى
الادراك ، والعجز يمنع عن ذلك لجلالة مبدعه
تعالى أن يدرك •^١

ويقول داعي باطني آخر عن العقل الأول :

وترادفت عليه الأسماء المذكورة في القرآن ، وهو
أيضا يستحق اسم الله وذلك لوله العقل فيه ، ولله
في مبدعه فبذلك قيل : " شهد الله أنه لا اله الا هو " ^٢

ان الباطنيين يدعون العمل بالظاهر والباطن ولكنهم في الحقيقة
لا يعملون الا بالباطن ؛ والا فما معنى قولهم بأن اسم الله هو العقل
الأول بحجة :

٢٠

١. مجموع مسائل في الحقائق (شروثمان • أربعة كتب) ص ٨١
٢. رسالة بذر زهرة الحقائق (عادل العوا) ص ١٦٢

ان حروف المعاجم لما كانت محدثة لم تذلل الا على
محدث مثلها ، وانما يضطرنا العجز الى ان يكتفى عنه
بما يستحقه اسمائه العليا لعدم ما نصفه به .

وهل ما في هذا النص من الظاهر أم من الباطن ، وإذا كان من الظاهر
فمن أي ظاهر استنبط وأن كان باطنا فأي ظاهر دل عليه ، ثم كيف يستطيع
أي باطني أن يقتنع أن العمل بالظاهر والباطن ممكن بل كيف يستطيع
أن يقنع غيره بصدق هذه الدعوى ، وعلى ضوء التفسير الباطنية السابقة
لث شمرى كيف يفسرون قوله تعالى :

*

(انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني واقم الصلاة لذكري) ؟؟

ان الذي يعيننا هنا هو أن الباطنيين يجعلون من اسم الله " اسما
مشاركا بين (الله) الذي لم يسموه بذلك الا اضطرارنا . وبين عقلهم
الأول المستحق الحقيقي لاسم الله وبين أسماء الله العليا التي هي العقول
العشرة ، أو أئمتهم ودعاتهم . وقد أطلقوا اسم الله وصفاته على امامهم المنتظر
ففي تفسيرهم لقوله تعالى : " والله بكل شيء عليم " قالوا :

وهذا القائم $\text{كج. حح. طط. زز. سس}$ [= مقام الله]
٣٢ - ٣٤ م م
ومقام رسوله

بكل شيء من أمور الدنيا وأمور [كذا] المقبلة وأحكامها
وما فيها من النجاة عليم خبير لا يشتهيه عليه شيء منه وهذا
الجواب ملقظ أيها الأخ من كلام سيدنا حميد الدين
اعلى الله قدسه فى راحة العقل .

۱. مجموع مسائل فی الحقائق (شتروثمان) ص ۳۵
* طه ۱۴

٢. أنظر حياة الأحرار ق ٥٨ فما ، عن أن لله تسعا وتسعين اسما .
 ** - النور ٣٥

٣٠ مسائل مجموعة في الحقائق . (شتروثمان) ص ٣٨ و ٣٩

كما أطلقوا لفظ الله على علي وأبيه ، والنص غير مأخوذ من كتب
النصيرية الذين يؤلهون عليا بل من كتب المستعجلين " المكارمة " و من
تفسيرهم لقوله تعالى : " الله لا اله الا هو رب العرش العظيم " .

يعنى الامام على ذكره السلام ، الذي ولهم

فيه الحقول وتبلبل في حقيقة أمره السائل والمسئول .

هو الرب الرب للدعوة العظيمة ، والمقامات الفخيمة

وأن T I J A H T J . [= أبو طالب " كذا "] العظيم

هو T I J A H T J [= مربي] محمد الكريم ، بل هو

I J K I . II X X X [= مقيم] أمير المؤمنين

[= فهو مقام] العرش العظيم ، فهو رب العرش العظيم

والنبا العظيم .

**

وفي تفسيرهم لقوله تعالى : " الله يتوفى الأنفس حين موتها " قالوا

ان اسم الله تعالى في هذا الموضع واقع على ٣٢٣٢ ،

٢٢ ٣٢ ٤٢ ٥٢ ٦٢ ٧٢ ٨٢ ٩٢ ١٠٢ ١١٢ ١٢٢ ١٣٢ ١٤٢ ١٥٢ ١٦٢ ١٧٢ ١٨٢ ١٩٢ ٢٠٢ ٢١٢ ٢٢٢ ٢٣٢ ٢٤٢ ٢٥٢ ٢٦٢ ٢٧٢ ٢٨٢ ٢٩٢ ٣٠٢ ٣١٢ ٣٢٢ ٣٣٢ ٣٤٢ ٣٥٢ ٣٦٢ ٣٧٢ ٣٨٢ ٣٩٢ ٤٠٢ ٤١٢ ٤٢٢ ٤٣٢ ٤٤٢ ٤٥٢ ٤٦٢ ٤٧٢ ٤٨٢ ٤٩٢ ٥٠٢ ٥١٢ ٥٢٢ ٥٣٢ ٥٤٢ ٥٥٢ ٥٦٢ ٥٧٢ ٥٨٢ ٥٩٢ ٦٠٢ ٦١٢ ٦٢٢ ٦٣٢ ٦٤٢ ٦٥٢ ٦٦٢ ٦٧٢ ٦٨٢ ٦٩٢ ٧٠٢ ٧١٢ ٧٢٢ ٧٣٢ ٧٤٢ ٧٥٢ ٧٦٢ ٧٧٢ ٧٨٢ ٧٩٢ ٨٠٢ ٨١٢ ٨٢٢ ٨٣٢ ٨٤٢ ٨٥٢ ٨٦٢ ٨٧٢ ٨٨٢ ٨٩٢ ٩٠٢ ٩١٢ ٩٢٢ ٩٣٢ ٩٤٢ ٩٥٢ ٩٦٢ ٩٧٢ ٩٨٢ ٩٩٢ ١٠٠٢

عليه [... هذا في التأويل ، وفي الحقيقة ان اسم

الله تعالى واقع على X P A ٣ . ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

[= مدبر عالم الطبيعة = العقل العاشر] .

كل ذلك يوضح لنا أن المسك الباطني في مسألة الذات الالهية

وأفعاله سبحانه وتعالى مسك فلسفي هيليني بلاربي . الا أن الموقف

الباطني في مسألة جمع الدين والفلسفة في اطار واحد في أمر الذات

١. حياة الأحرار ق ١٣

٢. مسائل مجموعة في الحقائق (شتروتمان) ص ٥٥

* النمل ٢٦

** الزمر ٤٢

الالهية خاصة ؛ غير ذلك تماما ، ولما كان الأمر غير إسلامي
الصيغة ؛ فان الباحث يستغرب أصل الاشتراك اللفظي في كلمة
" الله " بينه عز وجل وبين سواه ؛ ففي العهد القديم نجد خطابا
موجها لموسى :

- ٥ هويكون لك فما [يعني هرون] وأنت تكون له الها .
ليس بخاف أن عبارات العهد القديم تتحدث عن مراقبة هارون
لموسى الذي يشكو من لسانه الثقيل ، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم
ذلك في قوله تعالى على لسان موسى : " وأخي هرون هو أفصح مني لسانا
فأرسله معي ردءا يصدقني " * أخاف أن يكذبون . قال سنشد عضدك
بأخيك ونجعل لك سلطانا . . . " ، ولكن التحريف اليهودي هو الذي
١٠ جعل من موسى الها لهرون ؛ وهو يدل على الاشتراك اللفظي في اسم
الله في الفكر اليهودي عامة كما فصل ابن ميمون أنه :

قد علم كل عبراني أن اسم الله مشترك للاله والملائكة
والحكام مدبري المدن .
٢

- ١٥ وعلى أي وجه كان تحليل ذلك الاشتراك ؛ فان الذي يهمننا هو
ذات الفكرة . وهي هنا الاشتراك اللفظي لاسم الله مع ما سواه وأصل ذلك
عند الباطنية .

- ان تأثر الباطنيين بالفكر اليهودي واضح في الاشتراك اللفظي لاسم الله
كما وضع من قبل في أفعال الله الخاصة بذاته العلية كالخلق والرزق والاحياء
والاماتة وتدبير الأمور التي جعلها كلا الطرفين : الباطنيون واليهود موزعة
٢٠ بين العقول المفارقة والكروبيين .

ولا يفوتنا هنا الحديث عن تأليه النصيرية لـعلي بن أبي طالب ، وأنه
في القمر . وهو رأي طائفة منهم (ر . ص ١٤٣) .

ان تأليه النصيرية لـعلي بن أبي طالب يذكرنا بعقيدة السبئية
الذين قالوا بمثل ذلك وأنه في السحاب ٠٠٠ الخ (ر . ص ٣٣-٣٥) ،
وكذا نجد مثل ذلك عند " البيانية " الذين قالوا بحلول الاله في
طائفة من البشر حتى انتهت الى علي ثم الى ابنه محمد بن الحنفية
فابنه أبو هاشم فبيان بن سميان (ر . ص ٩١) .

كما قال الدروز بأن روح الله تعالى كانت في أجساد عدد من البشر
كان آخرهم الحاكم بأمر الله (ر . ص ٤٢٣) .

١٠ عليه فان مسألة الألوهية عند الباطنيين عموما لا تبعد كثيرا عن الحلول
أو التجلي على بعض البشر . ويحضرنا هنا قول باطني عن قصة جرت
بين علي زين العابدين وجابر بن عبد الله الأنصاري ، قال زين العابدين
بعدها لجابر ،

أعقلك يحتمل هذا يا جابر ، هي قصص في كل وقت

١٥ وزمان تبدل القصص ولا تبدل فالأنبياء والأئمة
هم هياكل النور المتجلي بهم الحق عند الظهور .
١

والمرجع من مصادر المستعلية ، الذين يقال انهم أخف الباطنيين

غلوا .

الفصل الرابع

عقيدة الباطنيين في سيدنا محمد (ص) وفي كونه خاتم الانبياء والمرسلين

ان الباطنيين حين يتطرقون الى سيدنا محمد (ص) بالحديث فانهم يقرنون ذلك بالصلاة والسلام عليه وعلى آله ، في أغلب مصادرههم وهم يقرنون اسمه (ص) أيضا بمثل ما يقرنه به المسلمون عموما ، فكلمة خاتم النبيين ترد بكثرة في معظم المصادر الباطنية ، وخاتم النبيين وسيد المرسلين أحيانا .

وفوق ذلك ، فقد ذكر الداعي جعفر بن منصور اليمنى :

أن محمدا صلى الله عليه قال : أنا أفضل الأنبياء ،

وقال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر . فلا يشك مسلم

أن محمدا أفضل الأنبياء جميعا .^٢

وأكثر منه ما قاله الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي (- ٥٩٦) عن سيدنا

محمد (ص) :

ففسخ شريعة عيسى وقام بشريعة جديدة وأمر

جديد . وأمر (صلح) ونهى ، وختم الله ببعثته الرسل

وختم بملته الملل وجعله الله خاتم النبيين وأشرفهم

وأفضلهم لأن به وبشريعته كمال الدين . وخاتم المرسلين

لأنه سلام الله عليه صاحب الكمال والتمام .^٣

وفي محاوره بين المعز لدين الله وأسير له يدعى ابن واسول ، قال المعز :

فيما بلغنا أنه انتهى اليك عنا أنا ندفع نبوة محمد

(ص) ونُدعي النبوة بعده ، وندفع سنته وشريعته ، وندعوا

١. انظر : السجلات المستنصرية ، تحقيق ، ماجد ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٥٤ ، في مواضع كثيرة منه

٢. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان . عقائد تيمور ، ص ٢٣

* انظر ترجمته في : الحيشي . مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن ص ١٠٠
٣. مخطوطة المجالس الحاتمية . مصوره . المجلس السابع من المائة الاولى ، ق ١٣٣

الى غيرهما ؟ ... فلعن الله من قال هذا وانتحلـه

و ادعاه . ومن تقوله علينا ، ورمانا به ، ونسبه اليـنا .^١

ان هذا النص يدل على أن هناك اتهامات للباطنيين منذ أيام

المعز (- ٣٦٥) حول نبوة محمد (ص) وشرعته الالهية ، وهـذه

التهـم وردت في كثير من الكتب المناهضة للفكر الباطني ، ولنقف سويـا

أمام نص ذكره الديلمي اليماني الزيدي حول رأي الباطنيين في نبوة محمد (ص) وشرعته وكونه خاتم الأنبياء والمرسلين ، يقول الديلمي :

يطعنون على الأنبياء صلوات الله عليهم خصوصـا

محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسمونـه زعيم الأمـة

المنكوسة .

ويقولون ان القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم :

***^٢

لقوله تعالى (انه لقول رسول كريم)

ما تقدم يظهر أن خصوم الباطنيين يرمونهم بالطعن في خاتم النبيين

والمرسلين والوحي الذي نزل عليه ، ويدعون الى غير سنته وشرعته .

يمكن الحكم على صحة دعوى المخالفين وفسادها بالرجوع الى المصادر

الباطنية . و اذا علمنا أن العقيدة الباطنية تبني الكثير من أحكامها

على التأويل الباطني والتسبيح (ر . ص ١٥٨ فما ، ١٩٩ فما) فانهم يقولون

بوجود سبعة ناطقين وكلمة ناطق قد تكون مرادفة لكلمة رسول أو نبي

(ر . ص ٣٦١) ، والباطنيون يعرفون الناطقين بأنهم :

* أنظر ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ٥٢٦ فما

١ . القاضي النعمان : المجالس والسايرات ، ص ٤١٥ ، ٤١٦

٢ . قواعد عقائد آل محمد . ص ١٥ ، ٤٨

** الحاقه ٤٠ والتكوير ١٩

أرسلوا الهداية المخلوقات وتنظيم المبعثات
ومن الشرائع والأحكام ، والتبليغ والانداز ، والشهادة
فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقون [كذا] بالقول
وهم بأمره يعملون .^١

- ٥ ولن يتطرق الباحث لمناقشة هذا التعريف . حصر الباطنيون تعريفهم
السابق في : آدم ونوح وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص) ،
وأضافوا إليهم ناطقا سابعاً هو القائم المنتظر الذي ذكروا أن اسمه
أيضاً محمد بن عبد الله ، ويدعون أن سيدنا محمداً (ص) بشر بظهوره
وبأنه موافق له في الاسم والكنية واسم الأب ،
١٠ ان معظم المصادر الباطنية لا تتحاشى الخوض في مسألة القائم
المنتظر ، تصريحاً أو تلميحاً باعتباره ناطقاً سابعاً . فنجد الرسالة
الجامعة لرسائل اخوان الصفا - مثلاً - تقول بأن محمداً (ص) هو
صاحب الدور السادس . كما أن هذه الرسالة التي يزعم الباطنيون
أن مؤلفها من ذرية علي بن أبي طالب أي أن جده محمداً (ص) ، هذه
الرسالة تستهزئ بمحمد (ص) ، ففي معرض حديثها عنه تقول : ان المولود
١٥ لا يعيش اذا ولد في الشهر السادس ، ووجه ذلك الاستهزاء والطعن
أن الباطنيين يعتقدون أن السبعة القطاء انما جاءوا ليكونوا في المجتمع
البشرى صورة تماثل تكون الجنين في بطن أمه (ر. ص ٢٠، ٢٠٢) ولأن ترتيب
النبي محمد (ص) في هذه السلسلة السبعية الحلقات أنه صاحب الدور
٢٠ السادس فقرنوا ذلك بأن المولود اذا ولد في الشهر السادس فان نموه لم

١. الداعي أبو فراس . مطالع الشمس (عارف تامر . أربع رسائل) ص ص ٣٣ ،
٣٤ وانظر : الرسالة الجامعة ص ٣٣
* الذي في القرآن عن الملائكة : لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . سورة
الانبياء ٢٧ .

- يكتمل بعد . لذلك فان الطعن موجه الى ذاته (ص) . ومن ضمن هذا الطعن ما قالته الرسالة المذكورة أن صاحب الدور السادس يملك الأجساد ، وأن صاحب الدور السابع (رسولهم المنتظر) يملك نفوس أهل الدور السادس ونفوس وأجساد أهل دوره السابع .^١ ولتفسير معنى ملكية محمد (ص) لأجساد أهل دوره دون نفوسهم ، لابد من الإشارة الى أن الباطنيين يعتقدون أن ملوك الدنيا أمثال الامويين والعباسيين مثلا ، كانوا يملكون أجساد الناس وأن أئمتهم هم مالكو نفوس تلك الأجساد .^٢ وكلمة النفوس في الفكر الباطني مرادفة لكلمة الروح في بعض معانيها . وبناءً على ذلك نجد الداعي جعفر بن منصور اليميني في تفسيره لقول الله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول :

- انما عني الله عز وجل أن من آمن بالله واليوم الآخر يعني به القائم سابع النطق . فمن آمن به من كل فرقة وعمل صالحا بطاعته كان لهم آخر ذلك عند ربهم ولا خوف عليهم ومن كان منهم في التكذيب لمن قبله من الرسل . لأنه خاتم الرسل وصاحب الفصل صلى الله عليه .^٣

- لابد هنا من إشارة الى القارئ الكريم بأن يعود الى نص آخر لصاحب هذا النص في أول هذا الفصل في مدحه ل محمد (ص) للمقارنه (ر) ص ٢٠ (٢٢٣) .

١. انظر الرسالة الجامعة ص ٥١٩ ، ص ٥٢٣ .
٢. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شروثمان . أربعة كتب) ص ص ٢٨ ، ٦١ .
٣. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان . ص ٤٢ .
* البقرة ٦٢ وانظر أيضا المائدة ٦٩

ومثل هذا النص الطاعن في سيدنا محمد (ص) ، ما قاله الداعي

الكرماني في أبيات عن الناطق السابع :

وعما قليل ينزل العناء * ويكمل ديننا به قد ختم

ومثل ذلك ما ذكر عن المعز في دعائه الموسم بدعاء يوم السبت (ر، ص ٢٧)

- ٥ وفيه يقول بأن محمد بن اسماعيل نسخ ظاهر شريعة محمد (ص) وأثنى
الناطق السابع . قارن بين ذلك وبين ما جاء في أول هذا الفصل في دفاعه
عن الباطنيين أمام أسيره ابن واسول (ر، ص ٢٢٣، ٢٢٤) وأنظر أيضا الأنوار
اللطيفة ص ١٠٧ وثبتته ، ومثله ما ذكر الداعي الحارثي عن أفضلية القائم
على الستة الذين قبله .^٢

- ١٠ ان آخر الرسل عند الباطنيين يقينا هو القائم المنتظر ، حيث انهم
اعتبروا اسمه كاسم النبي (ص) فقد لبسوا ذلك على الناس وعلى أنفسهم
من حيث من هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فتارة يقولون بأنه محمد بن
اسماعيل وتارة أنه منتظر لم يوجد بعد ، ولا بد هنا من الإشارة الى أنهم
يعتبرون أن اسم محمد بن اسماعيل الحقيقي هو محمد بن عبدالله كما ورد
في رسالة للمهدي عبيد الله لأهل اليمن : (ر، الملحق ١) ونجد في
١٥ قول المعز في دعاء يوم السبت وفي قول للداعي الحارثي سيتبع ما يؤيد
أن محتوى رسالة عبيد الله تعبر عن فكرة سادت المعتقدات الباطنية في فترة
ما وكذا ما أورده جعفر بن منصور اليمن الذي اعتبر محمد بن اسماعيل خاتما^٣
للرسل .

- ٢٠ ما يمكن للباحث أن يعتبره توثيقا لرسالة المهدي عبيد الله لأهل اليمن . أما

١. رسالة أسبوع الستر . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٦٦
٢. انظر : كتاب الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية)
ص ١٠٧
٣. انظر : مخطوطة الشواهد والبيان ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

نص الداعي الحارثي حول محمد بن اسماعيل فانه يقول : -

فكان محمد بن اسماعيل متم الدور وخاتم الرسل

المنتهمية اليه غاية الشرائع المختومة به .^١

وفوق ذلك فقد ادعوا أن جملة (أشهد أن محمدا رسول الله)

التي ترد في الأذان ؛ انما المقصود بها محمد بن اسماعيل . وان رسول

الله (ص) حينما يقول تلك العبارة انما يعني محمد بن اسماعيل أيضا ه

اذ لا يمكن أن يقول ذلك عن نفسه بزعمهم .^٢

والتفسير الباطني لقوله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله) لا يذهب بهما إلى سيدنا محمد (ص) بل

الى القائم المنتظر - الرسول السابع . بزعم أن نبينا محمدا (ص) انتقل

الى جوار ربه واليهود لا يزالون على دينهم وكذا النصارى وغيرهم وهذا

بزعمهم تكذيب للآية وعليه فالمقصود هو المنتظر .^٣

أما مسألة نسخ شريعة محمد (ص) فذكر بعض المحققين أنها خلافية

فيما بين الباطنيين . ألا أن الباحث يرى أن من يقول هذا بعيد عن

الصواب لأن الداعي الكرمانى الذي نقل نسخ الشريعة الحمديّة في كتاب

الرياض ذكر أن التكليف الشرعية ستنسخ في دور الناطق السابع القائم

كما ينقل الباطنيون أنفسهم ذلك عنه ه وان لم أعثر على ذلك في كتابه المذكور

بعد . وليس بعيدا أن تكون العبارة الدالة على ذلك قد حذفت من النسخة

المطبوعة من كتاب الرياض لأن محققها عارف تامر متهم من زميله الباطني مصطفى

١. الداعي الحارثي . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية)

ص ١٥٩ * - التوبة ٣٣ والفتح ٢٨ والصف ٩

٢. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق ص ٩٩ ه الأنوار اللطيفة ص ١٦١

٣. انظر : مخطوطة : الشواهد والبيان ص ٣٢ ه ٣٣

٤. انظر : الداعي الكرمانى . كتاب الرياض ص ٢٠١

٥. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ٩١

١. غالب في امانته العلمية . وسواء أكان الباطنيون يرون أن الشريعة المحمدية منسوخة نسخا كليا وجزئيا على يد القائم فان ذلك يدل على أنهم يعتقدون أن الشريعة المحمدية غير دائمة ، ولا عبرة بالتفاصيل ، ويؤيد هذا ما جاء من همزولمز من صاحب الرسالة الجامعة من أن شريعة الأول تصبح معصية عند ظهور الثاني وقد أعقب قوله هذا بأن تلك سنة الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) وكذا ما رواه الباطنيون على المعز لدين الله في دعاء يوم السبت (ر . ص ٢٧٦) . ويتفق مع ذلك ما ذكره الباطني حسين الهمداني في فقهه الذي نشره في مجلة المعرفة العدد الأول سنة ١٩٣١ من أن الاسماعيليين يرون القرآن كتاب العامة ويرون رسائل اخوان الصفا كتاب الأئمة ، وان الرسالة الجامعة تشير الى مصدر معلوماتها الى ما تلقته الأنبياء والمرسلون من الملائكة الحفظة المقربين . أي أن علمهم سمساري بزعمهم . كل ذلك يدل على أنهم في الحقيقة نسخوا الشريعة المحمدية منذ زمن طويل ولم يبقوا منها الا واجهة ظاهرية تنسبهم الى الاسلام .
- ١٠ ان شخصية محمد (ص) بالنسبة للفكر الباطني غالبا ليست تلك الشخصية الفذة العظيمة التي جاءت بأعظم الشرائع الالهية . فان كتب الباطنيين السرية ترفع من قدر علي بن أبي طالب وتعتبره مساويا لمقام سيد الأولين والآخرين محمد (ص) وأنهما خلقا من نور واحد :
- ١٥

١. انظر : مقدمة مصطفى غالب في تحقيقه لكتاب : الهفت الشريف .
٢. انظر : الرسالة الجامعة ص ٣٢٥ و ٣٢٦
٣. انظر : مصطفى غالب . أعلام الاسماعيليين ص ١٣٤
٤. انظر : الرسالة الجامعة ص ١٦

وانقسم ذلك النور نصفين في عبء الله

وأبي طالب فقال الله تعالى يا هذا كن محمدا

ويا هذا كن عليا^١

بل ان بعض تلك المصادر اعتبرت عليا في مقام الله وهو روح الشريعة

المحمدية^٢ ، وعلى ذلك كان "علي" عندهم المولى الذي كان في خدمة

عبده الذي هو "محمد" (ص) (ر. ص ٣٢٥) وهذه العقيدة

لا تتعد كثيرا عن عقيدة النصيرية.

يمكن هنا العودة الى الأقوال الباطنية التي صرحت بأن محمدا

هو خاتم الانبياء وسيد المرسلين وغير ذلك تلك الأقوال التي وردت في

هذا الفصل (ر. ص ٢٢٣) .

ان تلك الأقوال تضع أمام الباحث احتمالات منها :

أن أفضلية محمد (ص) التي ذكروها إنما تعني أفضليته على من سبقه

من المرسلين . وهذا الاحتمال مؤيد بقول باطني يدعي أن محمدا (ص) .

سيكون أفضل الحاضرين^٣ مجلس قائم الزمان المنتظر - الناطق السابع وأن القائم

سيضعه في المقام المحمود . وقول باطني آخر يزعم أن القائم المنتظر

السابع ليس في مرتبة الانبياء والمرسلين إنما هو في مرتبة أعلى من ذلك،

وهو قول العيسوية اليهود (ر. ص ١١٦) .

ان المقصود بمحمد في كل ما تشير اليه المصادر الباطنية على أنه خاتم

الانبياء ليس سوى القائم السابع سواء كان محمد بن اسماعيل أو محمدا

١. تحفة المرتاد وغصة الأضداد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٨

٢. أنظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٧٦

٣. أنظر مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢١

آخر ينتظرونه لزعمهم أن رسولهم المنتظر اسمه وأسم أبيه وكثيره كالنبي محمد "ص" ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك مقرونا بأدلة باطنية (ر. ص ٢٢٥) .

- يعن للباحث أن يفترض عدم وجود تلك الاحتمالات ، ويفترض أنهم يعنون بقولهم خاتم الانبياء والمرسلين ؛ شخص محمد (ص) . هنا
- يظهر في المراجع الباطنية مفهوم آخر لكلمة خاتم الانبياء والمرسلين غير المفهوم الاسلامي بأنه (ص) آخر نبي وآخر رسول . وهذا المفهوم الباطني يركز على رأي لهم يقول ان المقصود من وجود النطق السبعة، تشكيل صورة تشبه تكون الانسان في بطن أمه الذي يتدرج من السلالة الى النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام الى اللحم (ر. ص ٢٠٢)
- ثم يكون بعد ذلك خلقا آخر حينما يخرج الى الحياة . وقد جعل الباطنيون لكل ناطق مرحلة من تلك المراحل السابق ذكرها فكان آدم مقام السلالة . . . ومحمد (ص) مقام اللحم الذي كما العظام وبه تم تشكيل الصورة وانتهى ؛ والناطق السابع سيكون مقامه مقام الروح التي تجعل الصورة متحركة .

- ولذا فان كلمة خاتم النبيين يصورها الداعي المؤيد في الدين بقوله ؛
- الا أن الوقوف في كمال الصورة عند اللحم الذي هو مثل على النبي (ص) وكما أنه عند انتهائه التصويري الى اللحم يقع الختم على الصورة أن تقبل أشكالا أخرى غير ما هولها ، كذلك اذا انتهت النبوة الى محمد (ص) يقع الختم عن أن تُغير الى غير ماهي عليه فمن ذلك قيل خاتم النبيين .

١- المجلس الثامن والخمسين من المائة الثانية من المجالس المؤيدية . نشره محمد كامل حسين في تعليقاته على كتاب : ثقة الاسلام علم الامام ، المجالس المستنصرية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت . ص ١٩٣

فكان كلمة (النبيين) عند الباطنيين على هذا تعني الذين يساهمون في تشكيل الصورة الجسدية التي لا روح فيها وهو دليل على أن شرائع أولئك الأنبياء مية في حكم الباطنيين . وتتضح مرتبة خاتم النبيين عندهم أنه ليس سوى جثة هامة لا روح فيها حتى يأتي القائم السابع .

- ٥ وللداعي القاضي النعمان رأي مماثل لرأي الداعي المؤيد في الدين .
 إلا أن رأيه مبني على أن كل ناطق مسئول عن دعامة من دعائم الاسلام السبعة عندهم .
 قادم جاء بالولاية ومحمد (ص) جاء بالحج وهو خاتمة الأعمال . أما الجهاد الذي هو سابع الدعائم وأخرها عندهم فهو من نصيب القائم المنتظر . فهو ليس من الأعمال بزعمهم وعليه فإن دور القائم يسمى دور الكشف أي كشف الباطن ولا عمل فيه بل قتل المخالفين فقط ، وعليه فإن كلمة خاتم النبيين التي تطبق على محمد (ص) عندهم إنما تعني أن الدور السادس هو آخر أدوار العمل والنبيون هم الذين جاءوا بفرض العمل على أتباعهم بخلاف القائم السابع .
 ولا يخفى على القارئ اللبيب من خلال ما ورد في هذا الفصل ان كلمة نبي قد تعني شيئاً أقل قدراً . وهي تخص الستة الذين آخروهم محمد (ص) ولا تخص القائم ؛ أما كلمة ناطق فانها تعم السبعة كلهم .
 يستنتج من ذلك أن الذين خططوا لزراعة الفكر الباطني في جسم الاسلام إنما كان همهم الأكبر هدم الاسلام تماماً والدعوة الى دين جديد لا علاقة له بالاسلام . فكان من أهدافهم النيل من نبوة محمد (ص) ضمن مخططهم السري .

٢٠

أما علاقة هذا الفصل بالبحث ككل فهي واضحة . إذا علمنا أن الغرض هو هدم الاسلام والنيل من قوته التي لم تستطع القوى المعادية النيل منه فاختارت العمل في الظلام .

١. انظر : تأويل الدعائم ٥٢/١

٢. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شروثمان . أربعة كتب) ص ٢٤ ، ٢٥

الفصل الخامس : الامامة

تعريف الامامة :

قال في مختار الصحاح :

(أَمَّ) القوم في الصلاة يؤم مثل رد يرد (امامة)

و (أُتِمَّ) به اقتدى . و (الامام) الصقح من الأرض

والطريق . [= الناحية منه] . قال تعالى : " وانهما

لبامام مبين " و (الامام) الذي يقتدى به وجمعه

(أئمة) وقرئ " فقاتلوا أئمة الكفر "

ومن معانيها القدوة ، قال تعالى : (واجعلنا للمتقين إماما) ، وقولنه

٢

صلى الله عليه وسلم : إنما جعل الامام ليؤتم به .

أي ليعتدي به المصلون في قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه ، وتعمد

اللفظ إلى الامام الأعظم وهو أمير المؤمنين - مطلقا - الذي يتولّى

شئونهم وجاء فيه :

سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله . . .

٣

[وذكر الامام العادل] .

الشيعة والامامة :

تميزت فرق الشيعة عامة بالقول بالنص على الامامة في أهل البيت ، حتى

أن احدى فرقهم لقببت (الامامية) نسبة لذلك .

والباطنيون يعتبرون الامامة الدعامة الأولى من دعائم الاسلام . يقول القاضي

النعمان :

* الحجر ٧٩ *** التوبة ١٢ *** - الفرقان ٧٤

١. مادة (أ م م) ص ٢٦

٢. صحيح البخارى ك ١٠ ب ٥١ أنظر : فتح البارى ١٧٣ / ٢٠

٣. صحيح مسلم ب: ١٢ أنظره في شرح النووى على مسلم ١٢٠ / ٧

روينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : بني الاسلام
على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي^١
يوصل الى معرفتنا .

ونذكر أن المقصود بالولاية ولاية الأئمة من أهل بيت رسول الله
أجمعين . وهو قول باطني فيه من الخرابة ما فيه لتناقضه مع تخصيصهم
للإمامة أبناء محمد بن اسماعيل وآبائه ، حتى أن أحب القابهم اليهم
هو ، الاسماعيلية . ويهملنا هنا أن الباطنيين يعتبرون الإمامة مركزا لدائرة
عقائدهم كما يشير الى ذلك النص السابق .

ولكن هل الإمامة على هذا النحو أصيلة في دين الاسلام أم أنها مبتدعة ؟

- ١٠ ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (ونزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ^{*})
فلا بد أن تكون الإمامة مما أشار اليه القرآن وذلك من حيث تخصيص علي
وذريته بها . انهم يقولون : نعم فقد ورد ذلك في قوله تعالى : (يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس)^{**} ويمكن الرد عليهم أنها اذا دلت على الإمامة كما
١٥ تقولون فقد أصبحت أمرا حتميا أن ينصاع المسلمون لأمر الله ؛ وان لم يفعلوا
ذلك فهم عصاة . ولكن الذي حدث غير ذلك فلم يخبرنا التاريخ عن مقاومة
علي بن أبي طالب على ما عرف عنه من قبل ذلك ومن بعده من غيرة على حرمان
الدين ومن شجاعة واقدام وحكمة ؛ وقد سبقنا الإشارة الى ذلك بالتفصيل
في الباب الأول من هذا البحث . (ر . ص ص ٧ - ٩ ، ١١) . كما
٢٠ ورد الحديث عن عبدالله بن سبأ اليهودي ؛ باعتباره أول من قال بغرض الإمامة

علي بن أبي طالب (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وهذا بالتحديد هو ما ذهب اليه الباطني المعاصر عارف تامر بعد أن استبعد تماما وجود نص من النبي (ص) على إمامة علي . ان عارف تامر بصفته باطنيا متحمسا مسؤل عن قوله هذا خاصة وأنه منحاز لجانب ابن سبأ اليهودي ومعتبرا اياه شخصية مرموقة نادت بحب علي بن أبي طالب (ر. ص ص ٥٥) .

ان الدور السبئي اليهودي في فكرة الامامة سبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر. ص ص ٦٣ - ٦٥) ذلك الدور الذي يتمثل في نقل الفكرة من ترائيه اليهودي بعد تحوير شخصياتها ، الى الفكر الاسلامي ومن ثم الدعوة اليها حتى أصبحت كما هو الحال مركزا لدائرة العقائد الباطنية بعد أن أضاف اليها الباطنيون وجوهرها وطورها ،

ان امامة علي بن أبي طالب ووصايته هي الجزء السبئي اليهودي في مسألة الامامة ، أما من حيث انحصارها في ولد الحسين بن علي فيبدو أنه غير ذلك ، الا أن بعض المحققين قرنها بالقول اليهودي بأن الملك لا يقسم الا في ذرية داود كما روي عن الشعبي ، وفي العهد القديم ما يأتي :-

وفي تلك الليلة كان كلام الله الى ناثان قائلاً
انذهب وقل لداود عبدي : هكذا قال الرب . . . ويكون
متى كملت أيامك لتذهب مع آباءك^٣ أني أقيم بعدك نسلك
الذي يكون من بنيك وأثبت مملكته .

وهي عقيدة قائمة حتى يومنا هذا ، ان لم يزل من اليهود من يرى أن الدولة اليهودية المختصة لديار الاسلام في فلسطين ليست دولة اسرائيلية

١. انظر : الامامة في الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ٥٠ ، ص ٦٢
٢. انظر : العقد الفريد ٤٠٩ / ٢
٣. اخبار الايام الاول ٣ / ١٧ ، ٤ ، ١١

١
لافتقارها الى ملك من ذرية داود .

الامامة عند الباطنية :

تميزت عقيدة الامامة عند الباطنيين بمميزات ، جعلت الفرق الباطنية
تختلف في ذلك عن بقية فرق الشيعة الأخرى ، وتفصيل تلك المميزات
قد يلقي بعض الضوء على هذه العقيدة ، فمن بين مظاهر الامامة عندهم
٥ ما يأتي :-

خصائص الأئمة :

اتهم بعض أصحاب المقالات ، الباطنيين بأنهم أضافوا الى أئمتهم
صفات الألوهية والنبوة وغلوا فيهم ، ورد الباطنيون بأن ذلك ليس من فعلهم
١٠ بل من فعل الخلافة ، ونجد في التراث بعض الباطنيين تكفيرا للخلافة أمثال :
أبي الخطاب والمغيرة ، لذات السبب (ر . ص ١٢٥) .

وهكذا ظلت مسألة غلو الباطنيين في أئمتهم مجرد أكاذيب روجها
عليهم أعداؤهم . كما هو الحال في كثير من عقائدهم الأخرى . فنجد محمد
كامل حسين يدافع عن نظرة الباطنيين لأئمتهم ، بقوله ان الاسماعيليين
١٥ ذهبوا الى أن :

الامام من البشر يجري عليه ما يجري على البشر من حياة

٢
أو موت .

ولكن الكتب الباطنية السرية التي نُشرت . أظهرت الكثير مما كانوا
يخفون ، واتضح أن لأئمتهم خصائص فوق البشر ، في خلقتهم وحياتهم
وموتهم وبعد موتهم وعلمهم الخ . ومن ذلك ما يأتي :-
٢٠

١.. انظر عن طائفة (ينثوري كارتا) حراس المدينة ، خبرا في صحيفة الشرق

الوسط ، لندن ، العدد ٢١٠ في ١٢ و ١٣ / ٤ / ١٣٩٩ ص ٢

٢.. في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

١- تكون الامام من لاهوت وناسوت :

يتكون الامام عند الباطنيين من جزئين : ناسوت ولاهوت ويعبارة

أخرى إله في جسم انسان كما قال شاعر العبيديين تميم بن المعمر
لدين الله (- ٣٧٤) وهو يمدح أخاه امام الباطنيين العزيز بالله (- ٣٨٦)

ما أنت دون ملوك العالمين سوى * روح من القدس في جسم من البشر

نور لطيف تنأى منك جوهـره * تنأى حازحد الشمس والقمر

وهذا يعود بنا الى اعادة النظر حول الحلول والتجلي الذي يقوله

الباطنيون (ر. ص ٢١٤) لا سيما وأن الشعر منسوب الى أحد أبناء

الأئمة الباطنيين .

وعن جسم الأئمة ذاته - بغض النظر عن روحه - نجد أن الباطنيين

يعتبرون أجسام أئمتهم كالياقوت الأحمر الذي يفوق جميع الأحجار مع كونه

حجراً ؛ وهذا الرأي عن أجسام أئمتهم يوضحه الداعي المؤيد في الدين

حيث يقول :

قد خلقت من طينة وخلقنا * نحن منها ولكن بدي [كذا] ترتيب

ان أجسامكم لناشئة الطين * الذي منه شق منا القلوب [كذا]

وهو تمييز للطين التي خلق الأئمة منها كما يقول محمد كامل حسين . وهناك

تمييز آخر على هذا النحو ؛ فان الامام الباطني بزعمهم حينما يكون جنينا في

بطن امه فانه لا يفتدى من دم الحيض كبقية البشر لأن أمهات الأئمة

* انظر ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ١٧٣ - ١٧٩

** انظر : ترجمته في اعلام الاسماعيليه ص ٥٧٧ - ٥٨٢ .

*** ربما كانت الكلمة فارسية وتعني : بهذا كما ورد ذلك عن كلمة بدين .

انظر : المعجم الذهبي - فارسي . عربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٦٩

ص ١٠٥

١- اعلام الاسماعيليه ص ١٧٥ ، والبيتان المذكوران غير موجودين في ديوان تميم
ابن المعز الذي طبعته دار الكتب المصرية .

٢- انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شترنمان . أربعة كتب) ص ٨

٣- ديوان المؤيد في الدين ص ٢٠٩ وانظر ص ٧٧

منزهات عن الحيض ؛ بل يختذي دهنا لطيفا شريفا . هذا عن جسم
الأئمة أو ناسوتهم .

أما لاهوت الامام - الجزء الالهي - فهو هيكل نوراني هو حقيقة
الامامة تتحد مع جسم الامام بعد ولادته أو بعد النص عليه . - عن
الهيكل النوراني (ر . ص ٩٢) ؛ ذكر بيان بن سمان بأن معبوده هيكل
من نور - .

ان طريقة امتزاج اللاهوت بالناسوت الباطنية ؛ هي نفس الفكرة
اليهودية التي تعلق خبث الجبلية في الانسان ؛ فقد قال اليهود :

ان خبث الجبلية يحدث في الشخص الانساني
عند ولادته (فعند الباب خطيئة رابضة) وكما
نصت التوراة (منذ حدثتسه) .

وأما في العهد القديم فاننا نجد قوله :

وان لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك

اشتياقها وأنت تسود عليها .

... لأن تصور قلب الانسان شير منذ حدثتسه .

وهذين النصين هما اللذان استشهد بهما الحكيم اليهودي فيما ذهب اليه
والرابط بين التصور الباطني لعملية امتزاج اللاهوت بالناسوت والتصور
اليهودي لعملية امتزاج الجبلية الخبيثة بجسم الانسان واضح لا سيما
وأن الهيكل اللاهوتي أيضا يظل عند الباب ينتظر ولادة الامام أو النص

١- انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ٨

٢- دلالة الحائرين ص ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

٣- سفر التكوين ٧/٤ و ٢١/٨

عليه ليلج جسمه كما ورد في النص الباطني المعتمد عليه آنفا .

ان مسألة اتحاد اللاهوت بالناسوت مما ظهر به ابن سبأ اليهودي في الاسلام حين أضاف الجزء الالهي الى علي بن أبي طالب ؛ كما سبق بذلك الحديث (ر . ص ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٥) . ان ابن سبأ حاول أن يكرر مافعله سلفه اليهودي شاول (بولس) حينما أضاف اللاهوتية الى عيسى بن مريم بهدف افساد المسيحية ؛ وقد سبق الحديث الى أن هذه الفكرة تمتد في جذورها الى عقائد ذات أصل بابلي وردت في العهد القديم (ر . ص ٦٠)

أطلق الباطنيون على اللاهوت عبارة هيكل النور الذي يضيفونه الى الأنبياء والأئمة وقد رووا عن علي بن الحسين (زين العابدين) يقول للصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري :

فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور المتجلي بهم الحق عند الظهور .

ويقول أحد دعائهم :

واعلم بان الامام الموجود للأنام لا يخلو منه مكان [كذا] ولا يحوزه مكان لأنه الهى الذات سرمدى الحياة ولولم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق الى معرفته وصول .

-
١. انظر مسائل مجموعة في الحقائق العالية .
 ٢. انظر : أحمد شلبي . المسيحية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
 ٣. الداعي ادريس . زهر المعاني ، نشر ايقانوف ، المنتخب ، الهند ١٩٤٢ ، ص ٦٤ .
 ٤. الداعي شهاب الدين أبو فراس . رسالة مطالع الضموس (عارف تامر أربع رسائل) ص ٣٣ .

وفي أبيات للداعي الكرماي عن قائم الزمان المنتظر يقول :-

تأنس للخلق لكنـه * تنزه عن كل لحم ودم

ونجد مثل هذا عند " الدرور " بكل وضوح ، كما نجد عند " النصيرية " ^١

القول باتحاد الناسوت باللاهوت في " علي بن أبي طالب " ^٢ على الطريقة السبئية .

وعند الدرور أيضا نجد في شجرة السبع السموات ، التي تعني تسلسل ^٣

الائمة على نحو امتزج فيه التناسخ واتحاد اللاهوت بالناسوت ، وهـذ هـ

الصورة مما وجد عند المستعلية المعتدلين ، فقد رواوا حديثا عن علي بن أبي

طالب وهو يتحدث الى جابر بن عبدالله الانصاري وسلمان الفارسي وأبـى

ذر الغفاري ، وهو يقول :-

يا جابر أنا الأمر من الله لأنه عز وجل يقول (يلقي

الروح من أمره على من يشاء من عباده) فلما أمرني الله *

بقوله (فإذا جاء أمرنا وفار التنور) ، بنجاة نوح عم نجبته ***

وقوله : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) ، وأما

قولي ان ميتنا لم يمـت لأنه من روح الله ، وقتيلنا لم يقتل

وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى ومن بقي ، ياسلما ن

ويا جندب [هو أبو ذر] فلما أيدت بما أيدت به الأنبياء

من الروح نطقـت على لسان عيسى بن مريم في المهد ،

قادم وشيت ونوح وسام وإبراهيم واسماعيل وموسى ويوشع

أبن نون ومحمد ، وأنا كلنا واحد ، ومن رأيـي فقد رأيهم

جميعهم ، وأنا عبد من عباد الله ، فلا تسمونا أربابا وقولوا

٦٦

١. أنظر الأبيات في : رسالة أسبوع الستـر (عارف تامر : أربع رسائل) ص ٦٦
وأنظر : مخطوطة رسالة الانصاف . دار الكتب المصرية ، عقائد النحل

٢. ٥٤ ، ق ٦٣ ١ ٢ . انظر مخطوطة كتاب مجموعة حقيقة حق اليقين ص ٤

٣. انظر مخطوطة كتاب تقسيم العلم . خزائن تيمور . عقائد ٦٦٢ ص ٢٣٧

* غافر ١٥ ** المؤمنون ٢٧ *** هود ٨٢

في فضلنا ما شئتم . . . يا سلمان ويا جندب أنا أحي
وأبيت وأخلق وأرزق وأبرئ [كذا] الأكمة والأبرص
وأنبيئكم [كذا] بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
بأذن ربى ، وكذلك المحقون من ولدي لأننا كلنسنا
شئ واحد يظهر في كل زمان . . . ولقد أعطانا
الله ما هو أعلى وأجل وأكبر من هذا كله ، أعطانا
الاسم الأعظم الذي لو شئنا لخرجنا به إلى السماء
وأطاعتنا الشمس والقمر والنجوم والدواب .

وليس من تعليق للباحث على هذا النص إلا الإشارة إلى ما ذكره الباطنيون
فيه من معرفة الاسم الأعظم وهو قول سبق الحديث فيه ؛ حين أدعى
ذلك " بيان بن سمعان " (ر . ص ٩٢) .

ان كل من درس الخصائص التي أضفها الباطنيون على أئمتهم ؛ يستطيع
اكتشاف سرك تلك الخصائص - وهي غير بشرية بلا مرأ - لا كما ادعى البعض
- حين يعلم بأنهم على مختلف فرقهم يقولون باتحاد اللاهوت بأجسادهم .

١٥ ٢- وصف الامام بصفات الله :-

اعتبر الباطنيون جميع أسماء الله تعالى وصفاته التي في القرآن الكريم
صفاتاً للعقل الأول ولبقية العقول المدبرة - بزعمهم - ، حتى أنهم فسروا
بعض الآيات التي تتحدث عن الله تفسيراً باطنياً ذهبوا به إلى القول
أنها تخص العقل الأول (ر . ص ٨ ، ٢١ ، ٢١٩) .

الا أنهم أحيانا يؤولون تلك الاسماء والصفات بأئمتهم ؛ بل انهم
قد نسبوا أفعال الله الى الأئمة كما لاحظنا في الفقرة السابقة في النص
المنقول عن (زهر المعاني) الذي يمكن اعتباره شرحا لنص ذكره الداعي
القاضي النعمان لا حاجة للبحث في إيراد ما ظهر لنا . قولهم
في أئمتهم بالخلق والرزق ونحوه .

٣- وصف الأئمة بأنهم يعلمون الغيب والسِر -

ان علم الغيب من خصائص الله تعالى . وقد نفى القرآن عن سيد
الاولين والآخرين (ص) أن يكون عالما بالغيب ؛ فقال جل من قائل (قل
لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء) ؛ فكيف تجوز نسبة العلم بالغيب الى
من هو دونه (ص) من الخلق كائنا من كان .

ان الباطنيين - كما ذكر بعض اصحاب المقالات - يدعون مثل ذلك
لأئمتهم وقد نفى كثير من الباطنيين هذه التهمة ؛ من ذلك ما رواه القاضي
النعمان عن المنصور العبيدي ؛ أنه قال :

قد جعلني بعضهم ربا وجعلني بعضهم نبيا ،

وقال بعضهم أعلم الغيب . . فانما نحن عباد من عباد الله

وخلق من خلقه ولكن لنا منه منزلة أكرمنا بها ، بأن جعلنا

٣

أئمة عبادته وحججه على خلقه .

١. انظر : دعائم الاسلام ص ٥٧ ، ٥٨

* الأعراف ١٨٨ . وانظر آل عمران ١٧٩ والانباء ٥٠ ويونس ٢٠ وهود ٣١

٢. انظر على سبيل المثال : تثبيت دلائل النبوة ص ٧٥

٣. دعائم الاسلام ط ٢ ص ٥٥

كما روى هذا الداعي أيضا عن المعز قوله :

سمعت القائم بأمر الله (صلح) يقول في قسم
من الدعاة بلغه أنهم غلوا فيه وفي آباءه ... وقالوا
أنهم يعلمون الغيب ، فلعنهم وقال هؤلاء الصادون
عنا الكاذبون علينا ..

ثم قال المعز ... الغيب الذي تعلمه الأئمة
هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله إياه
واستحفظهم سره . فأما الغيب الذي قال جل ذكره : ^{*} قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ " فلا يعلمه
إلا هو كما قال عز وجل .

ولكننا نجد الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي يروي عن علي بن ابي طالب
حديثا فيقول :

فقال علي ع م اعلم يا جندب أن رسول الله صلح
أفضى إلي بما أذكركم من هذا الأمر .^٢

ثم سرد هذا الداعي حديثا طويلا عن الأحداث التي ستقع للأئمة ؛ على
أنها من أقوال علي بن ابي طالب ، والطريف أن ما يحتمل الصدق من تلك
الأحاديث هو ما كان قبل عصر الداعي المذكور وما عاصره ؛ أما الأحداث
التي زعم أنها ستكون بعد ذلك فلم يقع شيء منها مثل ادعائه خراب مصر
وادعائه فتح القسطنطينية وخراب رومية على يد الامام السابع عشر ،
ويوجد في التراث الباطني من التنبؤات الشيء الكثير وقد نسبوا بعضها
إلى النبي (ص) .^٣

* - النمل ٦٥ ١. المجالس والمسايرات ، ص ٨٤ وأنظر أيضا ص ٥٢٣
٢. مجالس حاتم (نشر ايفانوف . المنتخب) ص ١٠٧ وأنظر إلى ص ١١٣
٣. انظر : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (ايفانوف . المنتخب) ص ص
١٤ - ٣

واذا عدنا الى القاضي النعمان الذي ينفي علم الغيب عن أئمة ه فأننا
نجد أنه ينقل عن المحرز تفسيراً للحديث الخاص بفضائل القرآن والذي فيه
(فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم) قال :-

وهذا حديث قد رواه عامة أصحاب الحديث فينبغي

لهم أن يطلبوا في القرآن خبر من يأتي من بعدهم

فإن لم يجدوه فليسالوا عنه أهله كما أمرهم الله (عج)

بقوله : " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون " *

وقول المحرز (صلح) : إن عندنا علم ما يطلب

كقول جده علي (ع) : سلوني قبل أن تفقدوني

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن علم

ما كان وما يكون وعن علم ما لاتعلمون الا أخبركم ، علمنيه

النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين .

وهذا النص بالاضافة الى ما يوضحه لنا من تناقض بين في أفكار الدعاء

ومقالاتهم فإنه يوضح لنا قيمة النصوص المشابهة لذلك ؛ وأعني بذلك مثلاً :

نص زهر المعاني الذي ورد من قبل (ر . ص ٢٤٠) ونجد شواهد

لدعوى معرفة الأئمة بعلم الغيب بشكل ملقت للنظر اذا تصفحنا التراث

الاسماعيلي الباطني ؛ ففي الخلاف الذي وقع بين أبناء المستنصر بالله

العبيدي حول الامامة والذي نتج عنه الانقسام الكبير في الباطنيين فصار

منهم النزارية والمستعلية ؛ نجد تبريراً بأن الامامة من حق المشعللي

بنص أبيه المستنصر بالله على ذلك قبل ولادته فقال اترزاع بين ابنيين

له حول الامامة ؛

لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب

هذا الأمر وإنما صاحبه ها هنا وأشار بيده النبي

ظهره الطاهر وكان مولانا المستعلي حيثئذ لم يولد

بعد ، وهذا كان في يوم مشهود ومقام غير خفي ولا مجهود .

- ٥ والمقصود من النص واضح وهو ان المستنصر يعلم الغيب وأن الامام الحقيقي بعده هو المستعلي ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن دعوى المستعلية هذه لم تجز على أحصائهم الالاء وبني عمومهم النزاريين بل أتوا بدعوى مثلها من هذا القبيل .

وان علم السر من علم الغيب أيضا . فالأئمة الباطنيون يعلمون السر

- ١٠ كما يعلمون العلن ففي تفسير باطني لقوله تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس . . . الآية) قال الباطنيون انها في صفة الأئمة :

وذلك أن الله تعالى أطلعهم بمادته وثأبيده

لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم فما يتحرك

- ١٥ متحرك ولا يسكن ساكن الا وعندهم صلوات الله عليهم

علمه كما جاء في الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله

عليه أنه قال يوما لبعضهم ما كان عاملا البارحة في دار فلان

فاستحي الرجل من كلامه صلوات الله عليه . فقال

بعض من حضره أو تعلم ما يفعل يا ابن رسول الله

- ٢٠ فقال : (ما كان الله ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب

عنا شيئا من أمورهم ، استحيوا منا في السر كما تستحيون منا

في العلانية) .

١. الوثائق الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٢١٦ ، وانظر أيضا ص ٢٢٢

* سورة ق ١٧ ** - البقرة ١٣٧

٢. - مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ١١٦

وفي ذات الموضوع ذكر القاضي النعمان أنه سمع المعز لدين الله يقول :

سمعت المنصور عليه السلام ورحمته وبركاته يقول :

رأيت المهدي (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار

الدعاة - ذكره - بعد أن قام من مجلسه وكلمه بكلامه

ثم ولَّى عنه ، فأهوى ذلك الشيخ إلى الموضع الذي

كان عليه المهدي عليه السلام قائما من الأرض فأخذ

من ترابه بيده شيئا فقبَّله ثم صرَّه في منديل كان في كفه

فلا أدري كيف التفست إليه المهدي عليه السلام بعد

أن صار بعيدا عنه فرآه وما فعله ، فقال : يجزيك

الله بذلك خيرا يا أبا فلان .

وما ظننت ولا ظن ذلك الشيخ أنه رأى ما فعله

لأنه لم يفعله إلا بعد أن ولَّى ظهره ومضى عنه .^١

والنص واضح في قصده الذي ذهب إليه من أن المهدي علم بما فعل داعيه

دون أن ينظر إليه . وكل ما سبق يوضح الغلو الذي سلكه القوم . في

هذا الأمر .

٤- الاثيان بخوارق العادات :-

اشتهر أئمة الباطنيين بأنهم يأتون بالمعجزات . ومع أن المعجزات التي

جاء بها الأنبياء ليست أمرا ذا بال عندهم بل انهم لم يعترفوا بها ، فقد

أولوا تلك المعجزات النبوية تأويلات باطنية مع أن القرآن الكريم نص عليها

وأخبر بها مثل :

١. المجالس والمسايرات ص ١٥٧

* هدهد سليمان والنملة التي حذرت النمل من جيشه؛ فقد أولسوا
الهدهد فقالوا: إنه أحد الدعاة لسليمان وأن النملة كانت داعيا لأذنونا
من دعائه .

* عصا موسى هو أخوه هارون وهو أيضا يده التي خرجت أمام فرعون
بيضا من غير سوء .

* كون عيسى من غير أب فلأنه أخذ علمه من أحد دعاة الامام ولم
يأخذه من الامام نفسه وهم يدعونه عيسى بن يوسف . ويقول اليهود أن عيسى
ابن غير شرعى حملته أمه وهى حائض كما ذكر ذلك في قصة طويله فسي
كتاب (Synag. Jud. VIII, p. 133) .^٢

١٠ أما معجزات أئمتهم فقد آمنوا بها ولم يؤلوها تأويلا باطنيا بل انهم
أضافوها الى كثير من مصادرههم ؛ مما يدل أنها أحد أساليبهم الدعائية
لمذهبيهم .

من ذلك تظاهر اسماعيل بن جعفر الذي ينتسبون اليه بالموت ويقاءه
مسجى ثلاثة أيام ، والناس يغدون عليه ويروحون ؛ ثم دفن جعفر بن
محمد له في البقيع على مشهد من الناس . وليست هذه هي المعجزة
فقط ؛ بل ان اسماعيل هذا ظهر بعد ذلك بمدة في أحد أسواق البصرة
وأنه مسح على زمن في كساحه فشفي في الحال (ر . ص ٢٦٤) .

وقد تقدم في الفقرات السابقة شيء من معجزات الأئمة مثل معرفة
المستنصر بالله بأنه سيولد له ولد وسيكون اماما بعده (ر . ص ٤٤٥) . ومن
ذلك أن المهدي عبيد الله حينما كان في طريقه الى المغرب من الشام ألقي
القبض عليه في مصر وسجن ؛ يقول الداعي ادريس :

١- انظر: مخطوطة حياة الأحرار . الأوراق ١٠ ب ، ١٢٥ ، ١٢٦
٢- انظر: زهدى الفاتح (مترجم) . فضح التلمود ، سلسلة اليهود
والعالم - ١١ ، بيروت ، ١٣٩٤ ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

فلما صار بالسجن وفيه قم مسجونون منذ مدة طويلة ،
فقال لهم تحبون أن تخرجوا معي من السجن ، فتخامزوا
مستهزئين . . . فنهض إلى باب من أبواب السجن
فقلعه وأخذ الفحم وخط في الباب صورة مركب ، فلما
أكمل الصورة قال من أحب منكم الخروج فليقم
معي على الباب ، وجلس على الباب هو وولده وجلس
معه الجميع الا واحدا منهم كذب ذلك ، فلم
رأى الباب ارتفع في الهواء تعلق به فسقط فاندق ساقه
ووقع الباب على النيل ، واشتهر الخبر وخاب من كفر
ونظر الناس إلى الباب على البحر يجري فأيقنوا المهدي
[كذا] المنتظر المبشر به .^١

ان هذا الأسلوب ما سار عليه الباطنيون بهدف جذب الجماهير إلى مذهبهم
منذ بدء دعوتهم على أيام القداحين وقد أشار ابن النديم إلى أن عبد الله
ابن ميمون كان يلجأ إلى الشعابذ والسحر واستعمال الطيور في نقل الأخبار
ليموه بذلك على الناس .^٢

٥- عصمة الأئمة :-

ان عصمة الأئمة خصوصية هامة في الفكر الباطني ، وقد صيغت لفرض
بعيد وهو تقبل كل ما يروى عنهم بلا مناقشة لصدوره عن شخصية معصومة
عن الخطأ .

١. زهر المعاني . ص ٦٨
٢. انظر : الفهرست . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت . ص
٢٧٨ .

يرى محمد كامل حسين أن العصمة رأي جميع فرق الشيعة^١؛ ويقول
كامل الشيباني^٢، أن هشام بن الحكم (١٩٩) كان أول من أضاف إلى
الأئمة العصمة، انطلاقاً من فكرته القائلة^٣:-

ان الامام أحوّل إلى العناية الالهية من النبي
بحكم اتصال الانبياء بالله عز وجل عن طريق
الوحي وامتناع ذلك على الامام^٤

ولا يخفى علينا أن الباطنيين ينطلقون في قولهم بعصمة الأئمة من منطلقات
بعيدة عن الذي ذكر عن هشام بن الحكم.

ان اضافة العصمة على الأئمة متكرر ذكرها في أدب الباطنيين (ر. ص ٢٦٤)
من ذلك عبارة الداعي ابن الوليد الأنفي^٥،

فهل أيها الاخوان بعد كلام الامام المعصوم يطلب
شاهد^٦.

وقول المعز لدين الله العبيدي:

فالحمد لله الذي من علينا بالعصمة^٧.

وقد تقدم الرأي القائل ان العصمة شيعة المنبت^٨، وذلك فيما ذكر عن
هشام بن الحكم^٩، وهو تأييد لرأي المستشرق (دونالدسون) القائل ان العصمة
لم ترد عن طريق الأسفار اليهودية^{١٠}، وهي نقطة مهمة في هذا البحث لأن مما
سبق ذكره أن اليهود ينفون الخطأ عن الحاخامات ولو تضاربت أقوالهم (فكلمة
هذا وذاك كلمات الله الحسي) (ر. ص ١٩١) وهو ما يقوله الباطنيون.

١- انظر: في أدب مصر الفاطمية، ط ٢، ص ٢٥

٢- الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٨٥

٣- رسالة الايضاح والتبيين (شتروثمان، أربعة كتب اسماعيلية) ص ١٥٠

٤- المجالس والمسائرات، ص ٤١٨

٥- الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٢، ٣٨٥

والمعروف أن الخطأ صفة بشرية لا خلاف بين اثنين فيها والعصمة نفي
لتلك الصفة . ولوجود ذلك عند الباطنيين واليهود .

يصبح قول " دونالدسون " باستبعاده أن تكون العصمة مما لم يأت
الشيعية عن طريق الأسفار اليهودية أمرا صعب التصديق .

٦- نزول الوحي -

هذه خصوصية نبوية أخرى أضافها الباطنيون إلى الأئمة . وإذا أردنا
الدقة فيجب أن لا يكون العنوان لها كما هو : (نزول الوحي) فاني لم
أجد ذلك في المصادر الباطنية ؛ وإنما وجدت الداعي الكرمانى يقول :
الروحاني
فلا يستفيد من الملك وحيًا - على

١٠ ما ينقسم حسب المراتب - إلا نبي أو وحي أو امام .

وهذا يعود بنا إلى الفقرة السابقة الخاصة بالعصمة والتي ورد فيها أن كلمات
الخاصات كلمات الإله الحي وكل ذلك يوضح أن كثيرا من خصائص النبوة
قد أضيفت إلى الأئمة . كما أضيفت إليهم أسماء الله وصفاته وعلمه . . . الخ .
٧- الأئمة بعد موتهم :-

١٥ سبق في هذا الفصل الإشارة إلى أن الباطنيين قالوا أن أئمتهم يتكونون
من لاهوت وناسوت (ر . ص ٢٣٧) أما وقد علمنا ذلك ؛ فلا بأس بالوقوف على
ما يؤول إليه هذا المزيج البشري الإلهي بعد موت الامام . وخاصية
قائمهم المنتظر .

ان اللاهوت الذي في جسم الأئمة وهو (الهيكل النوراني)

٢٠ إذا انت نقلته عليه السلام [يعنى الامام مطلقا] صعد
ذلك الهيكل النوراني إلى أفق العاشر المدبر .

أما أجسام الأئمة وكذا الأنبياء . أنها بعد دفنها

[ثلاثة] أيام تتحلل وتصعد إلى حيث كانت أولا وهي

٨٠ ط ٩٨ [ريحية] وقد صارت في حالة أعلى

وأشرف لمجاورتها المياكل النورانية وكونها كانت حجابا

للإبداع فتقيم ما شاء المدبره ثم تصير ٨٢٥٣ . ٢٤٢٨٧

٩٥ [مواد لطيفة] تتصل بنفوس ٢٥٢ ٢٢٥ [الابواب]

والحجب ودعاة ٢٢٥ ٨٢٤ [البلاغ] وتشعشع نفوسهم

وتصعد بصعودها وذلك حقيقة ما قاله مولانا الصادق

أ. " كائفنا لطائف شيعتنا " .

١٠ والمقصود بالعاشر : العقل العاشر الذي يتولى تدبير عالم الطبيعة (ر. ص ٢١٢).

ان لاهوت الأئمة يصعد إلى أفق ذلك العقل ليتولى معه تدبير هذا

العالم . وهذا يذكرنا باستشارة الله (تعالى عن ذلك) للحاخامات اليهود

٢ حينما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء .

ولعل الفرق بين التصورين أن اليهود جعلوا من حاخاماتهم مستشارين

١٥ أرضيين لما يجري في السماء بينما أرجأ الباطنيون ذلك في أئمتهم ففسد

لاهوتهم من يتولى تدبير شئون الحياة على الأرض . ولتقف أمام هذا النص

الباطني للداعي شهاب الدين أبي فراس الذي يمزج الامام بالاله على طريقة

باطنية خالصة فيقول :-

١. مسائل مجموعة من الحقائق العالية (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٨ ٥

٥٥ ٥٦ .

٢. أنظر : محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ص ٣٢ .

٣. أنظر : الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص ٤٦ .

وهو قلب هذا العالم الكبير ، ومدبره ، وممده ،
فبمعرفته وطاعته والتخلي عن ضده صلاح المؤمنين
وهو فرد الحقيقة ومرتب الدوام وموجد النظام وهو
القائل على نفسه " ظاهرنا امامة وباطننا غيب لا يدرك "
وقال : " عبدي أطعني أجعلك مثلي حيا لا تموت
وعزيزا لا تذلل وغنيا لا تفقر " .^١

وان كان شئ ما في حاجة الى تعليق فهو ليس سوى العبارة الأخيرة
من النص " عبدي أطعني ... " وهي عبارة تتكرر في المصادر الباطنية
عن لسان الله تعالى وهي هنا عن لسان الامام الذي هو في الحقيقة الله ،
والباطنيون ينسبون العبارة الى التوراة . وقد وردت في بعض المصادر
: أطعني يا ابن آدم أجعلك ...^٢

وبعد هذا فاننا نجد أن الخصائص التي خص بها الباطنيون أئمتهم
لا يمكن أن تكون خصائص بشرية كما أن من الصعب ادعاء ذلك واثباته .

استمرار الامامة :

ان الفرق الاسماعيلية الباطنية تختلف عن الفرقة الاثني عشرية وما
انشق عنها في مسألة الامامة من حيث استمرارها ذلك ان الاثني عشرية
يروون أن آخر الأئمة هو الامام الثاني عشر الذي دخل مغارة وأختفَى
فيها وهم ينتظرونه منذ مئات السنين ويستخف الباطنيون هذه الفكرة^٣

١. رسالة مطالع الشمس . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٣٣
٢. انظر : مقدمة الأعظم على تأويل الدعائم ص ٤٢ وأنظر أيضا الأنوار اللطيفة ص ١٠٦
٣. انظر : أسرار النطقاء . (ايفانوف . المنتخب) ص ٩٢ . وأنظر أيضا : محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

وقالوا ان الامامة :-

تنتقل ولا تزول وانما الأئمة صلوات الله عليهم

١. يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف .

٢. وقالوا ان سبب عدم زوال الامامة أنها حجة الله على خلقه .

٥ ان فرقة الدورز تعتبر في هذا الأمر ممن شذ عن الاسماعيليه وذلك منذ أن أعلنوا ألوهية الحاكم بأمر الله . وهم الآن لا يقولون بوجود امام لهم .

والنزاريون لهم امام معروف باسم آغاخان . أما المستعلية فان امامهم مختلف ويدعون وجوده في الستر . وهذه الفرقة هي التي حافظت على التقليد الباطني الذي يقول بوجود امام مستور .

١٠ ان القول الباطني باستمرار الامامة امد الدهر اوجد عندهم قولين : الأول : القول بامام ظاهر وامام مستور . الثاني : القول بامام مستقر وآخر مستودع ؛ أي أن الامامة وضعت عنده على سبيل الوديعة ويمكن اعتبار الكيسانية أول من قال بالامام المستودع (ر : ص ٨٩) .

القول بأئمة ظاهرين :

١٥ عرفنا في الباب الأول أن الفرق الباطنية انما وجدت من بين الفرق الغالية التي كانت تقول بامامة الحسين بن علي وذريته (ر : ص ١٣٩) . لذا

١. زهر المعاني . (ايفانوف . المتخبط) ص ٥٢

٢. ابن الوليد . تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٩

فهم يقولون جميعا بامامة هؤلاء^١ أي علي والحسن ويزي الباطنيون
 في مجملهم أنه مستودع للامامة وليس مستقرا والحسين وعلي بن الحسين
 ومحمد بن علي وجعفر بن محمد • وهؤلاء بزعمهم الأمة الظاهرون
 ويسمون هذه المرحلة دور الظهور • ان دور الظهور قد لا يمتنا في هذا
 البحث • الا من حيث أنه مرحلة لازال الباطنيون يعتبرونها جزءا
 من تاريخهم • بل ان معظم ما في فكرهم وتراثهم انما يتركز على
 أهل هذا الدور، وأعني بذلك الجانب الاسلامي من فكرهم اذا لم
 تخفني الالفاظ • لأنهم يروون أحاديث عن الأئمة من أصحاب هذا الدور
 لاسيما علي بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد • ولا أقصد
 أنهم لم يسندوا إلى هؤلاء شيئا من الفكر الباطني • ويأتي بعد ذلك
 في عدم أهمية دراسة هذا الدور أنه خال من التناقض والمشاكل
 التي نشأت عن دور الستر وظهرت فيه • وهنا تصبح دراسته خالية
 من الاثارة العلمية بحيث يمكن اعتبارها تكرارا لأقوال من سبق من المحققين
 لن يأتي منه جديد • لاسيما وأن الباب الأول قد أشار إلى عقائد
 الفرق الغالية والتي لم تظهر في معظمها الا في هذه الفترة •

دور الستر

ان الدراسات الباطنية تختلف اختلافا بينا في تحديد الفترة التاريخية
 التي يمكن أن يطلق عليها دور الستر ولكن الباحث من خلال مقارنته
 بين المصادر الباطنية وغيرها وبين تطور العقيدة الباطنية • فانه لا يجد
 مانعا من القول ان وفاة جعفر بن محمد (١٤٨) هي ما يمكن أن يعتبر

١. انظر: رسالة تحفة المرتاد (شترومان • أربعة كتب) ص ١٦٨ وانظره
 مصطفى غالب • تاريخ الدعوة الاسماعيليه • دمشق • دار القطفة
 د ت • ص ٢٨

تاريخا لدور الستر بالاصطلاح الباطني . وقد يتضح ذلك جليا فيما
سيتبع :

١- المقصود بدور الستر:

ان مدلول هذه العبارة (دور الستر) عند الباطنيين : أن يختفي
الامام عن الناس تماما بحيث لا يكون له أي نشاط ظاهر يدل عليه ، ولا يعرفه
الا أخص الدعاة المقربين بعد أخذ العهود والعواثيق عليهم وفي هذه
الحالة يكون حجه هو الظاهر للعيان .^١ كما هو حال الباطنية المستعلية
اعني الفرقة المعروفة منهم باسم البهرة - بل ان هناك رأيا باطنا
يقول بأن الأئمة المستورين :

أخفوا شخصياتهم عن أقرب المقربين اليهم من دعائهم^٢
بأساليب لا يمكن أن يتصورها العقل^٣ ،

ويتميز دور الستر عامة بالنشاط السري الخفي الذي ربط المحققون بيده
وبين أسلوب الديانات السرية كالماسونية اليهودية وأمثالها،

٢- أسباب القول بالامام المستور:

ان التعليل الباطني لظاهرة الامام المستور ينطلق من منطلقين أحدهما^{١٥}
فكري والآخر نفسي فأما المنطلق الفكري الذي علل به الباطنيون
دعواهم فهو أنهم يعيشون في دور الستر ولهذا الكلمة معنى آخر موسع
غير معناها الذي يختص بما نحن فيه ، وهذا المعنى يتصل بعقيدة الأدوار
السبعة (ر. ص ٢٠١) ؛ فالأدوار السبعة في جملتها مكونة من دورين أحدهما

١. انظر: الجويني . تاريخ جهانكشاي (جمال الدين) ص ١٥٧
٢. انظر: محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٥٥ ،
٦ .
٣. عارف تامر . القرامطة ، بيروت ، مكتبة الحياة ، د . ت ، ص ١٠١

دور الستر ويبدأ بآدم وينتهي بانتهاء الدور السادس وهو دور محمد (ص)
بزعمهم . والآخر دور الكشف الذي هو دور القائم المنتظر . وفي دور
الكشف تكون العلوم الباطنية مما يتلى على رؤوس المنابر ، أما في دور الستر
فلا يمكن التصريح بهذه العلوم إلا بعد أخذ العهد وما إلى ذلك وبصفة
تدرجية (ر . ص ٣٢٦) .

- ٥ أما المنطلق النفسي ؛ وقد سماه الباحث نفسياً لأن له باعاً من حالة
نفسية وهي الخوف من الضد - وكلمة الضد تعني كل مخالف للعقيدة
الباطنية - ولذلك برر عارف تامل استئثار الأئمة بعد جعفر الصادق خوفاً
من العباسيين الذين يطاردون الأئمة . وإذا صح هذا الاحتمال أعني
احتمال الخوف من الضد ، فلا يمكن بأي حال حصر ذلك في الخلفاء
العباسيين بل لابد من إضافة الرأي العام الاسلامي سُنيّه وشيعيّيه وهم
مخالفون للباطنيين جملة وتفصيلاً ؛ لأننا اذا عدنا لفرق الغلاة نجد أنهم
نادوا بمثل ما نادى به الباطنيون ولكنهم لم يلجؤا إلى فكرة الستر بعامة
مع أنهم ضلوا مكروهين ملعونين من أهل البيت النبوي أمثال محمد بن علي
ابن الحسين وجعفر بن محمد قبل غيرهم . وهذا ما جعل طريقتهم
الهادفة إلى افساد الدين الاسلامي طريقة فاشلة فلم تحقق أهدافها
المرجوة . وقد علم الباطنيون الدرس ووعوه فغيروا طريقتهم بعدم الاعلان
عن عقائدهم ، وبالدعوة إلى امام مستور ؛ علمهم بذلك يحققون ما فشل فيه
أسلافهم الغلاة من تدمير كيان الدين الاسلامي ، ولا يعتقد الباحث في
صحة أي تحليل آخر لانتهاج الباطنيين للسرية .

١. انظر: مسائل مجموعة في الحقائق (شروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٠ ،
١٩ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١٣٣ .
٢. انظر: القرامطة ص ١٠١ ، وأنظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب)
ص ٤٧

ثمة بعد ذلك نقطة جديدة بالملاحظة حول هذا الموضوع وهي
أن الأفكار السرية لا تنمو في بيئته تعتمد على الفكر الحر ، وهوانهم
للخلفاء العباسيين بالقمع الفكري ، وسيأتى رأي الباحث في هذه النقطة
مفصلاً (ر. ص ٣٣٥) ، وهذه النقطة ذات علاقة وثيقة بما
أشير إليه في هذه الفقرة .

الفصل السادس : الأئمة المستورون

ظل الباطنيون مدة طويلة وهم يُعَيَّنون على شخصية الامام المستور، ولما حاصرتهم الاتهامات من جميع الجبهات ، كشفوا عن شخصيات الأئمة المستورين ، الا أنهم اضطربوا في ذلك أشد الاضطراب ولا يزالون . فقد قال بعضهم : ان أول امام مستور هو اسماعيل بن جعفر حين تظاهر بالموت في حياة أبيه جعفر بن محمد (ر . ص ص ٢٦٤ ، ٢٦٥) وقال بعض آخر ان محمد بن اسماعيل هو أول الأئمة المستورين فلقب بالمكتوم لذلك (ر . ص ص ٢٧٠ ، ٢٧١) في الوقت الذي نجد فيه مرجعا باطنيا هو الرسالة التي أرسلها المهدي عبيد الله الى أهل اليمن أوضح فيها أن كلا من اسماعيل ابن جعفر ومحمد بن اسماعيل ليسا شخصيتين حقيقيتين - وأن اسم الامام الحقيقي عبد الله بن جعفر وأنه تسمى باسماعيل تقية ، ولا نفس هنا أن الباطنيين ذكروا أن امامة اسماعيل ومحمد بن اسماعيل كانت في حياة جعفر بن محمد الذي تم عليهما واحدا بعد الآخر . ونجد ممن الباطنيين من يعتقد أن اسماعيل بن جعفر هو الامام السادس وان محمد بن اسماعيل هو الامام السابع من أئمة دور الظهور . وهنا يكون أول امام مستور هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، والى هذا تميل كثير من المراجع الباطنية .

كل هذا يجعل مسألة تعيين أول أئمة الستر الباطنيين من المسائل الصعبة ، وما يسمح للباحث أن ينظر بعين الاعتبار الى الفكرة القائلة ان عبيد الله المهدي بعد استيلاءه على مقاليد الأمور وظهور دولته فسي

١. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠ أنظرها في الملحق - ١
٢. انظر : عارف تامر ، الامامة في الاسلام ص ٢٥٥

المغرب ؛ لم يكن قد استقر رأيه بعد على نسب ينتسب اليه ؛ فنسب

نفسه الى اهل البيت ، ثم ادعى أنه من ولد عبدالله بن جعفر ولكنه

عدل عن ذلك - حينما علم أن عبدالله لم ينجب - وادعى الانتساب

الى اسماعيل بن جعفر . ويؤكد ذلك رسالة المهدي عبيد الله الأنفة

الذكر التي اتفقت الى حد ما مع ما ذهب اليه ابن حزم . وهذا

يؤدي بنا الى الحديث عن نسب الخلفاء العبيديين الذين حكموا مصر وهوليس

مطلوباً هنا ، بل ان الذي ساق الحديث اليه هو تعذر معرفة من يمكن

أن يكون أول أئمة دور الستر عند الباطنيين ، وما أدنى الى ذلك من نتائج

منها على سبيل المثال : أن تسمية الباطنيين أنفسهم بالاسماعيلية

من المحتمل أن تكون متأخرة ؛ ويفسر ذلك اغفال أبي الحسن الأشعري

الحديث عن فرقة تسمى الاسماعيلية . واطلاق النويختي تسمية

(الاسماعيلية الخالصة) على فرقة أنكرت موت اسماعيل بن جعفر وقالت

بعودته مهدياً على الطريقة السبئية ، وتسميته (الخطابية والقراطة)

بالاسماعيلية .

١٥ خلاصة القول ان الظن هو السبيل الذي يمكن به تعيين الأئمة

الباطنيين المستورين والظن أيضاً يذهب بنا الى احتمالات عديدة .

من المحتمل أن تكون أبلغ صورة لوضع الفرق الباطنية في دور الستر

هذا ما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي الذي يقول ان الباطنيين

كانوا يكتبون كتباً تتضمن الدعوة لامامهم المستور .

١. تثبيت دلائل النبوة ٥٩٨/٢

٢. انظر : ابن حزم (٤٥٦) جهرة أنساب العرب ، ص ص ٥٩ - ٦١

٣. انظر : مقالات الاسلاميين ص ص ١٠٠ - ١٠١

٤. انظر فرق الشيعة ط ٤ ص ص ٧٩ ٨٠٤

ويكون مع تلك الكتب الأموال والهدايا والتحف
العجيبة ويذكرون للمكتوب اليه ملكهم ، وأنهم قد
وجدوا ذلك في كتب الحداثان ويحلفونه في كتمان
ذلك وكتمان ما يلقونه اليه ويقولون السنة المننة
تكون الغلبة ، وظهور الأمر على جميع الأرض ، فلا يكون
لذلك أصل . ويموت من وعدوه ذلك ، ويتناسى
ويبتدئون فيسخرون بقم آخرين فيبطل ذلك ولا يكون
ويبتدئون بقم آخرين ، ويموت ذلك الذي قالوا لهم
انه الامام الذي يظهر ، ويدعون الى آخر ويموت الذي
بعده ثم الذي بعده كذلك .

وقد أثبت التاريخ بالاضافة الى ذلك أن أكثر من جهة باطنية

كانت تدعو الى امام مستور .

الأئمة المستورون :

١- اسماعيل بن جعفر :

يعتبر اسماعيل بن جعفر اسما هاما عند الفرق الباطنية ، فهو الامام
الذي ينتسبون اليه على اختلاف فرقهم عدا النصيرية ، فيقولون الاسماعيليين
النزارية ، الاسماعيليين الطيبية . . . الخ ، كما دج كثير من الكتاب على
اعتبار خلفاء الدولة العبيدية من نسل اسماعيل بن جعفر هذا ، وعليه
غلب على اسمهم الفاطميون .

هو اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^١
ومن ألقابه عند الباطنيين الميمون والمبارك . ولا بد من الإشارة الى علاقة
ما بين لقبى (الميمون) و (المبارك) لما لهما من ارتباط بشخصيتين
لهما دور فى تأسيس الفرق الاسماعيلية هما ميمون القداح ، والمبارك صاحب
الفرقة المباركية (ر. ص ص ١٤٥ و ٢٧٢) وعليه فان اعتبار اللقبين
خاصين باسماعيل بن جعفر بعيد عن واقع هذه الشخصية بل من المحتمل
أن يكون هذان اللقبان ما أضافته الفرق الباطنية فيما بعد على اسماعيل^٢
وأئمة السترة . لغرض الإيحاء بأن الذين أسسوا الفرق الباطنية هم الأئمة
المستورون من أهل البيت ، ويبدو أن هذه الطريقة لم تلق رواجاً
في التراث الباطني ، مما جعل عارف تامر ينحى للأئمة على الباطنيين^٣
أنفسهم في عدم استطاعتهم اثبات أن مؤسسي الفرق الباطنية هم
الأئمة المستورون أنفسهم .^٤

مولده ونشأته :

يقول مصطفى غالب : -

كانت ولادة الامام اسماعيل سنة ١١٠ هجرية في المدينة
المنورة .^٥

وعلى ذلك يكون قد نشأ في كنف أبيه جعفر بن محمد . ومن الطبيعي
أن يصف الباطنيون اسماعيل بن جعفر بالذكاء والفطنة المبكرة ، والعلم اللدني
وهذه قصة ذكرها الباطنيون عن اسماعيل في ذلك ، قالوا : -

١. انظر : النوبختي . فرق الشيعة ، ص ٨٤
٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧
٣. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ص ٩ و ١٠ أنظرها في الملحق - ١
٤. انظر : القرامطة ص ١٠٨
٥. اعلام الاسماعيلية ص ١٦١
٦. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧ .

وقد جاء عن بعض أصحابه [يعني أصحاب جعفر بن محمد] وكان من دعوة أبي الخطاب ، أنه قال :

رأيت اسماعيل عند مخبره من الكتاب فأجلسته فسي حجرى وقبلت رأسه ، وقلت : ما أعجب بأمركم وأيت منكم [كذا] ، فقال : بأي الأمور أنت تعجب يا فلان ؟

فقلت : يقول لنا أبوك بالأمس : أبو الخطاب معدن سرنا ، وعيبة علمنا واليوم يلعنه ويأمرنا بالبراءة منه ، فقال : يا فلان وسماه ، ان الله جل وعز لما دعى [كذا]

بالمقصورة [السموات والأرض وذلك قوله ايتنا [كذا] طوعا أو كرها . . . قالتا أتيننا طائعين ، فكاتنا

مطيعتين وكذلك النطقاء والأوصياء والأئمة كانوا مطيعين في اجابتهم ، فلذلك صاروا معصومين ، وساء

الاتباع لهم مستقروا ومستودع لأنهم مجتائين (؟) وليسوا معصومين ، وأن أبا الخطاب ممن استودعه الله علمنا

فلذلك قال بولايتنا ، فلما أفسد في دينه قبض الله وديعته فتبرأنا منه . فمن أي هذه الأمور أنت

تعجب ؟ ونهض الصبي من حجره مسرعا .

فقال الرجل : مالي ولصغير بني هاشم وكبيرهم ، ودخل الرجل لوقته إلى الصادق فأخبره بما جرى

بينه وبينه فقال (من) يتكلم بمثل هذا ، ثم أحضره وأمره بأن لا يعود إلى الكتاب وصار يصونه من كلام

الناس خوفا عليه من ضده .

١ . جعفر بن منصور اليمن . أسرار النطقاء (إيفانوف . المنتخب) ص ص ٩٥ ،

٩٦ ، انظر القصة في الكشي ، راجع لويس . أصول الاسماعيلية

ان النص ذو دلائل أهمها علم وذكاء اسماعيل وهو صغير . وهذا يؤهله للزعامة والقيادة ، وهذا ما أولاه الباطنيين اياه فانتسبوا اليه واعتبروه أول أئمة دور الستر تارة أو السماء الدنيا من السموات السبع التي هي الأئمة المستورون كما يقول الدورز^١ وسادس الأئمة^٢

مثول اللحم في الروحانيه مقابل جسده نبي الهدى (ص) تارة أخرى .

امامته : ان المصادر الباطنية لا تستطيع أبدا أن تدعي أن امامة اسماعيل كانت بعد وفاة جعفر الصادق ؛ لذا فقد قالوا ان جعفرا سلم اليه الأمر وهو على قيد الحياة . وهذا من الصعب حدوثه نظريا في العقيدة الباطنية . ولكن ما باليد حيلة فليس لديهم من طريقة سوى هذه كي يجعلوا لمذهبهم علاقة بمحمد بن اسماعيل . فادعوا أن جعفر فعل هذا وسلم الأمر الى ابنه " بأمر الله وروحه " . ولكنهم أوردوا قصة أخرى تعليلا لهذا التسليم المزعوم ، وان كان يشتم منه أسلوب الأساطير ، وهو أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المشهور رغب إلى جعفر بن محمد في أن يسلم اليه الامامة ، وهدده بالقتل هو وأولاده وشيعته ان أبى ، فوعده (الصادق) بذلك عند موته ولكنه سلم الأمر إلى اسماعيل في سر وانكتام . وعلى هذه الصورة اعتمد الباحث على أن الصواب اعتبار اسماعيل بن جعفر أول أئمة دور الستر الباطنيين وهذا مؤكد أيضا بانتساب الباطنيين اليه .

الا أن الشيعة الاثني عشرية أعداء الاسماعيليين حاولوا الطعن في دعوى الباطنيين امامة اسماعيل بالنيل من شخصية اسماعيل وأنه لا يصلح للامامة لسوء

١. انظر زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٠

٢. انظر " " " (" ") ص ٤٧

٣. انظر اسرار النطقاء (ايفانوف) ص ٩٤ ، ص ٨١

٤. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٥٥

سلوكه وأنه كان يعاقر الخمر لذا فقد اعتبره جعفر شيطانا تصور في صورة

ابنه ، وفي كتب الاثني عشرية نجد جعفرا يلعن ابنه اسماعيل ويعتبره

فاسقا ويبشره بالنار .

وفاته : ان وفاة اسماعيل بن جعفر كانت في سنة ١٤٥ في حياة أبيه ، ويطيب

للباطنيين انكار هذه الوفاة ويعتبرونها بدءا لاستتار اسماعيل تكذيبا منهم

لحادثة وفاته التي يقول الاسفراييني (— ٤٧١) انها صحت عند جميع

أهل التواريخ . ويوضح لنا النص التالي أن الباطنيين لا ينكرون جملة

حادثة وفاة اسماعيل ولكنهم وظفوها باطنيا على أنها إيهام للضد الذي

هو "أبو جعفر المفضول" . يقول النص :

فلم ير مولانا [يعني جعفر] الا أنه أمر مولانا

٨٦٢٣٨٢م [إسماعيل] بأن يظهر الموت . وأقام

مسجى ثلاثة أيام ، ومولانا ٢٣م ٤٢٣هـ [الصادق]

يشهد عليه من حضره ثم أمر بدفنه في اليوم الرابع .

ومع ما في القصة من تضارب بين قوله الذي سبقت الإشارة إليه بأن جعفر

سلم الأمر إلى اسماعيل ثم قوله إن جعفر أمر اسماعيل بالموت أو التظاهر به

اذ كيف يأمره وقد سلم إليه الأمر صار هو الامام . وصدق من قال اذا كنت

كذوبا فكن ذكورا . مع ذلك فلا يسع الباحث الا أن يعتبر أن اسماعيل مات في

حياة أبيه لعدم استقامة مسألة التظاهر بالموت ولأنها تتعارض مع المنطق

السليم فضلا عن كونها من الأمور التي لا داعي لها حتى مع حسن الظن

١. جهانكشاي (ترجمة جمال الدين) ص ١٥٣

٢. انظر : الاسترأبازي . منهج المقال ، دمشق ، المكتبة الظاهرية
مخطوط رقم ٧٥٧٣ ، ص ٨٥ .

٣. انظر : اعلام الاسماعيلية . ص ١٩٥

٤. انظر : التبصير في الدين . ص ٢٣

٥. مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروتمان . أربعة كتب) ص ١٦ .

بالباطنيين باعتبار ذلك من قبيل الثقة التي يدين الباطنيون بها ، لأن من يستطيع اخضاع الظواهر البشرية لرغبته قادر على استعمال وسائل أقل غرابة من ذلك للاستتار والتخفي بل وإيهام الضد .

ان مناقشة هذه القصة على النحو المذكور ليس الغرض منها الا الوقوف على البداية الغريبة اللا معقولة للفرق الباطنية التي انتسبت الى اسماعيل بن جعفر ، وبالحال من بداية غير طبيعية كما يظهر للقارئ الكريم . ولكي تكتسب قصة الظاهر بالموت التي نسبها الباطنيون الى اسماعيل ابن جعفر صفة الشرعية فانهم ألحقوا بها رواية نسبوها الى جعفر بن محمد :

١٠ لوجاءكم أحد بدماع ابني هذا [يعني اسماعيل] في صورة [كذا] فلا تشكوا أنه الامام بعدي .

وليس بعيدا أن يصدق الباطنيون هذه الرواية ويكذبوا حادثة وفاته ، ولعل الرواية هذه تذكر القارئ بقول ابن سبأ اليهودي حينما نعتي اليه أمير المؤمنين علي ، قال : ... ولوحثتمونا بدماعه في صرة لعلمنا أنه لا يموت ... (ر. ص ص ٢٩ و ٣٠) . وقد درج الشيعة والغلاة خاصة على نفي موت من مات من الذين يدعون أنهم أئمتهم . (ر. ص ص ٧٦ - ٧٩ ، ٩٤ ، ١٣٢ و ١٤٠) .

١٥ ظهور اسماعيل بعد موته : ادعى الباطنيون ظهور اسماعيل بعد حادثة موته ، وأضافوا الى معجزة ظهوره معجزة أخرى لا تقل عن معجزة ظهوره ، قال الداعي ادريس :

٢٠

فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل عليه السلام بالبصرة
واقبل اليه الناس يهرعون وهم يقولون : هذا اسماعيل
ابن جعفر عاد حيا الي أن مربشيخ زمن علي دكانه
من الشيعة الموالين لأبيه ؛ فقال له : يا ابن بنت
رسول الله ! خذ بيدي ، أخذ الله بيدك ، فطلع
اليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهوره
وبرى من علته وشاهد الخلق ذلك ، وغاب عنهم .^١

ان الباحث لن يناقش هذه القصة . ولكن لابد من الاشارة الى أن
حادثة ظهور اسماعيل على أهميتها وخطورتها ، الا أنها كالكثير من
أخبارهم وعقائدهم - تتسم بالتناقض الواضح والاختلاف البين ، ففي
تحديد تحديده لزمان قصة ظهور اسماعيل هذه ذكر مصطفى غالب
أنها حدثت عام ١٥١ أي بعد سنوات ست من موت اسماعيل أو تظاهره
بالموت . ولكن في رواية أخرى نجد أن أبا الدوانيق - كنية لأبي
جعفر المنصور - استدعى جعفر الصادق (١٤٨ -) وعاتبه على ظهور
ابنه اسماعيل بعد وفاته أو على ما زعم له كذبا من وفاته بينما نجد مصدرا
باطنيا آخر يدعي أن أخبار هذه الحادثة - ظهور اسماعيل - وصلت
الى أسمع أبي جعفر المنصور بعد أيام من تلقيه خبر وفاة اسماعيل .
ورغم كل هذا التناقض نجد مصطفى غالب يرجح أن حادثة الوفاة كانت
عام ١٤٥ هـ وأن اسماعيل توفي سنة ١٥٨ ثم يقول في ثقة انه توفي سنة ١٤٥ .
ورغم ذلك نجد مصطفى غالب ينتقد بشدة النصيرية الذين تقوم عقائدهم
على الخرافات .^٢

١. زهر المعاني (ايغانوف . المنتخب) ص ٤٨

٢. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ١٦٥

٣. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق العالية (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦

٤. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٧ وأنظر مقدمته على الهفت الشريف ص ١١

الاسماعيلية بعد اسماعيل : من عجب أمر الباطنيين أنهم ينفون أمراً
ثم يبنون آراءاً على ما سبق أن نقوه ، فبعد أن مجد الداعي ادريس معجزة
اسماعيل للخلائق - السابقة الذكر - وحلل أسبابها نجده يقول بعد
ذلك : -

ثم إلى الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجاباً على محمد
ابن اسماعيل .

ثم يستمر في حديثه عن محمد بن اسماعيل معتبراً إياه ولي الأمر
ناسياً كلياً أمر اسماعيل ومعجزاته .

يمكننا هنا القول عطفًا على ما سبق أن الباطنيين أنفسهم يحددون

ظهور فرقهم - الداعية لامامة محمد بن اسماعيل - بوفاة اسماعيل سنة ١٤٥
رغم نفهم لحدائثة وفاة اسماعيل .

ألا أن جعفر بن منصور اليمن قسم الفرق الشيعية بعد وفاة جعفر

ابن محمد سنة ١٤٨ وكذا فعل النويختي . ومن جملة تلك الفرق كانت

فرقة (الاسماعيلية الخالصة) التي زعمت مهدية اسماعيل بن جعفر ورجعته

التي يرى أنها فرقة (الخطابية) في أصلها وأنها انضمت بعد ذلك إلى

القائلين بموت اسماعيل وامامة ابنه محمد وإذا صح ما ذهب النويختي

إليه فهذا معناه أن أبا الخطاب الزيتي هو أول داعية اسماعيلي ، ولكن

بعض أصحاب المقالات يرون غير ذلك ، فان أبا الحسن الأشعري مثلاً

اعتبر أبا الخطاب داعية لنفسه .

١. زهر المعاني (إيفانوف . المنتخب) ص ٤٩

٢. انظر اسرار النطقاء (إيفانوف . المنتخب) ص ٨٣

٣. انظر : فرق الشيعة ط ٤ ، ص ٧٩ ، ص ٨٠ ، ص ٨١

٤. انظر : مقالات الاسلاميين ١ / ص ٧٦ - ٧٩ ، ١٠٠

ويؤيد هذا ما وجدته الباحث من تمجيد لأبي الخطاب في أحد كتب الباطنية النصيرية وهم لا يقولون بامامة اسماعيل كما هو معروف (ر ٠ ص ١٢٨) . كل ذلك يوضح أن فرقة الاسماعيليه التي نسبت موت اسماعيل اعتبرته مهديا منتظرا ثم انقرضت أو انضمت إلى القائلين بامامة محمد بن اسماعيل . وهذا يوحى بأن حكاية ظهور اسماعيل بعد موته إنما هي مما حيك بعد ذلك ربما بمدة طويلة .

دور اسماعيل في الفكر الباطني : ما سبق يتضح لنا أن اسماعيل بن جعفر ليس إلا اسماعيل في الفكر الباطني ، وذلك استنادا على ما يأتي :-
١- أن تلقيبه بالمبارك أو الميمون ليس إلا من قبيل الخلط وأن المبارك والميمون شخصان آخران ،

٢- أن قصة نبوغه في طفولته مختلفة لعدم وجود أي امتداد لهسما يثبت ذلك ، فإن الحقائق الباطنية خالية من أي فكرة أو رواية عن اسماعيل ، مما أنبنى عليه فكرهم ، فيما عدا معجزة الموت أو الظاهر به وظهوره في البصرة وشفاء الرجل الزنبي ، وهما ما لم ينعكس عليه أية فكرة باطنية ،

٣- تناسي الداعي الذي لا يفسر لاسماعيل بعد ما انتهى في إظهار معجزته وانصرافه إلى القول بامامة محمد بن اسماعيل .

وعليه فإن اسماعيل بن جعفر اسم التصق الباطنيون به ، ولكنهم لم يجيدوا ذلك فتناسوه وهذا شاهد على أن الدعاة الباطنيين هم صانعوا الفرقه الباطنية حقيقة .

٢- محمد بن اسماعيل : اسمه : محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولقبه المكنوم . ان المراجع الباطنية

١. انظر الاعلام ٢٥٨/٦ وانظر : سعد محمد حسن . المهدية في الاسلام ، القاهرة ناشر الكتاب للمعري ، ١٣٧٣ هـ ، ص ١٣٨ .

عن اسماعيل بن ابي انبي عليه فكرهم ، فيما عدا معجزة الموت أو الظاهر به وظهوره في البصرة وشفاء الرجل الزنبي ، وهما ما لم ينعكس عليه أية فكرة باطنية ،

لا تشير الى هذا اللقب حين تتحدث عن محمد بن اسماعيل ، ولكن هذا لا يغير كثيرا في الأمر .

مولده : لم تشير المصادر الباطنية الى تاريخ مولد محمد بن اسماعيل عليه فلم يستطع مصطفى غالب تحديده الا استنتاجا بأنه كان سنة ١٣٢ في المدينة المنورة ، وهو تاريخ قد يتعارض مع بعض المراجع . أما نشأته فلم يرد فيها شيء محدد ، ويحتمل أنه تربى في المدينة المنورة ربما في كنف جده جعفر بن محمد ، ولكن الداعي ادريس صرح بأن ميمون القسداح روى محمد بن اسماعيل وأخفى شخصه منذ كان في الثالثة من عمره وقد أكد الداعي أبو الخطاب الحجوري هذا حين تطرق الى أن والده اسماعيل ابن جعفر مات ومحمد في حد الطفوليته وهذا قد يتعارض مع ما ذكر مصطفى غالب من تاريخ ولادته ، لأننا نعلم أن وفاة أبيه كانت سنة ١٤٥ .

ولكن الداعي جعفر بن منصور اليمسني يقول في معرض رده على الاثني عشرية :

ولم تعلموا أن اسماعيل عليه السلام لم يرغب عن الدار حتى

خلف ولدا كاملا وقد كان هذا رجلا كاملا له أربع

عشرة سنة .

وهو ما يتناسب مع ما ذكر الزركلي من أن ولادته كانت سنة ١٣١ .

امامته : ربط الباطنيون امامة محمد بن اسماعيل بوفاة أبيه أو غيبته أو استتار

أي في حياة جعفر بن محمد ، جده ، وفي ذلك يقول الداعي ادريس :

١. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٧

٢. انظر : زهر المعاني (ايقانوف . المنتخب) ص ٤٧

٣. انظر : غاية المواليد (ايقانوف . المنتخب) ص ٣٦

٤. اسرار النطقاء (ايقانوف . المنتخب) ص ص ٨٢ ، ٨٣ .

وأوصى اسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم
لولده حجابا ومستودعا كما أوصى هارون موسى أن يقيم
لولده كفيلا فأقام له يوشع بن النون سترًا عليه^١
وحجابا .

ولا يخيب عن البال أن يوشع بن نون هذا هو الذي علق الشيعة الفلاة^٥
والباطنيون على كتفه كثيرا مما له علاقة بالامامة وذلك منذ أيام عبد الله بن
سبأ اليهودي (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وهذه النقطة التي ذكر يوشع
فيها هنا ، ذات علاقة بما ذهب الباطنيون اليه من القول بتكرار الأحداث
في الأدوار والعصور المختلفة (ر. ص ٣٨١) .

١٠ أن الداعي ادريس في حديثه عن هذه الفترة من نشأة الاسماعيلية الباطنية ،
يضيف نقطة أخرى بقوله :

ثم ان الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجابا
على محمد بن اسماعيل وعلى من جعله له بابا الذي هو
ميمون الستر عليه والكفيل وكم الصادق منزلة ابن ابنه^٢
وأقام له ميمون القداح وابنه عبد الله بن الميمون كفلاء^٣ .

١٥ وهذا ما يزيد الامر غموضا . وفوق ذلك فان الباطنيين يصرون على
الإشارة الى التفرق الذي وقع بين الشيعة اثروفاة جعفر بن محمد (- ١٤٨) حين
قالت كل فرقة منهم بامامة أحد أبناء جعفر بل ان فرقة قالت بمهدية جعفر^٣
ورجعته ، ويصفها الباطنيون بالفرقة التي قالت بمرجوع الامامة القهقري^٣
(ر. ص ١٤٠ فما) ويصبح الامر حينئذ كما يلي : -

٢٠

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧

٢. المرجع السابق ص ٤٩

٣. أنظر : اسرار النطق وزهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٥٥٠ ، ٨٣

سلم جعفر الإمامة إلى ابنه اسماعيل ، الذي أوصى جعفرا أن يولي

الإمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، فيولي الجد - وهو امام مخصوص عليه بالنص

الالهى - حفيده الإمامة ويسلمه إلى شخص مجهول اسمه (المستتر)

القداح) ويجعل ابنه موسى بن جعفر حجابا عليهما - الواجهة المزيفة

أو الققاز - . ثم يموت جعفر ، ويختلف شيعته في ابنائه كل يدعو لواحد

منهم الإمامة ، وكل واحد منهم يدعي الإمامة لنفسه بما في ذلك موسى

ابن جعفر ، الذى صار في هذه الصورة خائفا للأمانه حيث ادعى الامامة

لنفسه وهو ليس الا حجابا للإمام محمد بن اسماعيل ولكفيله القداح . والقداح

وابناؤه وأحفاده أوفياء لمحمد بن اسماعيل وأبنائه يدعون اليهم ردحا طويلا

من الزمن .

ان هذه الصورة ليست مستقاة الا من النصوص الباطنية الانفة الذكر .

وهي صورة من الصعب أن تتحقق في أسرة عادية فضلا عن أن يوصم

بها آل بيت رسول الله (ص) الذين شرفهم الله بالانتساب إلى خير

أنبيائه ورسوله وخاتمهم . وأنهم توارثوا ذلك (ذرية بعضها من بعض) ،

حقا ما أقرب هذه الصورة إلى قوم ذوي غرض دنيوي زائل منه إلى قسوس

هدفهم الأسمى الدعوة إلى دين الله الحق وأنهم حجة الله على خلقه

في الأرض .

كل هذا والإمام الحقيقي منكس على أمره تلبسا على الضد . ولكن

من هو الضد هنا بعد هذه الأسطورة العجيبة التي يقول الباطنيون

انهم تمثل بدء تاريخهم . فياله من تاريخ غامض يضرب بعضه بعضا .

أما أصحاب المقالات والفرق فيرون غير ذلك . لأن فرقة المباركية قالت :

ان الأمر كان لاسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل

أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن اسماعيل

وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك لأنها إبي الامامة

لا تنتقل من إبي إلى بعد الحسن والحسين عليهما

السلام ، ولا تكون إلا في الأعقاب .^١

ولكن الملاحظ على الباطنيين أنهم لا يسندون هذه الفرقة إلى المبارك

الذي يعتبره كامل الشيعي كوفيا من موالي اسماعيل بن جعفر أو لاسماعيل

ابن علي بن عبد الله بن عباس ، فهم يتجاهلون المبارك ويؤلفونه على أحد

أئمتهم .^٢

ان شخصية المبارك هذا لا تقل غموضا عن الشخصيات الباطنية الأخرى

التي سادت في هذه المرحلة وهي بذلك تلقى ضوءا على أن الدعوة لمحمد

ابن اسماعيل لم تكن مدنية المنطلق بقدر ما هي كوفية . ويؤكد هذا

ما ذكره النوختي من انضمام فلول الخطابية إلى المباركية وقولهم بقوله

وقوله ان القرامطة فرقة مباركية . وبذلك فان القداح وذريته / على

ضوء ما ذكره غير الباطنيين / شخصيات ثانوية في الدعوة إلى محمد بن اسماعيل

ويوضح ذلك التخبط الذي في المصادر الباطنية حول القداح وذريته

ما يدل على أنهم لم يجدوا بدا من اقحامهم في تاريخ الدعوة الباطنية

المبكرة على أي صورة من الصور ؛ وذلك ليدفعوا كتابات أهل السنة وغيرهم

حول القداحيين . ولا يمنعنا هذا من متابعة الباطنيين في تصويرهم لنشأة

هذه الدعوة وزعمهم أنها انطلقت من المدينة المنورة بزعامه محمد بن اسماعيل .

بالرغم من الستر واللبس الذي جازحت على أبناء جعفر بن محمد بحيث

١. النوختي ص ٨٠ وأنظر : مقالات الاسلاميين ١٠١/١ والشهرستاني ص ١٦٨/١ .

٢. أنظر : الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ١٩٦ و فرق الشيعة ط ٤ ص ٨٢ وفي نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠

٣. أنظر : فرق الشيعة ط ٤ ص ص ٨٠ - ٨٣ .

دعا كل منهم الى نفسه . فقد هجر الباطنيون مركز الدعوة لمحمد بن اسماعيل الى خارج المدينة المنورة ، وقبل فعلهم هنا أوجدوا سببا منطقيا لذلك التهجير ؛ فبينما محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة يقوم بهمـام الدعوة وبث الدعاة ؛

- ٥ أمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ اليها ، وكان في عصر الرشيد فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته أمر بالقبض عليه ، وأن يؤديه الى [؟] وكان الامام قد أعد بداره سرا ينكتم فيه من الضد ، فلما وصل الرسول من الرشيد الى المدينة ، دخل ذلك السرب واختفى فيه ، وطلبوه فلم يجدوه ولا قدروا عليه فعادوا الى الرشيد وأنهبوا اليه خبر ما فعلوه ، ولما هدا الطلب سارا لمام
- ١٠ في طلب دار هجرته .

- أي أن أمور محمد بن اسماعيل كانت على ما يرام في المدينة المنورة من قبل ، الى أن خرج من أيام الرشيد (- ١٩٣) وإذا قدرنا هذه المدة منذ وفاة جعفر بن محمد (١٤٨) فانها قد تصل الى ربع قرن أويزيد والشيعة
- ١٥ الاثنا عشرية يؤكدون خروج محمد بن اسماعيل من المدينة أيام الرشيد على صورة أخرى . ويدعي مصطفى غالب أن الشخص الذي أوصل الى محمد بن اسماعيل خبر عن الرشيد على القبض عليه هو زوجة الرشيد (زبيدة) اذ كانت بزعمه تعتنق المذهب الاسماعيلي . هناك نص باطني آخر يدعي خروج محمد
- ٢٠ ابن اسماعيل من المدينة ربما بصحبة ميمون القداح قبيل وفاة جده جعفر بن

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٣

٢. أنظر : هامش فرق الشيعة ص ٨٠

٣. انظر : أعلام الاسماعيلية ص ٤٤٩

محمد وهو بعد فسي الرابعة عشر من عمرة • ولكن هذا ليس ذا بال سيما
وأن الداعي ادريس أكد أن محمد بن اسماعيل حينما خرج من المدينة
خلف ولدين هما اسماعيل وجعفر وهما بزعمه خاليين من الامامة • أي ليسا
بامامين • وقد أشار ابن حزم (٤٥٦) الى ابني محمد بن اسماعيل
هذين باسميهما • والصواب كما يبدو هو أن محمد بن اسماعيل كان مقيما
في المدينة المنورة ، وان يكن قد خرج منها فلم يكن ذلك الا في فترة
متأخرة •

الا أننا لا نجد أي أثر - مهما كان ضئيلا - للدعوة الاسماعيلية في
المدينة المنورة ، ولا يخفى أننا وجدنا من قبل أثرا لفكر غال على نطاق ضيق
جدا حينما تبع أناس من أهل المدينة حمزة بن عمارة البربري (ر. ص ٨٣) •
فلماذا اجمعت المصادر الباطنية وسواها على عدم وجود أي أثر للدعوة
الى محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة • بينما نجد الأثر الواضح لتلك
الدعوة في الكوفة • ان هذا الاستنتاج يؤدي الى رفض النص الباطني القائل
بانطلاق الدعوة الى امامة محمد بن اسماعيل من المدينة المنورة • رغم بقاءه فيها
زمتا طويلا •

ان من يقف على أسماء المدن التي يدعي الباطنيون وصول محمد بن اسماعيل
اليها يجد : فرغانة ، وسلا ، ومعسكر مكرم ، ونيسابور • أما الكوفة فلا
ذكر لها • ولكن التوبختي يشير الى الكوفة باعتبارها من أوائل المعامل
التي ظهرت فيها الدعوة الى محمد بن اسماعيل • وهي مدينة زخرت بالأفكار -

١. انظر: أسرار النطقاء (ايفانوف • المنتخب) ص ١٠٤
٢. انظر: زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٥٣ وانظر : ابن حزم
جمهرة أنساب العرب ط ٤ • عبدالسلام هارون ، ص ٦٠
٣. انظر اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ •
٤. انظر : فرق الشيعة ص ٨٢

الشيعة الغالية منذ أن ظهر بها ابن سبأ اليهودي بعقائده المعروفة ،
اذن ما معني ظهور الدعوة الاسماعيليه والعقائد الباطنية من الكوفة
ومحمد بن اسماعيل لم يبق فيها بينما يقيم في المدينة المنورة عمرا ولا نجد
فيها شيئا من ذلك .

٥ ان معني هذا بكل صراحة أنه لا علاقة لمحمد بن اسماعيل بالدعوة
الباطنية الاسماعيليه ؛ بل ربما أمكن القول أنه لا يدري شيئا عن امامته
والدعوة اليه .

دور محمد بن اسماعيل في العقيدة الباطنية :

لو افترضنا جدلا أن محمد بن اسماعيل كان القائم الفعلي بالدعوة التي
١٠ نفسه أو أنه ادعى الامامة . فلا بد أن يكون له أثر ما في الفكر الباطني .
ان الباطنيين أعطوا ابن اسماعيل مرتبة في الامامة لم تعط لأحد من
الأئمة قبله ، فهو :

سابع الأئمة وقائهم مقابل لجده على أمير
المؤمنين ، تمام الدور الروحاني والخلق الآخر
الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام
١٥ الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني .

ويعني بالدور الثاني . دور الست (ر . ص ٢٥٥) ويعني بالخلق
الآخر القائم المنتظر ويكنى عنه الباطنيون بالخلق الآخر اشارة الى الآية
الكريمة التي فيها (ثم انشأنه خلقا آخر) (ر . ص ٢٠١) .

ان لقا محمد بن اسماعيل ما يذكرنا برسول المسيح المنتظر السذي
قالت به العيسوية اليهودية (ر. ص ١١٦) فهو القائم صاحب القيامة
بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى ؛

لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي الذي هو
صاحب الكشفة الأخرى والبطنة العظمى ، قائم القيامة
الكبرى ، لأن القيامات كثيرة .

وقد أظهر الخليفة المعز العبيدي غلوه وباطنيته حين وصف محمد بن
اسماعيل في دعائه الشهير بدعاء يوم السبت قائلا :

سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع
الأئمة من آلهم سلام الله وصلواته عليهم أجمعين . . .
الذي شرفته وعظمته وكرمه وختمت به عالم الطبائع وعظمت
بقيامه ظاهر شريعة محمد (صلح) .

وقالت القرامطة من قبل في محمد بن اسماعيل بأنه رسول الله وكذا الدور
الذين يعتبرونه ناطقا [= رسول] (ر. ص ٢٢٥) بعد سيدنا محمد (ص)

وقد حاول الباطنيون نفي الدعوى القائلة بأن محمد بن اسماعيل هو خاتم
الانبياء والمرسلين ، فقالوا انه قائم بالقوة وليس بالفعل ، كما حاولوا تأويل
قول المعز العبيدي في دعاء يوم السبت - الواضح المعاني - على ما يأتي :

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٥٤ ، ٥٥
٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٦ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٣٠
٣. انظر : النويختي ط ٤ ص ٨٤
٤. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلوم . المجموعة الدرزية ، الخزائنة التيمورية - عقائد ٦٦٢ ص ٢٢٩

وانما عني الامم المعز بقوله (وعظمت بقيامه ظاهر
شريعة محمد) لما كان لمعانيها مينا ولا سرارها
كاشفا ومجليا ، فأزال الله عن أتباعه وأشياعه اعتقاد
الظاهر على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق .^١

٥ وعند المقارنة بين ما جاء في دعاء يوم السبت وما ذكره الداعي ادريس
نجد أنه لا فرق ، بل كان الداعي المذكور كما جاء ليكملها فأعماها .
ان من الثابت جيدا أن الباطنيين يرون في محمد بن اسماعيل أنه
رسول بعد محمد ، وقد ابتكروا تأييدا لمزاعمهم أدلة نسبوها إلى
النبي (ص) .

١٠ وهذا يوضح حقيقة الدعوة الباطنية التي اتخذت من محمد بن
اسماعيل ومن أهل البيت النبوي رموزا لتحقيق أهداف يأتي على رأسها
تعطيل الشريعة المحمدية والنيل منها .

ولكنهم في الحقيقة لم يستطيعوا تحقيق ذلك . فقد فشلوا تماما في
تحقيق دور الكشف الذي أعدوا العدة له حسب ما كان مخططا له في
١٥ نظرياتهم التسبيعية فلجؤوا إلى القول بالأدوار الصغيرة وما إلى ذلك
(ر. ص ٢٠٣) وحتى تلك الأدوار لم تتحقق في نشأة دولتهم
العبيدية مع زعمهم أن هذا ناموس الهي سارت عليه الحياة قبل آدم ،
وليت شعري ما الذي غير هذا الناموس لو كان حقا ما يدعون !

أما دور محمد بن اسماعيل في تحقيق ما ألصقوه به بل دوره في الفكر
الباطني ، فهو لا يعدو أن يكون نتفا من الأخبار حفلت بها بعض مصادرهم
٢٠ لا يكاد الباحث يعثر عليها الا بصعوبة وتتعلق هذه الأخبار بنشأته

وثبت دعائه وزواجه وغير ذلك مما لا علاقة له بالعقيدة الباطنية التي من الممكن الجزم بالقول أنها خالية من أي قول منسوب إلى محمد بن اسماعيل شأنه في ذلك شأن أبيه اسماعيل بن جعفر تماما ، ويعكس من سبقهم من الأئمة الذين نسبوا إليهم أقوالا وأحاديث كثيرة مثل جعفر بن

محمد .

وعليه فإن ما أضفوه من مراتب عالية إلى محمد بن اسماعيل لا يمكن اعتبارها إلا نظريات كانوا يستدرجون بها الناس ، استموا^١ لهم وإيحاء^٢ بأن دينهم تابع من البيت النبوي . وهذا يعني أن القوة السرية التي كانت تعمل باسم محمد بن اسماعيل واسماعيل بن جعفر إنما قالت بأقوالها ودعاواه بعد عصر اسماعيل وبعد عصر محمد بن اسماعيل .

الأئمة المستورون بعد محمد بن اسماعيل :

كان هؤلاء^٣ ثلاثة أئمة يقال انهم من ذرية محمد بن اسماعيل ، ولكن من هم هؤلاء^٤ الأئمة الثلاثة المستورون ؟

*

ان ابن خلدون (٨٠٨ -) ذكر اسمين منهم ، هما " جعفر المصدق " واعتبره ابنا لمحمد بن اسماعيل و " محمد الحبيب بن جعفر " ، وقد سبق الحديث الذي يدحض هذا الرأي من مصدر باطني ادعى خلو جعفر هذا من الإمامة (ر. ص ٢٧٤) . وهذا يوضح الوهم الذي وقع ابن خلدون فيه حول هذا الموضوع .

* انظر ترجمته في الأعلام ١٠٦/٤

١. انظر : المقرئ (٨٤٥ -) اتعاط الحنفاء ج ١ ، تحقيق جمال الشيال ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٣٨٧ ، ص ٥٠

والمراجع الباطنية مختلفة في أسماء الثلاثة المستورين على النحو

التالي :
١٠

ان الامام عندهم بعد محمد بن اسماعيل هو : عبد الله بن محمد

ابن اسماعيل وقيل أحمد وقيل الرضي .

٥ والامام بعده : ابنه أحمد وقيل الحسين وقيل الوفي وقيل عبد الله

والامام بعده ابنه الحسين وقيل علي وقيل التقي وقيل محمد وقيل

ان بعد هذا الامام امامين مستورين هما الحسين وأحمد .

وهذا يوضح لنا من ناحية الغموض والتناقض الذي تاريخ

الدعوة الاسماعيلية الباطنية ، ويوضح لنا من ناحية أخرى السبب

١٠ الذي أوجد مشكلة النسب الفاطمي الذي لم تستطع المصادر الباطنية

ذاتها توضيحه .

١. انظر : غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، ص ص ١٤٨ - ١٥٧
ومخطوط مجالس حاتم ق ٢٥ ب ومخطوط حياة الأحرار ق ١٥٩ و زهر
المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٦٠ - ٦٣ ومخطوط رسالة
تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، كلام الفصل ٥٤ ، ق ق ١٠٥
ب - ١٠٨ ب .

الفصل السابع : قائم الزمان (المهدي المنتظر)

تمهيد :

- من عقائد الفرق الشيعية عامة القول بالمهدي المنتظر ويطلق الباطنيون عليه (قائم الزمان) وهي كلمة لاتعني تماما ما يعتقد أهل السنة فـ (المهدي) لأن الباطنيين وصلوا بالمهدي الى نواح بعيدة جدا عـ ما تعنيه كلمة (المهدي) عند أهل السنة والجماعة ، وعليه فان التعرض للمهدي عند أهل السنة يعتبر ملزما للباحث قبل الخوض في عقيدة (قائم الزمان) الباطنية .

المهدي عند أهل السنة :

- ١٠ ان المصدر الأول عند أهل السنة هو (القرآن) ويليهِ (الحديث) الذي صح عن رسول الله (ص) وحيث ان القرآن لم يورد شيئا مما يتعلق بالمهدي المنتظر ، فان أهل السنة يعتمدون في ذلك على ما صح من (الأحاديث النبوية) .

- في الاونة الأخيرة ظهرت رسالة علمية جلية كتبها (عبدالعظيم عبدالعظيم) وقدمها الى (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة) وتتحقق هذه الرسالة (بالمهدي) وعنوانها (الأحاديث الواردة في المهدي) ، وقد اعتمد الباحث على تلك الرسالة فيما يورده من أحاديث

حول المهدي ٢

- من بين الآثار والأحاديث التي أوردها صاحب الرسالة المذكورة ذكر أن هناك تسعة أحاديث مرفوعة ، وستة آثار ثابتة صريحة في ذكر (المهدي) ، وثلاثة عشر حديثا وخمسة آثار ثابتة غير صريحة في ذكر (المهدي) .

كما ذكر صاحب الرسالة المذكورة ما يأتي :-

- (١) ان خلافة المهدي في آخر الزمان حق ولا يمكن
انكاره لثبوت هذه الأحاديث الصحيحة والحسنة ، ولسورود
أحاديث أخرى كثيرة وهي ضعيفة في تفاصيلها ، ولكنها
تشارك الصحيحة في أصل الفكرة ، وهي " وجود خلافة
المهدي " وهكذا يصبح الأمر متواترا متواترا معنوياً .
(٢) ان الكثير أو الأكثر من الأحاديث والآثار الواردة
في موضوع المهدي ضعيف أو موضوع لا يمكن الاعتماد عليه
والأخذ به ، ولذلك فلا يمكن أن نقبل هذه الفكرة
على علاقتها ، بل لابد من تمحيص القول وأخذ ما صَفَّى
وترك ما كدر .

ومن خلال الأحاديث الثابتة المرفوعة كما يقول صاحب الرسالة المذكورة

خلص الى معرفة شخصية (المهدي) شكلا ومضمونا على النحو التالي :-

- (١) اسمه يواطىء اسم النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) اسم ابيه اسم ابي النبي صلى الله عليه وسلم .
(٣) يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعترته .
(٤) يكون من ولد فاطمة .
(٥) يكون أجلى الجبهة ، أفتى الأنف .
(٦) يصلحه الله في ليلة .
(٧) تملأ الأرض قبل خلافته ظلما وجورا .
(٨) فيملؤها بعد خلافته قسطا وعدلا .

- (٩) يبائع له بين الركن والمقام .
- (١٠) يملك سبع سنين .
- (١١) يلي في آخر الزمان . ولا تقم الساعة حتى يملك .
- (١٢) يخرج في رايات سود من قبل خراسان .
- (١٣) يسقيه الله الفيث .
- (١٤) تخرج الأرض نباتها .
- (١٥) تكثر الماشية .
- (١٦) تعظم الأمة .
- (١٧) تنعم الأمة في ولايته نعمة لم تنعمها قط .
- (١٨) يعطي المال صحاحا .
- (١٩) يحثي المال حثيا .
- (٢٠) يعطي المال بغير عدد (لا يعده عدا) .
- (٢١) ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي وراءه . وهذا يقتضي
ان الدجال يخرج في عصره لأن عيسى ينزل فيقتل الدجال .
- (٢٢) يرى أبوداود وغيره أنه من الخلفاء الاثنى عشر الذين ورد فيهم
الحديث .
- (٢٣) يرى ابن حبان وغيره أن الجيش الذي يخسف به هو الجيش
الذي يخرج لمحاربة المهدي .
- وقد لاحظ (عبد العليم عبد العظيم) :
- ان أغلب الأحاديث الثابتة في المهدي ليس في أسانيدھا
من رمي بالتشيع والروايات التي فيها من رمي بالتشيع لها
شواهد من طرق أخرى .

وأن كل ما صح عنده من الأحاديث والآثار ليس

فيها رواية واحدة . لكعب الأحبار ولا رويت عن طريقه .^١

الا أنه ذكر رواية واحدة عن (وهب بن منبه) :

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي : تعال

صف بنا . فيقول : لا ؛ ان بعضهم أمير لبعض ، تكرمه

الله لهذه الأمة .^٢

وقد دافع كاتب الرسالة عن (وهب) بتوثيق الرجال له ما عدا (الفلاس)

وحده ؛ وبأن هذه الرواية ليست من الاسرائيليات وهي في غيرها حجة .

وبذلك تكون الأحاديث والآثار التي أثبتتها الرسالة المذكورة خاصة

بأهل السنة والجماعة ، وليس لسواهم فيها أى دور .

ثم ان (عبد العليم عبد العظيم) ينفى أى تعارض في الروايات الثابتة

(في المهدي) في حين أكد هذا التعارض بالنسبة للروايات الضعيفة

والموضوعة .^٣

وقد علق شيخني (محمد الغزالي) بآرك الله في عمره بعد قراءة ما سبق ،

وما قاله حفظه الله ما يأتي : -

(١) ليس المهدي من علامات الساعة الكبرى .

(٢) ليس ركنًا من أركان الدين .

(٣) لم يرد في المهدي حديث صريح وما ورد في المهدي صريحاً فليس

بصحيح .

٢٠

١ . انظر : الأحاديث الواردة في المهدي ص ٦٠٦

٢ . انظر : الأحاديث الواردة في المهدي ص ١٤٢

٣ . انظر : " " " " " " ص ٦٠٨

المهدي عند الشيعة :

ان الكثير من الفرق الشيعة جاءت بمهدي خاص بها حتى قيل ان المهدي

(صارت من طابع الشيعة عموما) . ومن الواجب القول بأن هذه الظاهرة

الشيوعية في عقيدة المهدي ذات أصل يعتمد على أحاديث منسوبة الى النبي

(ص) . ولكن لهم في ذلك ما يمكن أن نسميه " التفسير الشيعي للمهدية " ٥

وهو تفسير قولي وعلمي ؛ ظهر من خلال الأقوال الشيوعية عموما على مر

الزمن . حتى صار لديهم من الأشخاص العدد الكثير الذي يمكن أن يطلق

على كل واحد منهم لقب (المهدي) بكل ما تعنيه الكلمة في هذا

البحث من معنى ، وان الكثرة الكثيرة من مهديي الشيعة هم من أئمتهم

الا أن أولئك المهديين كانوا في الحقيقة خالين من صفات المهدي السنية ١٠

- على الأقل - . والمهدي الشيعي في الغالب يكون اماما ، مات أو قتل

في ظروف خاصة . كما دلت على ذلك أخبار فرق غلاتهم التي ورد بعض

منها في الباب الأول من هذا البحث . تلك النهاية الحتمية لهذا

الامام أو الزعيم تخري أتباعه بالقول برجعته مهديا ربما رغبة في جمع

أفراد الفرقة خوفا من تفرقهم . هذا ما يدل عليه ظاهر الأمر ، على ١٥

أنه ليس من المستبعد وجود جهات ما يهمها استمرار الفرقة لهذا

أولاً لا سيما في تلك العصور التي تميزت بالغموض والأفكار المتباينة

مع جوهر الاسلام الواضح .

المهدية المبينة على الرجعة :

أول ما ظهرت فكرة المهدية عند الشيعة ؛ ظهرت على أساس ٢٠

مبني على الرجعة بعد الموت الى الدنيا ؛ حين نفى (عبد الله بن سبا اليهودي) موت علي بن أبي طالب حينما نفى اليه . وقد سبق نقل النصوص الكثيرة التي تؤيد هذا القول . (ر. ص ٢٨ - ٣٥) .

الا أن هناك من ينسب المهدية على هذا النحو الى غير الشيعة الغلاة والى غير ابن سبا بل الى عمر بن الخطاب ؛ يقول (كامل الشيبى) :

لما مات النبي [ص] ، قال عمر برجعته ومهديته
ما يوحى بانسانية الفكرة أو اسراييليتها اذا شئنا
أن نرجع كل شىء الى أصل معين ، وذلك أن عمر
قرن موت النبي (ص) بخيبة موسى أربعين ليلة .

١٠ ان هذا الرأي المنسوب الى (عمر) اذا صحت تسميته كذلك ليس الا ردا
فعل للمصيبة التي أصابته ألا وهي وفاة الرسول (ص) ، لا ينبغي اتخاذ
بداية للقول بالرجعة والمهدية ، لأنه لم يدم أكثر من دوام وقع المفاجأة على
نفس عمر ، وتلاشى واضمحل أمام الحقيقة التي أعلنها أبو بكر في خطبته
المشهورة حين قال :

١٥ من كان يعبد محمدا (ص) فان محمدا قد مات ، ومن
كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .^٢

ولولم يكن الأمر كذلك لوجدنا فرقة تتسبب لعمر وتدعو الى رجعة
النبي (ص) . وهذا ما حدث بالنسبة للغلاة ؛ فان فرقة " السبئية " قالت
برجعة على بعد موته وسار على ذلك كثير من الغلاة ، وصار لهذه الفكرة
السبئية أصداء مختلفة . فكيف تستساغ نسبة ذلك الى عمر بن الخطاب .

١. الشيبى . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص ٢٣
٢. البخارى ك ٦٢ ب ٥ انظره في : فتح البارى ج ٧ ص ١٩

ان " المهدية " المبنية على " الرجعة " لا يمكن أن تنسب لغير عبد الله
ابن سبأ ، والنصوص التي تحدثت عن " ابن سبأ " وعقائده الخالية تشير
الى ذلك تفصيلا (ر. ص ٦٠ - ٦٢) .

ان صورة " المهدي " السبئية تتلخص في أن عليا ارتفع الى السماء
وأنه سيعود ويملا الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما ، وأنه سيظهر
لينتقم من أعداءه .

ثم ظهرت الكيسانية بدعوى مهدية (محمد بن الحنفية) وقالوا انه
في جبل رضوى في حراسة وحشين وأنه يأكل عسلا ويشرب ماء ، (ر. ص :
٧٦) .

ويرى " فلهاوزن " أنه لاختلاف بين السبئية والكيسانية الا في الاسماء
ولكن " فان فلوثن " أظهر فروقا بين " الكيسانية " و " السبئية " من ناحية
مهديهم فالمهدي الكيساني يعيش على الأرض بعكس المهدي السبئي
الذي يعيش في السماء أو في السحاب .

الأصل اليهودي للمهدي الذي سيرجع الى الحياة :

ان صفة (المهدي السبئي) ما ورد في العهد القديم على النحو
التالي :-

كنت أرى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل
ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقبوه قدامته
فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب
والأمم والألسنة . سلطانه أبدي مالن يزول وملكوتـــــــــــــــــه
ملا ينقرض .

١. انظر: أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣

٢. انظر: السيادة العربية (الترجمة العربية) ص ٨١

٣. دانيال ٧/ ١٣ ، ١٤

هلم يا شعبي ادخل ^{مخاضاً} دُعَكَ وأغلق أبوابك خلفك

اختبئ^١ نحو لحيفة ، حتى يعبر الغضب لأنه هوذا الرب
يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الأرض فيهم فتكشف
الأرض دماءها ولا تغطي قتلها فيما بعد .

٥ وذكر " جولد زهر " أن فكرة الرجعة مما يحتفل أن يكون قد شرب
الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية ، لأنهم يرون أن
النبي " ايليا " قد رفع الى السماء ، وأنه سوف يعود الى الأرض في آخر
الزمان . وفي العهد القديم نجد :

٣ فصعد ايليا في العاصفة الى السماء .

١٠ أما " المهدي " الكيساني " فقد سبقت الإشارة الى قول (كثير) فلي
" محمد بن الحنفية " :

هو المهدي خبرناه كعب * * أخو الأبحار في الحقب الخوالي

وقوله : علي والثلاثة من بنيهِ * * هم الأسيباط ليس بهم خفاء

(ر : ص ص ٧٧ ، ٨٠) وفي الأبيات ما يشعر بأصل يهودي للفكرة ، أكدته

١٥ " فلهاوزن " الذي يعتبر " المهدي الكيساني " صدق لفكرة وردت في العهد
٤ القديم ، وتتلخص في نبوءة عن مهدي متظر يأكل زبدا وعسلا .

ان المهدي الذي يختفي في الجبال ويأكل عسلا . ظهر كثيراً في فرق

" الخلافة " فعند " الجناحية " نجد أنهم اعتقدوا أن " عبد الله بن معاوية "

٦ في جبل من جبال أصفهان . وكذا " المغيرة " اعتقدوا أن " محمد بن

١. اشعيا ٢٦/٢٠ - ٢١

٢. انظر : العقيدة والشرعة ، ط ٢ (الترجمة العربية) القاهرة ، دار الكتاب
العربي ، د . ت ، ص ٢١٥ .

٣. الملوك الثاني ١١/٢

٤. انظر : أحزاب المعارضة في الاسلام ، ص ٢٤٧

٥. انظر : اشعيا ١٤/٧ ، ١٥ وانظر أيضا الاصحاح ١١ /

٦. انظر / مقالات الاسلاميين ٦٨/١

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي " لم يمت وأنه مقيم في جبال

حاجر الى أن يؤمر بالخروج .^١ كما أن فرقة " زينية " قالت أن

محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين^٢ مثل ذلك .

ويهمنا كثيرا هنا أن فرقة " القرامطة " التي تقول بأمامة محمد بن

اسماعيل قالت أنه حي لم يمت وأنه في بلاد الروم وأنه " القائم " المنتظر

وأنه رسول ، وأنه لا يكون بعد النبي (صلى) إلا سبعة أئمة وهو سابعهم

الذي سيبعث بشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد (ص)^٣ .

ويؤكد ما نسب الي " القرامطة " هنا - وهو للنوختي - ما ورد في

المصادر الباطنية من القول بالرجعة ، في قول منسوب الى علي بن أبي

طالب : (من لم يؤمن برجعتنا فليس من شيعتنا) .

وحيث أن " الباطنيين " يسخرون من الامامية الذين ينتظرون امامهم

الغائب فانهم أولوا الرجعة على أنها تكون في شخص القائم المنتظر الذي

هو في ذاته مجموعة من ذواتهم وأن هذه الذوات قادرة على الانفصال والتشخص

عن ذات القائم . . . الخ .^٤ وأما عن قائمة^٥ وناطقية^٦ محمد بن اسماعيل فهو

ما تؤكد المصادر الباطنية أيضا (ر . ص ٢٧٥ ، ٢٧٦) مما يترجح به كلام

النوختي في القرامطة .

كل ذلك يوضح لنا أن المهدي الباطني ، ظهر أول ما ظهر على نحو

كيسانبي معزج بفكرة السبعة الذين سيكونون بعد رسول الله (ص) ذلك القول

الذي ظهرت به فرقة المنصورية (ر . ص ١٢٠) .

١- انظر : مختصر التحفة الاثني عشرية ، ط ٢ ، ص ١١

٢- انظر : مروج الذهب ط ٥ ، ٥٢ / ٤

٣- انظر : النوختي ص ٨٤ .

٤- مسائل مجموعة من الحقائق (شتروتمان . أربعة كتب) ص ٤٩

المهدي الباطني

رغم ما ظهر لنا من كيسانية محمد بن اسماعيل باعتباره مهديا فإن عقيدة "قائم الزمان" لم تستمر على هذه الوثيرة تماما حين قالوا بأنه سينسخ شريعة محمد (ص) ثم قالوا انه نسخها فعلا وأنه من اولي العزم من الرسل كما ذكر ذلك التوحيدي ، أو سابع النطقاء كما ذكروا (ر. ص ٢٧٦) ٥
ان هذه العقيدة استمرت فترة طويلة بين بعض الباطنيين ، وخاصة الذين كانوا في جزيرة الري بايران ، حيث مكثوا ينتظرون عودة محمد بن اسماعيل حتى عصر " المعز لدين الله " تمسكا بهذه العقيدة .

كما أن كثيرا من مصادر باطنية اليمن لا تزال تشير إلى نفس هذه العقيدة على شكل نظري ، تطرق الحديث اليه في هذا البحث رغم ١٠
رسالة "عبيد الله المهدي" اليهم ، تلك الرسالة التي كان سببها ظهور الشخص المذكور بلقب المهدي رغم عدم كونه سابعا في الشريعة (ر. الملحق -) .

اننا نجد "عبيد الله" في تلك الرسالة قد وجد تعليلا للهروب من عقيدتهم القائلة بانتظار محمد ابن اسماعيل ، وما أسهل تحليل العقائد ١٥
عند الباطنيين ، حتى تخلصوا من عقيدة المهدي من حيث علاقتها بسابع الأئمة ومن حيث علاقتها بالرجعة . واتخذت شكلا آخر ذا علاقة مع بعقيدتهم القديمة .

أفضلية القائم المنتظر على المرسلين .

٢٠ ان عقيدة "قائم الزمان" في باطنية اليوم ، تعتمد على التسبيع من حيث

عقيدة الأدوار السبعة التي تقول بسبعة نطقاء أولهم آدم ممثل "السلالة"
أو ممثل "الأحد" من أيام الأسبوع وسابعهم المهدي المنتظر ممثل
"الخلق الآخر" أو ممثل يوم "السبت" (ر. ص ٢٠٢) فجميع
الستة النطقاء / الذين آخرهم محمد (ص) / يشكلون صورة مخططة
بلا روح^١ ، وعليه فإن المهدي الباطني أو "قائم الزمان" هو روح هذه
الصورة ، لأن :

كل واحد من النطقاء وأهل دوره جزء من
الشخص العلمي الإلهي الذي يكون قائما آخر
الدور وهو المبعث الثالث الذي غابت صورته
ثم عادت بحالة أبهى وكمال أعظم ، وهم كماله^٢
وظهوره على ذكره السلام إذ هم أجزاءه وهو كلهم .

وهذه الصورة ذات علاقة ما من جانب أو آخر بالفكر اليهودي أثبتتها
هذا البحث ، من حيث علاقتها بتناسخ الأرواح والحلول (ر. ص ٢٠٥) .
وعلى ذلك فإن أفضلية القائم مطلقة باعتباره (الإنسان الكامل) أو (الإنسان
المطلق) حتى على سيدنا محمد (ص) بزعمهم ؛ لأنه سيظهر به دين الله
على جميع الأديان (ر. ص ٢٢٨) .

ولكن الباطنيين الذين صنعوا للقائم المنتظر مجمعا عاما تجتمع فيه الخلق ،
يقولون أن :

أحمد المحمود يعني نبينا محمدا صلى الله عليه
وعلى آله تراه في المقام المحمود الذي وعده الله تعالى
به بقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)^{*}

١. انظر: مخطوطة كتاب تقسيم العلم ص ٢٢٩
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٤٨ ، وانظر أيضا
ص ٦
* الأسراء ٧٩

وهو كونه في مجمع القائم على ذكره السلام أعلى من فيه
١.
مرتبة .

القائم يعني قائم القيامة :

ان كلمة " القائم " تضاف في الفكر الباطني الى " القيامة " بل من الممكن
اعتبار الكلمتين مترادفتين بمعنى أنهم يعتقدون أن ظهور " القائم " معناه
قيام القيامة ؛ كما سيأتي :

وهذه العقيدة مخالفة لمعنى القيامة عند المسلمين ؛ تلك التي تعني ؛
قيام الأموات من قبورهم لحياة أخرى فيها يحاسبون فيعاقب المسيء ويثاب
المحسن .

١٠ أما الباطنيون فان يوم القيامة عندهم يعني ظهور " الناطق السابع " القائم
المنتظر . وفي الفكر اليهودي نجد ما يشبه ذلك ففي التلمود : (بتراث ص ١٦)
*
(أن عيسو بن اسحق أخطأ خمس مرات في يوم واحد ؛ احداها بسبب
انكاره قيام الموتى - كما يزعم البعض - عند حضور المسيح) المنتظر ، ووجه
الشبه قيام القيامة بظهور المنتظر .

١٥ بظهور القائم ينتهي دور الستر الذي بدأ بآدم ويبدأ دور الكشف
الذي يعتبر ايدانا بالغاء الشرائع والتكاليف أو بعضها وهو ما عنناه
الداعي الكرمانى في رسالة أسبوع الستر بقوله ؛ وعنده تكون الاستراحة
(ر . ص ٢٢٧) . وهذا يدل على أن الباطنيين لا يعتقدون أن هناك
بعثا من القبور لحياة أخرى بل ان القيامة تكون استمرارا للحياة على هذه
الدنيا على نمط آخر لا يرتبط بالبعث والنشور .

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢١

* ورد في النص باسم عيسى . أنظر فيه سفر التكوين ٢٥ / ٢٥ ، ٢٩٦ ، ٢٧ / ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ .

٢. انظر: الكنز المرصود ص ١٦١

٣. انظر: اسبوع الستر (عارف تأمر . أربع رسائل) ص ٦٦ ورسالة مجموع الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٠ .

والبعث والمعاد لاعلاقة له عند الباطنيين بيوم القيامة ، ولهم فيه
تفسير آخر ، تقول الرسالة الجامعة :

ان النفس اذا فارقت الجسم عادت الى ما منه
بدأت وعنه صدرت ، كرجوع الجسم الى ما منه نشأ وعنه
بدأ ، ثم تكون مرهونة بما كسبت وعملت ، فلا تكون
موجودة بالآلات الطبيعية ، ولا في أشخاص انسانية
ولا موصوفة بصفات جسمانية .^١

ولا شك أن هذا نفي لمعاد الأجساد ، لأنهم يزعمون أن :
الله جل وعز يعذب الروح الحسية لا بتوسط شيء^٢

وعن رجوع الأرواح سئل أحد الباطنيين ، حيث قالت الرسالة الجامعة
برجوعها ، ولعل السائل لم يقرأ رأي الرسالة المذكورة في المعاد فاستنكر
قولها برجوع الأرواح واستفسر عن حقيقة ذلك فأجيب :

انه عند قيام $\frac{١٩٦٧}{٣٨٢٥}$ [= القائم] على ذكره

السلام ٨٧٨٨ / ١ [= ويتشخص] كل مقام من المقامات وحد من

الحدود ومؤمن من المؤمنين الكائنين في زمرة القائم كل واحد
لأهل زمانه ومن كان يحاده ويعاديه في الدنيا ويتراى لهم
في جسمه الذي يعرفونه وسنه ٠٠٠ فذلك معنى رجوع الأرواح
الى الأجساد ووجه ثان أن جميع المعذبين الكائنين
في البراخ تجمعهم القدرة الالهية لقرب ظهور القائم
وتسوقهم الى الحصول عند البشر من أهل ذلك الزمان بالولادة
فيخرجوا ويحضر كل واحد منهم في سنه الذي كان عليه وقت

١. الرسالة الجامعة ص ٣٠٢

٢. الداعي أبو فراس . الايضاح ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية ، ١٩٦٥ ، ص ١٥

انكاره من شيخوخة أو شباب يأتي عند قيام القائم وقد بلغ
من حد ولادته ذلك السن والعمر ويحضر لأن يواظف
ويجازى على فعله فذلك أيضا معنى رجوع الأرواح إلى
الأجساد .^١

ان النص السابق يدل بوضوح على وجهة النظر الباطنية في معنى
يوم القيامة ، ومعنى النعاد ، والوجه الأول الذي احتمله النص الباطني
صورة جلية للتناسخ - تناسخ الأرواح - ، وكذا الاحتمال الثاني
ليس الا صورة أخرى للتناسخ قال بمثلها اليهود : حين يدعون أنه :

كان لقائين [= قابيل] ثلاث [كذا] أرواح الأولى

دخلت في جسد (قورث) والثاني في جسد^٢

(جثرو) والثالثة في المصري الذي قتله موسى .

وعند النصيرية أن روح^٣ " قابيل " كانت في " عمر بن الخطاب " وروح " هابيل "

في " علي بن ابي طالب " . وهذا ليس بعيدا عن معنى النص الباطني

السابق في تفسيره لعودة الأرواح إلى الأجساد ، وهذا يوضح ما ذهب

إليه الباحث منذ برهة من أن القيامة عند الباطنيين تعني ظهور القائم^{١٥}

في الحياة العادية للبشر ، وليست كما أشار إليها القرآن الكريم (ونفخ

في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض . . .) (ر . الآية ٦٨ من سورة

الزمر) . وقد نصت " رسالة المهدي " عبيد الله إلى أهل اليمن (ر .

الملحقا) على ظهور القائم بخته على الطريقة المذكورة الخاصة بهم .

١ . مجموع الحقائق . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٦١

٢ . الكنز المرصود ط ٢ ، ص ٦٠

٣ . انظر : الهفت الشريف ، ص ٨٤ ، ٨٥ ، وأنظر ص ١٩٥ من هذه الرسالة

ولأن الباطنيين لا يؤمنون * بالمعاد * الا على النحو السالف الذكر؛

فانهم قالوا في الثواب والعقاب بما يأتي :-

١- ان الثواب والعقاب ليس جسمانياً ويبدأ بعد الموت مباشرة ولا تحسّر

الأجساد للحساب فالثواب والعقاب على نحو ما يعرفه المسلمون غير

٥ صحيح عندهم؛ بمعنى أن الآخرة عندهم تبدأ بعد الموت على

الكيفية التالية :-

ان النفوس العاصية المنيعة لبارئها المتخلفة

عن الطاعة ٠٠٠ فانهم اذا حل الموت بهم ، ونزلت

الملائكة الفلاظ الشداد اليهم وهي روحانيات

١٠ زحل والمريخ الى الأشخاص التي هي مسئولية

على مواليدها ، مخصوصة بنفوسها ، وهي البرنج المظلم

وهي أول طبقة جهنم ٠٠٠ ولا يزال ذلك دأبها

ما دامت السموات والأرض .

واعلم يا أخي أن النفس الطائعة اذا أكملت

١٥ طاعتها وبلغت نهايتها ٠٠٠ ونزل الموت بساحتها ،

نزلت اليها الملائكة الطيبون ٠٠٠ وهي روحانيات

الزهرة ، وروحانيات المشتري ، بالرافة والرحمة ، والشفقة

فتلقتها وقبلتها بالروح والريحان ٠٠٠ ثم بعد ذلك

اذا كان يوم القيامة وبلغ النهاية ، عرجت بها

٢٠ الملائكة الى الجنان والنعيم المقيم والملك الدائم

ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى .

٢- أما العتاب والثواب الذي يقع يوم القيامة - أي بعد قيام قائم الزمان ؛ فهو شيء آخر لأن :

القائم على ذكره السلام اذا قام وأوقف جميع الأضداد على ما فعلوه ٣٢ × [- أمر] بذبحهم

بعد أن يذبح بيده رؤسائهم وكل ٣ هـ ٣٢

[- مقام] عنده ٨٨ [٨٨-٨٨-٨٨ ط] [- يتشخص]

ويذبح [أضداده وكذلك يفعل ٢ لم ط ٨٨]

[- الحدود] والمؤمنون فاذا صاروا مطروحين في الفضاء

وشكا المؤمنون من ع/ع [- تن] ربحهم نزلت نار من

الأنير فأحرقتهم عن آخرهم^١

ويلاحظ هنا أن الفرقة الباطنية " النصيرية " يقولون بأن يوم

" القيامة " غير يوم ظهور القائم " الا أنهم في مسألة الذبح والانتقام

من " ابليس " تكون حين ظهور القائم الذي سيقتل " ابليس " وكل

كافر في ذلك اليوم الذي يرون أنه " عيد النوروز " الذي يحتفل به " الفرس "

و " النصيرية " كذلك يحتفلون به على ما تقدم من معنى ويذبحون فيه من

الأنعام وخلافه ثم ياكلونها على أنها أبو بكر وعمر وامثالهما من المخالفين لهم^٢

والفرقة الباطنية الأخرى الصماتة " بالدروز " تعد نفسها بظهور

القائم على هذه الصورة وهو عندهم " حمزة بن علي " الذي يقول مخاطباً

شخصاً اسمه " خمّار " في رسالة يطلب اليه فيها الدخول في مذهب

" الدروز " ثم يقول له فيها :

٠١ مسائل مجموعة في الحقائق (شتروشان ٠ أربعة كتب) ص ١١ ، ١٢

٠٢ أنظر : مخطوطة مجموعة حقيقة حق اليقين ص ١٧٦ فما ٣٠٧

وان أبيت ذلك واستكبرت فلاخرج منها فالك رحيم عليك
اللحلة الى يوم الدين وهو يوم قياسي بالسيف على جميع
المشركين ثم أمرت العبيد بضربك بالسياط واشهـارك
بالقاهرة المقدسة وشوارع مصر وأزقتها فان تبت ورجعت
عن قولك والا أمرت العبيد بسلكك وحشوت سلكك
تبنا وصلبتك على باب زويله وباب الفتوح . . . ونصلح
بقتلك العباد ونمهد البلاد ثم نبتدي بمن هو مثلك
فنقتلهم قتل الكلاب .^١

ويقول في رسالة أخرى :

أنا ناسخ الشرائع ومهلك أهل الشرك والبـدع
أنا مهـدم القبلتين ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادات
أنا مسيح الأمم ومنّي افاضة النعم . . . أنا قائم الزمان
وصاحب البرهان والهادي الى طاعة الرحمن فالويل كل
الويل لمن حاد عن طاعتي وصدف ، ويتوحد المولى سبحانه
[يعني الحاكم بأمر الله] لم يعترف . فقد أوحى الي
سبحانه أنه لابد حتما من انجاز الوعد المحتوم وقتل كل
كافر ظلم . وأفني أهل الشرك والعناء والمنافقين والأضداد
وأملك بسيفي جميع البلاد وأحكم على جميع العباد
ففریق يسعد وفریق يحل به العذاب السرمد .^٢

وهذا يتفق تماما مع ما نسب الى " الدرور " من أن " حمزة بن علي " سيأتي يوم القيامة حاملا سيفه ويملا البر والبحر بجنوده القادمة من الصين

١. مخطوطة رسالة خمارة الخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢ ، ص ١٢٣ ،
١٢٤
٢. مخطوطة : رسالة التحذير والتنبيه (التيمورية - عقائد ٦٦٢) ص ص
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

ولا يضرب بسيفه حتى يدخل مكة ويهدم الكعبة وأخذها حجرا حجسرا^١
على نحو ما ورد في الحديث الشريف عن تخريب ذي السويقتين الحبشي^٢
لها . وبعد ذلك يستل السيف ويقتل كل العالمين . الخ .

ان ارتباط القائم المنتظر بالقتل والانتقام فكرة ظهرت قديما عند الفللة
منذ أيام عبدالله بن سبا اليهودي حين قال " والله لا يموت حتى يذودكم
بعضاه أو أنه ينزل إلى الدنيا ويستقم من أعدائه " (ر . ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣) وقد تجلّى القائم المنتقم في فرقة " المنصورية " الغالية
(ر . ص ١١٨) .

وهذا دليل على أصل الفكرة اليهودية ، ففي العهد القديم : -

فهوذا يأتي اليوم المتقد كالثور وكل المستكبرين^٣
وكل فاعلي الشريكولون قسا وحرقهم في اليوم التالي^٤
قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلا ولا فرعا .

وهو صورة للقائم الباطني وردت آنفا (ر . ص ٢٩٥) . وفي مرجع
باطني آخر نجد :

سلمان الفارسي رح ما أثره عن رسول الله صلح أنه^٥
ذكر المهدي ع م وقال (انه لقاتل الظالمين ويقتل الزنادقة
ولا يقبل منهم توبة ولا يأخذ منهم جزية ولا يدع في^٦
الأرض أحدا على غير دين الاسلام الا قتله .

وفي العهد القديم أيضا ورد مثل ذلك (ر . ص ٢٨٧) .

١ انظر البخاري ك ٢٥ ب ٤٩
٢ انظر مخطوطة كشف الفضائح الدرزية (التيمورية - عقائد ٦٦٣) ق
٣ سفر ملاخي ١ / ٤
٤ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . (ايفانوف . المنتخب) ص ٤
٥

وقد أكد ذلك الأب الطوبان في رسالته التي ذكر فيها نقاط الالتقاء
بين " اليهود " و " الدرزي " فقال :

ولقد حكيت مع اليهود فرأيتهم يعللوا [كذا] نفوسهم
بهذا التعليل بعينه حيث يقولوا [كذا] "يجي" المسيح
من نهر السبث واليهود هناك أعداد كثيرة ولما يجي
المسيح يحكم الأرض ويملكنا العالمين ويجعلنا إلى بلادنا
أرض القدس وتملك إلى أبد الأبدين .

وهو تأكيد لما سبق إيراده في هذا البحث (ر: ص ٢٨٦) نقلا عن
سفر دانيال . أما الغريب فهو ما ورد في مخطوط " درزي " يتحدث عن
جنود قائمهم المنتظر بما يلي :-

رؤساء الأعراف الأعلام . وحجج السيد الهادي
الامام وشموس القيامة وأقمار التمام بسيوفهم ينتقم من أبالسة
الأدوار وأشياعهم الفاسقين . وبسعادتهم وميامين بركاتهم
تحقن في الآفاق دما الموحدين [كذا] ، وببصائرهم
عن تأييد الوالي تكشف للعالم معالم الدين . وهم بالحقيقة
أصحاب الهندية الحداد .

وآل النجدة والسواعد الشداد . وأعضادهم خلوف الطهره
الأنبياء . وأسباط الحق البررة الاتقياء . كنوز أقاليم
الدين وصفوة آل نفتالي وبنيامين وسلالة آل منشأ وآل جاد

الاخدين بنار أهل الحق عند قيام القائم الهاد [كذا]

الذين اختارهم على علم . وسترهم عن العالمين . وبشر

بمجيئهم في اليوم الآخر نصره ورحمة للمؤمنين .

ان جنود قائم الزمان الدرزي كما يقول النص يهود . فهل كانت الدعوة

الدرزية في حقيقتها دعوة يهودية؟ ، أم أن الدعوة الباطنية عموما كانت

تمهد في الحقيقة الى قائم يعيد دولة اليهود ؟ لا سيما وأن الفرقـة

الدرزية ليست سوى الابن الشرعي (ر . ص ٣٧٨ ، ٣٧٩) الذي أجهضته

" الباطنية " قبل أوان ولادته! . فكشف كثيرا من مكفون عقيدتهم ودعوتهم

وأهدافهم . ان النص الدرزي السابق يشير بكل وضوح الى آل نقتالي

وبنيامين والى آل منشا وجاد .

من هم هؤلاء الأربعة ؟ ان نقتالي وبنيامين وجاد من أبناء يعقوب بن

اسحق . وأما منشا الذي هو منسى بن يوسف بن يعقوب بن اسحق

ايضا أي أن الأربعة المذكورين من الأسباط ٠٠٠ من بني اسرائيل .

وهذا يعود بنا الى ما قالت به " الكيسانية " عن الأسباط الأربعة ،

الذين في الفكر اليهودي ، لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين (ر . ص ٩٥ ، ٩٦)

وهؤلاء الأربعة هم الذين تميزوا عن بقية أسباط اسرائيل الاثني عشر .

أما أربعة النص الدرزي فلا يتفقون مع اولئك الا في بنيامين ، ومنسى

(أو منشا) الذي هو ابن يوسف البكر .

ان العهد القديم جعل " سبط نقتالي " أنصار مسيحيهم القائم المنتظر

١. مخطوط رسالة الايقاظ والبشارة . دار الكتب المصرية ، عقائد النحل

١٣٨ ، ق ١٥

٢. انظر : التكوين ١٦/٤٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ .

٣. انظر : التكوين ١٤/٤٨ ، ١٨

الذي سيقم مملكة داود الأبدية^١ .

أما آل بنيامين ، وآل منشا أو منسى ، وآل جاد فقد كانوا
على رأس الجيش الذي حارب به داود نفسه لاقامة مملكة اسرائيل
في معركته ضد شاول بن قيس^٢ .

وهكذا تظهر^٣ الفرقة الدرزية^٤ لتوضح لنا الهدف الذي تسعى
اليه الفرق الباطنية وهو اقامة مملكة داود الاسرائيلية على يد أحفاد
الذين ساعدوا داود على اقامة مملكته الاولى^٥ .

ان الفكر الباطني الذي اعتمد السرية منهجا في مخططاته أشار
من حيث لا يدري الى هذه الرغبة الباطنية ، ليس على النطاق الدرزي
الواضح ؛ بل ان كثيرا من بقية المصادر الاسماعيليه تشير صراحة
الى أن بني اسحق بن يعقوب هم السند الأول للأئمة الباطنيين (ر. ص ،
ص ١٧٦ ، ٤٤٤) .

٣- الثواب والعقاب في الدنيا :

سبق الحديث أن الفرقة الخطائية الغالية ترى أن الدنيا لا تفنى ،
وعليه فقد اعتبروا الجنة والنار ما يصيب الانسان في الدنيا من خير أو شر
(ر. ص ص ١٣١ ، ١٣٢)

وقد قالت النصيرية بأن ذبح الأغنام ونحوها انما هو تعذيب لأرواح
أعدائهم الذين انتسخوا على صورة الدواب تلك (ر. ص ٢٩٥) .

١. انظر : أشعيا ١ / ٩ - ٢

٢. انظر : أخبار الأيام الأول ١ / ١٢ - ٢٢

والتناسخ عقيدة يؤمن بها الباطنيون في معظمهم ، ولوزيم البعض غير ذلك ، وهو يعني عندهم العذاب الدنيوي ، ويطلقون عليه " العذاب الأدنى " وهي عبارة نجدها في بعض من المصادر الباطنية ، وقد فسر أحمد هذه المصادر مدلول هذه الكلمة ؛ حيث يقول :-

- ٥ ان العذاب ٨٤٩٥٣ [- الأدنى] يكون أوله ما يعذب به أهل الضلال من الشكوك والشبهات التي تدخل عليهم في دينهم في الدنيا وأوسطه ما يكون في براخ الهبوط التي تستحيل اليها نفوسهم وأجسامهم معا بعد الانحلال بالقبر ثم التصاعد بالبخار ثم التكون نباتا ثم يفتديه من يستحقون العبور عنده من أصناف الهبوط من الحيوان الى أن يستوفي مثل ذلك ثم ينتقل من يستحق من أهل ٢٥٦٢ [- العذاب] بالبخار الصاعد الى أطراف الأرض فيكون فيها معذباً بأنواع العذاب الحسي في جنس الحجارة المنعقدة وهو يحس بالألم في جميع البرازخ ويعلم ما سبب حصولها هنالك وهذا أيضا انتهاء أشد العذاب الأدنى .

- وإذا عاد القارئ الكريم الى قراءة النص فانه لا يجد فرقا بين ما عليه النصيرية من اعتبارهم الدواب التي يذبحونها أو يركبونها أشخاصا آدميين استحقوا العذاب فصاروا على تلك الصورة . وهذا ما يراه الباطنيون فيما

١- انظر : المجدوع (القرن الثاني عشر) فهرست الكتب والرسائل ، علي نقسي مطبوع في طهران . مطبعة الجامعة ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ مسائل مجموعة من الحقائق (شترومان . أربعة كتب) ص ١١ وأنظر أيضا ص ٦٤ .
* ربما كانت الكلمة مأخوذة من قوله تعالى " ولنديقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون " السجدة ٢١

يسمونه بالسلسلة ، وهم يحنون بها التي وردت في قوله تعالى * (خذوه فخلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) ، وهم يقولون بأن ذلك يجسري في الدنيا ، ففي مرجع باطني يتسائل شاعرهم :

ما حد سلسلة تكامل ذرعها سبعين مؤذنة بطول شقاء

..... ان حد السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً على

التمام والسبعين [كذا] من السلاسل هي القصص

الملعونة المصورة من الرذائل فأدراك العذاب

سبعة على النظام في كل دَرَك سبعون قميصاً يسلكها

كل شيطان مريد .

١٠ (ر. ص ٢٠٩) ، وليشرح لنا مرجع باطني آخر مدلول كلمة القصص قبل

العودة الى حديث السلسلة ، يقول الداعي ادريس :

ظهر زين العابدين لجابر بن عبد الله الأنصاري

في صورة الميم والفاء والحاء والسين ، وعاد السي

صورة العين ، وقال أعفك يحتمل هذا يا جابر ،

١٥ هي قصص في كل وقت وزمان تتبدل القصص ولا

تبدل فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور

المتجلي بهم الحق عند الظهور .

وهو يذكرنا بالحلول الذي أشير اليه من أن روح الله تحل أو تتجلي في

الانبياء والأئمة (ر. ص ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

* الحاقه ٣٠ - ٣٢

١. مخطوطة حياة الأحرار ق ق ٣٦ ، ٣٧

٢. زهر المعاني (ايغانوف ، المنتخب) ص ٦٤ .

وقد وردت كلمة القمص وهي جمع قميص في هذا البحث حين جرى الحديث الى ذكر الخطابية وقولهم بجريان ارواح من جحد امرهم في كل الاشياء على نحو لا يبعد ابدا عن التناسخ وهو صورة لما ذكر عن السلسلة (ر. ص ٢٠٨) . وقد بقيت العقيدة هذه على صورتها عند الباطنيين وظهرت في كتب المتأخرين منهم مثل " حياة الأحرار " و " مسائل مجموع الحقائق " ، و " رسالة الايضاح والتبيين " (ر. ص ٢٠٩) مما يدل على أنها من عقائدهم التي يدينون بها ، رغم ما تجده في بعض مراجعهم من نفي التناسخ والرد على القائلين به .

- ١٠ ان الحديث عن القمص والسلسلة والتناسخ والقول بالثواب والعقاب في الدنيا كلها شيء واحد ، وجدد مثله في الفكر اليهودي وسبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر. ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩) مما يدل على مطبق هذه العقيدة .

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول : ان المهدي الباطني المنتظر - قائم

- ١٥ الزمان - بدأ سبئيا يهوديا وانتهى كذلك ، وان يكن الباطنيون قد أضافوا اليه تفصيلات وحواشي أدت بهم الى نفي القيامة والقول بالتناسخ وما اليه ، كما أضافوا اليه أفكارا فلسفية جعلت منه مهديا فريدا من نوعه لا يكاد يوجد الا عند الباطنيين ، ومن ذلك ما قالوا في مهديهم الذي تقوم القيامة على يديه أنه يموت بعد مدة من الزمان ويصبح أحد العقول المدبرة للعالم (ر. ص ٢٥٠ فما) . كيف يكون هناك موت بعد قيام
- ٢٠

١. انظر : فهرست المجدوع ص ١٧٤ والمجالس المؤيدية ص ١٥٢
٢. انظر : محمود أحمد عبدالسلام . النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني رسالة علمية ، الاسكندرية ، كلية الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠٩

القيامة والله تعالى يقول " لا يدعون فيها الموت الا الموتة الأولى " *

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا ان :

١- العقائد الباطنية في حقيقتها تعتمد على التأييد الباطني ، وان المظهر الاسلامي لهما ما هي الا قشرة رقيقة لا تصمد على اخفاء

دينهم الحقيقي

٢- العقائد الباطنية في مجملها ما هي الا استمرار لعقائد الفسوق

الغالية الشيعية التي بدأ ظهورها على يد عبدالله بن سبأ اليهودي

٣- اعتمدت العقائد الباطنية على الفكر اليهودي اعتمادا واضحا في

مختلف ما ذهب اليه فرقا المتباينة ، وهذا يشير الى أن الدور

١٠ اليهودي الفكري قائم عند الباطنيين في مراحل متتابعة في فرقهم .

٤- الامام اسماعيل بن جعفر والامام محمد بن اسماعيل لم يوجد لهم

أي أثر في العقائد الباطنية ، وليس سوى واجهة ينتسب اليها

الباطنيون .

٥- ان المهدي المنتظر عندهم ليس سوى ^{مشروعا} سيادة دولة الباطنيين

١٥ على العالم ، بل ليس حقيقته سوى ترجمة لطمح اليهود واقامة

دولتهم التي تسود العالم هذا اذا اعتمدنا على ما في مراجع

الباطنيين عامة ومراجع الدرر خاصة .

الباب الثالث : الدعوة الباطنية

تمهيد : مما ميز الفرق الباطنية ؛ أنها اهتمت بالدعوة اهتماما
خاصا فاق . كل ما اهتموا به في عقيدتهم . لأن عناصر الدعوة الباطنية
تشكل في مجموعها الشرايين التي يسير فيها مختلف مظاهر الفكر
الباطني ، وتوقعها يعني نهاية ذلك .

نظم الباطنيون دعوتهم تنظيما فريدا أدهش مختلف الدارسين
والمفكرين ؛ حتى صار الأسلوب الباطني للدعوة مضررا للأمثال . وهذه
حقيقة لا يستطيع أحد إخفاءها .

عرفنا مما سبق أن الباطنيين في عقيدتهم ما هم الا استمرار للعقائد
التي جاءت بها الفرق الغالية منذ نشأتها . الا أن ما يختص بالدعوة
لا يصدق ذلك عليه تماما لأن من الصعب القول أن الخلافة كان لهم
أسلوب مثالي للدعوة ، وكل ما كان من ذلك لا يمكن وصفه الا بخطوات
بدائية أمام التنظيم الدعائي الذي أظهره الباطنيون بعد ذلك ، ولا تزال
الطريقة الدعائية التي نسبت الى الفرقة الكيسانية الروندية تعتبر
أرقى أسلوب للدعوة عرفته فرق الخلافة ، ورغم ذلك فان الدعوة العباسية
استطاعت احتواء هذه الفرقة والسيطرة عليها بعد أن استغلتها في تثبيت
أركان الدولة العباسية ، وبعبارة أصح هذا ما يدعيه بعض المفكرين
(ر . ص ١٠٠ - ١٠٣) .

ان ذلك قد يجعل من السهل القول : ان الفرق الباطنية - التي
تعتبر الفرقة الاسماعيلية أمثالها تجوزا - وان نشأت عن الفرق
الغالية السائدة في القرن الثالث الهجري ؛ الا أن شخصيات أخرى
تولت الزعامة عند اضطحلال فرق الخلافة ، وأن هذه الشخصيات تمكنت من وضع

مبادئه لأسلوب الدعوة هي ما صار يسمى فيما بعد بالدعوة الباطنية
أما ما آلت إليه الدعوة الباطنية اليوم ، فإن فرقة " الدرؤز " قد
توقفت عن الدعوة إلى دينها منذ أيام حمزة بن علي (- ٤٣٣) وصارت
قاصرة على أفرادها الذين لا يقبلون دخول أحد ما في فرقته^١ . وجدير
بالذكر أن الفرقة الدرزية حينما كانت تمارس الدعوة لم تكن تفعل ذلك
على النحو الباطني تماما بل كان زعيمها " حمزة بن علي " يرسل رسائل
شخصية للدعوة لمذهبه ، ولعل ذلك يرجع إلى أن " الحاكم بأمر الله "
الذي يدعون ألوهيته ، كان يشجع هذه الدعوة بطريقة ما كما تقول رسائل
" حمزة بن علي " الموجودة إلى اليوم^٢ .

١٠ والنصيرية - وهم ليسوا اسماعيليين - فلا أخال أن لهم برنامجا
أو أسلوبا للدعوة إلا في محيط طائفتهم ، ولا يدعون الشخص إلى دينهم
حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره^٣ .

١٥ أما بقية الباطنيين فلا زالت الدعوة قائمة عندهم ، إلا أن ذلك
يجري - كما يظهر - في بطن شديد . ويدل على وجود الدعوة
الباطنية بين أوساط جديدة ، وجود خلايا باطنية في اندونيسيا ، رغم
أن انتشار الاسلام في هذه البلاد كان على يد التجار الحضار واليمنيين
والمكيين ، كما أن هناك رغبات باطنية في العودة إلى مصر ، ويوضح
ذلك اهتمامهم ومشاركتهم في تجديد بعض آثار العبيديين من أضرحة
ومساجد هناك .

* انظر ترجمته في الأعلام ٣١٠/٢

١. انظر: ميخائيل بكشاروفيم . التلبد في مذهب أهل التوحيد ، القاهرة
مجلة رعمسيس ، د . ت ، ص ٢٣
٢. انظر: مخطوطة الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم . دار الكتب
المصرية ، رسائل درزية سرية ، علم كلام النحل - ٥٤ ، ق ٢٣ ، ق ٥٠
٣. انظر: سليمان الأذني . الباكورة السلیمانیة ص ٢
٤. انظر: ابن جندان مخطوطة السهم الرامي ، مصورة في مركز البحث
العلمي بكلية الشريعة بمكة .

ولكن لابد من الإشارة الى أن طابع الدعوة الباطنية في هذا العصر
وان لا يستبعد محافظته على التنظيم السائد في العصور الخالية الا أنه
اتخذ نمطا آخر يعتمد على استجلاب العناصر والمتعاطفين
ربما كمرحلة أولى ، لأن البوهرة يخططون لظهور قائمهم المنتظر أو قائم
أقل منه درجة لأنهم يرون أن القيامات كثيرة (ر. ص ٢٧٦) وقد
أفاد بمسألة قرب ظهور قائمهم أحد الباطنيين أنفسهم .

—

الفصل الأول : الدعوة الباطنية

أركان الدعوة الباطنية :

ان تنظيم الدعوة الباطنية يعتمد في مجمله على نقطتين أساسيتين هما :

- ٥ ١- وجود الضد : وتعني كلمة الضد؛ كل من خالف الفكر الباطني ؛ وهو يعني الرأي العام الاسلامي في الدرجة الأولى؛ لأنهم وان قالوا في الرسالة الجامعة ان دعوتهم موجهة الى جميع الملل والأديان (ر: ص ٣١٢، ٣١٣) الا أنهم فيما بعد أفصحوا عن أن دعوتهم لا تخص سوى المسلمين اذ لا يجوز أخذ العهد (ر: ص ٣٣٤) على غير مسلم ؛ وفي هذا ما قد يشير الى المقصود من الدعوة الباطنية . وعليه فان المسلمين ضد لهم حتى يكونوا باطنيين . وكلمة " الضد " يمكن اعتبارها مرادفة لكلمة " الشيطان " .
- ١٠

- ١٥ ٢- ان أخذ الباطنيين بعين الاعتبار هذه النقطة جعلهم ينتهجون السرية منهجا أساسيا في الدعوة الى عقيدتهم ، اما خوفا من الضد عليه أن يعلن الحرب عليهم ، أو تلبسا حتى لا يدري ما يجري حوله وقد اشير الى أن الضد يعني مخالفيهم المسلمين .

- ٢٠ ٢- تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض الذي هو أقصى غايات الباطنيين ، على اعتبار أنهم يقولون : ان لكل ظاهر باطنا وهذا الباطن هو اللب وهو الأصل والمقصود (ر: ص ص ١٥٩ - ١٧٢) . .

ولاختلاف هذا الهدف صراحة مع ظاهر الدين الاسلامي بقول الباطنيين
أنفسهم الذين يروون حديثاً عن "علي" يقول فيه :-

علمني رسول الله صلح من مكنون علمه ألف باب
فتش لي كل باب منها ألف باب • لو اطلعتهم
عليه لاضطرتهم في أديالكم اضطراب الأرضية
في الطي البعيد •

وعليه فإنهم اختاروا لتحقيق هذا المآرب أسلوب التدرج في نقل
المفاهيم الباطنية الى المستجيب شيئاً فشيئاً •

سرى التدرج بعد ذلك الى الدعوة الباطنية ذاتها والى دعائهم
فصار لكل منهم مرحلة يختص بها ولا يتجاوزها كما سيتضح •

١٠ وعلى ذلك تصبح السرية والتدرج ^{وسيلتين} أساسيين في الدعوة
الباطنية ينبغي التطرق اليهما •

١- السرية : يدعي الباطنيون أن السرية في الدعوة أسلوب سلكه
الأنبياء والمرسلون ، فهم يعتقدون أن لكل ناطق (= نبي رسول ر. ص ص

١٥ ٢٢٤ ، ٢٢٥) دعوتين احدهما ظاهرة معلنة وتسمى العبادة العملية
كالصلاة والصوم وغير ذلك ، والثانية باطنية يختص بها وصي الناطق
وهي سرية وتسمى العبادة العلمية (ر. ص ص ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧) •

وسبب ذلك كما يزعمون ؛ قصة قابيل وهابيل ، وتفصيلها الباطني
كما يأتي :-

أنزل الله على آدم كتابا وأنطقه بشريعة فكان
ناطقاً أول النطق^١ ثم أمره تعالى باختيار رحمته
ووصيه من ولده فكان ولده هابيل كثير الخير
والاجتهاد في السعي في طاعة الله فنظر اليه
آدم وأشار اليه بحجته ووصيه ثم قرب هو وأخوه
قابيل فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان
قابيل فعلم قابيل ان الإشارة تصح الى هابيل
فقتله في الظاهر فخرج من الدنيا وقتله بالباطن
بالطعن عليه والكسر لمقامه ونسب الأمر الى نفسه
وادّعى على آدم مالم يسنده اليه واختار الله لآدم من
ولده غيره وهو شيث بن آدم فكان حجته وموضع
اختياره فكتّم أمره شفقة عليه من أخيه ودعا
اليه سرا بالعهد والميثاق وكان ذلك أول ما سنده
الله من ستر الحق وصاحب الحق بالدعوة
اليه سرا بالعهد والميثاق في أوقات غلبة الظلمة .

وهكذا أوجد الباطنيون تاريخاً لدعوتهم من عهد آدم كما أوجدوا
تاريخاً للتأويل الباطني منذ ذلك العهد والقصة المألفة التي أوردها
الداعي جعفر بن منصور اليه (كان حياً في ٣٨٠) يمكن اعتبارها تأويلاً
باطنياً لما جاء في العهد القديم :

١. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ٢٥ ، ٢٦ مخطوطة المجالس
الحاتمية ق ٣١ والأنوار اللطيفة (الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ١٢١

وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا ودعت اسمه شيثا .
قائلة لان الله قد وضع لي نسلا آخر عوضا عن
هابيل . لان قايين كان قد قتله . ولشيث أيضا
ولد ابن فدعا اسمه انوش ، حينئذ ابتدئ ان يدعى
باسم الرب .

حقا لا أحد يستطيع الادعاء بأن تاريخ الدعوة الباطنية المذكور
في العهد القديم ، الا أن من المفيد الإشارة الى أن النص التوراتي
اليهودي مما نظر اليه بعين الاعتبار في هذا الموضوع ،

أن أسلوب السرية - وأعني المظم منها بالذات - ربما كان قديما
جندا الا أن الزعم بأنها كانت منهجا سماويا للأنبياء والمرسلين منذ آدم ،
أمر لا يمكن تصديقه بأي حال ، والأمر على حقيقته ؛ أن ذلك تبرير
لبدعتهم . لأن علي بن أبي طالب الذي يزعمون أنه صاحب الدعوة الباطنية
في الدور المحمدي لم يكن لافي عصره ولا في عصر الذين كانوا من بعده
ما يمكن أن يسمى بالدعوة الباطنية (ر : ص ١١ فما) ولو كان شيئا
من ذلك حقيقة لعرف ، فان عليا لم يستشهد الا في سنة (٤٠) بمعنى
أنه عاش بعد رسول الله (ص) ثلاثين سنة تقريبا ، فأين دعوته الباطنية .

قد يزعم الباطنيون : أن عليا أقام دعوته الباطنية ؛ ولكن لأنهم
دعوة سرية فلم يظهر منها شيء . الا أن هذه الدعوى ستموي قبل
ان تقوم ؛ وذلك حينما تصطدم بالتراث الباطني نفسه قبل غيره ، لأنه
لا يمكن تصور وجود السر المطلق في هذا العالم الا شيئا لم يجرأ ولم
يحدث ؛ فحينما اتخذ الباطنيون السرية المنظمة منهجا صدر عن ذلك

رد فعل معاكس قاده المؤرخون وأصحاب المقالات والفرق بين منتقد
لها ومخبر عنها في زمنها الذي حدثت فيه أو بعيدة ، ولو كانت السرية
منذ أيام على لأشير إلى ذلك ولكن له صدق عند الغلاة وعند الذين
تحدثوا عن فرقهم من غيرهم وجلهم أضداد وأخصام للدعوة الباطنية
ولهذا فقد يزعم الباطنيون أن الأخصام لا يفيدهم الحديث عن وجود
دعوة باطنية أيام علي ، فهو حجة عليهم ، هنا نتفحص كتب الباطنيين
أنفسهم وخاصة ما ظهر منها في فترة الأئمة المستورين أي ما بين منتصف
القرنين الثاني والثالث ، وتأتي " الرسالة الجامعة لرسائل أخسوان
الصفا " النموذج المناسب لذلك ، ففي هذه الرسالة ^{أن} تكشف السرية
المنظمة شيء جديد في البيئة الفكرية عند الاسلايين . صحيح
أن هذه الرسالة حاولت تكوين قاعدة مثالية للسرية المنظمة ، إلا أننا
بكل ثقة نستطيع القول ان " الرسالة الجامعة " كانت تقدم لنا
هذه السرية باعتبارها شيئاً جديداً غير معروف من قبل ، كما يدل على
ذلك النسخ التالي وهو مقتطع من الفصول المعنونة " برسالة الدعوة
إلى الله " من الرسالة المذكورة ، يقول النص :

قد قلنا لك في الرسالة ، رسالة الدعوة : ان لنا
كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ، ولا يطلع على حقائقها
سوانا ، ولا يعلمها الناس إلا من قبلنا ، ولا يتعلم قراءتها
إلا من علمناه ، ولا يعرف صور حروفها إلا من عرفناه
وهي صور الموجودات بما هي عليه الآن ظاهرة للحواس ،
مرئية للناس ، وهي آيات بينات ، هم عنها معرضون ،
منها حركات الأفلاك الدائرات ، والكواكب السائرات
وأركان الأمهات ، وفنون أشكال النبات وعجائب هياكل

الحيوانات • ولنا علم آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه
سوانا ، وهي معرفة جواهر النفوس • • • • • وقسود
أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة ، الذين عمتهم
دعوة الأنبياء • قوما يدعولهم اليانا ويدلونهم علينا
ويعرفونهم بقدمونا • ويعدونهم بظهور أمرنا • وخروج
مهدينا • وقيام قائمنا • وطلوع شمسنا • وخروجنا من
كهفنا • فاذا كان ذلك كذلك • فيجب لنا أن نبتهدي
ونأخذ في بناء المدينة التي تضم شملنا • وتجمع
جملتنا • ونتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا
ومن استجاب اليانا • وطرا بأمرنا علينا • وقد وصفناها
لك • وعرفناك كيفية بناءها •
١

من ذلك يتضح لنا أن السرية المنظمة لم تكن مذهب الأئمة من
أهل البيت ، فضلا عن أن تكون أسلوب الأنبياء والمرسلين منذ آدم
بل هي مجرد فكرة بشرية ظهر بها الباطنيون ، حتى ولو ادعت
الرسالة الجامعة نفسها أن العلم الباطني علم الأنبياء • • • • • فلو كان
الأمر على هذا الزعم ما اضطرت الرسالة المذكورة الى تقديم السرية
كما فعلت • ولكان الكتاب الذي يفترض فيه أن يقدم السرية على هذا النحو
قد ظهر الى الملاء في عصر أسبق من عصر الرسالة الجامعة • وهذا
لا يمنع من الإشارة الى وجود السرية بشكل آخر عند السبئيين (ر. ص ٤١)
٢
والتوابين •

١. الرسالة الجامعة ص ٥٢٦ ، ٥٢٧
٢. انظر: مصطفى الشكعة • اسلام بلا مذاهب ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩ هـ
ص ١٧٦ •

ومن جوانب السرية ، أن الباطنيين جعلوا الناس صنفين ؛

١- صنف " العامة " وهي اصطلاح شيعي المقصود به غالبا أهل السنة والجماعة " ، والعامة لا يستحقون العلم السري الباطني ، لحدث روه في ذلك عن رسول الله (ص) أنه قال :

لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمسحوها أهلها فتظلموها [كذا] ^٥
وروا عن جعفر بن محمد أنه قال :

" رحم الله أمرا أحيأ أمرنا " . قيل يا ابن رسول الله وما أحيأ أمركم ؟ قال ذكره ونشره وتبليغـه من لم يكن بلغه " .

١٠ يريد به أولياء المستحقين لذلك .^٢

*
وعليه فقد فسروا قوله تعالى : (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ان المقصود ^٣
بالناس : الذين أنسوا الى الحكمة والتزموا بطاعة الحدود والأئمة .

وهذا يتلاءم مع ما قيل من أن الباطنيين يعتبرون " المسلمين " حـمـيرا وأنهم " الامة المنكوسة " ، أو الخلق المنكوس وفي " اللفت الشريف " ^٢
١٥ نجد أن غير الباطنيين انما هم من ذرية الشياطين ، وكذلك يعتقد الداعي أبو فراس : أن أهل الظاهر أو القشـريـين - نسبة الى القشـر لتمسكهم بقشور الاشياء أى ظواهرها - مما يمكن أن يسمى شيطانا لأنه

١. الأنوار اللطيفة : (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٢٨
* آل عمران ١٨٧
٢. انظر: ابن أبي الفـضائل . كشف أسرار الباطنية ، (عزت العطار) - القاهرة ، ص ١٥
وانظر أيضا : قواعد عقائد آل محمد ص ص ٤٨ و ٩٥ وانظر أيضا مخطوطة رسالة لبعض الأفاضل ، عقائد تيمور ، ٤٨٤ ، ص ٢٤
٣. انظر: ص ٨٤ في قصة تزويج علي ابنته من عمر بن الخطاب .

١. سيصير شيطانا بالفعل وهو الآن شيطان بالقوة .

ان اليهود يسلكون هذا المسلك في نظرتهم الى سواهم من الامم :

لان هو لاء تشتق نفوسهم من الشيطان [Jolk. Chad. f. 221, 4]

[Schefer, t. f. 4, 2; Menachem p. 53]

وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد [Jolk. Chad. f. 154, 2]

ولهذا يقول التلمود : ان زرع الرجل غير اليهودي

هو زرع حيواني [Tr. Jeham, f. 94, 2. Tos.]^٢

وهذا مشهور عن اليهود فالتلمود يقول أيضا :

ان كلام التوراة " ليس في الله غضب " اشعيا

*

٣٧ - ٤٠ يلائم اليهود وان كلام التوراة " اني

**

أهجم عليهم " يوافق شعوب الأرض . [Aboda, S. f. 4, 1.]^٣

وانا عدنا الى التفسير الباطني لقوله تعالى : (لتبيننه للناس) يتضح

لنا مدى التشابه بين كلمة " الضد " في الفكر الباطني وكلمة " الخويم "

عند اليهود وان مثل هذا التأويل هو الذي اعتمد الباطنيون عليه فـ

مسألة السرية ،

٢- الصنف الثاني من اصناف الناس عند الباطنيين هم المستجيبيون

لمذهبهم والمؤمنون به وهؤلاء ايضا لا تباح لهم العلم الباطنية الا بطريقة

التدريج (ر. هـ ٣٢٦ فما) البطي . وبدوا كثيرا من الباطنيين يعيشون

طوال حياتهم وهم لا يعلمون شيئا عن حقائق مذهبهم الا انه مذهب الائمة

٢٠ الصادقين من اهل البيت وهذا مكن من مكامن خطورة هذه الدعوة .

١. انظر: كتاب الايضاح (عارف تامر) ص ٣٥ .

٢. همجية التعاليم الصهيونية ص ١٢٧ و ١٢٨ ، والهوامش في ص ١٢٩

* لم أجده كذلك والاصحاح ٣٧ ليس فيه الا ٣٨ عبارة .

** لم أعر على هذه العبارة بهذا اللفظ .

٣. همجية التعاليم الصهيونية ص ١٤٣ والهوامش ص ١٤٧ .

ان السرية التي تعلف الفكر الباطني أكثر مما يتصور المصورون ،
فعلى سبيل المثال ؛ ان كتابا باطنيا خاصا بعلم الحقائق - السني
هو أشد سرية من علم التأويل الباطني - وهو كتاب " حياة
الأحرار " فجده بعد أن تكلم في كثير من المسائل الباطنية
التأويلية بما ليس في أكثر الكتب السرية التي اكتشفت في هذا
العصره فجده بعد ذلك يقول :

واذا شاء سيدي محمد وسيدنا جعفر
وسيدنا سليمان لوَّحنا بحقائق الأسرار في
غير هذا الكتاب العظيم الشان .^١

١٠ وعلى ذلك فان على الباحثين الكثير من الجهد والوقت حتى يتعرفوا
على حقيقة الفكر الباطني .
الوسائل السرية الباطنية :

ان للسرية عند الفرق الباطنية وسائل شتى لتداول المعلومات
الخطيرة التأويلية بين أفراد الطائفة بحيث لا يطلع الغرب على
المقصود مما هو مكتوب اذا كان مكتوبا . الا أن الأسلوب الشفهي بطبيعة
١٥ الحال يظل أكثر أساليب الباطنيين أعراقا في السرية .

٢٠ - الطريقة الشفهية : ان بعض المعلومات والأسرار الباطنية
لا يطمئن الدعاة الى تسجيلها على القراطيس حتى مع الأخذ بكافة
المحاذير ، وحتى لو وثق فيمن سيقروها ، من ذلك أن داعيا مجهولا
سئل فأجاب ، سائله بما يأتي : -

وسالت الاجابة عنها وهي ايها الأخ تقتضي
 جوابا من زيد الحقائق المصونة وسرائر الحكم
 المكنونة ولب الفوائد المخزونة وأنا أتحقق
 أنك أهل لأن تطلع على ذلك ، وحقيق بشأن
 تخص بفضل ما هنالك الا أنه مما لا يودع بطون
 الاوراق ، ولا يجب أن يرمى من العيون الشحيحة
 بالأحداق صيانة له من ابدائه وبذله وخوفا عليه
 أن يقع الى غير أهله بل يجب أن يكون قرطاسه
 الاذان الواعية وقله اللسان المترجمة عن جواهرها
 العاليه ، لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة
 في انارة صورتك كتبت لك هذه الاوراق .

وفي موضع آخر يقول لسائل آخر :

وقد كشفت لك هذه الجوابات [؟] ما لم يكن
 يجب كشفه الا من لسان الى اذن .

وفي ثالث يقول :

فتصفحتها فوجدت أكثرها مما لا يجب ايراده في
 المكاتبات ولا ركوب حتف الخطر معه في المراسلات .

وفي كتاب باطني لحاتم بن حسين الحامدي (٥٩٦ -) نجده يقول لسائل :

ولأسباب آخر لا يجب كشف ذلك

ويقول :

وجواب ذلك لا يكون الا من لسان الى اذن .

ويقول :

وفيه جواب ثان ليس هذا موضعه .

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ص ٥ ، ٦٤ ، ١١١

٢. زهر بذرة الحقائق (عادل العوا . منتخبات اسماعيلية) ص ١٦٦ ، ٦

يرد هنا احتمال أن بعض الدعاة قد يستعمل هذا الأسلوب ليستحوذ
على فكر السائل وليجعله يهتم بما يُلقى إليه من أجوبة ؛ ولكن امتناع
الدعاة عن الاجابة على السؤال يؤكد بالاضافة الى صحة الاحتمال
السابق أن هناك بعضا من الأسرار لا يتناقلها الباطنيون الا شفاهاً ،
كما توحى النصوص ويدل عليها أيضا النص التالي :-

وأما سؤاله عن الأبيات الملعونة ؛ فقد تقدم
جوابها شفاهاً وان الإشارة فيها الى المجمع . فاعلم
ذلك .

ان هذه الطريقة - الشفاهية - عرفت عند اليهود وهي عن
تلك القوانين التي : سموها القانون الشفهي ، زاعمين انه حيث أن موسى
لم يكتب هذه القوانين فلا يجوز لأحد كتابتها ،
وكان الحاخامات يتناقلونها سرا من جيل الى جيل .

وهذا " القانون الشفهي " هو الذي كتب فيما بعد وسمي " التلمود " .
ولكن هل توقف الأسلوب الشفاهي عند اليهود بعد كتابتهم " التلمود " ؟
والجواب هو ؛ كلا لم يتوقف ذلك مما يدل على أن بعض علومهم باطني
سري ؛ وفي ذلك يقول فيلسوفهم الشهير ابن ميمون (- ٦٠٢) :

ولا يطلبني النبيه ولا تتعلق آماله بأنا اذا ذكرنا
غرضاً ما أننا نتمه ، أو اذا شرعنا في تبیین ، معني
مثل من الأمثال ، أننا نستوفي جميع ما قيل في ذلك
المثل ، هذا لا يمكن عاقلاً فعله بلسانه لمن يحاوره
فكيف أن يضعه في كتاب ؟ لئلا يصير هدفاً لكل

جاهل يظن به العلم . . .

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ص ١٣٦
٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٠ نقلاً عن دائرة المعارف اليهودية .

وبيّنوا قولهم "حكما اليهود : ولا تعطى قصة
 الأمر " لكل أحد مالم يكن حكيما ويفهم بنفسه ،
 فحينئذ شعطى له رؤوس الفواصل [انظر : التلمود
 البابلى : حجيجة ١١ / ب ١٣٠ / ١] فلا تطلبني
 هنا غير رؤوس الفواصل اذ غرض [كذا] أن تكون
 الحقائق تلوح منها ، ثم تخفى [كذا] حتى
 لا يقام الغرض الالهي الذي لا يمكن مقاومته
 الذي جعل الحقائق الخصيصة بادراكه خفية عن
 جمهور الناس . قال : سر الرب لمتقيه [المزمور
 ١٤ / ٢٥] ولو بين أحد تلك الأمـ^١ـور
 كلها في كتاب لكان قد فسر لآلاف الناس .

ان نهج اليهود للأسلوب الشفاهي ظهر في بعض نصوص التلمود ،
 فحين اكتشفوا فيه ما يجب أن لا يطلع عليه سواهم ؛ قرر المجمع
 اليهودي في بولونيا سنة ١٦٣١ م بالاجماع حذف العبارات التي تهـ^٢ـمين
 الأغراب واستبدالها بدوائر هندسية أو ترك مكانها خاليا من أي شيء ، وأن
 التعاليم التي تسب المسيحيين لا يصح نشرها الا شفويا في مدارسهم .
 وفي الكتاب الباطني " زهر بذر الحقائق " ذكر محققه أن فراغا كبيرا
 بين عبارتين وجدته في النسخة الأصلية للكتاب .^٣

ان هذه الظاهرة التي وجدت في التراث الباطني ، توضح لنا الى
 جانب مدلولها ذي المرامي المعينة ذات العلاقة بالدعوة الباطنية ، أن

* الذي وجدته في العهد القديم في نفس المكان : سر الرب لخائفه
 انظر : الطبعة العربية ١٩٧٨
 ١. دلالة الحائرين ص ١١
 ٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ٩٨
 ٣. انظر : هامش ص ١٧٥

ليس الموجود في بطون التراك الباطني هوكل شيء حتى لو افترض
أن نشروا كامل تراثهم وهو مستحيل لأن السرية جزء أساسي تعتمد
عليه الدعوة الباطنية ، وهذا يصدق على اليهود أيضا .

الكتابة السرية :

من الوسائل الباطنية في تحقيق سرية دعوتهم كانت وسيلة الكتابة
السرية التي اعتمد الدعاة فيها على نقل معتقداتهم السرية الى أتباعهم
وهي طريقة باطنية قديمة ، وقد اشارت الرسالة الجامعة الى وجود
كتب سرية مكتوبة بها . كما ذكر القاضي النعمان قصة توضح لنا
بعض المعلومات عن تلك الكتابة وحروفها ؛ يقول القاضي النعمان
أنه سمع المعز لدين الله يقول : -

دفع إلى المنصور بالله [أبوه] . . . كتابا
بخط المهدي فيه حروف المعجم بخط كان الامام
قبله يكتب به الدعاة . فقال المنصور بالله (ع) انقله
بخطك . وقد كان عرفني معناه . ثم قال لي :
لما أزمع القائم (صلح) على الخروج الى المغرب
جمع ولده وأنا فيهم فقال : أنتم ترونني وما أخرج
عليه من هذه العلة ، ولا أدري ما يكون من أمر الله .
وهذا قلم يتوارثه الائمة يكتبون به أسرارهم ، ويأمنون
وشرحه تحته يكون عندهم . فما كتبت به اليكم عرفتموه
وما أردتم ستره كاتبتموني به .

فقال المنصور : فقال لي أحد الاخوة سرا :

هذه أ ب ت ث عرفناها ، فكيف نكتب بذلك ؟ فغمزته
وقلت له : أسكت ويحك ! اذا عرفت هذه الحروف
فما بقي عليك ؟ (قال) فنظر القائم إلى فقال : ما قال
لك ؟

قلت : شيئا ذكره يامولاي . وطارحته الحديث .
وبادر المتكلم فذكر له ما ذكر لي ، فتغير وجه القائم
... وقال : انا لله على المصيبة بكم ، وأنتهزنا
وأخرجنا من بين يديه ولم يمكنني أن أعذر عنده ولا أضيف
ذلك الجمل إلى قائله .

فخرجت ، فوقفت من وراء الباب فسمعتة يقول لبعض
الأهل : خذي هذا الكتاب فمن سألك من هؤلاء إياه
فادفعيه إليه . فسرت بذلك ، فلما خرج سألتها
الكتاب فدفعته إلي ، وهو عندي إلى اليوم .

قال المعز عليه السلام : فأخذته فنسخته كما أمر .
ثم دفع إلي بعد ذلك خطا يشبه حروف ذلك الخط
فإذا اعتبرت لم يبين عن كلام صحيح ، وقال لي أنظر
في هذا واستخرج ! (قال) فأخذته منه فمكت أياها
أتدبره ولا يفتح لي فيه شيء وأنا من الغم بذلك
فيما حال بيني وبين النوم والطعام والشراب .

ان ما يدل عليه النص ، توارث الكتابة السرية وحروفها بين الأئمة الباطنيين
كما وضع النص وجود كتابة سرية خاصة عن الكتابة السرية التي تعلمها

المعز العبيدي من قبل ورغم ذلك فإنه لم يستطع معرفة الكتابة السرية الخاصة رغم أنها بنفس الحروف الرمزية ، مما يعني أن ترتيباً آخر لتلك الحروف يغير مدلولها أمعانا في السرية ، وهذه الطريقة نفسها مما ورد ذكره في الرسالة الجامعة ،

- ٥ ان الحروف الهجائية السرية في الفكر الباطني ذات أشكال مختلفة حُفِلت بها كثير من كتب الدعوة الباطنية السرية ، وقد سبق ذكر نماذج منها في الفصول السابقة ، ولعل التي وردت في الرسالة الجامعة منها هي الأقدم ^{من بين ما} سيعرض على القارئ الكريم . وتشابه الحروف السرية في (أربعة كتب اسماعيلية) الذي نشره "شروثمان" مع التي وردت في مخطوطة (كتاب الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمنى) ومع التي وردت في (مخطوطة حياة الأحرار لداعي مكرمي مجهول) .
- ١٠

٢	٤	٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠
٤	٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢
٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤
٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦
١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨
١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠
١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢
١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤
١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤	٣٦
٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤	٣٦	٣٨

شكل الحروف السرية كما وردت في الرسالة للجامعة ١

///

٢	٤	٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠
٤	٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢
٦	٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤
٨	١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦
١٠	١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨
١٢	١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠
١٤	١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢
١٦	١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤
١٨	٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤	٣٦
٢٠	٢٢	٢٤	٢٦	٢٨	٣٠	٣٢	٣٤	٣٦	٣٨

شكل الحروف السرية كما وردت في "أربعة كتب اسماعيلية" ٢

////

١. أنظر: مصطفى غالب . الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ص ٢٣٨

٢. أنظر: ايفانوف . أربعة كتب اسماعيلية ص ١٧٨

التلغيز

من وسائل السرية في الدعوة الباطنية أن يقصدوا توضيح شيء فيلغزوا اليه بمعان تعمى على من ليس له اطلاع على فكرهم كقولهم " البيت لاحق برب البيت " ، ولم يستطع الباحث التوصل إلى المعنى المقصود بهذه العبارة إلا أنه قد يعني المقاد بالمعنى الباطني لأنهم يعتقدون أن النفوس الجزئية تلحق بالنفس الكلية ، والأدنى يلحق بالأعلى والأعلى هو الرب ، وأن مخطوطة (حياسة الأحرار من الكتب التي قد تشبع فهم الباحثين حول التلغيز عند الباطنيين ذلك أنه شرح لقصيدة شعرية ملفوزة مطلعها : -

لم أهلك دائر عرصة الزوراء * * لم أعف دائرها بسمراء
بعد الأنيس بها كمال يلهني * * فيها نعيم وهى غير خلا

وفيها يقول :

من عبد مولاه رهن جداره * * وغرابه ذو صبغة سوداء
فالمولى والسيد في الظاهر هو عبد المؤمن الطاهر ولو كان العبد
المؤمن في رقه .^٢

وفي نفس الموضوع نجد في مرجع باطني آخر :

قال سيدنا جعفر بن منصور (قس) : وقد ذكر
في بعض التواريخ والسير أن الله لا يقبل توبة نبي
ولا . . . إلا بولاية علي بن أبي طالب (ع) . ومن
أتى بغير ولايته ، أسقطت نبوته . . . لأنه (ع) مجمع
الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار إلى قيامه (ع)

١ انظر : زهر بذرة الحقائق (العوا . المنتخبات) ص ١٧٤
٢ المخطوطة المذكورة : ق ٤٣ ، ق ٦٤ .

ومن هذه الجهة والحالة، صح قول الداعي

* "عبدان" (قس) : ان الجمعة على خدمة

المولى لعبده في هذا الدور، لأن أصحاب الدعوة

الظاهرة في الأدوار الماضية الذين هم أولاد اسحق

(ع) كانوا حججا ودعاة وخداما لأرباب الدعوات

الباطنة الذين هم أولاد اسماعيل (ع) واجتمعت

أولاد اسحق عند ناطق الدور (ص) وجب في

مزية عدل الله تعالى خدمة أمير المؤمنين لمحمد

(ص) قضاء بما سبق من خدمة أولاد اسحاق

... لأولاد اسماعيل ميزان العدل قائم، وهذا

معنى خدمة المولى لعبده .

من النصين السابقين يمكن الوقوف على اسلوب التلغيز بالمعاني السدي

يسير عليه الباطنيون في دعوتهم، وكلا النصين يتحدثان عن موضوع

واحد بمعاني ملغوزة ليس المقصود بها الا تفضيل علي بن أبي

طالب على سيدنا محمد (ص) كما أوضحه النص الثاني منهما .

وفي الفكر اليهودي نجد "ابن ميمون" يقول :

واعلم أن الأمور الطبيعية أيضا لا يمكن التصريح

بتعليم مبادئها على ما هي عليه . وقد علمت قولهم، عليهم

السلام : ولا تعطي قصة الخلق لاثنيين معا ولذلك

جاءت تلك المعاني أيضا في كتب النبوة بأمثال، وتكلموا

[؟] فيها أيضا الحكماء عليهم السلام بالفارز وأمثال اقتفاء

لأثر الكتب .

* أحد دعاة القرامطة الأول أيام حمدان قرمط . أنظر : ابن النديم . الفهرست

، القاهرة ، المكتبة التجارية ، د . ت ، ص ٢٨١ وأنظر : www.von-smaili-literature.pl

١. الأنوار اللطيفة : (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢٦

** الاضافة من المحقق .

٢. دلالة الحائرين ص ١١

وجاء في التلمود :

كلما كان من الخطر التحدث عن شيء ، بصراحة

تكلم عنه تحت ستار علامة معروفة لدى المخاطبين
أم
وحدهم .

ولا يعلم الباحث بعد هذا ما هو الغرض من دين يتعامل بالالغاز
والسرية اذا كان هدف الدين هداية الخلق الى الصراط المستقيم .

٢- التدرج في الدعوة الباطنية :

ان النظرة التي سار عليها الباطنيون في مسألة التدرج ذات قيمة
لديهم لاتقل عن قيمة السرية التي اشير اليها آنفا .

والمتصور ، التدرج في الفكر الباطني هو عدم اعطاء العلم الباطني
دفعة بل اعطاءه للشخص على جرعات منظمة ترفع المستجيب شيئا
فشيئا . وقد يصل الى الدرجات العالية وقد يموت قبل أن يصل اليها
وهو ما يحدث غالبا .

والتدرج بعد ذاته يذكروا بالتقديس الباطني لرقم ٧ (ر : ص
التسبيع) ذلك لأنهم يتدرجون في الدعوة على ذلك الترتيب كما
سيأتي من قول الداعي الكرمانلي (ر : ص ٣٤٨) وذكر الغزالي
وغيره أن مراتب الدعوة الباطنية تسع :

أولها الرزق [كذا] والتغرس ، ثم التأنيس ،

ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس

ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ .

١ . التلمود : اعداد محمد صبري ، القاهرة مكتبة مدبولي ، د : ص ٢٦

٢ . فضائح الباطنية ، ط ٢ ، (عبدالرحمن بدوي) ، الكويت ، دار الكتب
الثقافية ، ١٩٦٤ ، ص ٢١ وانظر أيضا : الديلمي . قواعد عقائد
آل محمد ص ١٤

وقد دافع الداعي علي بن محمد بن الوليد (- ٦١٢) عن الباطنية
وأنها لم تقل بهذه المراتب التسع.

ومن قصة دخول الداعي جعفر بن منصور الهمسن هذا المذهب ما يدل
على أن فيما ذكره الغزالي شيئاً من الحقيقة، ولأهمية هذه القصة ففي
الاحاطة بنظام التدرج في الدعوة الباطنية ، فلا بأس من إيرادهما
كما نقلها الداعي القاضي النعمان ، ففيها بالاضافة الى ما ذكره تسجيلاً
لما يمكن اعتباره بداية مكتوبة لتاريخ الدعوة الباطنية :

قال أبو القاسم الحسين بن فيح بن حوشب بن زانان

الكوني [- منصور الهمسن] ، -

- ١٠ ... خرجت الى الفرات - أو قال دجلة - واني
لأمشي على النهر ان حضروقت الصلاة فتوضأت
وصليت ، وجلست مفكراً فيما كنت فيه ثم أخذت فسي
قراءة القرآن . فافتتحت سورة الكهف ، فاني لأقرأ
فيها ان أقبل شيخ ومعهم رجل لا والله ما نظرت
عيني قبل ذلك الشيخ الى أحد ملاً قلبي هيبة منه ،
١٥ ونزل ناحية ، وجلس الرجل بين يديه بعيداً مني .
فقطعت القراءة لهيبته ، وقيت أنظر اليه ان أقبل
غلام يمشي في مشيته . ففكرت في ذلك ،
عليه أجلاً للشيخ ، فلم يلو علي . فقلت من أنت
فقال : حسيني . فاستعبرت . قلت : بأبي الحسين
٢٠ (صلوات الله عليه) المضح بالدما . المنوع من هذا

* انظر مقدمة تأويل الدعائم ج ١ للمحقق محمد حسن الأعظمي ، ص ٢٢
١. انظر : مخطوطة دافع الباطل وحف المناضل ، مكتبة جامع صنعاء
الفريية ، غير مرقمة ، ص ٢٣ .

الماء . فرأيت الشيخ نظر إلى عند ذلك . وتكلم

الرجل الذي بين يديه كلاما لم أفهمه فقال لبي

الرجل : تقدم إلينا رحمك الله فقمنا إليه حتى

جلست بين يدي الشيخ ، فرأيت دموعه تسيل

على لحيته - أظنه عند ذكر الحسين (صلوات الله عليه)

وقال لي : من أنت الذي تذكر الحسين بها ذكرته ؟

قلت : رجل من الشيعة . قال : ما أسك ؟ قلت :

الحسن بن فرح بن حوشب . قال : أعرفك أمك مسن

الشيعة الاثني عشرية . قلت : نعم . قال : فأنصت

على ذلك ؟ فسكت . قال : تكلم ! فأننا من اخوانك .

قلت : كنت فيمن كان على ذلك الى أن بطل الأمر

في أيدينا ، وما أخرجني الى هذا المكان الا ضيق

صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض لي ، قال : أرى فيك

نباهة ، وقد سمعتك تقرأ ثم قطعت القراءة ؟ قلت :

والله - أيدك الله - ما أسكنني الا هيبك . قال :

فأقرأ كما كنت تقرأ ، فابتدأت من حيث وقفت حتى بلغت :

(فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) فأوصي^{بيده} / الي^{بيده} أن

أسكت . فسكت فقال : أنت ممن يقول بالعدل

والتوحيد ؟ فقلت : نعم ، هو مذهبي ، قال : فمن

أي وجه العدل أن تقتل نفس زكية بغير نفس -

الآية الى قوله : (فخشنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا)

فسكت . قال : قل . فقلت : ماذا أقول ؟ واللـه
لكاني ما قرأتها قط واثني الي علم الوجه في ذلك
لفقير ، فان رأيت تعريفي ذلك فعلت . قال : دون
ذلك ستر رقيق . قلت : ترى كشفه لي جعلت

فذاك ! قال : يكون ذلك اذا أمكن انشاء الله (فع)
واخذ في غير ذلك حتى اذا وقف منه على مكان
الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا كل ذلك أسأله
الجواب فيه ، فيقول مثل ما قال . ثم تحرك للقيام ،
فقلت : يا سيدي أحب أن أعرف المنزل ، قال لماذا ؟

قلت : لاقتضا وعدك فتبسم وقال : لعلمنا أن نجتمع
ههنا في الغد ان شاء الله (تع) ، ومضى وتركني .
فلما غاب عني ندمت ان لم أكن تبعته حتى أعرف

مكانه ، وعظم موقع كلامه من قلبي وشغل ما سمعت
منه ذهني ، وعدت فسي غد الى المكان ، وأقمت به
الى الليل . فلم أرا أحدا فاختلفت كذلك وأنا في
الغم بما فاتني منه فيما لا أصفه ، حتى اذا كنت
في حد اليأس منه ، مربّي الرجل الذي كان معه ،
فنهضت اليه وسلمت عليه وقلت : ما فعل الشيخ -

حفظه الله - وقد كان وعدني في غد يوم لقيته معك
ههنا ، واني لمتروك من يومي ذلك الى وعده ؟ قال :
لو وعدك ما أخلفك ، ولكن لم يكن في مخرج قوله
وعد ثابت . قلت : فأين لي به ؟ فوالله ! لقد شغل
قلبي ما سمعت منه . قال لي الرجل : اجلس فتحادث

قليلًا . فجلسنا فإذا الرجل معه علم كثير . فطارحت
 عليه ، وأراد القيام والمسير ، فقلت : والله لا
 أفارقك أو تكشف لي هذا الأمر ، فما زلنا حتى
 أخذ عليّ العهد وعرفني أن الشيخ هو امام
 الزمان ، وفتح لي من المعرفة كثيرا ، وعرفني
 الموضع وجمع بيني وبين الامام . وكان يخصني
 ويقربني ويرمز بقرب الأمر ، ودنو العصر ، ويقول
 في كثير من كلامه : " البيت يمانى والركن يمانى
 والدين يمانى والكعبة يمانية ولن يقوم هذا
 الدين ويظهر أمره الا من قبل اليمن .

إذا قرأنا النص السابق وجدنا فيه ما يقارب تقسيم الغزالي لمراتب
 الدعوة الباطنية ، وهو نص باطني يؤرخ لفترة قديمة من تاريخ " الدعوة
 الاسماعيلية الباطنية " .

ومهما يكن الأمر فلا خلاف بين ما ذهب اليه " الغزالي " من قوله
 بالمراتب التسع من حيث المضمون وبين من قال بأنها سبع مراتب
 مثل : " محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني " (- أواسط القرن
 الخامس) ، وأحمد بن يحيى المرتضى (- ٨٤٠) ، وما قال دعائهم
 في التسييع كما سيأتي (ر : ص ٣٤٨) والمقصود الى جانب ما يفيدنا
 في معرفة التدرج أنه ليس اسلامي المنشأ ، لأن أحدا من المسلمين
 لم يقل بالتدرج على هذا النحو .

١. افتتاح الدعوة ص ٥ - ٨ وانظر : كشف أسرار الباطنية ص ٢١
 - ٢٣

٢. انظر : كشف أسرار الباطنية ص ١١ - ١٦
 * انظر : ترجمته في الحبشى ، ص ٨٣ ، في اليمن ص ٨٣
 ٣. مخطوطة المنية والأمل ، ق ٣٨ ب

وقبل التعرض لمراتبهم السبعة لابد من إعادة القول بأن كل من خالف دعوتهم " ضد " لهم كما يرون . وهو المطلوب لاستجلابه لهذه الدعوة يقول " محمد بن مالك " الذي دخل مذهبهم وخرج منه :
انهم يبدؤن بتخيير المخالف بالملاحظة السريعة

- من حيث لا يشعر فاذا وجدوا فيه مطمعا فانهم
يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام .
كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر
من سنة يمحنتون به وينظرون صبره ويتصفحون أمره ، ويخدعونه
بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرفة وأقوال مزخرفة
ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرقون الكلم
عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والاعجاب
بجميع ما يعملونه والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ :
اكشف عن الأسرار ولا ترض لنفسك ولا تقتنع بما قد
قنع به العوام من الظواهر . وتذهب القرآن ورموزه والعرف
مثله ومثوله .

- وليس الذي ذكره ابن أبي الفضائل هذا ببعيد عن أسلوب دعوتهم
اذا أعدنا الى مصادرهم التي نتحدث عن ما ذكره بأسلوب آخر حيث يسمون
ما أشار اليه ابن أبي الفضائل بقوله (فاذا رأوا منه الانهماك) " بالمكاسرة " ^٢
وهي أولى مراحل التدرج في الدعوة الباطنية وهي مهمة الداعي المكاسر
ويقولون انه :

- المعلم الصادق المتولى لمكاسرة اهل الظاهر

١. ابن مالك . كشف أسرار الباطنية ص ١١ ، ١٢

٢. انظر : القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ص ٩

فكسر عليه [أي على المستجيب] شوقه إلى الدخول

في دائرة أهل الحق .

وقد عرف " القاضي النعمان " المكاسرة بأنها تعامل بين الداعي والمدعو
للمذهب الباطني حتى إذا :

٥ كوسر ونوظر بمذهب الحق فانكسرت حجته وبطلت
لظهور حجة الحق ولم يجد ما يدفعها به ولم يبق
له إلا أن يوخذ عليه ميثاق دعوة الحق .

ولمن أراد المقارنة فليقرأ نص أبي الفضائل مرة أخرى .

إن المخالف الذي وصل إلى هذه المرحلة يسمى باصطلاح الدعوة

١٥ الباطنية : المستجيب ، ومعناه أنه أسلم أمره واستجاب لهذه العقيدة .
يعتبر الباطنيون المستجيب : أدنى حدود دينهم وأضعفها وأول مراتبها
وهو رغم ذلك أحد أجزاء الصورة الناسوتية للامام (ر . ص ٢٣٨) .

كبي ينضم المستجيب اليهم ويصير شخصاً يعتقد العقيدة الباطنية

لا بد له من شروط تقنع الباطنيين بصلاحيته لما أرادوه له ، وهو ما يتضح

١٥ في قصة ابن حوشب (ر . ص ٣٢٧ ، ٣٣٠) وبعد استيفائه تلك الشروط
يرشحه الداعي لأخذ العهد والميثاق عليه ، وان اكتشفوا عدم
صلاحيته أو تخلى بذاته عن الرغبة في الدخول إلى مذهبهم يتركوه أو أن .
يعود بنفسه .

١. الداعي حاتم . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية)

ص ١١٥

٢. تأويل الدعائم ص ٢٤٨ .

٣. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروتمان . أربعة كتب) ص ٨ ، ٨٨
ورسالة الاسم الأعظم (شتروتمان أيضاً) ص ١٧٤

٤. انظر : رسالة الدستور . للداعي أبي فراس (عارف تامر . أربع رسائل)
٥. انظر : تأويل الدعائم ٢٥٠ / ٣ ص ٦٩ ، ٧٠

أهمية أخذ العهد على المستجيب:

تعود هذه الأهمية الى ما درج عليه الباطنيون من الأخذ بأسباب
الحيطة والحذر خشية وصول عقيدتهم الى المخالفين لهم وبالتالي
كشفها وفضحها .

- ٥ ان الأخذ على المستجيب يعني في عرف الباطنيين تطويق^١ه
من عنقه كما يطوق الخنصر بالخاتم ولذلك سماه الخزالي * حيلة الربط *
ان هذه المرحلة تسمى في اصطلاحات الدعوة الباطنية * حـد
التربية * لذلك يرى بعضهم أن لا تكشف فيها للمستجيب المعارف
الباطنية . ونقل المستجيب من هذا الدور الى الأدوار الأخرى^٢
التي ستفتح له الأبواب الباطنية السرية شيئاً فشيئاً يوضح لنا أهمية
١٠ أخذ العهد عليه ، هذا العهد الذي يمكن اعتباره الباب الموصل
الى علم الباطن . ويوضح لنا الداعي الكرمانلي السبب الذي دعا بهم
الى عملية الأخذ على المستجيب ، فيقول :

انما وجب أخذ العهود والمواثيق من الناس

- ١٥ في دين الله لحالين :

أحدهما : لكي تجب عليهم الحجة من جهة الله

بقبولهم ما يقبلونه من أوامر الله (تع) وبذلهم

القيام بها وان قصروا فيها ، فتكون مجازاتهم بحسب

فعلهم بعد الميثاق .

١. انظر : رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٢٣ وأنظر
فضائح الباطنية ص ٢١ ، قواعد عقائد آل محمد ص ٣٩
٢. انظر : الداعي حاتم . زهر بذرة الحقائق (العوا . منتخبات) ص ١٦٩
وأنظر رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٢٤ .

وثانيهما : لكون الخلاف فيما بين الناس موجودا وامتناع

الأمر في الاطلاع على سرائر الناس فيمنع من كانت

سريره غير الاخلاص لله ، وفي الله . ولئلا يكون من

يعاهد عينا وعدوا فيطلع على ما يدبره الامم أو الدعاة

من المكر بأئمة الدين [كذا] ، فيكون الاستضرار بمكانه

فيما يراد من اقامة عبادة الله (عج) على وجهها

أكثر من الانتفاع به ، ثم ليكون الأمر في الميثاق

الى أمانته بعد الاستيثاق فيستحق بالنقض ان نقض

ما على الناقضين ، وبالفاء ان وفي ما للموفين ، ولذلك

كان الأنبياء يبايعون الناس الذين يجيبون ^١ النبي

دعوتهم . والعهد والميثاق رسم سابق من الله (ثع) .

ولكن قيام الحجة لم يكن في دعوة الأنبياء بأخذ العهد ، والا فان

الحجة لا تقوم على كفار قريش الذين علموا بنبوته محمد (ص) وسمعوا القرآن

وفهموه . والله تعالى يقول : (أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم

النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) وعليه فاننا اذا أخذنا بقول الباطنيين

فلا يكون لمجازاتهم بجهنم أي معنى حيث لم يؤخذ عليهم العهد ، ان

غرض الباطنيين هو تأييد يختلقونه لدينهم بأي دليل كان حتى ولو اصطدم

مع القرآن والسنة وجميع الأفهام والمفاهيم ، وهذا قد اتضح لنا من قبل

ولكن الرد عليهم من هذه النقطة كان لتبيان ضعف السبب الأول الذي اعتبره

الكرماني موجبا لأخذ العهد ، وليس بمستبعد أن يكون وضعه في ذلك

المكان لمجرد صرف الكلام باستعمال الألفاظ المزخرفة ، وعلى ذلك فان السبب

الثاني هو المقصود ولكن على وجه آخر كما سيتضح :

١. نقلا عن مجموع رسائل الكرماني . الرسالة الكافية ص ٤١١ انظر ذلك في

المجالس والمسائرات هامش ص ٥٤٧

* فاطر ٣٧

- يطيب للباطنيين أن يصوروا أنفسهم في مكان المجهور والمظلوم والمعتدى عليه تبريرا للنهج اتخذوه لأنفسهم وأعني به " التأويل الباطني " والاخذ بالسرية المطلقة في تنظيم الدعوة . . . الخ . كما يوحى بذلك نص الكرماني السابق . وقد سبق نص باطني آخر يقول ان أول من اتخذ السرية في الدعوة كان آدم عليه السلام (ر . ص ٣١٠) . فصارت سنة يقتدى بها ، وفي تحليلهم لغموض تاريخ دعوتهم ، أن سبب ذلك مالا قوة هم وأئمتهم من اصناف الاضطهاد والنفي والقتل منذ وفاة رسول الله (ص) وحتى آخر أئمتهم المستورين . وأن جعفر بن محمد اضطرت الى اخفاء أمر الدعوة الى محمد بن اسماعيل ستر عليه وخوفا من " الضد " .^٢
- كل هذا يوحى بأن للقمع الفكري والاضطهاد والتكليل دور في تكون الفرق الباطنية ، وقد لمح المستشرق (دي بور) الى ذلك في تحليله ظهور الفرق السرية في العالم الاسلامي فقال :
- نستطيع أن نقول ان الجماعات التي تتكون على هذا النحو . . . تتألف عادة في البلاد التي يضيّق فيها على حرية الفكر .^٣
- من الخطأ انكار خطورة القمع الفكري والاضطهاد والتكليل الا أن ما أدعاه الباطنيون ومن تعاطف معهم حول هذه النقطة يحتاج منا الى اعادة نظره لا سيما وأن (دي بور) لم يستطع أن يعلن ذلك صراحة فـي تلميح الذي يمكن للباحث أن يستشف منه عدم اليقين . وعليه فان على من يتصدى لهذه النقطة أن يقف على انتشار المذاهب الفكرية المختلفة أبان

١. انظر : مخطوطة مجالس حاتم ق ٥

٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٠

٣. تاريخ الفلسفة في الاسلام (الترجمة العربية) القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٧ ، ص ٩٦ .

العصر العباسي بالذات وهو العصر الذي انتهج الباطنيون فيه
السرية حين قالوا بالأئمة المستورين .

في هذا العصر مثلا نجد جمعيات سرية في أكثر الدول التي
تقول بتقديس حرية الفكر ، كما هو حال الجمعيات الماسونية وجمعية
الكوكلوكس كلان والألوية الحمراء .

وإذا افترضنا صحة دعوى وجود قهر فكري أدّى الى تكوين الفرق
الباطنية أيام العباسيين فكيف يمكننا تفسير وجود دولة ذات قوة
واقترار وتكون السرية منهاجا لدينها الذي تدين به وهذا هو الحال
السائد في جميع مراحل الدولة العبيدية التي لم تتخل الدعوة
الباطنية فيها عن سريتها ، ففي السجل الذي وُجه الى أحد
الدعاة في تلك الدولة بتهنئته داعيا للدعاة ، نجد الامام العبيدي
يقول في مرسومه :

وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشهد
العقد على كل منقاد ظاهر ممن يظهر لك اخلاصه
ويقينه . . . ولا تلق الوديعة الا لحفاظ الودائع
ولا تلق الحب الا في مزرعة لا تكدي على الزارع وتنج
لفرسك أجل المغارس . . . وصن أسرار الحكم الا
عن أهلها ولا تبدلها الا لمستحقها . . . واستخدم
كاتبنا ديننا أمينا مؤمنا بصيرا عارفا ، حقيقا بالاطلاع
على أسرار الحكمة التي أمر الله بصيانتها وكتماها عن
غير أهلها .

١. محمد عبدالله عنان . الحاكم بأمر الله ، القاهرة ، دار النشر
الحديث ، د . ت ، ص ص ٢٥٦ و ٢٥٧ نقلا منه عن صبح الأعشى

نرى في النص مدى التأكيد على السرية وأخذ العهد كل هذا يحدث من حاكم باطني لدولة مذهبها باطني ولها من السلطان والقوة ما ملكت به الشام واليمن والحجاز ومصر وشمال أفريقيا ، وفوق ذلك تُعيد هذه الدولة اتباعها بأنها ستملك رقاب العالمين وأن خيولها ستدوس بطون بني العباس .^١

٥

ان هذا يجعل الباحث يستبعد تماما أن يكون الغرض من السرية عامة وأخذ العهد على المستجيب خاصة ، هو الخوف من بطش الأضداد . ان الأمر أكبر من ذلك كثيرا لأن الغرض والهدف أكبر من إقامة دولة تنتسب إلى أهل البيت - فقد كان الباطنيون يتسترون خلف دعوى القائم من أهل البيت النبوي - ان الهدف الحقيقي هو هدم الاسلام وإقامة عقائد لا تمت إليه بصلة ، وأن الذي يخطط لهذه المهمة قسوى خفية سرية وقد دل على ذلك من قبل العقائد الباطنية ، وتؤكد هنا أساليب تلك الدعوة ، وهذا ما ذهب إليه كثير من المحققين المسلمين وخاصة "أهل السنة" منهم فاتهموا للأسف بالحق وتشويه الحقائق .

١٥ ان أخذ العهد على المستجيب - في صورته هذه - أسلوب استهوائي الغرض منه السيطرة الكاملة على المستجيب ، فهو "الربط" كما سماه الامام الغزالي ، بل هو كما وصفه محمد بن الحسن الديلمي بقوله :

واعلم ان مثل هذا العهد والدخول تحته الا [؟]

مثل رجل صحيح سليم بصير لاحائل بينه وبين

٢٠ ما يريد رؤيته ، فقال له غيره : دعني حتى أجعل

على عينيك حجابا حتى أقودك الى النجاة فساعدته على

٢

ما أراد فهل أضل عقلا منه .

١- انظر: القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ، (الدرر الراوى) ص ٣ ، ٧٣
٢- قواعد عقائد آل محمد ص ٤١

هذا المثل الذي ضربه الديلمي واقع في المحافل الماسونية التي تجسّد لنا الطريقة الباطنية في التدرج فعندهم يضع " المرشد " - والمرشد اصطلاح باطني معروف يؤدى نفس المعنى كما سيأتى (ر. ص ٣٤٢) - على عيني طالب الانتساب للدرجة الأولى للمحفل الماسوني قطعة سوداء^١ وفي عنقه حبلا ، ويقوده المرشد^٢ لتتم مراسيم الانتماء الى الماسونية (ر. ص ٣٤٤) .

صيغة العهد : ان العهد الذي يأخذه الباطنيون على المستجيب عهد غليظ شديد موثق بالايمان التي تبعده عن كونه مجرد عهد ؛ بل تذهب به الى قيد المستجيب حتى ما يستطيع حراكا وقل أن تخلو كتب الباطنيين من التذكير بالعهد حتى كاد يصبح من مستلزماتها^{١٠} بعد البسطة والحمدلة والتصلية . صوّرت الرسالة الجامعة " العهد على أنه :

العهد الذي أخذه الواحد المنبعث من

الأحد ، الفرد الصمد المنزه عن الوالد والولد

لا اله الا هو . على ثانيه . . . فخذ هذا العهد

الشريف على من أقيمت هذه الرسالة اليه ، ومننت

بها عليه ، ومرت بأخذه على من يهم بالقائها اليه . كذلك

السلف عن الخلف . والأول على الثاني ، حتى تصل

٢ .

الى من أراد الله ويظهر عليها من يشاء من عباده .

١. انظر : محمد علي الزعبي . الماسونية في العراق ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الزعبي ، ١٣٩٥ ، ص ٢٥ ، ٢٦ .
٢. الرسالة الجامعة . ص ٢١ ، ٢٣ .

وأما الداعي الحارثي فيقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله المؤكد وميثاقه
المغلظ المشدد الذي أخذه على أسمائه النورانيين
وصفاته الروحانيين ، وملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين
وأوصيائه الظاهرين وأئمتهم الميامين ، وحدود دينه
أجمعين ، من أهل السموات وأهل الأرضين على كل
من وقع كتابي في يديه وحصل لديه من خاص وعام ،
وعالي الرتبة ودان ، أن لا قرأه ولا وقف عليه إلا بأمر
من ذوي الأمر ، ولا أباحه وبذله وأطلع عليه إلا من
يكون أخانا حقا يرى برأينا ، ويقول في فضل أئمة^١
الحق بقولنا .

والداعي المجهول صاحب " مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق
والأسرار السامية " يقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله تعالى وعظيم الميثاق
الذي أخذه على ملائكته المقربين وأنبيائه المنتجبين
وأئمة دينه الهادين وحدودهم الميامين والا فأنت^٢
بريء منهم أجمعين .

ان النماذج السابقة تشير إلى عهد خاص بالكتاب الذي نقل منه ،
وهي في مجموعها توضح للقارئ الكريم صورة من صور العهد الباطني ، وواضح
فيه أسلوب التهيب والترغيب .

١. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٧٨
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٥

ولا يبتعد أسلوب أخذ العهد على المستجيب عن ذلك كثيرًا ،
لأن الذي يظهر أن الباطنيين أطلقوا الحرية لدعاتهم لاختيار أغلظ
الايمان والمواثيق ، حسب مكان وزمان أخذ العهد ، وتوضح ذلك
الصيغ المختلفة الانفة الذكر للعهد ، وهذا عهد آخر لأحد
الائمة النزاريين المتقدمين :

٥

اقسموا بمولاكم العلي العظيم ، وبالعرش الرفيع ،
والكرسي المنيع الجواد الكريم ، الحاضر الموجود ،
الغائب الغير [كذا] مفقود ، بالامر الالهي ، والابداع
الغير متناهي ، له الملك والقدرة الأبدية ، والكلمة
الازلية السرمدية ، والنفوس الناطقة القدسية ، على
كل نفس بما كسبت ، وما أسلفت ، وبالعهد القديم
تمسكت . لا تكونوا لعهدنا ناكثين ، ولا مرنا غير طائعين ،
لاتبدل النفوس في رضا الملك القدوس ، والخروج
من الحسوس ، والتخلص من العالم المنكوس .

١٠

١٥

فمن بدلها أبعدها ومن باعها أنزلها ، بما له من
النعيم ، مجاورا للرب الرحيم . فيا ربح من باع
ويا خيبة من أضاع ، أنتم اخوان في الرضاع ، تترقّس
نفوسكم بالانصاع ، ومن كفر خسر رضاع ، في دار البوار
الذي ليس له قرار ، والمستغيث منها لا يجار ، من
الكبرياء والافتخار ، والاستماع الى الفجار ، ونعوذ بالله
من الأشرار الذين خسروا أنفسهم فلمم اللعنة وسوء
الدار . ومهما بدلنا [كذا] لكم من عهد فصونوه ، وأودعوه
للمؤمنين يعرفوه من بعد امتحان فأوصلوه ، ولا تدعوه

٢٠

وتتركوه ، فالعهد لأبناء الحقيقة واخوان الطريقة ، المتمسكين
بالعلاء من الخليفة ، والسلام على من اتبع الهدى ، والحمد
لله رب العالمين .

وهذا نص آخر يوضح لنا المراسيم التي تتبعها الفرقة الباطنية النزارية

في أخذ العهد :-

يخلف المرید [- المستجيب] فيقول : أقسم بالله الذي

لا اله الا هو الحي الجبار القهار الطالب الغالب عالم

الغيب والشهادة والنقص والزيادة ، القائم على كل

نفس بما كسبت القوي الشديد الأخذ لها بما ظهرت

وأخبرت ، العليم بما في الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر

الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تفوته

غوامض الأشياء ، الذي من أقسم به كاذبا واستشهده باطنا

[٢] استحق الخزي والخذلان وحلَّ في مقام السخط

والهوان ، وأقسم به ثانيا وثالثا ورابعا كما أقسمت به أولا ، وأقسم

به وبجميع أسمائه الحسنَى وصفاته العليا ، وأشهد ملائكتَه

المقرين وأرواح أنبيائه المرسلين ونفوس الصادقين والصالحين

من عباده العارفين أنني طالب راعب المذهب الاسماعيلي

من خالص اعتقادي وصميم قوادي ، اعتقاد لا يشوب

باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الايمان

وليس لي قصد في هذه الرغبة الا تحقيق أمر الدين ، وطلب

معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الاعتقاد والدخول مع الفرقة

١. رسالة " فرمان مبارك " انظرها في : مصطفى غالب ، سنان راشد الديين

شيخ الجيل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ٨٠

الناجية من الطغيان والفساد ، ومعركة مولانا صاحب
الوقت وامام الزمان ، واني اذا فهمت منه أمرا ، وعرفت
منه سرا أكتمه وأخفيه عن من لا يعتقد كمعتقدي ، ولا
أظهر لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا إشارة
ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وان
أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كُتبت أو نُسيت أو تخلّيت
أو تفكرت أو تموهت أكون كافرا بالله وبرسوله وأوليائه
وملائكته وكتبه ، وأكون محاربا لهم ومكرا أمرهم ومخالفا
قولهم وذابحهم وشارب دمائهم وريثا منهم في الدنيا
والآخرة وخارجا من دين الاسلام والايمان والعروة والفتوة ،
والله على ما أقول شهيد .

فإذا حلف المرید كما ذكرنا بعد تجربة الامتحان
يقرا العرش :

" ان الذين يبایعونك انما يبایعون الله يد الله فوق
أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى
بما عاهد عليه الله فليؤتيه أجرا عظيما " ، وتري الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين "

ثم يفتح عليه المرشد [٢] ويدرجة بين يدي الجماعة
فأول ما يعطيه ، البسطة والتشويق ثم الشهادة الالهية
ثم معرفة الموجودات ثم كيفية الاعتقادات ثم تأويل المعتقد

ثم معرفة مرتبة الامام ثم تحقيق التوحيد ، فهذه
السبعة فصول مع الفصل الأخير ، هي الغاية للدخول
والطريق للوصول .

وللامام " الغزالي " صيغة أخرى للعهد الباطني ، ويميز هذه الصيغة
أن الداعي (= المرشد) هو الذي يقرأ العهد ، وما على المستجيب إلا أن
يقول في النهاية : نعم .

وأورد المقرئ في خطه صيغة للعهد الباطني ، ولكن الباحث لا يرى
أهمية لوصفها لأن الذي يظهر أن فلسفة العهد عند الباطنيين واحدة .

العهد الماسوني : أن الماسونية مثل الباطنية لا تختلف عنها في
هذا الأمر ، فإن لهم في أخذ العهد على المستجيب طريقة لا تختلف
عن مثيلتها الباطنية ، وهذا تسجيل لذلك المشهد : -

أين نحن الآن ؟ هل المحفل [مكان ممارسة الطقوس
الماسونية] مخلق ؟ هل هو محكم الاغلاق ؟ هل تتأكدون
سلامته من غريب ؟ [كذا] ويسمع أجوبة متقاربة ، خلاصتها ،
نحن في محفل سليمان . والمحفل مخلق محكم .

يقدم طالب الانتساب [= المستجيب] طلباً خطياً
على نسختين احدهما للمحفل والثانية للشرق [ربما كان
هذا الاصطلاح يعني مجمع المحافل في المنطقة] مشتملاً
على اسمه وكنيته وعنوانه ومهنته وعمره ، مرفقاً بصورتين شمسييتين
مصدقتين من مختار المحلة ونسختين من السجل العدلي ،
ويستعاض عن هذه ، التركية ، من ماسونيين ، أو من كلي
الاحترام . [ربما كان لقباً ماسونياً] وحده .

١. الداعي شمس الدين الطيبي . رسالة الدستور (عارف تامر ، أربع رسائل)
ص ٧٣ ، ٧٤ .
٢. انظر : فضائح الباطنية ص ٢٨ ، ٢٩ .

ويرفق الطلب بمبلغ لا يقل عما يعادل عشر ليرات
لبنانيه ، وفيه يتعهد الطالب بدفع جميع الرسوم
* قبل التكريس .

يعرض الطلب في الجلسة ، فيجري التداول ، واذ تمت
الموافقة ، حددت جلسة التكريس وأحيط الطالب
علمها بها .

يزور الطالب المحفل بالوقت المحدد ، فيستقبله
المرشد ويدخله غرفة مظلمة (تدعى غرفة التأمل)
مشحونة بالهياكل العظمية ، والجماجم والحيات النحاسية
وعظام ساعدي الانسان أو فخذيته .

ثم يجرد من ثيابه ومما معه من المعادن ، حتى الساعة
والخاتم ويكشف ذراعه الأيمن والجانب الأيسر من
صدره ، وركبته اليمنى . ويكرر صاحب السِّدِّه السؤال
قائلا :

هل لاتزال مصرا على طلب النور الماسوني ، فان أصرّ على
كلمة نعم ، وضع المرشد على عيني الطالب قطعة سوداء
وفي عنقه حبلا ، وأخرجه من الغرفة نحو باب الهيكل
المفلق . ثم ان المرشد يطرق الباب طريقة مزعجة ،
فيقول الحارس الداخلي : من الطارق ؟

* التكريس : هو التأسيس فيقال : كرس البناء . وهو التخصيص . فيقال
كرس الشيء له وكرس نفسه على الشيء ، وقفها عليه انظر :
المنجد . مادة كرس ص ٦٨٠ ط ٢٢ والكلمة غير موجودة في مختار
الصحيح في نفس المادة والكلمة نصرانية دخيلة انظر ط ١٥
ص ٢٢١ سنة ١٩٥٦ .

المرشد : طالب فقير في حالة الظلام ، سبق وطلب
انتسابه ودخوله الماسونية مختاراً ، وهو الآن أت ليكتسب
النور من هذا المحفل الموقر .
الحارس : بم يأمل هذا ؟ .

المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب .

ينقل الحارس هذا للرئيس ، المترشح على السدة - سده
سليمان - فيأمر بإدخال الطالب قاعة الحفل ، يقوده
المرشدان ، ويطوفان به سالكين طرقاً ملتوية . ولا يكاد
يتعثر حتى يقبلا عثرته فوما أن يمر على الصفوف وصاحب

السدة فيسألوا : من هذا وبم يأمل أن يرى النور ؟

ليجيب المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب . حتى
يقولوا مرّ يا حر النسب .

ثم يوقف الطالب بين العمودين ، ويعرض لأسئلة مسنن
الرئيس ، وهذا يختمها قائلاً :

(أنت قادم على امتحان شديد ، ستقسم على الكتاب
المقدس بشرفك وذمتك ، وتوقع بمداد دمك ، فهل
لاتزال مصرّاً ؟ ان معك وقتاً كافياً للتفكير ، ولك حق
الانسحاب قبل القسم) .

أما الطالب فيظهر اصراره ويعلم رغبتة والحاحه ، فيسقيه

الرئيس كأساً من الماء العذب ، فكأساً من الماء المر ولا يكاد
يشمئز حتى يقول الرئيس :

(حياة الانسان معرضة للمرارة أيضاً فعليك أن ترضى

لتكون سعيداً) .

ويأمر الرئيس بمسح يد الطالب بالتراب ، ويركع الطالب على ركبته اليسرى متخذا من اليمين زاوية قائمة ويستعد للقسم واضعا يده على كتاب مقدس (عهد قديم • انجيل • قرآن) وهو موضوع على منصة يعملوه الزاوية والبيكار .

٥

(لقد طال مكوثك في الظلام ، والجمعية التي تحاول الانتساب لها قد تكلفك آخر نقطة من دمك ، فهل لاتزال مصرا على الانتساب) .

فان أجاب : نعم ، قيل له :

— ماذا تتمنى الآن ؟

١٠

— النور .

الرئيس : ليعط النور .

ولا يكاد يرفع الغطاء الأسود عن عيني الطالب حتى يرى سيوفا مسلولة موجهة الى قلبه ووجهه . وفي هذه اللحظة يقول الرئيس :

١٥

(ان هذه السيوف ، للدفاع عنك عند الحاجة ، وللفتك بك ان خنت عهودك ومواثيقك وأقسامك ، والخبيل الذي في رقبتك ، هو لخنقك ان بدا منك حركة أو اشارة تدل على النكث بالأقسام .

٢٠

قبل لحظات كنت أجنبيا عن عشيرتنا وكنا نخطبك ب (الطالب) . . أما الآن فقد أصبحت أخا ماسونيا لك ما لجميع الاخوان وعليك ما عليهم .

ان صيغة العهد والطقوس والتكريس متشابهة لدى الماسونيين
والباطنية كما يبدو للقارئ الكريم من حيث المظهر . كما يلاحظ
التشابه في نقطة أخرى تتضح في نص الزغبي وهي أن الماسونيين
مع اصرارهم التنويه بأن المحفل محفل سليمان إلا أنهم لا يطلبون
من المستجيب الذي سينتمي الى الدرجة الأولى حين يقسم إلا أن يقسم
على القرآن اذا كان مسلماً وعلى العهد الجديد ان كان مسيحياً وعلى
العهد القديم ان كان يهودياً ، وفي هذه النقطة ما فيها لمن تدبره وهذا
معروف عند الباطنيين ويسمونه " البناء على الاعتقاد السابق " . ان كلا
الطرفين لا يطلب من المستجيب التكرار الفوري لما كان يعتقد بل
ان الباطنيين قد يمتحنونه بذلك على سبيل التجربة (ر . ص ٣٣١)
ولكنهم لا يزالون يوحون اليه تدريجاً ان ما كان يعتقد في السابق
لا يتقبل منه كعقيدة وهذا ما يسمونه في الباطنية بالرضاع لأنهم
يلقنونه علم الباطن حتى لا يؤمن بسواه وهو الترتي نفسي الباطن . ومثل
ذلك في الماسونية نجد أنهم يفهمونه أنه في محفل سليمان منذ
اليوم الأول ولكنهم في تكريس الدرجة الثالثة والثلاثين لا يقبلون منه
القسم على القرآن الكريم مثلاً كما هو الحال في تكريس الدرجات الدنيا
بل لابد أن يقسم على العهد القديم .^٢

هناك نقطة أخرى وهي التشابه في التدجج الباطني ومثله الماسوني
بعد أخذ العهد على المستجيبين ، فالباطنيون كما قال الداعية
الكرماني .

١. انظر : الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ص ص ٢٧ ، ٢٨ والغزالي
فضائح الباطنية ص ٢٣ ، وانظر : الداعي القاضي النعمان
افتتاح الدعوة ص ١٥/٩
٢. انظر : الماسونية في العصور ص ١١٩

إذا استجاب الواحد منهم صار مؤمنا ثم صعد
فصار مكاسرا ثم صعد فصار ماذونا ثم صعد فصار
داعيا ، ثم صعد فصار حجة ، ثم صعد فصار
بابا ولا يحصل ذلك إلا الأحاد والأفراد ٠٠٠ وذلك
لمن صابر على العلوم الالهية ورقى في الدرجة
الدينية وكان عنده أيضا شىء من الأسرار القديمة
فبذلك يحوز بهذه الرتب ؟

- والماسونيين كذلك . فان الارتقاء في درجاتها انما يكون على مراحل
أيضا . ولنلاحظ أن هناك درجتين ماسونيتين يكون الوصول اليها من
الصعوبة بمكان ولا بد فيهما من توفر شرطين في المرید وهذان الشرطان
لا يبتعدان كثيرا عن شرطي الكرمانى : ١- المصابرة في العلوم الالهية ،
٢- أن يكون لدى الشخص شىء من الأسرار القديمة ؛ يقول الزعبي : -
١- درجة الرفيع ؛ درجة فوقها المحفل الكونسي ،
ودونها جميع الدرجات ٠٠٠ لا يطمع بها الا اليهود ،
ومن فازوا بالتهود ، بصعود الدرجات الماسونية
بكفاءة واخلاص لهيكل سليمان .
ظفر بها كثيرون ، لاسيما من الانكليز ، وكانت سبب استماتتهم
في سبيل الهيكل [هيكل سليمان] وحدثنا عنهم كتاب
العقد الملوكي بما نصه :

١. الداعي حاتم . رسالة بذر الحقائق (عادل العوا . المنتخبات) ص ص :
١٦٩ ، ١٧٠
* ذكر الزعبي أن هذا الكتاب من الكتب السرية الماسونية التي لاتمسها
يد العميان وأنظر في أمر العميان : الماسونية في العراق ص ص ٧٨-٨١

” وقد كان لأسرار هذه الدرجة تأثير عظيم على
جم غفير من الاخوان الانكليز ذوي النفوذ والأفكار
الحرة ، الذين لا يزالون يحفظون اعتقادات اسرائيل
الاصليّة ، اذ أن لنا اصدقاء دائمون [؟] هم
الانكليز وأعداء دائمون هم العرب وفي رأسهم
المصريون [كذا] .^١

وعلى ذلك فإن التوافق بين الماسونية والباطنية ظاهر لا يحتاج
الى تنبيه خاصة فيما يأتي :-

١- الجهود التي توخذ على المستجيب أو طالب الانتساب وفي المراسم

والطقوس المصاحبة لذلك عند كل

٢- التدرج في المراتب،

٣- السرية والكتمان .

سبب التوافق بين الماسونية والباطنية :

ما هو سبب التوافق بين المذهبين الماسوني والباطني ؟ هل هو

المصادفة ؟ أم أن أسلوب الدعوات السرية القديمة (ر. ص ٣٥٠) أثر في

كلا الفريقين ؟ أم أن الماسونية قديمة قدم اليهودية ، وأنها هي التي

صنعت الفكر الباطني ؟ أم أن الماسونية تأثرت بأسلوب الدعوة الباطنية .

١- ان عنصر المصادفة غالبا لا يمكن أن يكون دليلا على التشابه والتوافق

لا سيما ما كان على نمط الباطنية والماسونية لأنهما مظاهرا لأفكار

ملأت حيزا مكانيا وزمانيا واسعا ، وعليه فإن عنصر المصادفة بعيد الاحتمال

على الأقل فيما نحن بصدده .

٢- أما كون الديانات السرية التي انتشرت في المنطقة هي المعنى الذي

استقى منه الباطنيين أسلوب الدعوة عندهم ، فهو موضوع جدير بالدراسة

لا سيما وأن هناك شبه تطابق بين مراتب الدعوة الباطنية ومثيلها

* ١.

في الديانة الميثرائية .

ان المرحلة الزمنية التي عاشتها الميثرائية - قبيل الاسلام - وعدم

استمرارها - كما تدل المراجع المتوفرة - كل هذا يؤدي إلى

التحفظ في إصدار حكم حول هذا الموضوع . والباحث يقترح في

حالة القيام بدراسة حول علاقة الماسونية والباطنية بالديانة

الميثرائية الأخذ بعين الاعتبار ما يأتي :-

١ - الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها الميثرائية والتي اضمحلت فيها ،

ب- منافسة الديانة المذكورة للمسيحية وتأثيرها فيها ،

ج- الاثام الذي وجهه السير جون^١ ، هامرتن^٢ " أسقف كاندرايية

القديس بولس بلندن لليهود الذين اعتبروا ديانتهم مسئولة

عما وجد في المسيحية من آثار الديانة الفارسية .

د - ما ذكر من أن " جيبون " و " تونبي " أشار الى دور اليهود في

هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد في المجتمع الروماني

مما عجل بانهيار حضارتهم ، ومقارنة ذلك بما قيل عن انتشار

الميثرائية بين الجنود الرومان .

٣- ان الاحتمال القائل بأن الماسونية قديمة قدم اليهودية يؤدي إلى

القول بأن الباطنيين ليسوا سوى حلقة في السلسلة الماسونية .

* الديانة الميثرائية ديانة فارسية ظهرت في المنطقة قديما .

١. انظر: ايمار وزميلته روما - امبراطوريتها ، بيروت . عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ٤١٥ .

٢. انظر: أحمد شلبي . المسيحية ، ط ٤ ، ص ٧٧ ، ١٥٤ .

٣. انظر: تاريخ العالم ج ٤ ، (الترجمة العربية) القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، د ٥ ، ص ٧١ .

٤. انظر: أنور الجندى . المخططات التلمودية . في غزو الفكر الاسلامي ، القاهرة دار الاعتصام ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٧ - ٥ - انظر: تاريخ العالم ٧٤ / ٢٤

وبلاحظ عن يهودية الماسونية أن المستشرق الهولندي " دوزي "

عرف الماسونية بأنها :

جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية

١.

واحدة هي إعادة الهيكل إذ هو رمز دولة اسرائيل .

٥

ان الماسونيين أنفسهم لم ينفوا هذه التهمة عنهم ؛ فقد أكد أحد كتبهم

أن مقتل " حيرام " مهندس هيكل سليمان هو السبب الذي من أجله

٢.

وجدت الماسونية أي البنائون الأحرار . كما قالت دائرة المعارف الماسونية

الأوربية (ط فيلادلفيا ١٩٠٦) أنه : -

يجب أن يكون كل محفل (ماسوني) على نمط

١٠

الهيكل اليهودي . وكل رئيس محفل يمثل ملكا

٢.

يهوديا ، وكل ماسوني هو تجسيد للفرد اليهودي .

واليهود أنفسهم يشتهون انتساب الماسونية اليهم ؛ فلجد في دائرة

المعارف اليهودية (٣ / ٤) أن :

لغة الماسونية الخفية وإشارات ورموزها وطقوسها

٣.

١٥

كلها أفكار ومترادفات يهودية .

وكذا ما ذكرته صحيفة جويش تريبيون (نيويورك ٢٨ / ١٠ / ١٩٢٧) :

تعتمد الماسونية على اليهودية . اطلع تعاليم

٣.

اليهودية ومبادئها من الطقوس الماسونية ، فماذا يبقى ؟

وقال اسحق م . وايزفي (The Israelite : ٣ / ٨ / ١٨٥٥) :

٢٠

ان الماسونية هي تنظيم يهودي ؛ تاريخها ، رتبها ، عقوباتها

كلمة السراوتي تستخدمها . . كلها يهودية . . ولكن باستثناء

رتبة ثانوية واحدة ، وعدد قليل من الكلمات التي تستعمل في

حالات طارئة نادرة . ٣.

-
١. الزعمي . الماسونية في العراق ، ط ٢ ص ١٧
 ٢. انظر : الأصول الماسونية للمحافل المصرية الوطنية ، القاهرة ، مطبعة الاداب ١٨٨٩ ، ص ص ٢٩ - ٣٧
 ٣. زهدى الفاتح . اليهود ، ط الاولى ، بيروت ١٣٩٢ ، ص ١٦٢

لقد تبين للقارئ الكريم توافق الباطنية والماسونية وتوافق اليهودية والماسونية بل ان اليهودية في الحقيقة هي صانعة الماسونية ، وعلى ذلك لا يمكن استبعاد الفكرة القائلة ان الدعوة الباطنية ليست الا جناحا ماسونيا في اصلها . وهذا يضعف الاحتمال الذي يعتبر الماسونية صنعة باطنية استنادا على ما قيل من ان تأسيس الماسونية كان عام ١٧١٧ .

ويستخلص من كل ذلك ان كلا أسلوبي الدعوة الباطنية ، والماسونية من المحتمل ان يكونا تابعين من مصدر واحد هو المصدر اليهودي .



الفصل الثاني : الدعاة الباطنيون

ان التنظيم الباطني للدعاة في الحقيقة جزء من الدعوة الباطنية ، وقد تميز بالدقة المتناهية مما أثار الدهشة في كثير من الأوساط ، ولكن هذا التنظيم أثار إلى جانب ذلك تساؤلات عديدة نظراً لأنه سخر لخدمة أفكار متضاربة وعقيدة متنافرة المعالم اتضحت من خلال دراستنا لتلك العقيدة . وهدف هذا الفصل هو الاجابة على تلك التساؤلات من خلال ما يتيسر للباحث من مقدمات .

ان التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين في حد ذاته مما قد تسهل دراسته للوهلة الأولى ذلك أنه قد يركز على مفاهيم رياضية لا تقبل الجدل .

أما تاريخ أولئك الدعاة ، فانه مليء بالسرية والحلقات المفقودة في مختلف جوانبه الفكرية والحياتية ما يجعلنا نفتقد بعض المتعة أثناء سبر أغواره وقبل الحصول على نتائج .

التنظيم الخاص بالدعاة :

بالنسبة للفرق الغالية التي ظهرت قبل وفاة جعفر بن محمد (- ١٤٨)

فانه من الصعب القول بوجود تنظيم خاص بدعاتها ، وما قيل عن الدعاة العباسيين لا يمكن مقارنته بما وصل اليه التنظيم عند الباطنيين الاسماعيليين بعد ذلك . وعليه فان بداية تنظيم الدعاة الباطنيين لا يمكن تصورها قبل " ميمون القداح " الذي تدعي المصادر الباطنية أنه تسلم كخالفة محمد بن اسماعيل بعد وفاة جده جعفر بن محمد (ر. ص ٤٣١) .

وكذلك الأمر بالنسبة للبداية الحقيقية لتنظيم الدعاة ، لا يمكن مقارنتها بما تطور الأمر اليه بعد ذلك ففي " الرسالة الجامعة " نجد

صورة عن ذلك حين تقول : -

وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة الذين

عمتهم دعوة الأنبياء قوما يدعونهم إلينا ويدلونهم علينا^١

ويعرفونهم بقدمونا ، ويعدونهم بظهور أمرنا .

ومع عدم اغفال ما يقوله الباطنيون بعد ذلك من أن الدعوة قديمة قدم

البشرية ومقارنته بهذا النص وقول " مصطفى غالب " عن مؤلف " الرسالة

الجامعة " أن في عهده انتقلت أنظمة الدعوة من دور التأسيس والتكوين

إلى طور العمل فان الباحث يحتمل أن التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين^٢

تعرض لتغيرات مختلفة وليس هو هو ذلك الذي بدأت به هذه الفرق .

الدعاة الباطنيون والأعداد :

١٠ ان اعتماد الباطنيين على الأعداد معروف لدينا من قبل (ر ص ١٩٩)

وان جانباً هاماً كجانب الدعوة والدعاة لابد أن يخضع أيضاً إلى

تنظيم له علاقة بالأعداد ، وقد قالت " الرسالة الجامعة " بدعوة

سبعة الا أنها لم توضح ما يتبع كل داع من الأعوان وان أشارت إلى

وجود أعوان يتصل بعضهم ببعض كحبل طرفه بيد الله والطرف الآخر

بيد من تمسك به وهي إشارة مباشرة إلى أن فكرة الحبل المتصل بالله^٣

هذه مما يعول عليه الباطنيون ، ولا أستبعد أنها سبب لتسليم أبي عبدالله

الشيعة الأمر للمهدي عبيد الله .

وذكر كتاب " استتار الامام " أن الدعاة الذين اجتمعوا في " معسكر

مكرم " لبحث أمر اختفاء امامهم " عبدالله الأكبر " كانوا سبعة نفر ، والحادثة^٤

٢٠ مقدمة التاريخ وان كان مؤلف الكتاب متأخراً .

١. الرسالة الجامعة ص ٥٢٦

٢. انظر : اعلام الاسماعيليه ص ١١٠

٣. انظر : الرسالة الجامعة ص ٥٣١

٤. انظره في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٩٣

ولا ننس أن " الطبري " ذكر في حوادث سنة ٢٧٨ أن المجهول الذي اتخذ من قرية " النهرين " بسواد الكوفة قاعدة له أقام لنفسه اثني عشر نقيبا من المستجيبين له^١

وأهمية السبعة والاثني عشر ليست بغريبة علينا في الفكر الباطني وهي جلية في تنظيم الدعاة .

ثمة شيء آخر وهو : رغم اعتراف " جعفر بن منصور اليمسني " بأهمية العدد ١٠ سبعة واثني عشر في مسألة الدعاة إلا أنه صرح بأن الامام الباطني قد يقوم بالدعوة بنفسه :

٢.
بأن يقوم بمقام الحجة ومقامات الدعاة كلها .

١٠ ان الباحث سيأخذ هذا النص مأخذ الجد لاسيما وأن الظن وارد في أن كثيرا من محتويات هذا الكتاب تتحدث بلغة أقدم من الكتاب نفسه بحيث يبدو وكأنه لا يعبر إلا عن الفترة السابقة القديمة التي يسميها الباطنيون " دورالستر " .

وعلى ذلك يستبعد تماما ما قيل من أن الدعوة الباطنية في أول أيام القداحيين أو دورالستر . كانت منظمة ذلك التنظيم الذي كانت عليه بعد ذلك . ويؤيد هذا المذهب . قصة ملاقات منصور اليمسني للامام الباطني على شاطئ الفرات ومباشرة الامام نفسه مهمة الداعي المكاسر له (ر. ص ٢٢٨) وهي أدنى درجات الدعاة

كما يؤكد ذلك ما رواه ابن النديم عن كتاب ابن رزام من أن القداحيين كانوا يقومون بجولات في مختلف البلاد ومختلف الأساليب للدعوة إلى الباطنية . وقد أكد برنارد لويس هذه النقطة .^٣
٤.

١. تاريخ الطبري ١٠ / ص ٢٤
٢. مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩٤ وأنظر أيضا ص ٦١ ٦٢ ٩٣
٣. انظر ابن النديم ص ٢٢٨ ٢٢٩
٤. انظر : اصول الاسماعيلية ص ٥٩

أما ما ذكره ابن النديم أيضا عن وجود عملاء لميمون القداح في جميع
البلاد يبعثون اليه الأخبار بواسطة الطيور ليخترق على الناس بها ،
فليس دليلا على انتشار الدعوة كما أنه ليس دليلا على التنظيم الدقيق
لهذه الدعوة بمعنى أن وجود العملاء المذكورين لا يعني بالضرورة أن يكونوا
دعاة مدربين عندهم القداحي لغرض الدعوة ونشرها في البلاد بل كانوا
من المؤسسين للفكرة الباطنية أو المساهمين في تأسيسها ومهمتهم ليس
نشرها بقدر رغبتهم في تكوين قاعدة ثابتة تكون مركزا للدعوة ومنطلقا
لها والباطنيون يطلقون على قاعدة الانطلاق - دار الهجرة - أي أنهم
يشبهون الأئمة بالرسول (ص) حينما هاجر بأمر الله إلى المدينة فكانت
عاصمة الاسلام الأولى ،

وللباحث أن يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول ان التنظيم الخاص
بالدعاة لم يكن على تلك المثالية المتصورة حتى خرج " عبيد الله
المهدي " إلى المغرب ، لأنه حين خرج من " سلمية " لم يكن معه من
الدعاة سوى فيروز أخص دعائه وهذا أيضا هرب إلى اليمن وشغل عن
المهدي بعد وصولهم إلى مصر . مما يدل على أنه وان يكن للباطنيين
دعاة متفرقون في أنحاء من البلاد الاسلامية الا أنهم لا يكونون بأي حال
تلك الشبكة المعقدة التي أشار إليها بعض الكتاب ، وهذا يصدق
على الفترة المتقدمة على الأقل .

ومعنى ذلك أن الدعوة الباطنية لم تستطع النفاذ على سطح الأحداث
قبل منتصف القرن الثالث حين استطاعت تكوين الجيل الأول للدعاة
من بين الأشخاص الذين كان زعيمهم يتلقطهم سرا من بين المسلمين . وهذا
يتفق تماما مع ما ذهب إليه بعض المحققين المسلمين حين يقول : -

اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية . . كان سنة
خمسين ومائتين من الهجرة ، وضعه قوم تطابقوا وكان
في قلوبهم بغض للاسلام وبغض للنبي عليه السلام
من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود ليسلخوا
الناس عن الاسلام بعد قوته .

وتحديد التاريخ بهذه السنة - خمسين ومائتين - لا يدل الا على
الفترة التي نشطت الدعوة فيها في غالب الظن أما تأسيس المذهب
الباطني فهو قبل هذا التاريخ بلا شك .

- وعليه فان أول نجاح حققته الباطنية كان على يد الجيل الأول من
دعاتها - ولا أعني مؤسسيها - الذين لم تكن لهم أية علاقة بالعدددين
سبعة واثني عشر بل هم أقل من ذلك فكانوا السبب المباشر في تغيير
مجرى الأحداث لصالح الباطنية ، وهؤلاء هم : منصور بن الفرج
ابن حوشب الشهير بمنصور الهمن وزميله علي بن الفضل الجدني اللذان
أرسلا من الكوفة الى اليمن سنة ٢٦٧ ، وحمدان قرط الذي ظهر في
سواد الكوفة بعد سنة ٢٧٨ وأبو عبد الله الشيعي الذي تلمذ على
يد ابن حوشب وظهر في المغرب سنة ٢٨٠ .

- وما يخص أبا عبد الله الشيعي من حيث تلمذته على يد منصور الهمن
ثم إرساله الى المغرب انما هو دليل على أن الحقول التي خططت لظهور
دولة الباطنية لم تساهم في الجانب العملي من الدعوة بقدر التخطيط
الخفي الذي كان يمارس من وراء حجاب ، فجنبت هذه الفئة الثمار القريبة
والبعيدة ، وهي في منأى عن مسرح الأحداث . والقاضي عبد الجبار المعتزلي

يصور لنا صورة تؤيد هذا الرأي حين يقول :-

فلما صار أبو طاهر إلى البحرين ، سلم الأمر
إلى ذكيرة الاصفهاني المجوسي وجمع الناس بالبحرين ،
وقال : معشر الناس انا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ،
مرة بمحمد ومرة بعلي ومرة باسماعيل بن جعفر ومرة
بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي ، وهذا كله باطل ،
وهو سر كنا نكتمه ومن قبلنا منذ ستين سنة ، واليوم قد
أظهرناه ، وهذا الهنا والهكم ورتنا وريكم يعني ذكيرة .
ثم قال معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ما عندكم ،
فذكروا معنى ما جرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان
ابن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهمار
بخنان المعروف ببندار من أعمال الحيلة على المسلمين ،
والتستر بالشيعة . . . فاذا وقع التمكن وصاروا في
ملك وسيف أظهروا تكذيب الأنبياء ، وتعطيل
الشرائع وقتلوا المسلمين .^١

ولست حادثة التسليم إلى ذكيرة - شخص غير زكويه بن مهرويه الباطني
الشهير - ليست بدعا في التاريخ الباطني ، بل هي تشبه تماما تسليم
أبي عبد الله الشيعي الأمر إلى عبيد الله المهدي باعتباره المهدي المنتظر
مع الفارق الواضح بين القصتين . وكان من الممكن أن تتكرر عملية
التسليم أو أن تحدث في اليمن على يد منصور^{اليمن} أما لذكيرة أو لعبيد
الله المهدي أو لشخص غيرهما .

١. انظرها كاملة في تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٨٦ و ٣٨٧ .

- وهذا بحد ذاته يعني أن جيل الدعاة الباطنيين الأول كان
صناعة المؤسسين الخفيسين للدعوة الباطنية ، فكانوا مخالِب قسَط
لهم ، أما أولئك المؤسسون فقد أظهر التاريخ بعضاً منهم مثل
ميمون القداح وذريته ومثل ذكيرة • ولكن بقيتهم مما طواه النسيان أو الكتمان
على الترجيح • لأن من المؤكد والحالة هذه أن مؤسسي الدعوة
الباطنية كانوا جماعة ، وهذه الجماعة لاعلاقة لها على ما يبدو
بالتنظيم الذي ظهر عند الباطنيين بعد ذلك للدعاة ذاك الذي يعتمد
على أعداد معينة • وقد تأكد ذلك بالمراجع الباطنية التي لم
تستطع اثبات التنظيم الرقمي للدعاة في الفترة المتقدمة • وقد أخفت
١٠ تلك المراجع أشخاصاً وأظهرت آخرين مما يدل على أنه لاجبـة
لمن يقول بأن تلك الفترة سرية فكيف عرفنا دعاة اليمن والقداحيين
مثلاً ؟

- قد تبرز في المستقبل فرضيات تعلل عدم إقامة الباطنيين دولاً لهم
أو سلطات في قوة الدول في أماكن أخرى من العالم الإسلامي - غير
١٥ ماكان في المغرب والشام واليمن وشرق الجزيرة العربية - إلا أن تلك
الفرضيات المتوقعة تظل في حاجة إلى مقدمات أخرى تـلور ما تمسـوه
من حقائق حول الدعاة الباطنيين ،

مراتب الدعاة الباطنيين :

- اعتمدت مراتب الدعاة الباطنيين في تنظيمها على المراتب التصاعدية
٢٠ انطلاقاً من المبدأ الباطني القائل بأن العلاقة بين العبد وربه لا تكون
إلا بواسطة ، فالباطنيون لا يؤمنون بأي علاقة بين
العبد وربه إلا عن طريق الوسطة • والمبدأ بحد ذاته يخالف العقيدة
الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ؛ قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه

* أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

فعن علاقة ذلك بمبدأ الوساطة اعتبروا المستجيب (ر . ص ٣٣٢)

وهو أدنى الحدود يتصل بالله عن طريق الدعاة الذين :

يتصل بعضهم ببعض كحبل ممدود طرفه بيد

الله عز وجل وطرفه الآخر بيد من تمسك به .

وفي هذا المجال كتب الباحثون عدة مقالات منها ما كتبه " محمد كامل

حسين " عن الدعاة خلال دراسته لكتاب " ديوان المؤيد في الدين داعي

الدعاة " واعتمد فيه على مراجع باطنية . وكان خلاصة ما كتب :

١- ان هناك واسطة بين الله تعالى والنبي وهي الحدود الروحانية وروا في

ذلك حديثا عن النبي (ص) انه قال : " بيني وبين الله خمس وسائل ١٠

جبريل وميكائيل واسرافيل والروح والقلم " واسماؤها بالاصطلاح الباطني

: السابق والتالي والخيال والجد والفتح .

٢- هناك خمسة حدود تسمى الجسمانية تقابل الخمسة الروحانية :

واختلف الباطنيون في هذه الحدود على ما يلي :

١٠ كتاب الفترات والقراءات الناطق الأساس الامام الحجة الداعي

كتاب سرائر النطق الأساس الامام الباب الحجة الداعي

كتاب المجالس المؤيدية النبي الوصي الامام الحجة الداعي

كتاب تأويل الدعائم النبي الوصي باب الأبواب النقباء دعاة القبائل

أو الامام أو الحجة أو داعي أو أصحاب
الدعاة الجزائر

وفي مقدمته لتحقيق كتاب " تأويل الدعائم للقاضي النعمان " كتب محمد

حسن الأعظمي وهو أحد الباطنيين يقول عن الدعاة الباطنيين : -

* الزمر ٣

١. الرسالة الجامعة ص ٥٣١

٢. انظره ص ٥١ و ٥٢٤

٣. انظر ذلك ايضا في : الانوار اللطيفة (الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٨٩ .

- ١- الناطق : وهو الرسول من أولي العزم مرموز اليه بحرف (ن) .
 - ٢- الوصي : وهو الوزير الأيمن للناطق ومرموز اليه بحرف (و) .
 - ٣- الامام ومن بعده : يعتبر كل منهم هاديا في زمته حتى يختتم ذلك الدور - ومرموز اليه بحرف (ا) .
 - ٤- الحجة : هو في مكانته ومنصبه للامام بمثابة الوصي للناطق ومرموز اليه بحرف (ح) .
 - ٥- باب الأبواب أو داعي الدعاة هو دون الحجة وفوق الدعاة ، ومرموز اليه بحرف (ب) .
 - ٦- داعي البلاغ : هو الذي يلي داعي الدعاة وأعلى من بقيّة الدعاة مرموز اليه بحرف (غ) .
 - ٧- الداعي المطلق : يلي داعي البلاغ وهو النائب عن الامام فـي دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (ق) .
 - ٨- المأذون : خليفة الداعي المطلق ونائبه في دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (ذ) .
 - ٩- المكاسر : وهو التالي للمأذون في دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (م) .
 - ١٠- المستجيب : وهو المؤمن الكامل مرموز اليه بحرف (ج) .
- ويعتبر مصطفى غالب - وهو من نزارية سورية - احد الذين كتبوا في تنظيم الدعاة الباطنيين ومع أنه استعمل بعض المصادر الباطنية الا أنه رتب الدعاة على طريقته الخاصة - مثل محمد حسن الأعظمي الذي اضاف الى ترتيبه ما يقتضيه حال الباطنيين البوهرة اليوم - ، فقسم الدعاة الى مجموعتين :-

١ - كبار الدعاة الذين كانوا يلزمون مركز الإمام وهم كما يلي :

١- مرتبة (الباب) وهي أعلا المراتب كلها وهي مرتبة سريسة
للفاية .

٢- مرتبة الحجة .

٣- مرتبة داعي البلاغ .

٤- مرتبة داعي الدعوة ؛ وهي أعلى مرتبة ظاهرة .

ب- وهناك الترتيبات العامة الرئيسية والتقسيمات التي تعتبر الأساس
الذي أقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة وهي : -

١- الناطق وله رتبة التنزيل .

٢- الأساس وله رتبة التأويل .

٣- الامام وله رتبة الأمر .

٤- الباب وله رتبة فصل الخطاب .

٥- الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .

٦- داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .

٧- الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبارة
الباطنية .

٨- الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة
الظاهرة .

٩- المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

١٠- المأذون المحدود وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة وهو
المكاسر .

١١- لاحق { ولهما رتبة مؤازرة المأذون المحدود والقيام بمهمته
١٢- الجناح { أثناء الغياب . ١

١.
ان هذا التقسيم يوافق ما جاء في أحد كتب المستحلية .
وقال عارف تامر وهو نزارى أيضا :

ان الدعوة الباطنية مؤلفة من اثني عشر شخصا وهم حسب
الترتيب :

٥ ناطق أساس امام حجة باب داع متم لاحق جناح
مكاسر مستجيب .^٢

ويلاحظ ان تقسيم مصطفى غالب يخالف تقسيم عارف تامر مع ان كليهما
نزارى بمعنى أنهما يأخذان من معين واحد ، وخلافهما البين يوضح لنا
البون الشاسع الذي بين المصادر الباطنية وما كان منها على عقيـدة
١٠ واحدة بالذات ، وقد لاحظ مصطفى غالب ذلك الاختلاف فحاول تبريره
بما يأتي :-

ان بعض الاختلافات البسيطة ؟ في أسماء ورتب
بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب
الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف الى ظروف
١٥ وأسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف
ووقوفه على التمييز بين كل واحد وآخر . الا أن كتب
الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة
تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها آنفا ، وإذا صـدق
ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لا شك
٢٠ وليدة تعليقات لاتنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات
التي ذكرناها ظلت باقية ومحمول بها حتى نهاية العهد
٣.
الفاطمي في مصر .

١. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق العالية (ايفانوف ٠ أربعة كتب) ص ٨٢
٢. مقدمته في أربع رسائل اسماعيلية ص ١٣
٣. أعلام الاسماعيلية ص ٢٥

بعد هذا التضارب في تنظيم مراتب الدعاة ، ومع عدم اغفال براعة التنظيم واستغلال الباطنيين له أوسع استغلال مما ساهم في نشر دعوتهم ، لابد من الإشارة الى أن الباطنيين يدعون أن التنظيم هـذا الهـي ءُظـم في العالم العلوي السماوي قبل هذا العالم السفلي عالم الكون والفساد كما يسمونه فوهنا يمكن طرح سؤال هام وهو أى التنظيمات الباطنية الذي جاء من عند الله مع ما رأينا من اختلافها وتضاربها ؟ ألا تكون الاجابة على هذا السؤال أن الدعاة الذين تعاقبوا على أمر هذه الدعوة هم الذين أوجدوا هذه التنظيمات المختلفة ونسبوهـا الى الله ؟ وبالتالي ألا يكون ذلك دليلا على أن الظروف والأهـواء

هى التى تتحكم فى العقيدة الباطنية — وتنظيم الدعاة عنصرا أساسيا فيها ؟ — لغرض لا يغيب عن كل فطن لبيب ، وهو هدم كيان الدين الاسلامي كي ينحرف المسلمون عنه ويتبعوا عقيدة ليست لهؤلاء ولا لؤلئك . وعلى كل حال فانه لزاما على الباحث من الناحية العلمية النزيمـة النظر بعمق من أجل التعرف على عمل كل داع ومهمته ، ولابد من الإشارة الى أن مراتب النبي والوصي والامام والمستجيب لاتهمنا فى هذا الفصل ، والمهم هو مراتب الدعاة الباطنيين فهى تتكون منـ:

١- الحجة : ويطلق الباطنيون هذا اللفظ على كبار الدعاة الأربعة وأعظمهم " الباب " ورابعهم " داعي البلاغ " أما اذا خصص هذا اللفظ فهو يعنى ثاني الحدود بعد الامام الا أن بعض المراجع الباطنية

السابق الاستشهاد بها اعتبرته فى المرتبة التالية للامام ، وهذا يدل على أن خلافا ما حول هذا الموضوع أو تنافسا بين مركز الحجة ومركز الباب فى القرب من الامام . والحجة أحد سموات الدين الباطني ، كما أنه قد ينصب الامام أو الناطق لأن مريم بنت عمران تعتبر حجة باطنية أمرت عيسى بن مريم بالقيام ، واعتبروا أيضا كلا من خديجة

بنت خويلد وفاطمة الزهراء في مرتبة الحجة لكل من النبي (ص) وعلي
ابن أبي طالب علي التوالي^١ وليس هذا مجال مناقشة ذلك . والمهم من
أمر الحجة أنه أحد كبار الدعاة الملازمين للإمام كما أشار مصطفى غالب
إلى ذلك .

٥ ذكرت بعض كتب الباطنيين أنه في فترة الاستتار اضطر الحجج إلى
أن يتسموا باسم الامام حتى صار للامام عدة أسماء^٢ ، وبذلك اختلطت
أسماء الحجج بأسماء الأئمة بزعمهم ، ومنهم ، ميمون القداح وابنه عبدالله^٣
بن ميمون

وعليه فإن المراجع الباطنية المتقدمة تشبه الحجة بالقمر يضيئ^٤
في الليالي أي أيام دور الستر ، كناية عن ظهوره فيها . ولكن المتأخرين^٥
منهم يشبهونه بالليل وهو يدل على اختفائه في أدوار الستر وقد ذكر
مصطفى غالب أن الحجة من المراتب السرية للغاية ، وعلى هذا
يسير الباطنيون اليوم ، فإن أعلى مرتبة في الدعوة الباطنية عند البوهرة اليوم
هي مرتبة الداعي المطلق ومرتبته أقل بكثير من مرتبة الحجة .

١٥ يمكن القول أن مرتبة الحجة وما شاكلها من المراتب السرية إنما هي
ثياب فصلت في عصور متأخرة ليرتديها قوم هلكوا من قبل وذلك لمدارات
ما انكشف من حقيقة الدعوة الباطنية . لأن الحقيقة أن جميع المراتب
سرية ولكن ما حيلتهم بعد أن انكشف أمر القداحيين بحيث لا يمكن ستره

١. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق ورسالة تحفة المرتاد ورسالة الاسم
الاعظم . (شترثمان . أربعة كتب) ص ٢٨ ، ٨٢ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٤
١١٧ ، ١٦٤ ، ١٧٦ وانظر أعلام الاسماعيليه ص ٢٤ .
٢. انظر: مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٣. انظر: مخطوطة حياة الأحرار ق ٦
٤. انظر: مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٥. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شترثمان . أربعة كتب) ص ١١٤

الا أن يقولوا انهم حجج تسموا باسم الأئمة أو تسمى الأئمة باسمهم .

٢- الباب : تعتبره بعض المراجع أول شخصية بعد الامام ، بينما اعتبره البعض الآخر بعد الحجة وقد سبقت الإشارة الى ذلك ومن خلال ما كتب مصطفى غالب يمكن أن نتعرف

على هذه المرتبة ، فقد كتب يقول : -

وهناك مرتبة سرية أخرى هي مرتبة " باب الابواب " ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه . وقد وصف أحد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله " وحد الباب هو من الحدود الصفوة اللباب فهو افضل الحدود وهو وحد العصمة ولا ينتهي الى ذلك الا الاحاد الافراد " .

ويقول آخر : " باب الابواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته فمرتبة باب الابواب أو الباب فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة وهي مرتبة سرية للغاية .^١

وببدو أن هناك التسابسا ما في الموضوع ؛ لأن بعض الآراء الباطنية تحتم صيرورة الباب اماما بعد الامام ولحل الأمر يتضح اذا علمنا أن هناك بابا أعظم غير الباب وهو الذي يكون اماما وهو أعلى الحجج الأربعة الحرم ،^٣

٢٠ بل ربما كان هناك ابواب أخرى لأن الاسطورة الباطنية تقول ان عبدالمطلب

١. اعلام الاسماعيلية ص ٢٣

٢. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٨

٣. انظر :

ابن هاشم جسد النبي (ص) أقام بايعين من فضلاء أبوابه ، والخلاصة أن هناك بابا يصير اماما وآخر لا يصير كذلك ؛ فانهم يقولون ان ابراهيم نصب ابنه اسحق بابا على المقام العالي الذي هو اسماعيل ^١ الذبيح ، واسحق هنا بالتعبير الباطني امام مستودع أي ليس الامام الحقيقي وهذا يذهب بنا الى مسألة الامامة المستقرة والمستودعة التي كانت من عجائب الدعوة الباطنية وأوجدت من المشاكل الخلافية بين المحققين الشيء الكثير خاصة ما يتصل منها بالنسب الفاطمي

٣- داعي البلاغ، وصف الداعي الكرمانى داعي البلاغ بأن له رتبة ^٢ الاحتجاج وتعريف المعاد ان هذا التعريف ، قد لا يدلنا على شخصية

- ١٠ داعي البلاغ الا أن يكون المقصود به أنه مختص بتجهيز حجج الباطنيين التي يواجهون خصومهم بها ، أما ما يختص بتعريف المعاد فان الباطنيين لا يؤمنون بالمعاد على أنه البعث بعد الموت بل عودة كل شيء الى أصله الذي تكون منه (ر. ص ٢٩٢) فهل معنى ذلك أن داعي البلاغ يوضح ذلك ؟ لا أعتقد لأن هذا يستدعي أن يكون الفكر الباطني موحد المصدر ؛ أما ما هو عليه الآن من تنافر وتضارب فهو يدل على عكس ما ذكره .

- ١٥ ومن ناحية أخرى فان في مدلول كلمة البلاغ ما قد يشير الى أهمية لداعي البلاغ غير ما ذكره . وهي تتعلق بما ذكره " ابن النديم " عن " كتاب البلاغ السبعة " وأن سابعها الذي فيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر وكذا بما ذكره " ايفانوف " عن " كتاب البلاغ والنهاية في التوحيد " وهو من كتب الدروز ، وحيثئذ تصبح كلمة " البلاغ " تعني " البلوغ " أو الوصول .

١. انظر: رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .
٢. كتاب راحة العقل ، أنظر النص في أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٤٠ وأنظر أيضا اعلام الاسماعيليه ص ص ١٨ - ٢٠ .
٣. انظر: الفهرست ص ٢٨٢ .
٤. انظر:

ان "داعي البلاغ" لم يحظ بالتفصيل في المصادر الباطنية ، وعليه فان ايراد التتف التي تحدثت عنه في تلك المصادر يصبح ذا أهمية

ففي أحدها نجد أن أجساد الأنبياء والأئمة المتوفين تتصل فيمن تتصل بهم "بدعاة البلاغ" وأن داعي البلاغ أحد الحدود السبعة المتمه -

٥ تراجع في النه لدور الامام ، كما ورد في آخر أن "داعي البلاغ" يستتر استتار الامام ، شأنه في ذلك شأن الحجة والباب ، وفي مصدر آخر أنه كان لابراهيم الخليل ثلاثون داعي بلاغ ، وذكر الداعي ادريس أن أولاد اسحق هم القائمون بالبلاغ والابلاغ

ان ذلك كله لم يزدنا شيئاً عن "داعي البلاغ" الا الغموض بالرغم

١٠ من أن كلا من " الباب " والحجة اللذين هما أعلى من "داعي البلاغ" وأرفع قد حظيا بنصيب أوفى من الاهتمام في المراجع الباطنية وقد تلبه "محمد كامل حسين" الى ذلك فقال :-

مرتبة "داعي البلاغ" التي قيل انها مرتبة

الاحتجاج بالبرهان في اثبات الحدود العلوية ومراتبها

١٥ وتعريف المعاد ، فهي من المراتب السرية التي في مركز

القيادة العليا ، ولم يفصل مؤرخوا الاسماعيليين

وعلمائها أمر هذه المرتبة .

٤- داعي الدعاة : ان الذي يظهر أن هذه المرتبة لم توجد قبل ظهور

الدولة العبيدية رغم ما قيل عن الداعي فيروز (ر : ص ٤١٨) .

١. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق العالية . (شترومان . أربعة كتب) ص ص

٨٢٦٥٦

٢. انظر: تحفة المرتاد (شترومان . أربعة كتب) ص ١٢٥

٣. انظر: مخطوطة مجالس الحكمة ق ٦

٤. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص

٥. الاسماعيلية ص ١٤٢

وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر القاضي النعمان أول من تقلد هذا
المنصب ، وهذا يعني اذا صح أن ترتيب الدعاة وسمياتهم تعرضت الى
التبديل والحذف والاضافة على مر التاريخ الباطني للدعوة .

وقد حظي " داعي الدعاة " - ربما لأن مرتبته غير سرية - بدراسات
وبحوث لعل أفضلها ما كتبه " محمد كامل حسين " في مقدمته لكتاب

ديوان المؤيد في الدين ، قائلا في ختام بحثه :

أما عمل داعي الدعاة فهو الاشراف على كل شيء

يختص بالدعوة وعقد مجالسها بالقصر أو دار العلم

فكان داعي الدعاة يكتب ما يلقي في هذه المجالس

ثم يوقع عليه الخليفة ، ويقرؤها الداعي على أنها

صادرة من الخليفة نفسه .

ومعنى ذلك أن جميع ما يقوله داعي الدعاة يكون الخليفة أو الامام

مستولا عنه ولومن الناحية الشكلية لتوقيعه عليه .

ومن تقلد منصب داعي الدعاة : القاضي النعمان ، والداعي

جعفر بن منصور الميمن الذي كان يقال ان النعمان كان يقبل قدميه ، والداعي

الكرماني ، والداعي المؤيد في الدين ، والداعي الحلبي . وقد كان

لهؤلاء نتاج فكري ذو اثر بالغ في العقائد الباطنية .

٥- دعاة الجزائر : كلمة الجزائر وردت كثيرا في كتب الدعاة الباطنيين ،

وهي لاتعني الاصطلاح الجغرافي بقدر ما تعني تقسيما خاصا بهم يفيد

٢٠ ما يمكن أن نسميه اليوم المنطقة أو الاقليم أو ما شابه ذلك ، وبعبارة أدق يمكن

القول : ان الجزيرة في اصطلاح الدعاة الباطنيين تعني جزءا كبيرا من العالم

فقد قسموا العالم الى اثنتي عشرة جزيرة ، ونصبوا على كل جزيرة من تلك الجزائر داعيا سموه داعي الجزيرة ، ولقب داعي الدعاة ^١ بطلق على داعي الجزيرة التي يقيم فيها الامم ، كما يقول الداعي الحارثي وذكر " محمد كامل حسين " أنه حاول التعرف على أسماء تلك الجزائر فلم يستطع رغم توفر الكثير من المصادر الاسماعيلية لديه مما اضطره الى الرجوع الى ما كتبه " ايفانوف " حول أسماء تلك الجزائر وهي : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، الخزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الصقالبة ، وذكر الكاتب الباطني التزاري ^٢ مصطفى غالب أسماء تلك الجزائر موافقا لما ذكر محمد كامل حسين عن ايفانوف .

١٠ ولكن الباحث عشر على أسماء تلك الجزائر في أكثر من مرجع باطني مثل تأويل الدعائم للقاضي النعمان والأنوار اللطيفة للداعي حاتم ابن ابراهيم ، وفي مخطوطة حياة الأحرار ذكر أن الجزائر هي : اليمن ، الهند ، السند ، الصين ، الحبشة ، الزنج ، الخزر ، الديلم ، البربر ، الترك ، الصقالبة ، الروم .^٤

١٥ وأما القاضي النعمان فقد ذكر جزيرة النوبة بدلا من الزنج . والديلم بدلا من فارس كما فعل صاحب حياة الأحرار وقد ذكرت بعض المراجع أن الداعي الكرمانبي كان حجة العراقيين ، ولا أظن ذلك مما له غلاقة بالجزائر . وقد كان المؤيد في الدين داعيا لجزيرة الديلم . ان دعاة الجزائر على ما يظهر يمثلون أشهر السنة الاثني عشر وهذا ما سيتضح حين نتحدث بالتفصيل عن المنظمة التي تتبع داعي الجزيرة .

- ٢٠
١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢
 ٢. انظر : في أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٧٨
 ٣. انظر : مقدمة أعلام الاسماعيلية ص ٢٠
 ٤. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١
 ٥. تأويل الدعائم ٧٤ / ٢
 ٦. انظر : المؤيد في الدين . السيرة المؤيدية ص ٩

منظمة داعي الجزيرة : ان داعي كل جزيرة في نظام الدعوة الباطنية له جهاز كامل من الدعاة يمكننا أن نطلق عليه " منظمة داعي الجزيرة " ويتكون هذا الجهاز من عدد كبير من الدعاة على أن الذين يتبعونه مباشرة ثلاثون داعيا وقد يطلق عليهم النقباء :

هم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ،
وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ،
فكانوا بمثابة وزراء • ومستشاريه في كل ما يتعلق
بجزيرته

لكل داع نقيب أربعة وعشرون داعيا ، منهم اثني عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار واثني عشر داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل •

فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة ، كانوا يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في درجات الدعاة وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس •

وهكذا يتضح أن دعاة الجزرهم الذين يمثلون السنة التي تتكون من اثني عشر شهرا والدعاة " النقباء " يمثلون أيام هذا الشهر وهم ثلاثون كما سبق بذلك النص ولكل منهم أربعة وعشرون داعيا كناية عن ساعات اليوم الزمني الواحد •

ان هذه السلسلة من الدعاة يتبع كل منهم الذي هو أعلى منه فلا يتحرك ولا يسكن الا بأمره وليس بعيدا أن يكون المسؤول عن دعاة الجزائر هو داعي الدعاة كما تقدم (رخص ٣٧٠)

أما الدعاة الثلاثة الذين سبق ذكرهم غير داعي الدعاة وهم : الحجة (ر.ص ٣٦٤) والباب (ر.ص ٣٦٦) وداعي البلاغ (ر.ص ٣٦٧) فهم وان كانوا من ضمن جهاز الدعوة الا أنه لا علاقة لهم كما يظهر بدعاة الجزائر بقدر ما لهم علاقة بالامام . شأنهم في ذلك شأن حجج الليل .

٥ حجج الليل : ان اصطلاح حجج الليل مما ذكره الداعي الحارثي (- ٥٨٤) وهويدل به على اثني عشر داعيا يختارهم الامام ويتركهم بحضرته لا يفارقونه ، وتسميتهم " بحجج الليل " تميزا لهم عن " حجج النهار " الذين هم " دعاة الجزائر " ، و " حجج الليل " هم -

أهل الحقائق السانية لا يدخلوا [كذا] تحت التكاليف

١٠ لانهم قد قاموا بذلك قبل التصاريف وهم أهل العصمة وأبواب الرحمة وهم الملائكة المقربون الذين لا يعصون امامهم ويفعلون ما يؤمرهم ولكل واحد منهم جناحين [كذا] يظللون بهم على الفريقين وجملتهم أربع وعشرون تنير بهم النواظر والعيون وهم أبوابهم أيضا يفيض من قبلهم العلم فيضا فقيضا باب للعلم الظاهر وباب للعلم الباطني الباهر .

١٥ وقال الداعي الحارثي عن حجج الليل انهم : هم أهل الباطن الخضر العرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم .

٢٠ ويظهر أنهم يمثلون مجلسا خاصا بالامام له علاقة ما بالدعوة الباطنية وقد تميزوا بأنهم غير مكلفين أي أنهم لا صلاة عليهم ولا زكاة ولا صوم ولا حج

١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢

٢. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١

٣. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢

ولا غير ذلك ، وهذه النقطة ذات علاقة مباشرة بزعم الباطنية أنهم يعملون بالظاهر والباطن معا ، وقد فند الباحث ذلك بالتفصيل فيما

سبق (ر : ص ص ١٦٨ - ١٧٤)

ولكن لابد من الاشارة هنا الى أنه ليس لدى المسلمين من هو أعلى

- درجة من محمد بن عبدالله (ص) فهو سيد الأولين والآخرين ومع ذلك
فلم يقل أحد بأنه منزّه عن التكليف بل كان سباقا اليها ، وقد غفر
له ما تقدم من ذنبه .

هذه صورة مصغرة لمراتب الدعاة الباطنيين والقصد منها هو اطلاع القاري

- الكرام على التنظيم الذي شكل به الباطنيون دعوتهم السرية وأن الباحث
لم يخض تماما في دقائقها وجزئياتها لأن ذلك قد لا يفيد موضوع البحث
كما أن في المراجع التي رجع اليها ما يغني لمن أراد التوسع
في هذا الموضوع .

مظاهر في الدعاة الباطنيين :

- منذ ظهور الخلافة على سطح الفكر الاسلامي ، ومروا بنشأة الفرق
الباطنية ، وحتى سقوط قلعة الموت (سنة ٦٥٤) التي آذنت بسقوط آخر
دولة باطنية ، بل وحتى يومنا هذا ، يمكن القول بأن في دعاة هذه النحلة
مظاهر لو وجدت في الشخص العادي فائها تدعو للاستغراب حيننا
وللاستهجان حيننا آخر ، فما بالك بوجودها في دعاة يقولون بأنهم صفوة
نذرت نفسها لنصرة أهل بيت رسول الله (ص) نبي الاسلام ، وتدعي
أنها تستقي من معين معصوم عن الزلات والتجاوزات ومتصل بالسما .
وقبل التعرض لتلك المظاهر لابد من الاشارة الى أن المقصود ليس تسقط

أخطاء القوم وتتبع عوراتهم • ولكن حينما تكون المناقش عند قوم هي السائدة والعورات هي الظاهرة فإن الحديث عنها ومناقشتها يعتبر واجباً على طلاب العلم والحقيقة • ومن خلال ما وقع في يد الباحث من مصادر باطنية طوال مدة هذا البحث اتضح أن للدعاة الباطنيين مظاهر تتصل اتصالاً وثيقاً ببعض ما قاله عنهم أخصامهم — حتى غدت تلك المظاهر ما يستلفت الانتباه فضلاً عما تسببه من حرج لأهلها — الباطنيين أنفسهم — الذين لازالوا يدعون أن الكتاب والمؤرخين شوهوا تاريخهم • ومن تلك المظاهر:

١- كون الكثير من الدعاة الباطنيين الذين كان لهم الأثر البارز في العقائد الباطنية • مجهولي الأصل • إذ ظهر معظمهم على سطح الفكر الباطني كما تظهر الكماة •

٢- كونهم يتصرفون في عقائدهم حسب رغبات يبدو أن بعضها شخصي وبعضها مما يمكن اعتباره تنفيذاً لم يحن أو أنه لما ورد في عقائدهم • فجاءت عقائدهم على نحو من التجاوز والتضاد والتنافر الذي قلَّ مثيله في عقائد أخرى •

٣- بالرغم من انتساب أولئك الدعاة إلى الإسلام وبلغه أكثر دقة : انتسابهم إلى الفكر الإسلامي • إلا أن بعضهم كان يستدل بما ورد في العهد القديم بخاصة ليثبت آراء عقديّة يفترض فيها أن تكون إسلامية •

فأما النقطة الأولى والتي نتحدث عن الغموض الذي يكتنف أولئك الدعاة في أصلهم فإنه سيأتي بالتفصيل في الفصل التالي لهذا الفصل لأنه موضوع شائك وله علاقة بالأئمة الباطنيين الذين أسسوا الدولة العبيدية •

١. انظر: مصطفى غالب • تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، بيروت ، دار الاندلس ١٩٧٩ ، ص ٥ ٦ ١٦

وعلى ذلك فان الحديث سيكون عن النقطتين التاليتين لتلك .

١- تجاوزات الدعاة والعقائد الباطنية : ان خلط الدين بالفلسفة طابع

بارز تتميز به العقائد الباطنية جميعا ، بل ان الفلاسفة في عرف الباطنيين

في درجة الأنبياء ، ومن يتصفح " الرسالة الجامعة " لرسائل اخوان

الصفاء مثلا لا يشك أبدا أنه كتاب فلسفي وكذلك معظم الكتب الباطنية،

الا أنهم يدعون أن هذه الرسالة وبقية رسائل اخوان الصفا ألفت

حينما أراد الخليفة العباسي المأمون أن يخلط بين الدين والفلسفة

فغضب الامام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل لهذا

التجني على الدين فألف تلك الرسائل أوامر بتأليفها ، وفوق ذلك

يأتي المعز لدين الله لينكر على دعائه خلط الدين بالفلسفة ، واعتبره

تغييرا في الدين (ر. ص ١٧٠)

أما تحليل المحام الذي ظهر منذ أيام الخلافة (ر. ص ص ٨٣ ، ٩٧

١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٧٠) . كما سار عليه الداعي " علي بن الفضل الجدي " الذي

تبرأ منه الأئمة وحاربه عليه زميله في الدعوة " منصور اليمس " حروبا

طويلة ، فقد كان لهم أشباه من دعاة آخرين في المشرق ذكر عنهم القاضي

النعمان أنهم قاموا بتحليل المحام لاتباعهم وأن ذلك كان يعتبر مخالفة

لدين الأئمة لذلك فقد تبرأ منهم الأئمة العبيديون في المغرب ، لأن

هذا يزعمهم ليس من أهل عقيدتهم ، وإنما هو تجاوز شخصي من أولئك

الدعاة .

١. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٠ . وانظر أيضا أعمال

الاسماعيلية ص ٤٣

٢. انظر: سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة)

ص ١١٥

٣. انظر: المجالس والمسائرات ص ٤٠٨ .

وقد قيل ان الانسلاخ عن الدين وتحليل المحام وان ظهر عند الباطنيين في أماكن مختلفة من العالم الاسلامي ، فهو لم يظهر على العبيدين ، حيث لم يؤثر عنهم الاستخفاف بالدين ، وقد أيد ابن النديم ذلك ، ودفع هذا أنصار هذا الرأي الى القول ان ذلك ليس من عقيدة الباطنيين بل هو تصرفات شخصية من الدعاة الذين فسي الأماكن النائية ، وهذا يتفق تماما مع ما نجده في المصادر الباطنية من شجب لأثال هؤلاء وخاصة ما صدر عن القاضي النعمان الذي أعلن تبرؤ الأئمة من أولئك الدعاة .

ولكن حتى مع هذه الحالة يظل السؤال القائم مطروحا ، لماذا كان الباطنيون هم الذين أثر عنهم ذلك دون غيرهم من الفرق الأخرى ؟ ولماذا يصبح عدم الانسلاخ من الدين عن طريق ارتكاب المحرمات شيئا مستثنى يخص المناطق التي قامت فيها دولة العبيدين كالمغرب ومصر ، ولا يكون الأصل هو عدم حدوث أي شيء من هذا باعتبارهم فرقة اسلامية .

وهكذا يتضح لنا أن شيئا ما يكمن تحت ما أثر أنه تجاوزات للدعاة . هذا في حالة اعتراف الطرفين بحدوث انتهاكات مختلفة في نواحي كثيرة وجد فيها الباطنيون على شكل تجمعات أو أشباه دول . ولكن كيف يكون الأمر اذا علمنا أن القاضي النعمان - الذي تحدث بأسباب عن تجاوزات الدعاة - ذكر أن مثل هذه التجاوزات حدثت في المغرب أيام حكم عبيد الله المهدي نفسه ، من دعاة عملوا بالباطن دون الظاهر .

١. انظر : الفهرست ص ٢٨٢

٢. انظر : المجالس والمسايرات ص ٤٩٩

ان الأمر حينئذ يصبح أكثر من ظاهرة لافتة للنظر لأنها تعدت
تجاوز دعاة في أصقاع بعيدة الى حدوثه في أماكن قريبة من السلطان.
وهذا بالتالي يضيف جديدا إلى ما أورده القاضي عبد الجبار المعتزلي
من أن سبب ثورة أبي عبد الله الشيعي (ر. ص ٤٠٩) على المهدي
انما قامت لأعمال استتبعها أبو عبد الله أثرت عن المهدي نفسه ، وقد
أكد القاضي النعمان بطريقة غير مباشرة انتقادات أبي عبد الله الشيعي
هذه :^٢

فوق ذلك نجد قيام الدعوة الدرزية في القاهرة المعزية أيام
الحاكم بأمر الله العبيدي وتحت سمعه وبصره ، تلك الدعوة التي قالت
بأمر خطير ألا وهو تأليه الحاكم بأمر الله الذي لم يحرك ساكنا تجاهها
بل ان الذي بأيدينا من رسائل مؤسس الدرزية الداعي حمزة بن علي ،
يجزم بأن الحاكم راض عن ألوهيته تلك^٣ ويؤكد هذا الحال التي وصلت
اليها مدينة القاهرة ، حين وصلها الداعي الكرمانى في سنة ٤٠٨ وقد
وصف ذلك الكرمانى في كتابه " مباسم البشارات " ، وأشار الى ظهور
الفئة التي تؤله الحاكم بأمر الله ما يدل أن أمرهم قد استفحل وبيات
خطيرا . وكل ذلك جرى في عاصمة العبيدين نفسها في أمر يخص الامام
نفسه وهو الحاكم .

هذه تتف من تجاوزات الدعاة التي يزعم الباطنيون أنها تصرفات
" شخصية " ليست من عقيدتهم الأصلية ، فحبذا لو عرضنا بالعقيدة الباطنية
على تلك التجاوزات ، ماذا سيحدث :

١. انظر : تشييت دلائل النبوة ٢/ ٥٩٨ و ٥٩٩
٢. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٠٧ - ٣١٦ وانظر المجالس والمسايرات ص ٤٩٩
٣. انظر : مخطوطة رسالة الرضا والتسليم ق ٢٣ أ ورسالة الصبحة الكائنسة ق ٥٠ أ دار الكتب المصرية ٥٤ عقائد النحل .
٤. انظر : محمد كامل حسين ، طائفة الدروز ، القاهرة ، ١٩٦٢ ص ٥٥ ،
٥. وانظر : مذاهب الاسلاميين ص ٥٨٣ و ٥٨٤

ان خلط الدين بالفلسفة الذي انكره المعز لدين الله هزم القاضي
النعمان لا يمكن بأي حال اعتباره تجاوزا شخصيا اذا عرضناه على كتب
العقيدة الباطنية لاسيما رسائل اخوان الصفا ورسالتها الجامعة التي
يزعمون ان الذي ألفها هو أحد أجداد " المعز لدين الله " المستورين،
وقد ورد في هذا المبحث نصوص مستقاة من تلك الرسالة وتقول بصراحة
انها كتاب فلسفي بل ان هذا يصدق على أكثر كتبهم لاسيما ما كان سرا منها .

أما ما قيل عن تجاوزات الدعاة الذين حللوا لاتباعهم الاشباح من
الأحكام الشرعية والتهاون في ترك الفرائض ، فقد تبين لنا من قبل أن جميع
الفرق الباطنية ترى هذا الرأي على ضربين : الأول أن ذلك حتما يكون
حين يظهر القائم المنتظر (ر : ص ٢٩١) الثاني : أن ذلك يكون لفئة
معينة من الناس ؛ الذين وصلوا مرتبة عليا في الدين الباطني ، وذكر فسي
حينه أن هذه المرتبة تتفاوت ضيقا واتساعا بالنسبة للفرق الباطنية
المختلفة (ر : ص ١٨٢) .

أما مسألة قيام الدعوة الدرزية بتأليه الحاكم بأمر الله فليست في أصلها
الاصورة عن حلول اللاهوت في الناسوت الذي يدعونه في ائمتهم (ر : ص ٢٣٧ فما)
والذي له علاقة بحلول روح الله في آدم ثم في
لماذا اذن نسمي ذلك تجاوزا من الدعاة ، في حين أنه في حقيقته
تنفيذ لتلك العقائد .

واذا أردنا انصاف الباطنيين الذين قاموا بتلك التجاوزات ، فان أصوب
ما يقال في هذه الظاهرة أنهم نفذوا أمورا نظرية موجودة في عقائدهم فعلا ،
وكل خطئهم ينحصر في أنهم نفذوا ذلك في غير وقته أي أنهم تعجلوا في قطف

ثمار دعوتهم الهدامة ، وان للباحث أن يقول بكل ثقة ، اعتمادا على ما في المراجع الباطنية أنه لو قدر لهم - لا سمح الله - إقامة سلطانهم على بلاد المسلمين بدولة باطنية شاملة فلن تكون تصرفاتهم أدنى من تصرفات من سبق من أجدادهم مثل القرامطة^١ وعلي بن الفضل^٢ ودولة الموت ودعوة الدروز .

أما ما قيل عن اعتدال العبيديين ، فهو لم يكن إلا أنهم خافوا كراهية العالم الاسلامي تلك الكراهية التي اكتسبها القرامطة ، والتي اكتوى العبيديون أنفسهم بنارها ، بالإضافة الى الثورات التي قامت ضدهم في بلاد المغرب العربي لما ظهرت حقيقة دعوتهم ، ويؤيد هذا أن مجالس الدعوة الباطنية كانت لاتزال سرية في مصر الفاطمية أيام دولتهم^{١٠} مما يعنى أنهم لم يكونوا قد استطاعوا بعد استمالة المسلمين الى مذهبهم (ر . ص ٣٣٦)

الفكر اليهودي في تراث دعاة الباطنيين :

ان تراث الدعاة الباطنيين زاخر بأفكار منسوبة الى العهد القديم ، ومن النادر أن نجد مرجعا للباطنيين خاليا من فكرة أو عقيدة منسوبة الى العهد القديم ، وقد لاحظ ذلك كثير من الباحثين الذين أهتموا بالدراسات الباطنية ، مثل : ديبور الذي استنتج أن هذه الظاهرة قائمة منذ كانت الفرق الباطنية (جماعات سرية) كما يستفاد مما كُتب في هذا الموضوع^١ إلا أن المستشرق المذكور أشار الى أن هذه الجماعات السرية كانت تنسب أقوالا للفلاسفة الوثنيين الى أنبياء^٢ ممن وردت أسماؤهم في التوراة ، ويبدو أن استنتاجه كان من خلال اطلاعه على " رسائل اخوان الصفاء " ورسالتها

الجامعة . وقد أشار لويس الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة التي تميزت

بها الفرق الباطنية - الفاطمية - بشي^١ من التفصيل الذي وضح

فيه أن الدعاة درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة ، وعزاه الى العقيدة

الباطنية التي تقول بشمولية العقيدة (ر. ص ١١٦ وفيها بداية هذه

العقيدة في الفرقة المغيبة) . كما أشار الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة

عند الباطنيين ، عبدالرحمن بدوي الذي ذكر نماذج من تلك الاستدلالات .

ان الباحث من خلال دراسته لنصوص الباطنيين يستطيع القول : ان

الصبغة اليهودية موجودة في بعض تلك النصوص - اضافة الى ما ذكر -

ولكن ارجاع ذلك الى أصوله اليهودية ، كان يتطلب توفر مصادر يهودية

أكثر مما توفر للباحث ، وستأتى ان شاء الله شواهد على هذا الرأي (ر. ص

٣٩٣) وقد ذهب " شتروثمان " الى امكانية ارجاع العديد من القصص

الخيالية التي وردت في الفكر الاسماعيلي الى التلمود ، ولعله يتحدث

بتلك اللغة الواثقة بسبب توفر المصادر اليهودية لديه . كما أشار

الى هذه الظاهرة " باول كراوس " الذي كتب مقالة خاصة حول ذلك في

مجلة Der Islam الألمانية (العدد ١٩) ، وقد حاول

الباحث عبثا الحصول على تلك المقالة للاستفادة منها . وكان محمد

كامل حسين ممن أشار الى هذه الظاهرة التي اعتبرها مفخرة للباطنيين

لأنها دليل على سعة ثقافة دعائهم . وربما قرئت هذه الظاهرة من هذا

١. انظر: أصول الاسماعيلية (الترجمة العربية) ص ١٩٦

٢. انظر: مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/٢

٣. انظر: ايفانوف . الاسماعيليون والقرامطة ، نسخة مترجمة الى العربية

بقلم : مسعود علي مسعود ، وموجودة عند الأخ سليمان السلوي ، ص ١٥

٤. انظر: مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/١ وأصول الاسماعيلية هامش ص ١٩٦

٥. انظر: تعليق محمد كامل حسين على الرسالة الواعظة للكرمانسي

الوجه بما كان من بعض علماء المسلمين الذين درسوا العهد القديم للرد على اليهود ، وإذا كانت هناك مثل هذه المقارنة ، ففيها شيء من مجانية الصواب لأن الدعاة الباطنيين لم يستعملوا التراث اليهودي لمناصرة اليهود والرد عليهم بل استعملوه دليلاً يدعم آراءهم الباطنية ، ولذلك فإننا نجدهم يحورون الأقوال التوراتية على طريقتهم الخاصة ويؤولونها تأويلاً باطنياً .

إن الدعاة الباطنيين لم يجدوا أي غضاظة أو سبة في وجهة نظرهم هذه ، بل أنهم اعتبروا ذلك عين الصواب . وهذا يعود بنا إلى القول بشمولية العقيدة على اعتبار أنها تفيض من نبع واحد ، وقد استدلسوا في ذلك بالحديث النبوي (لتتبعن سنن من قبلكم) هذا الحديث الذي لا يكاد الباحث يفقده في كثير من المصادر الباطنية بصيغ متقاربة . إن استدلال الباطنيين بهذا الحديث لتدعيم مقولتهم في الاستدلال بالأسفار اليهودية ، بحيث جاء وكأنه تنفيذ لأمر رسول الله (ص) بوجوب اقتفاء أثر اليهود ، فيه مقال ، لأن في ذلك تجاهل لما ورد في القرآن الكريم من تحريف اليهود لكتبهم المنزلة ، قال تعالى : (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) ، فسأوا بين ما ورد في تلك الكتب وما ورد في القرآن الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . إن ذلك لا يضير الباطنيين في شيء ما دام يخدم أغراض الدعوة الباطنية ، ولا شيء غير ذلك .

* البخاري ك ٩٦ ب ١٤ أنظره في : فتح الباري ٣٠٠/١٣ .
١. انظر : القاضي النعمان . دعائم الاسلام ١/١ والداعي المؤيد في الدين . المجالس المؤيدية المجلس ٢١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ وقد نسب هذا القول الداعي أبو حاتم الرازي إلى الرافضة أنظر : (عبد الله سلم السامرائي) ص ٢٧١ وأنظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٨/١
** النساء ٤٦ *** — فصلت ٤٢

وقد اختار الباحث نماذج من الفكر اليهودي ظهرت في تراث الباطنيين ونسبها الدعاة صراحة الى التوراة أو أنبياء بني اسرائيل ، من ذلك مثلا :

* - الداعي : أبويعقوب السجستاني :

اسمه اسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني وقد عاش في القرن الرابع الهجري ، ويعتبر شيخ فلاسفة الاسماعيليين ، وكان يتقن أكثر اللغات السائدة في عصره ، وهذا ما يجعلنا لا نستغرب استدلاله بالتوراة حين يقول في كتابه (اثبات النبوات) :

ان من قصة نوح ما هو مكتوب في التوراة اذ أنه

أول من غرس الكرم لايجاد الخمر فمغنائه أن نوحا

أول من بنى الشرائع التي منها مخامرة العقول

ومدهشة الأذهان فأعرفه وتفهمه .

والداعي السجستاني يعني بذلك ما ورد في العهد القديم :

وابتدا نوح يكون فلاحا وغرس كرما . وشرب

من الخمر فسكر وتعمى داخل خبائه .

والمقارنة بين النصين توضح لنا القدر الذي ذهب اليه الباطنية

في توظيف ما ورد في العهد القديم لصالح دعوتهم ، الى جانب

ما فيه من مقصد البحث .

* القاضي النعمان :

هو : أبوحنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي

المغربي ، ويعرف عندهم باسم (سيدنا القاضي النعمان) تميزا له عن

١. انظر : مقدمة عارف تامر لكتابه : اثبات النبوات ص ٥ ز وأنظر أعمال

الاسماعيلية ص ١٥٤ .

٢. السجستاني . اثبات النبوة ص ١٨٥

٣. سفر التكوين ٩/٢٠ ، ٢١

أبي حنيفة النعمان الفقيه صاحب المذهب الحنفي - ويعتبر واجهة
الفكر الباطني المشرفة لتمييز كتاباته بالاعتدال النسبي اذا قورنت بمثيلها
لدى بقية الدعاة ، ولكنه لم يستطع اخفاء باطنه دائما - وتعتبر كتابات
القاضي النعمان الفقيه مصدرا رئيسيا في فقه الاسماعيلية ، وقد تدرج
القاضي النعمان في مراتب الدعوة الباطنية حتى صار داعي دعاة المعز
لدين الله العبيدي ، الى أن توفي سنة ٢٦٣ في القاهرة وصلى عليه المعز
لدين الله نفسه . في كتابه (المجالس والمسايرات) يروي القاضي النعمان
عن المعز قوله :

١٠ : فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من الحسن
ولهؤلاء المثقلين [يعني بني العباس] من الاقبال
والدول ؟ اذلك شيء اعطاهم الله اياه أم غلبوا
على أمره فيه ؟ .

فقالوا : الله ووليه أعلم .

فقال (عم) : انه كان فيما أوحى الله (عج)
١٥ الى داود : يا داود ان ولدك سيكون منهم من
بعدك ما يوجب عقوبتهم ، واني لست أنزع منهم
ما أعطيتك ، ولكن من عصاني منهم فبالعصا أقومهم .
ثم تنفس الصعداء (ص) وقال : في هذا مقال له
مقام . وأنه فيما يروى أن القائم منا اذا أسند ظهره الى
٢٠ الكعبة البيت الحرام ، وقام خطيبا للناس فحينئذ يقوم
لكل ما عنده .

فقبلنا الأرض وقلنا : نسأل الله أن يجعلنا ممن يلحق

ذلك ويفوز بمشهدته بين يدي وليه وابن نبيه .

ان المعز لدين الله العبيدي يستشهد بما ورد في العهد القديم في

خطاب الى داود :

متى كملت أيامك واضجعت مع آباءك أقيم بعدك

فسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته .

هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته الى الأبد

أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً . ان تعوج أودبته

بقضيب الناس وضربات بني آدم . ولكن رحمتي لا تنزع

منه كما نزعتهما من شاول الذي أزلته من امامك .

يستشهد المعز بالعهد القديم ليثبت نظرية الامامة الباطنية التي

تقول ان الامامة قائمة في ذرية الحسين بن علي حتى يقوم قائم القيامة المنتظرا

ويلاحظ على نص القاضي النعمان الى جانب ما سبق ذكره رد الفعل

الذي كان من الباطنيين الذين حضروا المجلس الذي قال فيه المعز مقالته .

* — الداعي أبو فراس :

هو شهاب الدين بن القاضي نصر بن ذي الجوشن الديلمي الميَنَقِي

هاجر أبوه سنة ٨٥٩ في ظروف غامضة من اقليم الديلم في فارس الى سوريا

وأسباب هجرته مجهولة وحياته قبل وصوله الى سورية مجهولة أيضا . وقد

ولد الداعي أبو فراس في قلعة المينقة في اللاذقية سنة ٨٧٢ ومات بها سنة ٩٣٧ ،

وله مؤلفات باطنية كثيرة مصبغة بميول صوفية^٣ ، ومن نافلة القول الاشارة الى

هذا الداعي من الباطنيين النزاريين .

١. كتاب المجالس والمسائرات ص ٤٢٧

٢. سفر صمويل الثاني ١٢/٧-١٥ وانظر ايضا : أخبار الأيام الأول ١١/١٧-١٤

٣. انظر : مقدمة عارف تامل كتاب الداعي أبي فراس : الايضاح ص ١ ومقدمته لكتاب

أربع رسائل اسماعيلية ص ١٩ وانظر أعلام الاسماعيليين ص ٣١٣ .

يرى الباطنيون عموماً أن لكل ناطق ضد أو إبليس لأن الأبالسة
في عقيدتهم لا بد من وجودهم في كل زمان مع كل شيء أو أمان في تسلسل
تناسخي مرتبط على طرف نقيض مع فكرة الأدوار السبعة (ص ٢٠١) .
والداعي أبو فراس يتحدث هنا عن إبليس نوح عليه السلام فيقول :

وإبليس نوح عليه السلام حام ، ولذلك روي في
الخبر أن حاماً رأى عورة أبيه نوح وهو نائم فأطلع
على ذلك أخوته كنعاناً وساماً ويافثاً ولم يستره ، أي
أنه كشف ما وصل إليه عن أبيه من العلم الذي لا ينبغي
كشفه إلا لأهله ، ونصحه أبيه [كذا] فلم ينتصحه
وأصر على المعصية ولم يتب ، فاكسب بعمله
مقام الابليسية .^١

إن الداعي أبو فراس يعني بالخبر الذي رواه ما ورد في العهد القديم :
فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه
خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على
أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما^٢
ووجهاهما إلى الوراء .

وللاحظ القارئ الكريم كيفية استخدام الداعي المذكور للنص ليتلاءم
مع الفكرة الباطنية التي توجب السرية وعدم كشف الأسرار الباطنية ،
أما التعليق على نص العهد القديم فليس للباحث أن يخوض فيه .

١. كتاب الايضاح ص ٥

٢. سفر التكوين ٢٢/٩ ، ٢٣

* - الداعي حميد الدين الكرمانى :

هو الداعي أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى الملقب بحجة العراقين ، وهو : شخصية علمية خارقة ، يكتنف تاريخ حياتها بالغموض وهو كما يقول الداعي ادريس عماد الدين :

٥ هو أساس الدعوة التي عليه عباده وبه علا واستقام منارها ، وللغموض الذي رافق هذا الشخص نجد أن تاريخ وفاته لم يعرف على التحديد رغم كونه أحد أعمدة الفكر الباطني وقد رجح أنه توفي سنة ٤١١ كما يقول مصطفى غالب .

وللداعي الكرمانى كثير من المؤلفات الباطنية ، ويدل على مكانته في الفكر الباطني أنه مرجع لكثير من الباطنيين الذين جاؤوا من بعده . استدل الداعي حميد الدين الكرمانى بحجارات من العهد القديم في كتابه (مباسم البشارات) حين قدم الى القاهرة لعلاج الموقف الذي نتج عن ظهور الفرقة الدرزية التي قالت بتأليه الحاكم بأمر الله (ر. ص ص ١٥٠ ، ٢٠٣) .

١٥ كتب عبد الرحمن بدوي في ذلك ما يأتي :-

في دفاع الكرمانى عن الحاكم ثراه يغلو فيه ، وإن كان غلوه أقل درجة من غلو حمزة بن علي ومحمد الدرزي . . ثم يسوق البشارات التي بشرت بالحاكم بوصفه المسيح أو المهدي الذي بشر به إسماعيل (أشعيا)

٢٠ في التوراة [٢] ، حيث يقول : . . .

١. انظر : مقدمة محمد حسن الأعظمى على كتاب القاضي النعمان تأويل الدغائم ٢٠/٣ ومقدمة محمد كامل حسين على الرسالة الواعظة للكرمانى . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ص ١ وأعلام الاسماعيليه ص ٩٩ فما .

" افرحي واشكري يا بنت صهيون - واصرخي
فرحاً يا بنت بيت المقدس ، فان ملكك قد جاء
صادقاً مطهراً من الأدناس ، زاهداً وراكباً على
حمار الوحش والأثني ."

وقد ذكر الكرمانى الآية [٢] بنصها العبري
مكتوباً بحروف عربية ولكن يلاحظ على ترجمته للآية
[٢] ما يلي :-

أ - أنه أضاف كلمة " رعاة " وجعل " بنتاً " جمعاً
هكذا ، رعاة بنات صهيون .

ب - ولعل سبب ذلك التأويل الذي يسوقه للآية [٢]
أن يقول : " فهل الرعاة الا الدعاة ، وهل البنات
الا المؤمنون ، وهل بيت المقدس " الا الامام ، وهل
ما قاله من العلامة بشارة للدعاة بقوله : " فان ملكك
قد جاء " صادقاً مطهراً من الأدناس زاهداً راكباً على
الحمار وعلى الحير والأثني " - الا ما عليه حال الامام
(ع) - ؟

فكان الكرمانى اذن قد حرف في الآية [٢] الواردة
في سفر اشعيا - بحسب قوله (وصوابه في سفر زكريا
[- زكريا] اصحاح ٩ آية [٢] ٩) لكي تتلاءم كلها
مع أحوال الحاكم بأمر الله والدعوة الاسماعيلية . وكان
المسيح (أو المهدي) الذي بشر به اشعيا هو بعينه
الحاكم بأمر الله ، والدليل على ذلك أن الحاكم كان
زاهداً ، ويركب الحمار في ركوبه .

وهذا قد بُرِّئَ على الكرماني بأن النصوص من بشارة أنبيا
هو عيسى بن مريم ، ولهذا يندرك الكرماني هذا الاعتراض
بالرد فيقول : " تقول قد يقع الظن بأن الذي قاله
إشاعيا (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة
ميسي (ع) بكوله راكبا للحمار ، زاهدا - من دون
غيره " -

والذي ^{يقول} أن الإشارة بقوله لذلك في هذا الموضع
هي بالامام (ع) من دون عيسى (ع) ويؤكد الحكم
ويقطع : قول إشاعيا تأيلا أنه يملك المفسدين ويفنيهم
بريح شفتيه ، حيث يقول مخبرا عن أعمال الزاهدين
الراكب الحمار الذي يشر به :

- ويقضي بالصدق والعدل للضعفاء والفقراء ويريح
الخواص المتواضعين -

- ويضرب الأرض بعصافه ويريح شفتيه ، ويميت
المفسدين - ثم كون عيسى (ع) من هذه الأفعال
خياليا (هو) من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به ،
أن لم يبق في قومه فيقال أنه يحكم بالصدق والعدل ولم
يقتل أحدا ، ولا أمات مقيدا ولا أمر بذلِكَ فيقال أنه
قتل وأمات . وإذا كان ذلك كذلك . . . خلصت هذه

القضايا التي حكم أشاعيا (ع) بها للحاكم (س) بقيام
أمارات تنافيها أن هو الزاهد والراكب الذي قد أنفَسى
المفسدين ويفنيهم أمدا بحركة شفتيه بقوله ، خذوا رأس
فلان ، أو اقتلوه - بعضيائهم وانسادهم ، لم تصح إلا فيه
أن ذلك لشيء عجاب . . .

" لما كانت الدلائل على ما بيناه أن الامم الحاكم
 بأمر الله أمير المؤمنين (ع) هو الذي ينجز الله وعده به
 لمحمد (ص) . وعلى يده يعود الأمر كلياً الى بيت
 النبوة ، فوجدنا ما يحقق قولنا في قول دانيال النبي
 (ص) في المدة التي أوما اليها من أيامه التي هي
 تاريخ الاسكندرية ، بشاره حيث يقول : أثريها محكي
 ويجيع لياميم أيلوشلوش مثوت شلشيم وحمشة .
 أي : " طوي للموحدين في زمن ألف وثلاثمائة وخمس
 وثلاثين سنة من زماني " .

- ١٠ وإذا كان من اضافة الى ما أورد " عبد الرحمن بدوي " فليس سوى ما أشار
 اليه في هامش كتابه من تصحيحه لبعض الألفاظ التي وردت خطأ في كتاب :
 " مباسم البشارات " ، وأن ما تنبأ به الكرمانى في الحاكم بأمر الله لم يتحقق منه
 شيء مطلقاً ، كما وردت استشهادات توراثية للكرمانى في كتابه (راحة
 العقل) .^٢

١٥ * - حاتم بن ابراهيم الحامدي :

الداعي الثالث المطلق لفرقة المستعلية (- ٥٩٦) ان لهذا الداعي
 كتاباً يسمى (مجالس حاتم) وذكر أنها خمسة عشر مجلساً ، وفي مخطوطة
 الكتاب المذكور التي عثرت عليها في اليمن ما يدل على أنها في الأصل أكثر من
 مائة مجلس ذلك لأنه في بداية كل مجلس يقول المجلس كذا من
 المائة الأولى .

٢٠

١. مذاهب الاسلاميين ٥٨٥/٢ - ٥٨٨ ، ٥٩٠
٢. انظر : المجدوع ص ٢٨٤ وانظر ايضاً المجدوع ص ٢٨٤ و ص ٥
- * انظر : ترجمته في اعلام الاسماعيلية ص ١٩٧ وايفانوف ١٠ الأدب ...
 الاسماعيلى ص ٦١
٣. انظر : ايفانوف ٢٢٥ واعلام الاسماعيلية ص ١٩٩ والمخطوطة الموجودة عندي
 أقل من ذلك وهي ناقصة

١. حفلت " مجالس حاتم " باستشادات من العهد القديم مثل : لاجديد
تحت الشمس وتنصيب آدم ابنه شيت ٢. واقامة يوشع كفيلا لولده هارون ٣.
وادعائه أن زوجة موسى حاريت وصي موسى بعد وفاة موسى ٤.
وأنها أتت في تلك الحرب راكبة زرافة ٥. وهو يشبه ذلك الحدث لوقعة
الجمال التي وقعت بين علي بن أبي طالب وأم المؤمنين عائشة بنت
الصديق كما ادعى أن بني اسرائيل أيضا حاربوا يوشع بعد وفاة موسى ٥
وهو بذلك يريد أن يشبه الحدث بما صار بعد وفاة محمد (ص) من عدم
مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة ٦. فاعتبرها حربا لعلي .

٤. ان الادعاء بأن " صفراء " أو " صفورة " حاريت يوشع بن نون لم
يثبت في العهد القديم وكذلك الحرب بين بني اسرائيل ويوشع ولكن
١٠ أن بني اسرائيل أخطؤوا في اغضاب يوشع بن نون .
وادعى أن يوشع بن نون سلم الأمر إلى فنحاس بن هارون ٦. بينما الذي
في العهد القديم هو فنحاس بن اليعازر بن هرون وأما التسليم إليه فلا
وجود له في العهد القديم . وهكذا يتضح أن الغرض إذا كان تأييد
الدعوى الباطنية ٧. فان الدعاة على استعداد أن يستدلوا بأي مرجع ويزيدوا
١٥ من عندهم ما ينقص .

* كتاب مجالس الحكمة : مخطوط باطني مجهول المؤلف ، والنسخة متأخرة
النسخ ولم يذكر ايفانوف هذا الكتاب مطلقا بل ذكر مجالس الحكمة والبيان وهو
من تراث السليمانية وليس بمستبعد أن يكون كتاب مجالس الحكمة من مؤلفات

١. انظر : مخطوطة مجالس حاتم ق ق ٦ ١ ، ٣١ ب ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ .
٢. انظر : سفر التكوين ٢٥/٤ ، ٢٦ .
٣. انظر : سفر العدد ١٨/٢٧ وسفر التثنية ١٤/٣١ .
٤. انظر : اسماني : سفر الخروج ٢١/٢ ، ٢٠/٤ .
٥. انظر : يشوع ١/٧ - ٢١ .
٦. انظر خروج ٢٥/٦ والأيام الأول ٥٠/٦ .
٧. انظر ايفانوف ص ٤٦٨ .

يرى صاحب " مجالس الحكمة " أن تولية يوشع بن نون أمور بني اسرائيل بعد وفاة موسى ليس الا لكونه كفيلا على ولد هرون (ر. ص ٣٩٠) فهو يعني أن يوشع بن نون كان غريب النسب والامامة ليست له بل هي في الأصل لولد هرون، ولكي يجعل من القصة نموذجاً لما يصوره الباطنيون من أمر بداية ظهور فرقتهم تلك القصة التي أضموا فيها موضوع " ميمون القداح " على أنه كفيل محمد بن اسماعيل تبريراً لما قام به من تأسيس الفرقة الاسماعيلية الباطنية ؛ أورد القصة على ما يلي : —

ان هرون أمر ولدين له بتقديم قرابين لله على طريقة ما كان من هابيل وقابيل . ليتبين من هو الامام منهما ؛ فنزلت نار من السماء وأحرقت ولدي هارون . ان قصة احتراق ولدي هارون وردت في العهد القديم^١ وهما " ناداب " و " ابيهو " . وهكذا استمر صاحب " مجالس الحكمة " في سرد القصة على ما في العهد القديم ؛ فذكر صعود هرون الى جبل الطور ليموت هناك^٢ ، ثم ذكر أن موسى أظهر يوشع بن نون لبنائيه^٣ اسرائيل .

ولتلاءم القصة مع ما يريد صاحب مجالس الحكمة أشعر قارئيه أنه بعد احتراق ولدي هرون كان ابنه الذي يفترض فيه أن يكون الامام — مازال دون السن التي تؤهله لتبوء ذلك فنصب " موسى " يوشع بن نون كفيلاً ؛ ولكن هذا تحريف لما في العهد القديم الذي فضلاً عن كونه لم ينص على ذلك ؛ فان أولاد هارون كانوا كهنة لبني اسرائيل حتى مع وجود يوشع بن نون ؛ فحتى حين احترق " ناداب " و " ابيهو " .

١. انظر: سفر اللاويين ٢٤/٩

٢. انظر: سفر العدد ٢٥/٢٠ — ٢٩

٣. انظر: سفر العدد ١٨/٢٧

١.

فان اخوانهما هم الذين قاموا بالطقوس اللازمة نحو المحترقين ، ولكن الباطنيون يبغون تكيف ما ورد في العهد القديم ليتلاءم مع أهداف خاصة تبرر ما لفقوا لأنفسهم من تاريخ .

- ٥ الى جانب ما يضيفه كتاب " مجالس الحكمة " في تأكيد أثر الفكر اليهودي في تراث الدعاة الباطنيين فان هذا الكتاب أضاف الى ذلك ، أن المهدي عبيد الله ليس فاطميا ، بل من الممكن القول أنه أعطانا بطريقة غير مباشرة صورة قد تكون جديدة لفترة الستر التي في تاريخ الباطنيين وهي أن ميمون القداح كان كفيلا لمحمد بن اسماعيل على ما عرفنا وأن الأمر بقي في أيديهم أي القداحيين حتى سلم المهدي ذلك للقائم بأمر الله .
- ١٠ أي ما يقرب من قرن ونصف ، ومن ذلك يمكن استنباط الكثير .

* مجموعة الوثائق الفاطمية :

- ان كتاب مجموعة الوثائق الفاطمية مجهود قلم به جمال الدين الشيال لجمع الوثائق الرسمية التي صدرت عن الخلفاء العبيديين ، وهي فهي في مجموعها تمثل وجهة النظر الرسمية لخلفاء الدولة العبيدية ، وهذه الوثائق بالاضافة الى ذلك توضح لنا جانبا من عقائد خلفاء هذه الدولة ، وهو جانب هام لمن أراد دراسة الفرق الباطنية وعقائدها كما يراه أئمة هذه الفرق باعتبارهم سلالة علي بن أبي طالب كما يزعمون .
- ١٥ ولنسنا في مجال دراسة هذه الوثائق كي يتم لنا الوقوف على أهميتها التي لا تخفى على أولي الأبواب ، ولكن لابد من الإشارة إلى أكثر قيمة من الانتاج الفكري
- ٢٠

١. انظر: سفر اللاويين ١٠/١٢، ١٦-١٩
٢. انظر: مخطوطة مجالس الحكمة ق ٢٦ ١

للدعاة لا سيما وأن أكثرها صُدِّرَ بقلم الأئمة العبيديين أنفسهم . وأعني بهم هنا الذين تولوا الخلافة بعد وفاة المستعلي (- ٤٩٥) .

وفي هذه الوثائق نجد بكل وضوح تأثيرا واضحا للفكر اليهودي على الدعوة الباطنية ، وقبل الحديث عن ذلك لابد من الإشارة إلى أن أحد كتاب الخليفة الأمر بأحكام الله بن المستعلي (- ٥٢٤) كان يهوديا وهو : ابن أبي الدم . وفيما يلي بعضا من ذلك :

١- الهداية الامرية في ابطال الدعوة النزارية :

هذه رسالة صادرة عن الخليفة العبيدي الأمر بأحكام الله وقد نشرها لأول مرة : آصف بن علي أصغر فيضي (كلكتا ١٩٣٨) ، وموضوع هذه الرسالة يبدو من عنوانه ، وهو ابطال ما ادعته فرقة النزارية التي ظهرت بعد وفاة المستنصر (- ٤٨٧) (ر. ص ص ١٥٠ ، ١٥١) ، والذي يُهيمنا هنا من أمر هذه الرسالة استعانتها ببعض ما ورد في العهد القديم في تأييد دعوى الفرقة المستعلية (ر. ص ١٥٢) صحة امامة المستعلي وفساد امامة نزار ، تقول الرسالة :

وهذه أمور جليلة لا يكابر فيها الا من يجحد العيان
ويدفع البرهان والى هذا أشار الله تعالى بقوله :
(واتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ
سَلِيمٌ وَلَكِن الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا) (وذلك أن مولانا

* انظر ترجمة وافية لحياته في : المقرئ . اتعاط الحنفاء ٣/٣١ - ١٣٣ .

١. انظر الوثائق الفاطمية ١/١٤١ وانظر : اتعاط الحنفاء ٣/١٣٣

٢. انظر : الوثائق الفاطمية ١/٤٧ ، ٥٠٠ ، ٢٠٣

** البقره ١٠٢

المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بني
اسرائيل ، وهو المشار اليه بسليمان ، وقد قال النبي
[ص] (كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل ...) ٥
فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله ، لأنه
واقع في الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان ...
وأيا فانه أوتي ملكا لم يوت مثله أحد من آبائه
طولا وتمكينا كما أوتي سليمان ، وسخرت له الرياح
والشياطين كما سخرت لسليمان ، ... وقوله " وما كفر
سليمان " أي ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد
حقيقة علمه في معنى الامام من بعده ، بل عقد الامامة ١٠
لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد
... وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا ، ...
ولهذا قال سبحانه : " ولكن الشياطين كفروا " ،
أي هؤلاء الذين شطثوا عن الحق وبالفخا فسي
الحيلة ، فضلوا وأضلوا ١٥

وما يعضد هذا التأويل ما ورد في أسفار بني
اسرائيل من أن سليمان نص بالامامة على ولده رجبون
كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلي
بالله ، فحسده يرمعون ، فخرج عليه . وكان الدائرة ٢٠
على يرمعون ... وكانت العاقبة لابن سليمان .

ان قصة رجبون ويربعون وردت في العهد القديم ، ولكن اسمهما لم
يكن كذلك بل : رجبام ويربعام ولما راجعت العهد القديم لم أجـد

فيه ما يدل على أن يرحمهم كان أخا ليرحمهم كما ظن البعض ؛ بل أن
رحمهم هو ابن سليمان فقط كما سيتبع . ولا يفهم أيضا من نص
الهداية الأمرية أن يرحمهم كان أخا لرحمهم .
وان يرحمهم هذا كما في العهد القديم هو :

يرحمهم بن ناباط افرايمي من صرده عبد لسليمان واسم

انه صروعة وهي امرأة أرطلة .

والقصة موجودة بكاملها في سفر الملوك الأول من الاصحاح الحادي
عشر الى الخامس عشر . وهي لا تنجم تماما مع ما ذهبت اليه
الهداية الأمرية ؛ الا أنها توضح لنا بالاضافة الى الأثر الفكري
اليهودي عند الباطنيين ؛ أنهم كانوا يدعمون عقائدهم بأي دليل يعثرون
عليه ولا يهمهم من ذلك قوة الدليل .

٢- رسالة (ايقاع صواعق الارغام في ادحاض حجج أولئك اللئام) ؛

وهي رسالة نشرت مع الهداية الأمرية في مجلد واحد^٣ وهي رد
آخر من المستعلية على النزارية الذين مما يظهر أن امامهم تزار بن
المستنصر (- ٤٨٨) قتل بأمر أخيه المستعلي فشنع النزاریون ذلك
على المستعلية في الوقت الذي اعتبروا ذلك ظلما جرى على امامهم^٤ .
وقد ردت هذه الرسالة - ايقاع صواعق الارغام - على ذلك برد يجسد
الباحث فيه التأثير اليهودي في فكر المستعلية ؛ تقول الرسالة :-

-
١. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٥٦/١
 ٢. سفر الملوك الأول ٢٦/١١ وانظر أيضا ١/١٢ ، ١٥ ، ١٤/٢-٩ ، ١/١٥
 ٣. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٣٠/١
 - * انظر أعلام الاسماعيلية ص ٥٨٣ فما ، وفيها انكار لمقتل تزار بن
هذه السنة .
 ٤. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٣٥/١

وأما قولهم : ان يزيد اللعين [يعني ابن ابي
سفيان] قتل الحسين وأن ابن آدم قتل أخاه
وكانت هي اشارتهم الى أن القاتل ظالم والمقتول
مظلوم ، وهذا قول من لا ينظر بنور ، ولا يعرف قبيل
من دبيرة ، ذلك أنه ليس كل مقتول مظلوم ولا كل
قاتل ظالم ، ألا ترى أن داود قتل ابنه أشلم
لما خرج عليه ، فهل تقول ان داود هو الظالم
البعيد عن الله ، وابنه هذا أشلم المظلوم القريب
من الله ؟ .

- ١٠ وإذا عدنا الى العهد القديم فان ابن داود الذي تدور عليه القصة
لم يكن يسمى أشلم كما ورد في النص الباطني بل كان اسمه أبشلم ، وقصته
أنه ثار لأن أخاه اغتصب أخته العذراء فدبر أبشلم مكيده لقتل أخيه .
انتقاما وتطور الأمر حتى قُتل أبشلم على يد شخص اسمه يوب فحزن
داود على ابنه القتل وبكاه .

- ١٥ وهكذا يتضح أن القصة وإن كان لها أصل من العهد القديم
إلا أن الباطنيين المستعنيين استشهدوا بها على طريقتهم الخاصة ، مثل
ما كان منهم في كثير من الاستشهادات التي ساقوها من العهد القديم .
بالإضافة الى ما سبق فان الباطنيين رَوَوْا في تدعيم عقائدهم روايات
نسبوا الى التوراة كقولهم :-

١. مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٤٥/١
٢. انظر : سفر صمويل الثاني ١/١٣
٣. انظر : سفر صمويل الثاني ١/١٣ - ١٥ ، ٢٨ ، ٢٩ و ١٨/١٤ ، ٣٣

ورد في التوراة قول الله تعالى حيث قال :

اطعني يا ابن آدم أجعلك مثلي حيا لا تموت عزيزا

لا تذلل غنيا لا تفقر^١

ومن العجيب أن بعض المحققين للمصادر الباطنية اعتبر ذلك

حديثا قدسيا^٢

وتعج المصادر الباطنية بحكم وأقوال أخرى غير منسوبة الى العهد

القديم ولكن مما يشتم منها أنها ذات أصل يهودي ، كقول بعض الدعاة : -

قال بعض الحكماء : لا تحاول اصلاح من قسوي

فساده فهو الى أن يجذبك اليه أقرب من أن تجذبه

اليك^٣

١. مقدمة تأويل الدعائم ٤٢/١ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظم)

٢. انظر: المجالس المؤيدية ، فهرست الأحاديث المنسوبة الى النبي (ص) ص ٦

٣. رسالة تحفة المرتاد ، (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٠

الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية

ان الدعوة الباطنية سرية ؛ لا يشك أحد في اتباعها هذا الأسلوب ، خاصة بعد ما مضى من هذا البحث ، وهذه الدعوة قامت على أكثاف دعاة مجهولين في معظم الأحوال ؛ الا أن تعميم صفة السرية وتعليق جميع الأحداث عليها ضرب من المبالغة أو التهرب من مواجهة شيء ما . ففي هذا التاريخ ما هو جدير بملاحظة الباحثين وإدانة التأمل ؛ وقد مرَّ .

وتاريخ الدعوة الباطنية منذ نشأتها حتى زوال الدولة العبيدية بفترتين رئيسيتين ؟

الأولى : فترة الستر وهي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ كمـ يزعم الباطنيون حتى ظهور عبيد الله المهدي على المغرب سنة ٣٩٦ ، والمفترض أن تكون هذه الفترة سرية بمعنى الكلمة لا سيما فيما يختص بالأئمة ومشاهير الدعاة .

الثانية : فترة الظهور أو دور الأشهاد ؛ وهي التي تبدأ بما انتهت به فترة الستر وتنتهي بانتهاء الدولة العبيدية ويفترض في هذه الفترة أن تكون علنية بخلاف فترة الستر لا سيما ما يختص بمرتبة داعي الدعاة (ر. ص ٣٦٨) . وما يختص أيضا بإعلان النسب الفاطمي الذي غلفته السرية في فترة الصمت .

وهذا الفصل يوضح لنا بطريقة أخرى تاريخ هذه الدعوة انطلاقاً

من النقطة العرجة فيها الا وهي نسب الخلفاء العبيديين .

علاقة النسب الفاطمي بتاريخ الدعوة الباطنية :

ان الفرق الباطنية في مجموعها تدعوا الى ائمة محمد بن اسماعيل - عدا فرقة النصيرية - وقد تبين لنا من خلال ترجمة المذكور وترجمة أبيه

أن لا دور لهما في العقائد الباطنية وان كان لهما من دور في الدعوة
فهو أنها تحمل اسم اسماعيل ومحمد بن اسماعيل (ر. ص ص ٢٦٨، ٢٧٥)
ولما قامت دولة العبيديين ادعى خلفاؤها الانتساب الى محمد بن
اسماعيل بطريقة لازالت موضع خلاف شديد بين المؤرخين والدارسين
فتفرقوا بين مثبت لهذا النسب وناف له.

وارتباط هذا النسب بتاريخ الدعوة الباطنية ينطلق من خلال
وجهة نظر الذين نفوا هذا النسب الذي ادعته طائفة منهم لميمون
القداح وابنه عبدالله بن ميمون وهما اللذان قامت هذه الدعوة على اكتافهما،
وهو بالتالي ينسجم مع وجهة نظر من اعتبر الخلفاء العبيديين قداحيين
في حقيقة أمرهم . ولا يخفى علينا أن هناك طائفة من اثبتت صحة النسب
الفاطمي لأولئك الخلفاء تدعي أن القداحيين شخصيات وهمية وأسماء
حركية للأئمة المستورين الذين يتحدرون من ذرية محمد بن اسماعيل
وهنا يصبح الفاطميون أنفسهم هم حاملي لواء الدعوة الباطنية .

وهكذا تصبح مسألة النسب الفاطمي جزءا لا يتجزأ عن تاريخ

هذه الدعوة .

المنكرون للنسب الفاطمي :

ان المنكرين للنسب الفاطمي يدعون أن العبيديين في أصلهم من ذرية
ميمون القداح . وقد ذكر " برنارد لويس " أن أول من أشار الى ذلك كان
" ابن رزم " (عاش تخميناً في أوائل القرن الرابع) ، وهي إشارة الى أن أهل
السنة هم أول من قال بذلك ، وقد انتشرت هذه الفكرة عن أهل السنة عند كثير

من الباحثين المعاصرين مع الأسف ، وان كان بعضهم يبدأ في حصر
 التهمة في الخلفاء العباسيين وهو أيضا خطأ شنيع ، لان أول تشكيك
 في نسب الخلفاء العبيديين لم يصدر عن أية طائفة اسلامية قبل صدوره
 من الباطنيين أنفسهم ، فان ابا عبدالله الشيعي (- ٢٩٨) المؤسس الفعلي
 لدولة العبيديين في المغرب ، وأخاه ابا العباس كانا أول من شك في
 نسب عبيد الله المهدي " كما تقول مصادر باطنية (ر. ص ٤٠٧) ولكن
 قبل أن نتحدث عن أبي عبدالله الشيعي باعتباره المؤسس الحقيقي
 للدولة العبيدية ، وما كان منه من الشك في المهدي عبيد الله
 لابد أن نتحدث عن وصوله الى المغرب كيف ولماذا كان ، وهذا حديث
 له علاقة بظاهرة ارسال الدعاة الباطنيين الى البلاد المختلفة لنشر
 الدعوة .

ارسال الدعاة الى البلاد المختلفة :-

تحدثنا في الفصل السابق عن دعاة الجزائر ، وعددهم وكيفية
 ارتباطهم بالامام عن طريق داعي الدعاة واسماء جزرهم ٠٠٠ البخ (ر. ص
 ٣٦٩) ولكن هناك ظاهرة أخرى في تاريخ الدعوة الباطنية وهي ظاهرة
 ايفاد الدعاة الى أماكن مختلفة ، وغالب الظن أن هذا خارج عن
 مسألة داعي الجزيرة التي ذكر الباحث احتمال وجود ذلك التنظيم
 الخاص بالدعوة على النحو المعقد الذي يطيب لبغض الدارسين المعاصرين
 أن يصفوا نظام الدعوة الباطنية عليه في الفترة المسماة بدور الستور .
 ولقول الباطنيين بوجود داع لهم في مصر (ر. ص ٤٠٧) وليس في نظام
 الجزائر جزيرة باسم مصر .

١. انظر: مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ١٦٦

٢. انظر: مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ١٦٦

ان لرسال الدعوة بدأ بارسال دعاة لليمن بهدف اقامة أول دولة باطنية

يظهر منها المهدي المنتظر (ر. ص ٣٣٠) .

ورغم أن ذلك تم في فترة الستر (سنة ٢٦٧) إلا أن الداعيين الحسن

ابن فح بن حوشب وعلي بن الفضل الجدني يعتبران من أكثر الدعاة

شهرة ليس في فترة الستر فحسب بل في فترات الدعوة الباطنية كلها .

ان هذا الظهور لاثنين من الدعاة في هذه الفترة يلقي ظللا من الريبة

على مدلول كلمة الستر . كما أنه يشعرنا أن سنة ٢٦٧ كانت البدايسة

الحقيقية للدعوة الباطنية ، وما كان قبل ذلك فلا يتعدى الجانب

النظري للدعوة الا قليلا .

١٠ أقام الداعيان الحسن بن فح الشهير " بمنصور اليمن " وعلي بن الفضل

أول ما يمكن أن يطلق عليه " دولة الباطنيين " وان يكن الداعيان

قد اختصا وتنافرا وتحاربا . حتى قُتل علي بن الفضل بعد ذلك الا أن

نجاحهما كان حافزا للمخططين الباطنيين أو " الأئمة المستورين "

كبي يعيدو التجربة بارسال داع الى المغرب .

١٥ أرسل " أبو عبدالله الشيعي " أول ما أرسل إلى اليمن ليتلمذ على

يد منصور اليمن الذي أصبح على ما يظهر خبيرا في شئون اقامة الدعوة ،

والدولة . أما من الذي أرسل أبا عبدالله فهو موضع خلاف ذلك أن القاضي

النعمان يزعم أنه الامام المستور ، ولكن " جعفر الحاجب " الذي يمكن توثيقه

أكثر من القاضي النعمان هنا ، يدعي أن أبا عبدالله الشيعي لم يقابل

٢٠ الامام المستور الذي بعثه على سبيل المجاز من الكوفة الى اليمن لأنه لم

يصل بعد الى المرتبة التي تؤهله لمقابلة الامام .

١. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٠

٢. انظر : سيرة جعفر (مجلة كلية الاداب . جامعة القاهرة) ديسمبر

١٩٣٦ ، ص ١٢١

بعد أن قضى " أبو عبدالله " فترة التدريب ، بعثه منصور اليمن مع
الحجيج إلى مكة لينطلق من هناك إلى المغرب ، ومع شخص مرافق
اسمه " عبدالله أبو الملاحف " قد لا يعيننا من أمره شيء ، لاغفال التاريخ
له بعد ذلك .

٥ اتصل " أبو عبدالله " في مكة ببعض الحجيج المخاربة من قبيلة
" كتامة " البربرية ، فكان أن اصطحبوه معهم إلى بلادهم .

كانت مهمة أبي عبدالله بذرا أرض الدعوة الباطنية في المغرب ، تلك
الأرض التي يقول الباطنيون ان داعيين باطنيين آخرين سبق وأن جاءوا
إليها لحربها حسب التعبير الباطني ، قبل خمس وثلاثين ومائة من السنين

١٠ كما يزعم القاضي النعمان ، الذي ذكر أن أبا عبدالله وجد أفراداً من
الشيعة في سوجمار من أرض " سماته " بالشمال الغربي من " بلاد الجريد "
المسماة اليوم تونس ، ولابد من إعادة النظر في صحة ارسال الداعيين
الحلواني وأبي سفيان أيام جعفر بن محمد كما يدل النص .

اتخذ " أبو عبدالله الشيعي " الأسلوب الباطني ، وبدأ يعمل في
١٥ الخفاء وركز على " الكتامين " ، فأظهر لهم التمسك بأهداب الدين مثل :

الاقبال على الصلاة ، والصيام وأعمال الخير ،

وأفعال البر ، وتجنب المعاصي وصلاح الأحوال ،

١ ما دعاهم إلى الدخول في ذلك فأقبلوا إليه من كل وجه .

انتظار المجهول :

٢٠ يبدو أن أبا عبدالله الشيعي مكث على هذه الحال يبشر بالمهدي
المنتظر حتى دان له جزء من افريقية والمغرب الأوسط وبقي بين القوم ينتظر

١.

المهدي المجهول له ولهم لأن أبا عبدالله لم يعرف المهدي من قبل . بيل
ومن الممكن الاضافة أن أبا عبدالله كان يجهل صفات المهدي بحيث
لا يستطيع التعرف عليه الا بمعرفه كما سيأتي (ر. ص ص ٤٠٥، ٤٠٦) .

ويبدو أن أبا عبدالله لم يتصل حتى بالامام المستور الذي يفترض أن يكون
أبا للمهدي عبيد الله أو شيئا من ذلك ، وهذا ما يؤكد أن السرية التي
طبقت مع أبي عبدالله الشيعي لم يطبق مثلها على منصور اليمن الذي
حظي بمقابلة الامام المزعوم من أول وهلة ، وهي اشارة الى تعميق السرية
بعد ارسال منصور اليمن .

كان على أبي عبد الله الشيعي أن ينتظر المجهول . وقد يدل هذا

١٠ على أن هناك انقطاعا بين أبي عبدالله والمرجع الاصيل الذي يعمل
لحسابه .

الا أن ابن الأثير ادعى أن أبا عبدالله أرسل الى المهدي رجلا من
"كتامة" من المغرب لتبشيريه بما فتح الله عليه فانه ينتظرونه ، كما ذكر
"جعفر الحاجب" الذي رافق المهدي عبيد الله في رحلته الى المغرب

١٥ أن المهدي ،

أنفذ محمد بن احمد أخا أبي عبدالله الداعي ببلدة
كتامة الى القيروان مع من كان معنا من الكتامين الذين
كانوا ينفذون إلينا الى سلمية ليصل معهم الى أخيه
٣ ببلدة كتامة ، ويعرف قرب المهدي ع م منه .

٢٠ ولكن هذا يتناقض مع ما ذكره جعفر الحاجب نفسه من أن المهدي
حينما كان في طريقه الى أبي عبدالله متكررا تعرف بشخص يدعى "أبو
القاسم المطلي" وهو من أهل "القيروان" وقد صاح "عبيد الله المهدي"

١. انظر افتتاح الدعوة ص ٢٧٧

٢. انظر الكامل ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٥ هـ ، ص ٣٧

٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٦

هذا المطلبي بأنه المهدي المنتظر وأمره أن يلحق بالداعي أبي عبد الله
كسي يعرفه بشخصية المهدي ؛

لأن أبا عبد الله الشيعي لم يكن رأى المهدي
... وكان المهدي (ع م) قد كتب إلى أبي عبد الله
يوصيه بالمطلبي ويأمره بحفظه وصيافته والمبالغة
في الاحسان اليه .^١

ان هذا التناقض بين الخبرين اللذين أوردهما جعفر الحاجب لابد له
من مرجح ، ولا شك أن ما ذكره ابن الأثير يتناسب مع نص جعفر الأول ليصح
لدى أبي عبد الله أشخاص يعرفون المهدي بل انهم رأوه من قبل رؤيا العين
هؤلاء الأشخاص هم الوفد الذي أرسله أبو عبد الله إلى سلمية لتبشير
المهدي وطلب قدومه وهو ما ذكره ابن الأثير ، والوفد الذي أرسله المهدي نفسه
وفيهما أبو العباس محمد بن أحمد أخو أبي عبد الله الشيعي ، ومهما غاب
من الأشخاص أثناء استقبال أبي عبد الله للمهدي وتسليمه الأمور له ، فيظل
وجود بعض منهم مسألة ذات اعتبارات عدة ، على أي حال فاننا سنرى
ما يحدث بعد ذلك .

ان المهدي عبيد الله اضطر الى التنكر خوفا من أن يلقي القبض عليه
لأن الباطنيين يدعون أن السلطات العباسية كانت تتعقبه لتلقي القبض
عليه وتسلمه الى مصيره المحتوم ، ذلك لأنهم علموا بما أزمع عليه المهدي من
الذهاب الى المغرب وتسلم زمام الدولة من أبي عبد الله الشيعي ، ورغم التنكر
الذي قام به المهدي فانه وقع في قبضة اليسع بن مدرار حاكم سجلماسة
الذي يناهض أبا عبد الله ، والذي اضطر الى القاء القبض على عدد من

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ص ١٢١ ،

الأشخاص أشبه فيهم أيهم هو المهدي ، وعلم أبو عبد الله أن المهدي معتقل في سجن اليسع بن مدرار ، فحاصر سجلماسة وطالب اليسع باطلاق سلاح المهدي مقابل فك الحصار عن مدينته ، ولما كان اليسع جاهلا بشخص المطلوب ، ورغبة في فك الحصار عن بلده ، أمر باخراج المعتقلين لديه واحدا واحدا لأبي عبد الله كي يلتقى منهم مهديه . . . المنتظر ، وكان أول من وقع عليه الاختيار تاجرا اسمه ابن بسطام ، الذي توجه على فرس الى حيث جيش أبي عبد الله الذي كان على أحرم من الجمر منتظرا .

فلما رآه أبو عبد الله ترجل اليه ، وقدر أنه المهدي (ع م) ، فترجل ابن بسطام لترجل أبي عبد الله ، فلما رآه أبو عبد الله قد ترجل لترجله ركب فرسه ولم يلتفت اليه ، ودعا بأبي القاسم المطلببي وقال له : النم على يميني ولا تفارقني فلماذا وجهك معي الامام [يعني عبيد الله المهدي] ولو كنت معي ما نزلت لرجل من سائر الناس . . . قال جعفر فلما زاد البلاء على أهل سجلماسة وآهم صاحبها لم يلتفتوا الى ابن بسطام بعث الى المهدي (ع م) . . . فلما فصل عن سجلماسة وانتهى الى حيث تبين للمتأمل قال المطلببي لأبي عبد الله هذا مولاي ومولاك ومولى الناس أجمعين .

وهكذا سلم أبو عبد الله الشيعي أمر البلاد والعباد الى الشخص الذي قال له أبو القاسم المطلببي انه المهدي المنتظر . وهذه الطريقة العجيبة أصبح عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة العبيدية التي اشتهرت بالفاطمية بعد ذلك . ولا شك أن ميلاد دولة على هذه الطريقة غير الطبيعية ، أمر يستحق الذكر اذا تم نقل انه في غاية الغرابة . وهو من ناحية أخرى يجعل

الصورة أكثر وضوحاً بالنسبة للباحث وذلك فيما يختص بالنصين القائلين بوجود أشخاص في جيش أبي عبدالله يعرفون المهدي أو أنهم رأوه رؤيا العين مسن قبل (ر. ص ٤٠٤) وهذا النص لا يتعارض مع نص مائل فحسب بل ان قصة ظن أبي عبدالله في ابن بسطام أنه المهدي وثرجله عن فرسه له يدلنا كم كانت حجم المعلومات المتوفرة عن المهدي المتظر عند أبي عبدالله ، وتصبح قصة أبي القاسم المطلبي النقطة الحرجة وعشيق الزجاجة بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية عموماً ولتكوين الدولة العبيدية خصوصاً .

بداية الشك في شخصية عبيد الله المهدي :

١٠ كان لأبي عبدالله الشيعي أخ اسمه محمد بن أحمد ويكنى بأبي العباس وكان :

أسن من أبي عبدالله ، وأنفذ ، وأحد زهنا وأكثر تفننا

١. في العلوم وأسبق منه سابقة .

وقد سبق الحديث عنه في نص جعفر الحاسب حين زعم أن المهدي

١٥ أرسله الى أخيه أبي عبدالله في وقد من كتابة يخبره بمجيء المهدي

وقد اتضح لنا أن في النص ما لم يحدث .

ان أبا العباس كما يظهر على اتصال بالزعامة الباطنية أكثر من أبي عبدالله

الذي مكث يناضل من أجل تأسيس هذه الدولة ما يقرب من سبعة عشر عاماً

في المغرب . وكان أبو العباس يقوم بمهمة صاحب البريد بين أبي عبدالله في

٢٠ المغرب والقيادة الباطنية في المشرق وخاصة مع أبي علي الداعي الباطني

بمصر والامام المستور في المشرق بواسطة شخص ثالث هو الداعي فيروز

الذي كان صهرا للداعي أبي علي ، والذي مهد له لقاء الامام المستور ، كما كان أبو العباس رفيق الدرب في رحلة المهدي عبيد الله الى المغرب الا أنه افترق عنه في افريقية ، كما يزعم جعفر الحاجب ما يدل على أنه لم يحضر عملية تسليم أخيه الأمور الى عبيد الله على أنه المهدي المنتظر .
ولكن حضوره بعد ذلك كان اذنا بأحداث جديدة فبعد أن استتب الأمر تماما لعبيد الله المهدي ، ظهرت في الأفق بوادر ثورة عليه ، وأما سبب هذه الثورة فقد قيل انها كانت نتيجة لسلب عبيد الله المهدي السلطات من بين يدي أبي عبد الله الذي كان بيده كل شيء ، فأصبح لا يكاد يكون في يده شيء ، ان هذا السبب وجيه وممكن الحدوث ولكن هل يتفق هذا مع ذكرته المصادر ؟

عرفنا ما سبق أن أبا عبد الله الشيعي لم يحظ قبل ايفاده الى المغرب بمقابلة الامام المستور زعما أو حقيقة ولا شك أنه يعلم في قرارة نفسه أنه لم يصل بعد الى المرتبة التي يؤمله لذلك (ر. ص ٤٠٢) بعكس منصور اليمن الذي ذكر أنه قابل الامام المستور سواء أكان هذا الامام حقيقيا أو مزيفا الا أن منصور اليمن يعلم أنه حظي بمقابلة الامام .

وأن أبا العباس المتميز عن أخيه بالسن والعلم والسبق الى المذهب الباطني ، ثم لكونه بعد ذلك حلقة اتصال بين أخيه في المغرب ومراكز الدعوة في المشرق ، فقد حظي بمقابلة الامام المستور ولكن ذلك لم يتم الا على مرحلتين ، على النحو التالي :-

أخذ عليه [يعني العهد] من خلف ستارة ، ثم رفعت من بعد للأخذ عليه فرأى الامام والمهدي والقائم وهو طفل صغير

١. انظر: سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) ص ١٢٢
٢. انظر: سامي النشار . نشأت الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ص ٣٧٣
٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة) .

ان هذا اذا قوبل بالأحداث التي تواتت بعده وأشير اليها آنفاً من
مرافقة أبي العباس للمهدي في رحلته الى المغرب ثم تخلفه عن حضور
تسليم أخيه الأمور الى المهدي عبيد الله ثم اعلان الثورة على المهدي يشير
الى أن لأبي العباس يدا في هذه الثورة التي لم يكن سببها الوحيد سلب
السلطات من يد أبي عبد الله .

وهذا ما كان حقيقة كما تقول المصادر الباطنية نفسها من أن أبا
العباس :

جعل يرمز لهم [؟] بعد الرمز الى أن صرّ لمن رأى أن كلامه
وقع فيه موقعا ، فطعن لهم في الامامة ، وأدخل فيها
الشبهة .

وفي نص آخر للداعي ادريس يقول فيه :
حتى دخل في عقل الشيعي أبي عبد الله أخوه أبو العباس
واستزله وقال له ليس هذا هو المهدي .

اذن فان للثورة على المهدي معنى آخر لا يتعلق بالسلطات التي سلبت
من أبي عبد الله وهي في الحقيقة لم تسلب لأنه سلمها كما لم يسلم أحد شيئا .
ان الثورة تتعلق بالطعن في شخصية المهدي وأنه ليس المهدي ، ولكننا
اذا عدنا الى نص جعفر الحاجب نجد أنه يقول ان أبا العباس شاهد
الامم والمهدي والقائم ، وهذا يتضارب مع نص القاضي النعمان ونص الداعي
ادريس اللذين حددا ماهية ثورة أبي العباس ، وهذا التضارب يضع عدة
احتمالات منها :

١. افتتاح الدعوة ص ٣٠٩
٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٨ .

١ - صحة نص جعفر الحاجب بهذا فيه وهذا الاحتمال يؤدي الى عدم
 صحة ما ذكره القاضي النعمان والداعي ان ريس من ان ابا العباس
 شكك في شخصية المهدي حتى أصبح لذلك التشكيك صدق بين
 الدعاة والمشايع في الدولة الباطنية الوليدة ، كما ذكر القاضي
 النعمان ان هارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الاربابي-ويبدو
 انه زعيم من زعماء قبيلة كتامة- قال للمهدي عبيد الله كفاحا :

١
 انا قد شككنا في امرك ، فأتنا بآية ان كنت المهدي كما قلت

وقد أشار القاضي عبد الجبار المعتزلي الى موقف هارون

٢
 ابن يونس هذا بل ان القاضي النعمان نفسه أكد اتساع رقعة الثورة
 في اوساط كتامة التي اجتمعت :

١٠
 حين

الا القليل منهم على ما زين للعين [أبو العباس] لهم

٣
 جمعوا الجموع وأحاطوا بقصر المهدي ليقعوا به .

ويمكننا هنا اضافة أن جعفر الحاجب لم يأت في سيرته الى الحديث عن
 هذه الثورة مع معاصره ومعايشته لها عن كتب ليستط هذا الاحتمال .

١٥
 ب - ان ابا العباس قابل الامام المستور وابنه القائم فقط وهذا يتفق مع

وجهة نظر القائمين بأن المهدي عبيد الله ليس الأب الحقيقي لابنه القائم
 (ر. ص ٤١٩) وهذا يعني أن جعفر الحاجب أو من نسخ سيرته التي

وصلت اليها قد أقحم اسم المهدي لحاجة في نفسه . وإذا صح هذا
 الاحتمال فانه يجعل الأمر على صورة أخرى بحيث يصبح أبو العباس عالما

٢٠
 بأن القائم بن المهدي هو الامام الحقيقي المستقر ، وأن المهدي ليس مهديا
 ولا اماما بل هو مربي أو حافظ أو وكيل للقائم حتى يسلمه الأمر ، وهو
 ينسجم تماما مع مرافقة أبي العباس للمهدي والقائم منذ الخروج من سلمية

١. افتتاح الدعوة ٣١٠

٢. انظر تثبيت دلائل النبوة ٣٨٩/٢

٣. افتتاح الدعوة ص ٣١٢

١. التي ذكرها جعفر وهذه المعلومات التي يفترض أنها كانت لدى أبي العباس هي التي جعلته يثور على المهدي ، وقد أشار الى هذا الاحتمال " فرحات الدشراوي " في تحقيقه لكتاب افتتاح الدعوة .^٢

ولكن هذا الاحتمال اذا اصطدم بواقع ثورة أبي العباس التي شككت في المهدي فعليا ذلك التشكيك الذي يدخل فيه ابنه القائم ضمينا ، ولو كان الأمر خاصا بالمهدي دون القائم لسهلت مهام الثورة ضد المهدي على الثائرين ، ولربما ساهم ذلك في انجاح الثورة لأن القائم سيصبح ورقة رابحة في يد الثوار تسهل الاطاحة بالمهدي لتقام الدولة بزعامة القائم بأمر الله الذي يفترض فيه أن يكون المهدي الحقيقي ، والأمر في ذاته يعبر عن أسس أماني عبد الله الشيعي ، وعليه فان هذا الاحتمال يسقط من هذا الوجه .

د - ان أبا العباس قابل الامام المستور فقط ، بحكم عمل أبي العباس والدرجة التي وصلها باطنيا ، وعليه فانه لا المهدي عبيد الله ولا القائم امام ، وهذا يتناسب تماما مع مرافقة أبي العباس لهما طوال الرحلة الى المغرب بل ان عدم حضور أبي العباس عملية تسليم أخيه الأمور الى " المهدي عبيد الله " يعتبر دليلا قويا على أن عبيد الله دبر ذلك قصدا ليضع أبا العباس أمام الأمر الواقع فيما بعد ، وأن أبا العباس لم يدبر بخلده أن المهدي سيدعو لنفسه حينما يستتب له الأمر ، وهو أمر لا يستبعد مع الدهاء الذي اتصف به عبيد الله المهدي ، وقبل توضيح قوة هذا الاحتمال ، لابد من الوقوف على هذه المقدمات :

١ - ان مصدر انطلاق ابن حوشب وعلى بن الفضل الى اليمن كان مدينة

١. انظر : سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب : جامعة القاهرة) ص ١١٠
٢. انظر : افتتاح الدعوة هامش ص ٣٠٩

١. الكوفة كما أن مصدر انطلاق أبي عبدالله الشيعي فيما بعد كان الكوفة
أيضا ، والكوفة أيضا كانت مصدر خروج الداعي أبي علي الى مصر
الايدلنا ذلك على أن الكوفة مركز للامام المستور ومنهج الدعوة الباطنية
على الأقل حتى سنة ٢٨٠ وهي السنة التي وصل فيها أبو عبدالله
الشيعي الى المغرب ؟

٢- قبل سنة ٢٨٠ بما يقرب من مائة عام كان عبدالله الأكبر أحد الأئمة
المستورين قد أقام في " سلمية " حين تأسست تلك المدينة فكانت مركزا
للإمامة الى أن خرج منها المهدي عبيد الله في حوالي سنة ٢٨٩ ، كما
كانت مركزا لتوجيه الدعوة .

١٠ هنا يقدر سؤال فيه شيء من الخطورة ، أيهما كان مركز الدعوة الباطنية
الاسماعيلية ؟ أهو الكوفة أم سلمية ؟ وهو سؤال لم يتطرق اليه كما يبدو
أحد من الدارسين من قبل . فان كانت السلمية هي المركز فلم كان
مصدر الدعوة معظمهم الكوفة ؟ داعيا اليمن وداعي مصر وداعي كتامة بالمغرب ،
وان كانت الكوفة هي المركز فكيف يبرز عبيد الله المهدي من السلمية ويؤسس
دولة في المغرب ؟

١٥ ٣- واذا علمنا أن أولاد " زكرويه بن مهرويه " أو " أبي محمد " داعي
الكوفة كما يسميه صاحب " استتار الامام " قاموا بالتوجه الى سلمية
لغزوها والعزم على قتل المهدي عبيد الله ، ومن ثم هرب المهدي وليس
معه سوى ابنيه أبي القاسم القائم وجعفر الحاجب وابن بركة الخاضن ويترك
كل شيء . ولما وصل أبناء زكرويه الى الشام عاثوا فيها فسادا ، وخاصة
سلمية التي قتل الكثير من أهلها كل ذلك انتقاما من المهدي الذي عزلهم

١. انظر ما قاله ابن حوشب في ذلك في افتتاح الدعوة ص ٣٦٤
٢. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٠ وانظر تثبيت دلائل النبوه ٢/ ٣٨٩
٣. انظر سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٢١
٤. انظر : استتار الامام وسيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة
القاهرة) ص ٩٥ ، ٩٦ ، ص ١٠٩

١
عن الدعوة الباطنية بالكوفة كما يدعي صاحب استتار الامام لاشك ان الامر
أخطر من الانتقام من شخص المهدي ، اذ لو كان الامر كذلك لدبر ابناء
زكويه مكيدة لاغتياله . ولا ننسى ان جعفر الحاجب يفكر أي علاقة بين
المهدي عبيد الله وبين ابناء زكويه الذين يسمي الزعيم منهم بالقرمطي حيث
قال :

٢
ولم يكن والله بيننا وبين القرمطي عقد ، ولا لنا في عنقه عهد ولا لعرفه
ولا يعرفنا .

ان هذا تهرب من جعفر الحاجب من الحقيقة لان صاحب (استتار
الامام) أثبت وجود اتصال بين القرامطة الذين غزوا سلمية أي ابناء
زكويه بن مهرويه وبين عبيد الله المهدي الذي اعتبرهم دعاة من قبل
٣
المهدي .

ان " تاريخ الطبري " مرجع معاصر للأحداث هذه بالاضافة الى أنه
محاييد لا يدري عن عبيد الله المهدي شيئا من مسألة ادعائه النسب أو غير
ذلك ، ويتلخص كلام " الطبري " في أن زكويه بن مهرويه أرسل أولاده في
أواخر سنة ٢٨٩ فيما بين الكوفة ودمشق وعلى رأسهم ابنه يحيى الذي زعم
١٥ أنه أبو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وسار به جيشه نحو الشام
حيث قتل يحيى قرب دمشق ، وتولى الأمر بعده أخوه الحسين بن زكويه
الملقب بأبي شامة وزعم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل وتسمى
بالمهدي في حمص وسار الى مدن الشام وقتل أهلها وخاصة سلمية التي
قتل أهلها جميعا بعد أن اعطاهم الأمان ، واستشرى أمره حتى قضى عليه
٢٥ جيش المستكفي في أوائل شوال سنة ٢٩٠ .

١. انظر : استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ٩٨ -
١٠٥ .
٢. سير جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٠ .
٣. انظر استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ٩٦ -
٩٩ .

تقم ه فانهم زحفوا اليك وهم غازمون على قتلك ه فان لم يجدوا
الى ذلك سبيلا وشوا بك الى أحمد بن طولون ه وهم يقولون
انك مخالف للمذهب ه ويشهرون أمرك ه فاعمل على خلاص نفسك
ولا تقم [كذا] ساعة واحدة .

- ٥ ان النص في حملته يدل على أن الباطنيين - في هذه المرحلة الحرجية -
صاروا فرقتين ه الأولى : كوفية . والثانية : شامية ه مركزها سلمية ه وأن التي
في الكوفة عازمة على تصفية حساب مع التي في سلمية ه والتي يمثلها
من صار يدعى بعد ذلك " عبيد الله المهدي " .
- والنص يزيدنا أن الذين في سلمية كانوا اما أتباعا للكوفيين أو متكافئين
١٠ معهم في المستوى وليس أولاد زكرويه دعاة لعبيد الله كما حكى من قبل
صاحب " الاستتار " وهذا ما يستفاد من قوله : (وهم يقولون انك مخالف
للمذهب) . وهذه العبارة لو أخذت من وجهيها فأنها تعطي هذا
الانطباع ه أعني لو قلنا ان أبناء زكرويه وصفوا عبيد الله بمخالفة المذهب
ليبرزوا ما عزموا عليه من الوشاية به عند ابن طولون ه فانه لن يستقيم مع واقعهم
وهو اعلانهم الخروج على الدولة العباسية الذي هو في حد ذاته خروج
١٥ عن مذهب تلك الدولة فكيف يستساغ منهم اتهام غيرهم بما هم فيه واقعون .
واذا قلنا ان الجملة اعتراضية فان وصمهم عبيد الله بالخروج عن المذهب
ينطبق عليهم باعتبارهم فرقة واحدة خرج عنها عبيد الله فصار مسوغا
لمحاربتهم . وهنا يتأكد لنا أن عبيد الله ليس اماما للباطنيين لأن الامام
٢٠ الباطني في عقيدتهم هو المذهب لأنه معصوم . ولنرى هنا أن أبناء
زكرويه ادعوا الانتساب الى محمد بن اسماعيل .

ان ذلك يجيب على السؤال المطروح آنفا وهو، أي المدينتين كانت مركز الدعوة الباطنية ؟ أسلمية أم الكوفة ؟ والجواب لاشك أنه الكوفة . وأن أولاد زكرويه الذين خرجوا من الكوفة لحرب عبيد الله المهدي هم أول من ادّعى الانتساب لمحمد بن اسماعيل ، وكذا ادّعى داعيهم أنسـه المهدي المنحدر من ذرية محمد بن اسماعيل ، وأن له أتباعا بالسـواد والمشرق والمغرب ، وبذلك يكونون هم الذين أرسلوا داعي اليمن وداعي مصر وداعي المغرب ، أبا عبد الله الشيعي .

وإذا كان دعاة زكرويه قد فعلوا ذلك أي أنهم هم الذين وجهوا الدعوة الى اليمن . كما يرجح الباحث فان في الرسالة الدزمية الشهيرة " كتاب تقسيم الطوم " ما يؤيد ذلك ، وان لم يكن معتمد هذه النتيجة عليها (ر : ص ٤٢٢) .

ومن الممكن من خلال ما ورد في تلك الرسالة القول أن هناك علاقة ما بين أبي زكريا وزكرويه وارسال دعاة الى اليمن ، ما يتأيد به ما توصل اليه من أن باطنية الكوفة هم الذين أرسلوا منصور اليمن وعلي بن الفضل وكذا أبا عبد الله الشيعي الى اليمن فالمغرب ، وقد ذكر ابن النديم ما يقرب من هذا الاستنتاج .

ثمة عبارة أخرى وردت في " استتار الامام " تتعلق بعزم أولاد زكرويه التوجه الى الشام لغزو سلمية ، يقول صاحب " الاستتار " :

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم حامد بن العباس وابـن

العبد وجنادة من الشيعة ، كتبوا الى المهدي ع م (أن) بنبي

أبي محمد قد غزوا على قتلك ، وقتل أهلك ، فان كنت قاعدا

لأنستغرب بعد ذلك ما قاله " ايفانوف " في تعليقه على زحف أبناء
زكرويه الى الشام ، الذي يقول فيه :

ولو أن الظروف واتتهم وتغيرت قليلا عما كانت عليه لتحقيق
غرضهم ولكانت دمشق عاصمة الفاطميين ومركز حركتهم العلمية
بدل القاهرة .^١

وهكذا يتضح أن رحلة عبيد الله الى المغرب كما وردت في " سيرة
جعفر " ليست في حقيقتها إلا هروبا من مصيره المحتوم لوقوع في يد خصومه
(أبناء زكرويه) ، فاستغل السرية العميقة للفرق الباطنية استغلالا
الذي العالم ببواطن الأمور ، ليقف بعد ذلك أمام أبي عبد الله الشيعي
باعتباره المهدي المنتظر .

وعليه فإن أبا العباس الشيعي حين رافق عبيد الله في رحلته - إذا
صححت تلك المرافقة - لم يكن يطم بما خطط عبيد الله في نفسه من أنه
سيدعي الإمامة والمهدية . وهذا ما يجعل لثورة أبي العباس على عبيد الله
بعد ذلك معنى يسجّم مع الأحداث التي وقعت من قبل ومن بعد . والتي
لم تستق إلا من المصادر الباطنية فقط .

وهذا يتفق تماما مع التخيّل الذي وقع فيه عبيد الله المهدي بعد
تسلمه الأمر من يد أبي عبد الله الشيعي ، حينما أراد أن ينسب نفسه الى
أهل البيت كما يتفق مع ما ذكره المقرئ من أن .
عبيد الله المهدي لم يدع انتسابه لعلي بن أبي طالب ، إلا بعد هروبه من
سلمية ، وآبأؤه من قبله لم يدعوا هذا النسب ، وإنما كانوا يظهرون التشييع
والعلم وأنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل وأنه حي لم يموت ، ان مسألة^٢

٩١
١. ايفانوف . مقدمته لكتابي استتار الامام وسيرة جعفر (مجلة كلية الاداب) ص

٢. انظر : اتعاظ الحنفاء ٢٩ / ١

الدعوة الى محمد بن اسماعيل على هذا النحو حينما من الدهر ثابت في رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن (ر) ^{البلحق - ١} وهو ثابت أيضا

في فرقهم التي استمرت على ذلك حتى بعد ظهور الدولة العبيديّة (ر ص ٢٨٩) بل ان جعفر بن منصور اليمن الذي عاش حتى أيام المعز

لدين الله (- ٣٦٥) يقول في مؤلف منسوب اليه بوجه أو بآخر :

فقاءم آل محمد سابع النطقاء سابع السبعة النطقاء من آدم

وثامن ثمانية من ولد علي . . .

فالقائم سابع النطقاء السبعة هو ثامن ثمانية أئمة من ولد

علي فأشار الله أيضا الى الثمانية بدلائل في كتابه كثيرة . . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للجنّة

ثمانية أبواب وأراد بالجنّة نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم

لأنه أجَنّ علم التأويل فلم يظهره الا من أبوابه وهم الأئمة

من ولده السبعة وثامنهم الناطق السابع منهم .

والثامن المقصود هو محمد بن اسماعيل لاعتبارات كثيرة . واذا أردنا

مجازات النصوص السابقة وافترضنا الثامن شخصا آخر بعد محمد بن اسماعيل

فانه بأي حال سيكون قد هلك قبل أن يولد جعفر بن منصور اليماني

الذي يرفع لواء الدعوة اليه . وما الغرض الذي سبقت من أجله تلك

النصوص الا القول أن الظروف وان خدمت عبيد الله المهدي كثيرا لحكمة

أرادها الله ، الا أنه لم يستطع محو التاريخ ولم يستطع أن يقنع

الناس الى اليوم بكل دعاواه وعلى رأس ذلك ادعائه الانتساب الى فاطمة

بنت محمد (ص) .

ثمة نقطة هامشية حول ذلك وهي : أن المهدي عبيد الله حينما هرب من سلمية كان عازما على الذهاب الى اليمن ، ولما وصل مصر غير وجهته الى المغرب فانسحب على اثر ذلك كبير دعائه ومراقبيه " الداعي فيروز " وهرب الى اليمن وبقي مدة فيها مع منصور اليمن ثم اتجه الى علي بن الفضل الجدني ، وبعد ذلك :

فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعونه لهم ودعاه وأهل

بلده الى نفسه ثم خرج اليهما أبو القاسم منصور اليمن وحاربهما مدة طويلة الى أن ظفر بهما وقتلهما .^١

ويرى محمد بن مالك اليماني أن علي بن الفضل هو الذي دعا لنفسه

تأسيا بأبي سعيد الجنابي الذي خلع القداحيين ودعا الى نفسه ، وقال :^٢
انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها .

وسواء أكان علي بن الفضل قد دعا الى فيروز أو أن فيروز أغراه بالدعوة

الى نفسه ، فإن الباحث يستغرب أمورا عدة وهي : هروب المهدي من

سلمية على النحو الذي علمنا . وما عمله القرامطة أبناء زكرويه في مدينة

سلمية . وتخلى فيروز عن عبيد الله المهدي في آخر لحظة . وعدم بقائه^{١٥}

فيروز عند منصور اليمن . وما وقع من علي بن الفضل بعد ذلك . وحرب

منصور اليمن لهما . وتسليم أبي عبد الله الشيعي الأمور الى عبيد الله المهدي

والثورة عليه منه ومن أخيه ثم اعدامهما . ولا بأس من اضافة ما ذكره القاضي

عبد الجبار من تسليم أبي طاهر القرمطي الأمر الى ذكيرة الأصفهانسي

(ر . ص ٣٥٨) .

ان كل احتمال لتفسير هذه الظواهر العجيبة وارد لا سيما في جو

ملبد بظلمات الأسرار الكثيفة ، أما المستبعد الى الان على الأقل فهو كون

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٥ أو أنظر

أيضا ص ١١٠

٢. كشف أسرار الباطنية ص ٣٣

عبيد الله المهدي مهديا حقيقيا أو اماما فاطميا .

ولابد من التنويه أن هذه النتيجة لم تتحقق بالمراجع السنية بل ان المصادر الباطنية المعاصرة الدور الأكبر في اثبات ذلك ، وكما سيأتى :-

القائم بأمر الله العبيدي :

حينما دخل عبيد الله المهدي المغرب كان معه ابنه محمد . وقد صار بعد وفاة المهدي عبيد الله خليفة بعده فكان ثاني خلفاء دولة العبيديين ، ولقب بالقائم بأمر الله . وقد اختلف في أمر القائم هذا اختلافا شديدا رغم أنه ثاني أئمة دور الاشهاد ، أي أنه لم يكن في دور الستر الذي يحتم السرية المطلقة ، وكونه من دور الاشهاد يعني أنه ينبغي توفر معلومات واضحة عنه .

قيل ان القائم هذا هو ابن المهدي عبيد الله ، وقيل انه ابن زوجته (ربيبه) وقيل انه الامام الفاطمي الأول من ذرية محمد بن اسماعيل ومما المهدي في هذه الحالة الا كفيلا مستودع له على نمط ما ادعوه من كفالة ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون لمحمد بن اسماعيل (ر. ص ٢٧٠) وعلى الرأي الأخير استند برنارد لويس في قوله بأصل عبيد الله المهدي القداحي اعتمادا على كتابي (غاية المواليد) و (رسالة تقسيم العلم) . ولنعود الى النص الذي اعتمد عليه لويس ولم يورده في كتابه ، يقول النص :-

لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب ، سارولى الله في أرضه

" على بن الحسين " (صلوات الله عليه) يريد المغرب حتى كان

في بعض طريقه ، فأظهر الغيبة ، واستخلف حجة سعيد

الملقب المهدي (صلوات الله عليه) فثبت قواعد الدعوة . وجرى
عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جرى ،
ووقى الله وليه (سلام الله عليه) كيده لما كان من زحف أبي
عبد الله عليه وظفره واستخراجه ولي الله سلام الله عليه من سجنه .
فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة الى مستقرها
وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى وجرى الامامة
في عقبه (سلام الله عليه) .

ونجد كتاب مجالس الحكمة (ر . ص ٣٩٠ فما) يشبه عبيد الله المهدي
بيوشع بن نون الذي يزعمون أنه تسلم الامامة على سبيل الاستيداع حتى
يسلمها لأبناء هارون اذا كبروا ، مع أن يوشع هذا غريب النسب ، أي أن عبد الله
المهدي غريب عن النسب الفاطمي ، وكل هذا يعني أن المهدي عبيد الله أو . .
سعيد الخير كان اماما مستودعا وأن الامام المستقر (الحقيقي) هو القائم
بأمر الله وهو هنا ليس ابنا له بل هو محمد بن علي .
ولكن في استتار الامام نجد عكس ذلك تماما ،

١٥ وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو لوالد المهدي . وسعيد
الخير . وأقام الحسين الى أن ولد له المهدي (ع م) . فلما
أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال
الطفولية ، واستبد سعيد بالامامة ، ونص بها على ولده ، فهلك
الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل
٢٠ ينص على كل واحد منهم الى أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ
سعيد الخير أن الحق لا يفارق أهله فتاب وأناب الى الله تبارك
وتعالى ، وجمع دعائه وعلمهم بأنه مستودع للمهدي (صلوات الله عليه) ،

١. الداعي أبو الخطاب الحجوري . غاية المواليد (ايفانوف ، المنتخب) ص ٣٧

٢. انظر : مخطوطة مجالس الحكمة ق ١٢٦

وسلم اليه الامامة ، واعترف له بالوديعة ، وتنصل اليه مما تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الامامة الى المهدي (ع م) . فقال الشاعر

الله أعطاك التي لا فوقها * وكم أرادوا منعها وعوقها
عك وبأي الله الا سوقها * اليك حتى طوقك طوقها

- ٥ ان نص (استتار الامام) يتحدث عن أحداث صارت في " سلمية " وقد تحدث بنفس القصة كتاب المجالس والمسايرات ولكنه لم يسم أشخاص القصة . والذي يجمع النصين المتضاربين ان سعيد الخير هو الذي كان مستودعا فاعتبره نص غاية المواليد أنه عبيد الله المهدي بينما اعتبره استتار الامام أخا للمهدي أو عماله ، وللأهمية يشير الباحث الى أن للمهدي أبناء آخرين غير القائم وكان عددهم خمسة من الذكور حتى أن الحاكم بأمر الله العبيدي نصب أحده ١٠ ابناً جده المهدي وليا لعهد المسلمين وهو عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي عبيد الله . وعليه فان احتمال أن عبيد الله صاحب قصة الأولاد الذين ماتوا صعبة المطابقة وبالتالي لا يمكن اعتباره الامام المستودع المعني في هذه القصة .

- ١٥ ويجد الباحث نفسه مرغما أمام هذه المصادر الى القول باحتمال قوة نص الاستتار الذي يعتبر عبيد الله المهدي ليس مستودعا بل انه مسدع للامامة على أكمل صورة لها ، لأن غاية المواليد وان يكن متأخرا الا أنه اعتمد رأيه باستيداع عبيد الله ليثبت رأيا آخر وهو أن امامة تزار بن المستنصر (- ٤٩٠) امامة مستودعة وليست مستقرة ، وكتاب غاية المواليد القه داع مستعلي في عصر الصليحيين ، ومعروف لدى المؤرخين الأحداث التي صاحبت موت ٢٠ المستنصر (- ٤٨٧) والتي أدت الى انقسام الاسماعيليين الى تزارية ومستعلية

١. استتار الامام (مجلة كلية الآداب . القاهرة) ص ٩٥ ٩٦ .
٢. انظر : كتاب المجالس والمسايرات ص ٤١٠
٣. انظر : اتعاظ الحنفاء ٢ / ١٠٠ ، ١٠١ وانظر الجزء الأول منه الملحق السادس .

(ر. ص ١٥٠ ، ١٥١) ، ومن ثم فان نص " غاية المواليد " يثبت ان المهدي قد احيى النسب ولم يعتبر القائم بأمر الله ابنا له ، كما أنه روى رحلة المهدي الى المغرب بكيفية تختلف عن ما رواه جعفر الحاجب الذي صاحب المهدي في هذه الرحلة ، وتختلف أيضا عن " افتتاح الدعوة " لأن صاحب " غاية المواليد " أضاف الى الرحلة شخصا آخر هو " علي بن الحسين " الأب الحقيقي للمهدي ^٥ للقائم بأمر الله على حد زعمه . وقد تبع صاحب " زهر المعاني " " غاية المواليد " في ذلك وان يكن قد اعتبر القائم بأمر الله ابنا لأخ المهدي عبيد الله . وقد أضاف " ايفانوف " نصا آخر من كتاب اسماعيلي نزاری هو كتاب " خطابات عاليه " بأن المهدي عبيد الله من ذرية عبد الله بن ميمون القداح ، كما تقدم ^١ مثل ذلك ما ورد في " مجالس الحكمة " عن غيبة عبيد الله المهدي من حيث النسب عن آل البيت ، كما استدل لويس في اثبات ان المهدي قد احيى وأن القائم ليس ابنه على نص نازري ، ويقول هذا النص :

وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبد الله ويسمى المهدي

سترة وهو أيضا من ولد القداح وكان من ولد الحسين . وظهر السماء

السادسة وهو من ولد ميمون القداح أيضا . . . وظهر السماء ^{١٥}

السابعة وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي [كذا] . . . وكان

عبد الله قد تسمى أحمد فلذلك تسمى سعيد بن أحمد وهو

المهدي الذي تسمى باسمه تمهيدا له واستئناسا للعالم باسمه ،

وكان الكرسي ، فهو الذي استودعه المولى المعجل جل اسمه ^٢

الوديعة وأمره بخدمة مولانا القائم جل اسمه . ^٣ ^{٢٠}

ولن نتحدث عن أسلوب الأساطير الذي يغلف النص ولناخذ كما فعل

لويس على علته ، وهو أن المهدي عبيد الله قد احيى وأن القائم بأمر الله ليس

١. انظر: زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٦

٢. انظر:

٣. مخطوط رسالة تقسيم العلوم ق ١٠٨ ، ق ١٠٩

ابنائه ، كما أنه لا بد من الإشارة الى أن النص لم يثبت أن القائم بأمر الله
من ذرية فاطمة أم من غيرها .

ان النصوص السابقة في أفضل حالاتها لم تستطع اثبات ان القائم
بأمر الله فاطميا أو أنه ليس قداحي النسب .

ولا بد هنا الأخذ بعين الاعتبار النصوص التي أشارت الى أن المهدي
عبيد الله ظل يدعي النسب الفاطمي لنفسه منذ استيلائها على الأمور
في المغرب بأن أصدر مرسوماً بذلك قرأه على المتأخرين ، ونصه : —

اللهم فصل على عبدك وخليفك القائم بأمر عبادك فـي

بلادك عبدالله أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين كما

صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا

يقضون بالحق وبه يعدلون اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترتك

لخلافتك وجعلته لديك عصمة وعمادا ولبريتك مؤثلا وملاذا ، فانصره

على اعدائك المارقين واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق

الأرض ومغاريها كما وعدته وأيده على العصاة الظالمين اله الخلق

رب العالمين .

كيف يمكننا هنا أن نبري ساحة الباطنيين ونتهم غيرهم بأنهم أعداء

متعصبين وحسدة للفاطميين في حين يدعي المهدي أنه فاطمي ثم تأتى مصادر

باطنية تدعي خلوه من هذا النسب وتعتبره قداحيا وأن الذين جاؤوا بعده من

ابنائه هم من آل البيت ؟ ولا شك أن التسليم بهذا ضرب من الخفلة لأن الذي

ثبت كذب دعواه النسب الشريف في نفسه كيف نستطيع تصديق دعوى أخرى

تقول ان ابنائه من أهل البيت . وأنهم ليسوا ذريته على الحقيقة .

١. القاضي النعمان . افتتاح الدعوة ص ٢٩٣ ، ٢٩٤

* ان المصادر الباطنية تطلق على عبيد الله المهدي اسم عبدالله . انظر :

"في نسب الخلفاء الفاطميين" الملحق ١

ولكن هل كان القائم بأمر الله ابنا حقيقيا للمهدي عبيد الله أم غير ذلك ؟
ان جعفر الحاجب الذي ترقى مع المهدي عبيد الله ولازمه طوال حياته ،
يقول عما جرى من قبل في سلمية :

ثم زوج الامام (ع) قبل وفاته المهدي (ع م) ابنة عمه
أم القائم (ع م) قال جعفر فأذكر أن المهدي ع م تقدم السي
بأن لا أبج في ليلة زفافها عليه من باب المجلس ، قال فلزمت
النساء حولي الى أن فتح المهدي ع م الباب ورقي السي
بالسبينة ، قال ففشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء
حولي يعلبن ويكبرن ، قال وكثيرا ما كان يذكر ذلك معي
المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور والمعز لدين الله .

بعد هذا النص لا مجال لأي تأويل ، فالتى تزوجها المهدي عبيد الله
هي ابنة عمه وهي أم القائم ثم هي بكر لم تتزوج قبله والا لما وردت هذه
الأقصوصة على هذا النحو ، ثم لاشك أن جعفر الحاجب حين كان يسروي
هذه القصة على سامع القائم بأمر الله وأبنائه من بعده لم يكن يقصد منها
أي شيء يتعلق بالنسب بل انه كان يرويها للتفكه والتندر كما يبدو ، ولكنها
اثبات قوي لهنوة القائم بأمر الله الحقيقية للمهدي عبيد الله .

وقد سبق في هذا الفصل القول بأن ثورة ابي العباس الشيعي وان استهدفت
المهدي في ذاته الا أنها لم تستثن القائم بأمر الله باعتباره الامام الفاطمي المنتظر ،
ولو فعلت هذه الثورة ذلك لضممت لنفسها النجاح (ر . ص ٤١١) فأبو
العباس وأبو عبد الله الشيعيين أفنيا حياتهما في خدمة من ظنوا أنهم أهل بيت
رسول الله . والذي يظهر أن ثورة ابي العباس الشيعي على عبيد الله المهدي لم

يُرد في حساباتها الاستفادة من القائم بأمر الله على هذا الوجه لأنه ثبت أنه ابن للمهدي الذي لم يكن من أهل البيت الشريف .

بين يدي الباحث نصوص مستقاة من كتاب المجالس والمسايرات * تؤكد ما ورد في نص جعفر الحاجب من القول ببيتة القائم بأمر الله الحقيقية للمهدي عبيد الله ، كما تؤكد ما ورد في " استتار الامام " (ر ٤٢١ ص) من أن المهدي امام باطني حقيقي مستقر ولم يكن مستودعا وانما تسلم الامامة من مستودع بعد ظهور معجزات وبراهين تدل على احقيته للامامة في نظر الباطنيين ، وهذا النص وقعت أحداثه في مجلس المعز لدين الله وهو يسأل أحد اتباعه قائلا :

فهل لقنت وحفظت شيئا عن الاء ؟

قال : نعم

قال : فهات ما حفظت .

قال : سمعت المهدي بالله نصّ على جدك القائم بأمر الله (ص) ،

وسمعت جدك القائم بأمر الله عليه السلام نصّ على أبيك المنصور بالله

صلوات الله عليه وسمعت المنصور بالله عليه السلام نصّ عليك . فهذا

الأصل الذي لا يثبت الفرع الا عليه .

والنص واضح في أن الرجل اعتبر ما سمعه دليلا على صحة مذهبه فسي

الامامة ذلك الذي يجب فيه على الامام أن ينصّ على امام بعده من أبناءه *

تحقيقا لقوله تعالى (ذرية بعضها من بعض) . ومهما يكن من أمر فان المعز

لدين الله لم يعترض على الرجل في ذلك من حيث أبوة المهدي عبيد الله له

وان يكن قد اعترض عليه من وجه آخر لاعلاقة له بهذا المطلب . وهذا نص ثاني :

١. القاضي النعمان . كتاب المجالس والمسايرات ص ٢٢٠ ، وانظر أيضا

ص ٤٧٦ .

* سورة آل عمران ٣٤ .

سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : أمر المهدي بالله القائم
بأمر الله (عم) بالنهوض الى مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، قد
خولك الله ومكنك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية فعلام
تغم نفسك وتشغل صدرك ؟ دع هذا حتى يأتي الله به
عفوا ،

فقبض (صع) كفه اليسرى وقال : نعم ، هذا المغرب
في قبضتي هذه — وسط اليمنى — ولكن كفي هذه من المشرق
صفر . ان ثقل عليك ما أمرتك به خرجت له بنفسى .
قال : بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به .

ومن النص نستخرج : استحالة أن يقول امام مستقر لمستودع يا أمير
المؤمنين ، واستحالة قوله له (بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به)
لأن المستقر في عرف الباطنيين أفضل من الامام المستودع . وكذا لا يمكن
أن يقول امام مستودع لمن هو أفضل منه — أى الامام المستقر — : (ان ثقل
عليك ما أمرتك به خرجت بنفسي) . وهذا نص ثالث :

قال المعز لدين الله (صلع) : لقد عرض لي منذ وقت وجع
في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب معجون ينفع من ذلك ف (ت) قدمت
في اختيار العقاقير وتجويد عمله بما لم أعلم أن أحدا تقدم في مثله ،
فصدعوت به لأتناول منه ، فجيء به ومعه مثله مما كان المهدي
(صع) أمر بعمله ، فلما رأيته تعاضمت أن أختار الذي عملته أنا
على الذي عمله المهدي (صع) ، فتناولت من الذي عمله (عم) وقلت :
اللهم انك قد أكرمتني بأبوتيه ، وجعلته سابقا الى الفضل الذي

خصصتني به وقدمته فيه ، واني اقدم ما كان من أمره على ما كان من
أمرى فاجعل في ذلك شفاء من الداء • فوالله ما هو الا أن تناولته
حتى زال عني ما كنت أجده •^١

وفي هذا النص اعتراف صريح من المعز لدين الله العبيدي بأبوة المهدي
والانتساب اليه ، وفوق ذلك اعتراف بأفضلية المهدي على المعز بالسبق
الى ذلك الفضل • وهذا نص رابع :

(قال) : وسمعتني يعني المعز لدين الله (ص) يخاطب
بعض الأولياء ممن كانت له أسلاف تقدمت لهم رئاسة في أيام
المهدي والقائم — صلوات الله عليهما — ثم انقضوا وزالت تلك
الرئاسة — من أسلافهم ، وخمل ذكركم ، وقلت ذات أيديهم
فأراد (ص) أن يحيى ذكركم ويصرف اليهم العمل السني
كان أسلافهم عمالا عليه •••

فقال (ص) فيما قال لهم : أردنا أن نصل عوارف آبائنا^٢
(ص) عند أسلافكم فيكم •

وأمام هذه النصوص لا يمكن القول الا بأبوة المهدي عبيد الله للقائم
بأمر الله وبغوة القائم له بغوة حقيقية لا روحية ولا دينية بل نسبية قبل
كل شيء •

وأذا ثبتت لنا هذه البغوة ، وقد ثبتت لنا من قبل عدم انتساب المهدي
عبيد الله للفاطميين فان ذلك بالتالي يثبت لنا بطلان التهمة التي ألصقها
بالبعض بالمحققين من أهل السنة والجماعة حول ذلك لأن المصادر الباطنية
الحقيقية أسهمت بشكل واضح في ابطال النسب الفاطمي لخلفاء الدولة
العبيدية ، وان ادعت بعض تلك المصادر صحة ذلك النسب لهم فانها لم

١. المجالس والمسائرات ص ٢٩٣

٢. المجالس والمسائرات ص ٤٥١

تستطع إقامة الحجة الدافعة على أخضام الباطنيين حول هذه النقطة بخاصة .
ان تبرئة ساحة الكتاب السنيين هذه توضح لنا قوة مصادرهم ونزاهة مسلكهم .

ويبقى هنا سؤال . من هم العبيديون ؟؟

النسب الحقيقي للعبيديين :

- ان النسب الذي زعمه العبيديون لأنفسهم هو النسب الفاطمي ، حيث انتسبوا الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقد اتضح لنا أن هذا النسب مختلف .
وقد انتسبوا أيضا الى عبدالله بن جعفر بن محمد الشهير بالأفطح (ر. ص ١٤١) ، حينما اعتبر عبيد الله المهدي اسماعيل بن جعفر اسما رمزيا لعبد الله بن جعفر المذكور في رسالته الى أهل اليمن (ر. الملحق - ١) .
وانتسب العبيديون أيضا الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وكل ذلك يدخل في ضمن فساد قولهم بالنسب الفاطمي .
وقد ذكر أنهم ينتسبون الى ميمون القداح ، وهو ما ثبت في الصفحات السابقة الا ان أهمية هذا النسب بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية أولا وبالنسبة للبحث عامة يجعلنا في حاجة الى معرفة من هم القداحيون ؟ وما دورهم في الدعوة الباطنية ؟ وهل كانوا حقيقة أم أسطورة لفقهاء أعداء الباطنيين عليهم ؟

القداحيون بين الأسطورة والحقيقة :

- ظهر في بعض الأوساط أن القداحين أسطورة ، وهو يذكرنا بما قيل عن عبدالله بن سبأ (ر. ص ١٨) أنه أسطورة . وقد ثبت لنا في هذا البحث أنه شخصية حقيقية . أما ميمون القداح فقد قال عنه سامي النشار احتمالا ربط فيه بينه وبين شخصية عبدالله بن سبأ .

١. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠ وانظر : اتعاظ الحنفاء ٢٩ / ١ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٦٠ ، ٦١ .
٢. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٢٤٨ ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٢ ، ص ٣٦٦ / ٢
٣. انظر : مذكرة ابن جندان المصورة في مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة ص ٩٩ .
حول كون ميمون القداح مجرد خيال .
٤. انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٢ ، ص ٢٨٢ / ٢

وأنكر المستشرق مأمور وجود القداحيين ، وتبعه في ذلك الباطني المعاصر عارف تامر الذي اعتبر القداحيين في الحقيقة الأئمة المستورين . (ر : ص ص : ٢٥٥ - ٢٧٩)

ويذهب ايفانوف الى أن محمد بن اسماعيل كان يعرف باسمه

المصري " الميمون " وأحيانا عبدالله بن الميمون .

وليس في هذه الدعاوى الا صدق لما ورد في الرسالة التي أرسلها عبيد الله المهدي أو عبدالله المهدي الى أهل اليمن بعد استتباب الأمر له في المغرب وتأسيسه مدينة " المهديّة " - التي دخلها سنة ثمان وثلاثمائة أي بعد أكثر من عشرين سنة من دخوله المغرب ، وهذا يدل على أنه مضت مدة طويلة قبل أن يُعرف المهدي نفسه ، تقول الرسالة :

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر أحياء دعوة الحق أخافوا من نفاق المنافقين ، فقسموا - صلى الله عليهم - بخير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم للدعوة في مقام الحجج ، وتسموا بمبارك وميمون وسعيد للقال الحسن في هذه الاسماء .

أركما نقل عن المعز لدين الله العبيدي :

ان صاحب الحق لهو الميمون المبارك السعيد قاذح زنا الحق وموري نور الحكمة ، فان ذهب من ذهب الى هذا فنعم .

ولنلاحظ أن فرقا ما بين قول المهدي عبيد الله وقول حفيده المعز لدين الله ، وهو أن المهدي اعتبر المبارك والميمون وسعيد أسماء لأشخاص ثلاثة بينما اعتبرها المعز أسماء لشخص واحد .

وهذه الأقاويل لا تقف بأي حال أمام تاريخ القداحيين . ذلك الذي كتبه الباطنيون انفسهم والذي كتبه غيرهم . والعجبة لا تزال قائمة على من يدعي النسب الفاطمي لملوك العبيديين .

١. انظر كتابه : القرامطة ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت ، ص ١٠٨

٢. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ص ٢٨١

٣. انظر : افتتاح الدعوة ، ص ٣٥٨

٤. في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠٦ ، انظره في الملحق - ١

٥. المجالس والمسايرات ، ص ٤١١

القداحيون في الفكر الباطني :

ان للأسرة القداحية دورا بارزا في تاريخ الدعوة الباطنية بل وفي تأسيس الفرق الباطنية الاسماعيليه . تعرض لهذا الدور كثير من المؤرخين وأصحاب المقالات .

- ٥ والفكر الباطني ذاته لم يغفل هذا الدور بأي حال . وقد تعرض لويس الى ما ورد في كتبهم عن هذه الأسرة ، خاصة مؤسس الأسرة ميمون القداح وابنه عبدالله ، الذي تحتل شهرته أكثر من أبيه ، وربما خلط البعض بينه وبين أبيه ميمون . قال لويس :

وقد شاهدنا الاشارات الهامة التي تجعل ميمون القداح قيما

- ١٠ ومستودعا لمحمد بن اسماعيل في كتابات الدرر ، وفي الكتاب الاسماعيلي (غاية المواليد) ويذكر دستور المنجمين وهو كتاب اسماعيلي قديم ، ميمونا علي أنه من أصحاب الباقر وعبدالله من أصحاب جعفر الصادق . ويقول كلام بير وهفت بابا ابو اسحق بأن عبدالله بن ميمون كان حجة في زمن السترائي المدة التي تلت وفاة جعفر الصادق ، ويجعله زهر المعاني من أبناء سلمان الفارسي ، ولعله يقصد ذلك من الناحية الروحية . ويذكر الفلك الدوار - أخيرا - شيئا مختصرا عن عبدالله . وهو كتاب اسماعيلي حديث اعتمد على المصادر السنية اعتمادا ظاهرا .

ان المراجع التي ذكرها لويس في نفسه هذا مراجع باطنية منـ

- ٢٠ " دستور المنجمين " وهو لمؤلف مجهول في القرن الرابع ، وكلام بير " و هفت بابي بابا اسحق " (ر. ص ٥٥) و " الفلك الدوار "

١. أصول الاسماعيليه ص ١٥١ ، ١٥٢ .
٢. انظر في هذه الكتب . ايفانوف The Guide to... ص ٣١ ، ١٤١ ، ١٦٢ ،
وأصول الاسماعيليه ص ٢١٢

أما كتاب زهر المعاني فهو أحد الكتب الباطنية التي ذكرت حديث

القداحين وقد أشير في هذا البحث إلى ذلك (ر ص ٢٢٠) .

ويمكن هنا إضافة ما كتبه مرجع باطني لم يذكر في نص لويس وهو

كتاب حياة الأحرار - من كتب المستعلية السليمانية السرية - الذي

يفسر كلمة " العاديات " من السورة المعروفة بهذا الاسم ؛ بأشخاص ذكر

منهم ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون الذي لقبه بالفتح .

كما كتب في أمر القداحين باطنيون محاصرون أمثال مصطفى غالب الذي

يؤيد وجودهم وأمين طليح الدرزي .

وفيما يلي دراسة عن الأسرة القداحية وميمون القداح بصفة خاصة كما وردت

في المصادر الباطنية ليتمكن الباحث من التعرف على الأصل الذي وصف به

الباطنيون هذه الأسرة .

يقول الداعي ادريس :

ولما آن لاسماعيل الأجل . . . وأوصى . . . والده الصادق

عم الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا . . . فسلمه ، أعني مولانا

محمد بن اسماعيل ، إلى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن

سلمان الفارسي قدس الله روحه ، فرباه وأخفى شخصه صلح

وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيلا

له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحق

ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ .

. . . وكنم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبدالله

ابن الميمون كفلاء وكنم أمر ذلك على الخاص والعام الا على المخلصين

.٢

العارفين .

١. انظر : مخطوطة حياة الأحرار ق ٦

٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧ ، ص ٤٩ ، وانظر أيضا في نفس

المرجع : غاية المواليد ص ٣٦

ان كان من تعليق على النص فهو ما يختص بقوله ان سلمان من اولاد اسحق
ابن يعقوب ، ويرى الباحث ان خطأ ما حدث اما في النسخ أو في التأليف -
لأن المقصود لابد أن يكون يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وليس اسحق بن
يعقوب (ر. ص ٤٤٤) .

٥ ان النص الباطني يشير الى أن ميمون القداح وابنه اشتركا في كفالة محمد
ابن اسماعيل ، ويمضي النص فيقول :

وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولي الأمر يأويها
[كذا] ويقيم الحدود والهادين فيها والشيعة في اعتقادهم
مختلفون والفضلاء البالغون منهم لولي الأمر عارفون أعلمهم
١٠ ولي الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا وأمرهم أن يكتموا ذلك
سترا لخوف الضد فكتموا . واعتقدت فرقة ان الامامة رجعت
القهمقري ، وفرقة تعتقد امامة موسى بن جعفر . . . ثم
اعتقدت فرقة أخرى امامة الأفلح (الأقطح) عبد الله بن
جعفر فمات في عصر أبيه . . . وفرقة اعتقدت امامة محمد بن
١٥ جعفر وتفرقوا بعد غيبة اسماعيل وذهب [كذا] أهوائهم [كذا]
الاباطيل فلما أن للصادق [يعني جعفر بن محمد] عليه
السلام الأجل وانقضى المهل لمس على الضد أبي
الدوانيق [يعني أبا جعفر المنصور] سترا على ولي الله
وصيانة لحدود دينه .

٢٠ ولا يهمنا هنا الا أن ميمون القداح قام بما قام به من تأسيس الدعوة الاسماعيلية
قبل موت جعفر بن محمد (- ١٤٨) الذي ترك شيعته يتخبطون فجازاهم
جزاه سنمار فعاداهم حين والوه وخيب أملهم حين قصدوه ، وهذا معنى النص

الباطني ، (ر . أيضا ص ٢٧١) في حين انسلّ ميمون القداح وابنه من المدينة المنورة للبحث عن دار لهجرة محمد بن اسماعيل ومركز لدعوته .
حقا ان هذا صعب التصور ولكن ما العمل اذا كان الباطنيون أنفسهم يؤرخون لبزوغ دعوتهم بهذا الغموض والتناقض الذي لا لزوم له في رأي ...
الباحث الا اقحام القداحيين في تاريخ الدعوة الباطنية بشكل مشرف
يرفضه واقعهم المريب في تأسيسهم لهذه الدعوة ، ذلك الواقع الذي
أوضحت أعلام المؤرخين من أهل السنة والجماعة .

ويمضي الداعي ادريس فيوضح لنا أن محمد بن اسماعيل حينما هاجر من المدينة المنورة ترك ولدين خاليين من الامة (ر . ص ١٧٤) وهذا القول الخاص بوجود ولدين لمحمد بن اسماعيل هما جعفر واسماعيل قول ذو أهمية
قصوى بالنسبة للقداحيين والباطنيين بصفة عامة ، لأن حياة محمد بن اسماعيل بعد خروجه من المدينة المنورة ، اندمجت في القداحيين واندمج القداحيون فيه ، ودخل الطرفين كلاهما في غموض يستبعد الباحث فيه حياة محمد بن اسماعيل لا سيما وأن المصادر الشيعية الاثني عشرية تشير الى أنه مات فسي
بغداد بعد خروجه من المدينة المنورة أيام الرشيد ويؤكد ذلك ما ذكره
الداعي ادريس من خروجه من المدينة وبعد أن ترك فيها ولدين اسماعيل وجعفر وهما المعروفان عند أهل الأنساب ، وعلى أحد هذين الولدين وهو جعفر ، كان الظن في صحة نسب عبيد الله المهدي ، في أحد قولبي
ابن الأثير المؤرخ ، نسبه ابن خلدون / الى جعفر بن محمد بن اسماعيل

١. انظر: حاشية التويختي . فرق الشيعة ص ٨٠
٢. انظر: جمهرة أنساب العرب ص ٦٠ وابن خلدون . تاريخ ابن خلدون ج ٤ ، بيروت دار الكتاب العربي ١٩٥٨ ، ص ص ٦٢ ، ٦٤ واتعــاظ
الحقنفا ١٥/١ - ٢٦ - ٥٠ - ٥٢
٣. انظر: ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٦
ص ٢٤

وسار على ذلك كل من أثبت للعبيديين النسب الفاطمي بعد ذلك ؛ وهو —
 خطأ شنيع يرفضه الباطنيون من خلال ما ذكر عن الداعي ادريس ثناء،
 ومن خلال حديثهم عن الأئمة المستورين (ر. ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩) الذين
 اشتهر أن أولهم كان عبدالله الرضي — المختلف في اسمه ومكان ميلاده . وقد
 رفض الامام الباطني الامر بأحكام الله العبيدي دعوى مماثلة عن وجود
 ابن لنزار بن المستعلي ولد في خراسان . فكيف يسوغ لغير الباطنيين
 قبول وجود ابن علي هذا النحو لمحمد بن اسماعيل ؟ وعليه يمكن القول
 ان القداحيين بعد ذلك صاروا هم الذين يتحدثون عن محمد بن اسماعيل
 فكانهم هو ، وهذا يوضح لنا من الذي حمل لواء الدعوة الباطنية ومن الذي
 صلب تاريخها . حسب أقوال نص باطني .

القداحيون عند غير الباطنيين :

ان سيرة القداحيين — خاصة ميمون وابنه عبدالله — موجودة في كتب
 أهل السنة ، أما كتب الشيعة الاثني عشرية فانها لم تهتم كثيرا الا بميمون
 القداح وابنه عبدالله بن ميمون ، وأشار لويس الى أن كتبهم ذكرت ميمونا
 وابنه باعتبارهما :

في مستهل حياتهما على الأقل محدثين شيعيين موثقيين
 معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ما شابه ذلك .

... ويبدو أيضا أن المصادر الشيعية متفقة على نسبة
 ميمون وابنه الى مكة ... وقد رأى بعضهم أن عبدالله بن
 ميمون القداح الوارد ذكره في كتب الشيعة الاثني عشرية
 كان طوال عمره شيعيا اثني عشريا متحمسا ولا علاقة له

بالاسماعيلية . واذا كان هناك رجل اسماعيلي بهذا الاسم
فانما هو شخص آخر غيره . والأرجح أن القداح الاسماعيلي
شخصية خيالية مفترضة اختلقها الاسماعيليون أنفسهم
أو مثاوتهم الكارهون وأن ما دفع الاسماعيليين على هذا
الاختلاق هو رغبتهم في أن يسبقوا على حركتهم الاحترام
والاجلال باقران [؟] شخص معروف محترم من أصحاب . .
الائمة بها .

ولكن لتأكيد الكتب الاسماعيلية الكبيرة على نشاط ميمون
القداح كأحد الاسماعيلية لا يترك لهذا الافتراض مجالا
ولا يسمح للشك أن يتطرق الى اسماعيليه ، كما أن الإشارة
الى عبدالله بن ميمون بأنه محدث اثني عشرى لاتمنع نسبته
الى الاسماعيلية أخيرا .

ان فرضيات لويس كانت مدعاة لحديث طويل لاثبات أن شخصية ميمون
غير مختلقة من الباطنيين ولا من غيرهم ، ولكنه استدرك على نفسه فلم
يسمح لافتراضه أن يتخذ بعدا أو مجالا ، ولكن مسألة التشابه في
الاسماء التي افترضها لازالت على قوتها - ولن ننسى التشابه بين القاضي
أبي حنيفة النعمان الباطني وأبي حنيفة النعمان السني (ر. ص ٣٨٣) -
فربما أصبحنا أمام ميمونين قداحيين اثنين أحدهما الذي تحدث لويس أن
كتب الشيعة ذكرته على أنه مكِّي مخزومي أو ما الى ذلك ، وأنه جعفري -
لصعوبة نسبته الى الاثني عشرية - ، أو زيدي . وغالبا ما تكون له علاقة
بالشخص الذي أشار اليه الذهبي بقوله :

١. أصول الاسماعيلية ص ١٥٠
٢. انظر: الاسترأبازي . مخطوط منهج المقال ، دمشق ، المكتبة
الظاهرية ٧٥٧٣ ، ص ٥٩ .

عبد الله بن ميمون القداح المكي . عن جعفر بن محمد
وطلحة بن عمر ، قال ابو هاشم مشرك ، وقال البخاري : ذاهب
الحديث . وقال ابن حبان : لا يجوز أن يحتج بما انفرد به .
... وقال مؤمل بن اهاب : حدثنا عبد الله بن ميمون المكي

٥ مولى جعفر بن محمد . وقال أحمد بن برد الأنطاكي : حدثنا
عبد الله بن ميمون مولى آل الحارث بن ربيعة المخزومي .

واذا أردنا الدقة بنعد نص الذهبي فان عدد من تسمى بعبد الله بن
ميمون يزيد ، وهو أمر لا يعني كثيرا اذا علمنا أن شخصا باطنيا يسمّى
ميمون القداح وله ابن اسمه عبد الله بن ميمون ، على النحو الذي تحدثت عنه
١٠ كتب الباطنيين من قبل وأن هذين الشخصين لهما علاقة وثيقة بتاريخ الدعوة
الباطنية وأن هذا الشخص وابنه ما ورد ذكرهما في كتب أهل السنة على
النحو ذي العلاقة بالدعوة الباطنية ونشأة الفرق الباطنية من الفرق
الشيعة الغالية كالخطابية والباركية (ر. ص ١٤٤ فما) .

٢
كما قال ابن رزام وابن الأثير المؤرخ : وكما ذكر لويس :
١٥ ويقول النويري رواية عن ابن شداد بأن ميمونا من أصحاب
أبي الخطاب ، وكانوا يقولون بالتأويل الباطني . وأن الحركة
التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه
ويجعل رشيد الدين أبا الخطاب مؤسسا وميمونا وابنه عبد الله
٤ تابعين له .

١. ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، تحقيق الجاوي ، مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٣٨٢
ص ٥١٢ وانظر : تهذيب التهذيب ج ٢ ، تصوير عن طبعة حيدرآباد
١٣٢٦ ، ص ٤٩
٢. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٨

٤. أصول الاسماعيلية ص ١٠٢

مما يدل أن مراجع غير الباطنيين تقول بأن ميمون وابنه كانا في الأصل
يدينان بالخطابية وهو أمر ممكن فكريا لوجود أكثر العقائد الخطابية فهي
الفرق الاسماعيلية خاصة وفي الباطنية عامة وهو ممكن أيضا إذا اعتمدنا
على ما ذكره صاحب زهر المعاني حول علاقة ميمون وابنه بمحمد بن اسماعيل
ليس من وجهة كونه بابا أو كفيلا لمحمد بن اسماعيل ولكن من حيث وجوده
في هذه الفترة التاريخية ، وحينئذ يصبح ميمون القداح أحد الخطابين
الذين نجوا من المذبحة التي صلب على أثرها أبو الخطاب في دار الرزق
بالكوفة (ر. ص ١٢٨) فأسس الفرقة الاسماعيلية على نحو ما أشير إليه
من قبل (ر. ص ١٤٧ فما) .

١٠ وعلى ذلك فإن قصة القداحيين والامامة المستودعة والأئمة المستورين
ليست إلا دعاوى عاجزة عن الصمود أمام ما ذكره أهل السنة عن تاريخ
الدعوة الباطنية .

وعليه فإن القداحيين هم أصحاب الدعوة الباطنية حقيقة ، ادعوا وجود
إمام اسمه محمد بن اسماعيل ، الذي من المحتمل جدا - كما أشير في ترجمته -
أنه مات ولم يعلم بأمر الدعوة إليه (ر. ص ٢٧٦ - ٢٧٨) لعدم وجود
أي أثر عقدي ينسبونه إليه . ولا حجة لهم بادعاء السرية لأن القداحيين
لم يستطيعوا الغاء وجودهم التاريخي رغم تلك السرية ، كما لم يستطيع
أحفادهم العبيديين اثبات انتسابهم لفاطمة الزهراء رغم محاولتهم الاستناد
على الأئمة المستورين والسرية .

٢٠ أصل القداحيين :

قيل ان أصل ميمون القداح فارسي وقيل انه يهودي الأصل . فأما القول

بأنه فارسي فقد ورد في فهرست ابن النديم عن ابن رزام :

قال : ان عبدالله بن ميمون ، ويعرف ميمون بالقداح ، وكان

من أهل " قونج العباس " بقرب مدينة الأهواز .^١

كما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي في حديثه عن عبيد الله المهدي أنه

زعم أنه من ذرية :

٢. ميمون القداح بن ديسان بن سعيد الخضبان الخرمي .

وربما كانت نسبته هذه الى " خرم شهر " وهي مدينة تقع في منطقة الأهواز

حاليا . وقد سبقت الإشارة الى الأصل الفارسي لميمون القداح في نص

باطني ، نسبة الى سلمان الفارسي (ر. ص ٤٣١) .

١٠ ان نسبة ميمون القداح الى سلمان الفارسي أمر فيه نظر من وجهين : أحدهما

أن آباء ميمون حسب قول من نسبته الى سلمان هم على التوالي : غيلان وبيدر

ومهران ، وأحسب أن اسمي بيدر ومهران مما يصعب على الباحث التصديق

بهما انطلاقا من كونهما من ذرية سلمان الفارسي الذي يفترض فيه أن يطلق

على أبنائه أسماء اسلامية ، وقد ينسحب هذا الرأي على اسم غيلان ، وإن كان

في ذلك بعض الشك . الثاني : ان وجود ذرية لسلمان الفارسي أمر مشكوك

فيه بحد ذاته ، لأن " ماسنيون " الذي أجرى بحثنا عن سلمان الفارسي أشار الى

اعقاب مزعومين لأخي أولبنات سلمان ، وهو يعني عدم وجود أبناء ذكور له .

ويقول " عبدالرحمن بدوي " تعليقا على ذلك : ان الأخبار القديمة وعليها جرى

" القلندرية " تقول ان سلمان مات ليس فقط دون أن يتزوج ، بل وأيضا وهو

٣. عار عن شهوة الجنس .

٢٠

١. الفهرست ص ٢٧٨ .

٢. تثبیت دلائل النبوة ص ٥٩٢

٣. انظر : عبدالرحمن بدوي ، شخصيات قلقة في الاسلام ، ط ٣ ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨ ، ص ١٠

وأما ما ظن " لويس " في هذا الموضوع في أن تكون نسبة القداح إلى سلمان الفارسي ، إنما هي من حيث النسب الروحي ، وليس الحقيقي ، فإن " زهر المعاني " - الذي استند عليه لويس في أمر نسبة ميمون القداح إلى سلمان - ذكر لميمون أباً وجداً وأب جده من ذرية سلمان وهذا لا يستقيم النص الباطني مع ما ذهب إليه " لويس " وعلى أيِّ فان هذا جانب مما قيل عن أصل ميمون القداح ،

أما القول بأصل القداحيين اليهودي ، فقد نعت " لويس " بالأسطورة اليهودية . وسيأتي الباحث فيما يلي تلخيصاً لمقالة لويس في ذلك ،

انه يزعم أنها محاولة من مؤرخي أهل السنة ليجعلوا للخلفاء الفاطميين أصلاً يهودياً . وكان لويس بذلك يريد أن يقول ان المؤرخين السنيين يريدون تشويه أولئك الخلفاء بنسبتهم إلى اليهود .

ان لويس نقل عن مستشرق آخر هو " ليس أوريلري " أربعة أشكال لهذا الدعوى - الأسطورة :

الأول : ما يتصل بكون عبدالله بن ميمون القداح يهودياً من ولد الشلعلع ذكرها محمد بن مالك بن أبي الفضائل (القرن الخامس) .

الثاني : يتلخص في أن الحسين القداحي ، تزوج من أرملة يهودية وتبنى ابنها سعيد - عبيد الله المهدي ، فيما بعد - . وأحسب أن القاضي عبد الجبار (٤١٥) ذكر ذلك من هذا الوجه والأمر لا يتصل بأصل القداحيين الا أنه ذو علاقة خاصة بعبيد الله المهدي والعبيديين . وان يكن فان المشكلة من هذا الوجه تعتبر العبيديين يهودي الأب قداحي الأم لأن القاضي

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٥٢
٢. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٥٣ - ١٥٦ .
٣. انظر : كشف أسرار الباطنية ص ١٧

عبد الجبار يقول بأن عبيد الله المهدي باعتباره يهوديا تزوج بنت زوج أمه
القداحي .

الثالث : أن جد سعيد - عبيد الله المهدي - ابن أمة لجعفر
الصادق ؛ أحبها يهودي فحملت منه ، ويصبح العبيديون هنا أبناء غير
شرعيين من أصل يهودي .

الرابع : أن سعيد - عبيد الله المهدي - قتل في السجن ؛ فاستبدل
أبو عبد الله الشيعي به عبدا يهوديا ، وهذا مستبعد جدا إذا عدنا النبي
شخصية أبي عبد الله وعقيدته في أهل البيت ، وما قام به بعد ذلك من ثورة
على المهدي عبيد الله حتى قُتل بسبب ذلك (ر . ص ٤٠٩) .

١٠ ان الذي يهبط من كل ما ذكره " لويس " الشكل الأول لهذه القضية
وهو الذي ذكره محمد بن مالك بن أبي الفضائل ؛ الذي يقول :

وكان هذا الملعون [يعني عبد الله بن ميمون] يعتقد اليهودية ،

ويظهر الاسلام ؛ وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة

بالشام يقال لها سلمية وكان من أخبار اليهود وأهل الفلسفة

١٥ الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل

ابن جعفر الصادق وكان حريصا على هدم الشريعة الحمديّة

لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام وأهله والبغضاء

لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يروّجها يدخل به على

الناس حتى يردّهم عن الاسلام ألطف من دعوته الى أهل بيت

٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خرج في أيام قرمط

البقار ولذلك نسب الى أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون

الى قرمط لأنهما اجتماعا وعملًا ناموسا يدعوان اليه .

من النص السابق يمكن استنباط النقاط التالية :-

- ١- كون ميمون القداح وابنه عبدالله يهوديين العقيدة .
- ٢- تظاهرها بالاسلام لهدمه ، الأمر الذي يكرر عودة الطريقة التي سار عليها عبدالله بن سبا .
- ٣- أنهما من ولد الشلعل ، وكأن ابن أبي الفضائل يخبر أن ولد الشلعل هؤلاء إنما هم جماعة أو قبيلة يهودية تسكن سلمية ، ولكن المعروف أن أبا الشلعل - وان كان في اسمه ما يثبتي عن يهوديته بعض الشيء - أحد القداحيين . وهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح .
- ١٠- ان ابن أبي الفضائل هنا نسب الأصل القداحي الى فرعه الذي اعتبره يهوديا ، وهذا غريب الا أن يكون أبا الشلعل هذا قد تكنى بأحد أجداده . ويوجب هذا القول وجود جماعة يهودية بهذا الاسم سكنت الشام ، ومدينة سلمية بالذات ، وهي مدينة لم تتأسس الا في أيام عبدالله الأكبر كما تقول رسالة استتارالامام ، وعبدالله هذا لم يكن من أهل هذه المدينة بل انتقل اليها بعد تأسيسها . وكل ذلك لا يتناسب مع مقولة ابن أبي الفضائل بأن القداح كان صائغا في خدمة شيعة جعفر الصادق .
- ٤- ان القداحي الجدد كان من فلاسفة اليهود الذين درسوا الأديان . وهذا القول يعود بنا الى ما يمكن نسبه الى فيلون الاسكندري اليهودي الذي تحلق بالفلسفة اليونانية في القرن الأول من ميلاد المسيح (ر . ص ١٨٣ قما)
- ٥- ان القداحي اجتمع مع قرمط لاستنباط المذهب الباطني ، وهذا لا يتناسب مع كون ميمون القداح خطابي المذهب في الأصل ، كما أن

١. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٩ وانظر : مخطوطة رسالة تقسيم العلم ، دار الكتب المصرية ، كلام النحل الاسلامية ٥٤ ، ق ١٠٥ ب
٢. انظرها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦

المعروف أن قرمط (حمدان بن الأشعث) استجاب لدعوة عبد الله بن ميمون القداح . كما يقول ابن رزام ، أما الذي تواطأ مع القداحي فهو عند ابن النديم محمد بن الحسين الملقب بزيدان أو داندان أو بندار ، الذي يبدو أن له دورا ما في تطوير العقيدة الباطنية قد يعادل دور ابن ميمون القداح ، وخلاصة القول ان اعتبار حمدان قرمط مساويا في دوره لميمون القداح أو ابنه عبد الله صعب التصور على الباحث .

ان الباحث يجد نفسه هنا مدعوا الى مناقشة النقطة الأهم في تصوير ابن ابي الفضائل للقداحيين ، تلك التي تقول بيهوديتهم . وأن ميمون القداح تظاهر بالاسلام لهدمه ، لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام .

- ١٠ ان ظاهرة تظاهر اليهود باعتناق الأديان الأخرى لهدمها معروفة ، وأجلى مثال على ذلك : عبد الله بن سبا اليهودي الذي تظاهر بالاسلام ، وابتدع التشيع السبئي الذي وجدت آثاره عند الخلافة من الشيعة ثم في الفرق الباطنية ، وعلى ذلك فان مقالة ابن ابي الفضائل من هذا الوجه غير مستغربة الا من حيث انفراده بها دون من تقدمه من درس هذه الظاهرة . الأمر الذي يجعل التسرع في الحكم على القداحيين غير لائق بمن يرجو وجه الله في نشدان الحقيقة ، رغم ما ثبت لدينا في هذا البحث من وجود الأصابع اليهودية في العقائد الباطنية وفي الدعوة الباطنية وأساليبها . كما أن اهمال ما قاله ابن ابي الفضائل غير ممكن لاسيما وأننا اذا عدنا الى قول الداعي الباطني ادريس (ر . ص ٤٣١) لوجدنا أنه ينسب ميمون القداح الى (اسحق) عن طريق سلمان الفارسي . الذي سماه : اسحق بن يعقوب . ان اسم اسحق على هذا النحو فيه مقالة ستأتي بعد سطور . أما ما ذكره من انتساب

١. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٩ .

٢. انظر ايضا : الفهرست ص ٢٨١ وأنظر : تثبيت دلائل النبوة ص ٣٨٦ ، والكامل في التاريخ ٢٩ / ٨ .

ميمون الى سلمان الفارسي فقد قيل أنه ليس لسلمان الفارسي ذرية من الذكور (ر. ص ٤٣٨) ، ولكن للباحث أن يفترض وجود ذرية فهل كان سلمان من ذرية اسحق أي هل كان سلمان يهوديا في أصله ؟ .

ان الباطنيين يعتقدون ذلك مما ورد في نص الداعي ادريس ، وكذا

ورد في مرجع باطني آخر ، نسب سلمان الفارسي الى سليمان بن داود عليهما السلام جسمانيا ودينيا على حد قول المرجع . وعند اليهود نجد أن سليمان بن داود من ذرية فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق .^٢

ولكن المعروف في التاريخ الاسلامي أن سلمان الفارسي فارسي وليس من اليهود . وقد جمع " ماسنيون " ما قيل في أصل سلمان الفارسي

من المصادر الاسلامية ، كما يلي : -

سلمان أصله من فارس من أسرة نبيلة من أسرة فارس

(أبو اسحق السبيعي اسماعيل والسدي) . . . من

دهاقين جسي بالقرب من أصفهان (عبيد المكتب وابنه

اسحق وسيار العنزي) . . . ونشأ على دين المزدكية

باسم مابنه بن بودخشان (في قول ابن مئده) أو روزه بن

مرزيان - ثم اعتنق المسيحية .

وهذا يجعلنا نستبعد أن تكون أسرة سلمان الفارسي . المزدكية الديانة

يهودية الأصل ، ولو كان سلمان يهودي الأصل لما استحى من اظهاره ،

فحينما أسلم لم يخف شيئا من أصله ودياناته السابقة .

وهذا يجعلنا في طمأنينة تامة اذا قيل ان اقحام سلمان الفارسي في نسب

ميمون القداح مما يصعب الاقتناع به صعوبة الاقتناع بوجود نسب يهودي

لسلمان الفارسي .

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروتمان . أربعة كتب) ص ٩٢

٢. انظر : سفر اخبار الأيام الأول ١/٢ - ١٥

٣. شخصيات قلقة في الاسلام ص ١٣

ويصبح لدينا في أمر نسب القداح الى ما قاله الداعي ادريس من أنه
من ذرية اسحق بن يعقوب (أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ)
ولنقل ان الداعي ادريس لا يعني اسحق بن ابراهيم عليهما السلام بل
شخصاً آخر اسمه يعقوب بن اسحق .

٥ اننا اذا وقفنا بالأمر في هذه النقطة يصبح الأمر عادياً ، ولكن وصف
ذرية اسحق هذا بأهل الاستيداع... الخ يجعلنا نقلب صفحات
المراجع الباطنية ، فنجد أن الداعي الحارثي يقول :
كل مستودع ينسب الى اسحق .

وانا عدنا الى نص آخر للداعي المذكور (ر. ص ص ١٢٦ ١٢٧) نجد
١٠ أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم وليس اسحقاً آخر غيره يقول عن سليمان
ابن داود بعد أن تحدث عن النملة التي خاطبته قال :
وسليمان كان من أولاد اسحق ، واسحق وأولاده هم دعاة اسماعيل
وأولاده في الافاق ، وهم أهل الاستيداع لاسماعيل وأولاده مطاح
٢
ما للعقل العاشر من الشعاع .

١٥ وبذلك يتأكد أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم ، وحيث ان الدعوة الباطنية
قائمة على فرض امامة أهل البيت من ذرية اسماعيل بن جعفر وهم أهل البيت
النبوي جميعهم من ذرية اسماعيل ، فان الباطنيين يرون أن ما لا بد منه أن يكون
لائمتهم أئمة آخرين يستودعونهم الامامة ولا بد أن يكون هؤلاء من ذرية يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم ، وعليه اختار جعفر بن محمد (الصادق) لحفيده محمد بن
اسماعيل شخصاً من ذرية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهو ميمون القداح . بعبارة
٢٠ أخرى: ذلك هو كل ما كان يريد الداعي ادريس أن يقوله لقراءه ، ويصبح الاسم

١. الأنوار اللطيفة (الأعظمى . الحقائق الخفية) ص ١٢٣

٢. مخطوطة حياة الأحرار ق ١٨

المذكور في كتابه : (اسحق بن يعقوب) اسما مغلوطا اما من ناسخ الكتاب
أو من مؤلفه ، ولم ينبه لهذه النقطة — مع الأسف — المستشرق ايفانوف
الذي نشر جزءا من كتاب زهر المعاني المقصود بما قيل — في متن
الكتاب .

- ٥ أن هذا يجعلنا أمام نقطة هامة من نقاط البحث قد تحمل لنا لغزا
محيرا ، وهذا اللغز هو التاريخ العجيب للامامة الباطنية الذي نجده
في كتبهم عن أئمة مزعومين من ولد اسماعيل بن ابراهيم كانوا قبل البعثة
النبوية وأن لهم دعاة ومستودعين من بني اسرائيل ومن أولئك الدعاة
والمستودعين رسلا مثل موسى وعيسى وأنبياء مثل داود وسليمان وشعيب
حتى لقد وصل الأمر بالمصادر الباطنية الى اعتبار أولئك الرسل
والأنبياء الذين شرفهم الله بالرسالة والنبوة وذكرهم في القرآن الكريم أتباعا
لأئمتهم الوهميين أمثال : قidar وحمل ونبت والهميسع وأدد وأد الذين
ليس لهم ذكر وتعظيم الا في المصادر الباطنية . (ر . ص ١٧٦) . ماذا يريد
الباطنيون من ذلك التاريخ ؟

- ١٥ هل كانوا يريدون القول بأن دعوتهم صحيحة وهي دعوة الأنبياء والمرسلين؟
أم أن لهم هدفا آخر يريدون منه معالجة مشكلة وقعوا فيها فيما بعد
حين تبين لهم أن ميمون القداح يهودي الأصل .
إذا كانوا يريدون الأولى فان الانقاص من قدر الأنبياء والمرسلين يجعلهم أتباعا
أو دعاة أو مستودعين لأئمة لا وجود لهم في تاريخ ولا دين ، فلا شك أنهم
اختاروا لذلك الطريقة التي لا توصل الى الهدف أبدا ، فضلا عن أنها
تؤدي الى هدف أقل مافيه التقليل من شأن الرسل أصحاب الديانات السماوية .

١. انظر : رسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٠٢ ، ورسالة
تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ — ١٦٦ ومصطفى
غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ص ٧٠ ، ٧٢

وان كانوا يريدون تبرير وجود الفكر اليهودي الذي ظهر جليا في عقيدتهم وطريقة دعوتهم والخروج من مأزق وجود أشخاص قاموا بدعوتهم من أصل يهودي أمثال ميمون القداح ، فذلك طامة كبرى . بل هي النتيجة التي توصل اليها الباحث من خلال نسبتهم ميمون القداح الى يعقوب بن اسحق وهذه النتيجة حلت لغزا كان محيرا فغدا بذلك شبه قضية مسلميه ،
لا سيما وأن المراجع الباطنية التي وقعت في يد الباحث والتي وجدت ذرية اسحق بن ابراهيم على هذا النحو مراجع متأخرة ، فليس في مصادر الباطنيين المتقدمة أمثال : " الرسالة الجامعة لرسائل أخوان الصفا " وكتابات الداعي القاضي النعمان مثل ذلك ، الأمر الذي يدل أن التاريخ الباطني للدعوة الباطنية إنما حيكت على هذا النحو بعد ظهور الدراسات التي قام بها مخالفيهم من أهل السنة حول ميمون القداح وأولاده .

ولكن هل التمس الأمر بالنسبة للقداحيين على هذا النحو ، أعني هل كان جدهم ميمون القداح يهودي الأصل أراد افساد الاسلام على النحو الذي ذكره ابن أبي الفضائل وأيده عليه الداعي الباطني ادريس ؟
ان الباحث لا يملك أن يقول بذلك الا على سبيل أن بعض المراجع الباطنية تؤدي في مفهومها الى نتيجة كهذه فيصبح الأمر كما يلي :-
ان هناك نسبين يتصارعان في أمر ميمون القداح : أحدهما : النسب الفارسي المجوسي وهو ما قال به كثير ممن تعرض لميمون بالبحث والدراسة . الثاني : النسب اليهودي وهو الذي بدأ الحديث عنه ابن أبي الفضائل ، وأشار اليه بطريقة لطيفة الداعي الباطني ادريس ، وصدر عن المراجع الباطنية ما يشبه التأييد لقوله على النحو الذي فصله الباحث .

وهذا لا يقدم ولا يؤخر في الأمر شيئا وان كان الذي لاشك فيه هو التشابه بين القداح وابن سبا من حيث العمل على افساد الاسلام .

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا :

- ١- أن السرية تعتبر منهجا أساسيا في الدعوة الباطنية وقد اتخذ الباطنيون وسائل عديدة للحفاظ على سرية مذهبهم ، وهو ما نجده في الفكر اليهودي الذي يسير الباطنيون على طريق مشابهة له .
- ٢- أن من أساليب الدعوة الباطنية التدرج فيها شيئا فشيئا حتى أنهم كونوا سبع درجات لا يرتفع أحد فيها إلى أخرى حتى يكمل الدرجة التي سبقتها ، وقد وجدنا الجمعيات الماسونية تسير على نفس المنهج . وقد اتضح وجود علاقة وطيدة بين الماسونية والفكر اليهودي .
- ٣- أن الدعاة الباطنيين اعتبروا الفكر اليهودي من مناهج فكرهم ، فاستشهدوا به في قضايا عقدية باطنية .
- ٤- أن النسب الفاطمي الذي قامت عليه الدعوة الباطنية فكان عمودها الفقري مشوب بالغموض والبعد عن الواقعية ، وأن أول من شكك في كونه عبيد الله المهدي فاطميا هم الذين سلموه الأمر في بلاد المغرب حينما أعلن ظهور دولته ، وليس للجاسيين ولا لأهل السنة عامة الأسبقية في ذلك . ومن استقصاء المصادر الباطنية تبين خلو عبيد الله من النسب وانتسابه حقيقة إلى ميمون القداح وأن خلفاء الدولة العبيدية أبناء للمهدي عبيد الله على اليقين .
- ٥- أن ميمون القداح جد الأسرة العبيدية مجهول الأصل ويتنازعه أصلان أحدهما أنه يهودي والآخر أنه فارسي مجوسي .

الخاتمة

لقد من الله على باكمال هذا البحث على هذه الصورة التي من الواجب على القول بأنها لم تكن الصورة التي تمنيت أن يكون عليها هذا البحث في نهايته .

ومع أن هناك من الأعذار ما يدعوني الى أن عدم استكمال جوانب البحث لم يكن برغبة مني ورضا ، إلا أن ذلك لا يعفيني أبدا من قول الحقيقة والعمل على استكمال النقص مستقبلا انشاء الله ومدد في العمر وأعان .

وقد ختمت كل باب من أبواب البحث بالنتائج التي وفقني الله الى الوصول اليها ، وفيها بحمد الله ومثته مالم أشر عليه بعد ، وعلى الأخص فيما رجعت اليه من المصادر المختلفة التي توفرت لي .

وليسمح لي القارئ الكريم — قبل الحديث عن النتائج العامة للبحث — ١٠
بالإشارة الى نقاط وجدتها على البحث : (١)

ان البحث يفتقر الى باب خاص عن الطريقة التي تعامل بها اليهود مع الاسلام منذ أن تبلغوه من رسول الله (ص) . وكنت قد أعددت لذلك الباب عدته وقمت بحصر الآيات القرآنية : التي تحدثت عن أن اليهود كانوا مطالبين بالايمان بالرسالة الاسلامية المحمدية . والتي تحدثت عن أن رسول الله (ص) انما هو الرسول الموجود اسمه في التوراة والانجيل ، وهو الرسول الذي جاء مصدقا لهما . كما بدأت في حصر الآيات التي وضحت لنا طريقة تعامل اليهود مع المسلمين على ضوء ايمانهم بالدين الاسلامي ذلك التعامل العدائي الواضح . ١٥

-
١. انظر سورة المائدة ١٥ ، ١٩ ، سورة الأعراف الآيات ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، سورة النمل آية ٢٦ .
 ٢. انظر سورة البقرة الآيات ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، سورة آل عمران الآيات ٦٤ ، ٦٩ — ٧٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، سورة المائدة آية ٥٩ ، ٨٢ .

واني وان لم أكن حينئذ قد جمعت معلومات عن تعامل اليهود مع رسول الله (ص) من نقضهم لعهدده ومما لأتهم لأعدائه واثارتهم الفتنة القبلية في المدينة المنورة بين قبيلتي الأنصار ؛ الا أنني بدأت جمع معلومات كثيرة عن ظاهرة الاسرائيليات وقطعت في ذلك مرحلة لا بأس بها . وفيها تبين لي عمق المخاض الذي خضته . فاستنصحت أحد أصحاب الفضل في العلم عليّ وهو الدكتور مجاهد الصواف ؛ الذي نصحني بكلمة لاتزال ترن في مسمعى حينما قال لي :

— اذا لم تكن واثقا من أنك ستأتي بجديد فيما عزمتم عليه فلا حاجة لأن تكرر أقوال السابقين ونتائج بحوثهم .

١٠ فصرفت النظر عن ذلك الباب جملة وتفصيلا اكتفا بما في بقية الرسالة . وهو ما يختص بصلب موضوعها ؛ حتى حين .

وتبين لي أن في الرسالة من المواضيع التي كان من المستحسن إبرازها في فصول خاصة بها . لا أن ترد في سطور مشتتة بين بقية الفصول ؛ مثل :

(٢)

التناسخ ؛ وهو عقيدة وجدت عند الباطنيين ، وقد أثرت هذه العقيدة

١٥ في جوانب أخرى من فكرهم ؛ كما أثرت على أسلوب الدعوة تأثيرا واضحا وقد توصلت الى ذلك أخيرا — للأسف الشديد — واني اذ أشكر الله على أن توصلت الى ذلك ، وأعتبره نتيجة هامة من نتائج البحث ، الا أنني ندمت كثيرا على ما فرطت في حق بحث التناسخ ، والسبب في ذلك يعود الى أنني أخذت برأى لأحد المعاصرين يدعى فيه أن بعض الفرق الباطنية لم تقل بالتناسخ ، ففهمت مراده أن يقول أو قد قال ؛ ان اعداء الباطنيين هم الذين وصموهم بتلك الوصمة التي ليست فيهم .

٢٠ ثم تبين لي أن عقيدة القول بتناسخ الأرواح موجودة في الفكر الباطني بعامة على نحو يضيق ويتسع ، مما يسمح للباحث القول بأن أكثر الفرق

الباطنية تحفظا واعتدالا تقول بتناسخ الأرواح بكيفية ما • رغم اعترافي
بالحاجة الى احاطة أوسع بالموضوع •

ومن نافلة القول الاشارة الى أن لعقيدة التناسخ أصلا يهوديا
قد يكون مقتبسا من ديانات وثنية أو شبه وثنية قديمه • وقد تبين لنا
ذلك في البحث (ر • ص ص ٦٠ ، ٢٠٦ - ٢١٠ ، ٢٩٣) •

(٣)

الضد • كلمة أطلقها الباطنيون على مخالفيهم • وقد تعمقت الفكرة
فبلغت بهم غورا بعيدا ، وتشعبت فأنثرت على عقائدهم ودعوتهم كثيرا •
وبلغ بهم القول الى اعتبار الضد شيطانا بالفعل أو بالقوة ، وقد قالوا
بمثل ذلك في صحابة رسول الله (ص) مثل أبي بكر وعمر وعثمان ، وكثير
من سلف الأمة الاسلامية الصالح • وقد وردت نتف من ذلك في
البحث ، كما ورد فيه أن أول من سب السلف الصالح من
الصحابة هو عبدالله بن سبأ اليهودي •

والذي اتضح لنا أن مدلول كلمة (الضد) ترادف (الغوييم)
أو الأميمن عند اليهود ، حيث اعتبروا الغوييم من ذرية الشياطين
أو الحيوانات •

والبحث وان لم يخل من الحديث عن ذلك الا أنني لو استقبلت من
أمري ما استدبرت لأفردت لذلك فصلا خاصا بين عقائد الباطنيين •
ومن المواضيع التي يمكن اعتبارها مكملية لجوانب البحث ولم ترد فيه •

(٤)

ايراد تراجم لبعض الشخصيات الباطنية ، مثل دعاة عرف الكثير عنهم
وعن حياتهم برغم وجودهم في دور الستر الذي أوجب الباطنيون فيه على
أنفسهم السرية • وآخرين ظلوا مجهولين رغم ما كان لهم من أثر ظاهر بارز على

الفكر الباطني ورغم وجودهم في دور الاشهاد الذي لا يحتم عليهم الكتمان
والسرية .

(٥)

كما أن البحث اقتصر في الحديث عن الأئمة المستورين الذين جاءوا -
بزعم الباطنيين - بعد محمد ابن اسماعيل فلم يكتمل الحديث عنهم بالرغم
من أهمية ذلك ، لا سيما وأن البحث تكلم بالتفصيل حين ترجم لاسماعيل
بن جعفر ومحمد بن اسماعيل اللذين تبين أنهما لم يؤثرا في الفكر الباطني
ولا في دعوته ، فلم أجد بدا من إضافة ملحق الى البحث يتضمن رسالة المهدي عبيد
الله الى أهل اليمن ، وهي مما قد يلقي بعض الضوء على جزء من ذلك .

(٦)

ان الدولة العبيدية باعتبارها أعظم الدول الباطنية على الاطلاق
١٠ حفلت بظهور شخصيات يهودية تسنمت فيها مراكز عليا ، كما كان لهذه
الدولة اسلوبا خاصا في التعامل مع اليهود أشارت اليه تفصيلا دائرة المعارف
اليهودية . وقد باشر الباحث في تجميع المادة العلمية لذلك ، الا أنه
تبين أن البحث - من حيث اهتمامه بالناحية الفكرية - لا يستوعب ذلك ،
بالإضافة الى أنه يبتعد به عن هدفه الذي انحصر في العقيدة والدعوة
الباطنية ، وهذا القول قد لا ينسحب على يعقوب بن كلس الذي يعتبر
١٥ بحق ظاهرة فريدة لأن الذي قيل فيه أنه ألف في فقه الباطنيين وربما
في العقيدة الباطنية وأصول دعوتها . وعليه فيمكن اعتباره من ضمن ما ورد في
هذه الخاتمة في الفقرة (٤) منها .

(٧)

ان الفرقة النصيرية فرقة باطنية بكل ما في الكلمة من معنى وان لم
٢٠ تكن اسماعيلية . وقد أشير الى ذلك في البحث ، الا أن هذه الفرقة
لم تحظ بما حظيت به بقية الفرق الباطنية من حيث شخصياتها التي
أسستها والظروف المصاحبة لذلك في الفصل الخاص بتاريخ الدعوة

الباطنية ، لا سيما وأن بصمات الفكر اليهودي واضحة فيها ، ولعل مرد ذلك كان قلة أثر هذه الفرقة . وضعف الدراسات الحديثة عنها وهو عامل مهم استند عليه الباحث كثيرا بالنسبة للفرق الباطنية الأخرى . وقلة المراجع النصيرية حيث لم يتوفر لديّ منها بعد البحث الا ثلاثة مراجع .

نتائج البحث :

ان الدور اليهودي في الفرق الباطنية واضح وثابت خاصة الناحية الفكرية منه ، وهذا الدور لم يكن وليد الصدفة المحضة ، بل كان على ما يبدو نتيجة جهود يهودية خفية من شخصيات آلت على نفسها أن تعمل على افساد الدين الاسلامي ، والانتصار على المسلمين - وهو ما لم يحدث تماما والحمد لله الا أنه أعقب أثارا ساهمت حقيقة في الحد من انطلاق المسلمين نحو هدفهم السامي؛ وهو هداية البشرية واصلاح العالم .

والدور اليهودي لم يكن وحيدا في الساحة لأن هناك من اتفقت أغراضهم مع اليهود على هدم الدين الاسلامي .

ولا يملك الباحث الحكم على مدى تعاون اليهود مع غيرهم على ذلك الهدف ، كما لا يملك القول بوجود ذلك التعاون ، الا أن بالامكان القول - اضافة الى ما سيأتي - بوجود عقائد غير يهودية في الفكر الباطني .

وقد استنتج الباحث أن الدور اليهودي قديم ، ووجوده يمتد الى ما قبل ظهور الفرق الباطنية ، حين ظهر عبدالله بن سبأ اليهودي - وهو شخصية حقيقية - بعقائده الخالية التي يمكن اعتبارها على العموم يهودية الأصل . تلك العقائد التي صارت علما على الغلو الشيعي والفرق الباطنية بعد ذلك .

ولم يتوقف ظهور العقائد ذات الأصل اليهودي على العقائد السبئية بل اننا وجدنا عند غلاة الشيعة عقائد ذات أصل يهودي لم يؤثر - فيما وقف

عليه الباحث من المصادر — عن ابن سبأ القول بها . (رء ص ص ١١١ ، ١١٢ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨) . وهذا يوضح لنا أن الدور
اليهودي لم يتوقف عند ابن سبأ ، وهو دليل على أن ابن سبأ لم يفعل ما فعل
من تلقاء نفسه ، وأنه لم يكن ظاهرة فردية .

٥ أما بالنسبة للفرق الباطنية فان الدور اليهودي لم يظهر في عقائدها
فحسب ، بل انه ظهر في أساليب الدعوة الباطنية وتنظيمها ، كما ظهر في
الكتابات المذهبية للدعاة الباطنيين ، الذين استمدوا الكثير من فكرهم
من أصول غير اسلامية ، كان أجلاها ما أنبأنا عن ثقافتهم ذات التكوين
اليهودي .

١٠ ان ثقافة الدعاة الباطنيين ذات التكوين اليهودي ذهبت بالدعاة
مذهبا غريبا ، وأعني بذلك قول الدعاة الباطنيين بانتساب دعائهم الى بني
اسرائيل : يعقوب بن اسحق .

ان الباحث لا يدري ايصف ذلك بأنه يعبر عن حقيقة الدعاة الباطنيين
من حيث أصلهم ، أم أنه يعبر عن ذلك من حيث انتمائهم الفكري .

١٥ وليت شعري ما الذي ذهب بهم هذا المذهب حتى احتالوا له الحيل
وكونوا له الاخبار وأرخوا له التواريخ فصارت عقيدتهم ثابتة وتدين أحدهما
يتصل باسماعيل بن ابراهيم جد العرب والآخر باسحق بن ابراهيم
جد اليهود .

هذا المذهب الذي استنتج الباحث منه احتمال كون ميمون القـداح

٢٠ يهوديا في أصله حيث نسب الباطنيون الى يعقوب بن اسحق .

وقد استنتج الباحث — من المصادر الباطنية — أن العبيديين الذين
انتسبوا الى فاطمة الزهراء ليسوا الا من ذرية عبيد الله المهدي الذي كان من
ذرية ميمون القـداح .

كما استنتج أن مسألة النسب الفاطمي ويطلانه بالنسبة للعبيديين لم تكن في أصلها من أقاويل أعدائهم عليهم بل كانت من أتباعهم كما تقول المصادر الباطنية .

- ومن نتائج البحث : ان المحققين من أهل السنة لم يكونوا متجنسين على الباطنيين في كثير مما كتبوه عنهم ؛ لأن المصادر الباطنية التي ظهرت أخيرا أثبتت أن أهل السنة كانوا على اتصال بمصادرهم رغم السرية التي أحيطت بها تلك المصادر ، وعلى ذلك فان الواجب حيال ما لم يثبت بعد على الباطنيين من أقوال أهل السنة فيهم ، عدم حمله على محمل سوء الظن بأهل السنة ، حتى يثبت عكس ما قالوا ؛ لأن في ذلك تجن لا يقبله العلم ولا أهله . مع الأخذ بعين الاعتبار أن كثيرا من المصادر الباطنية لازال طي الكتمان ، كما تبين من البحث أن السرية التي اتبعها الباطنيون تحتم عليهم عدم كتابة كل اعتقاداتهم بين السطور .
- وعلى ضوء تلك النتائج العلمية لعقائد الفرق بعامة والفرق الباطنية بخاصة فالفكر الباطني لازال قائما بكيفية ما ، كما أن دواعي ذلك لاتزال ماثلة . فان الباحث يقترح :

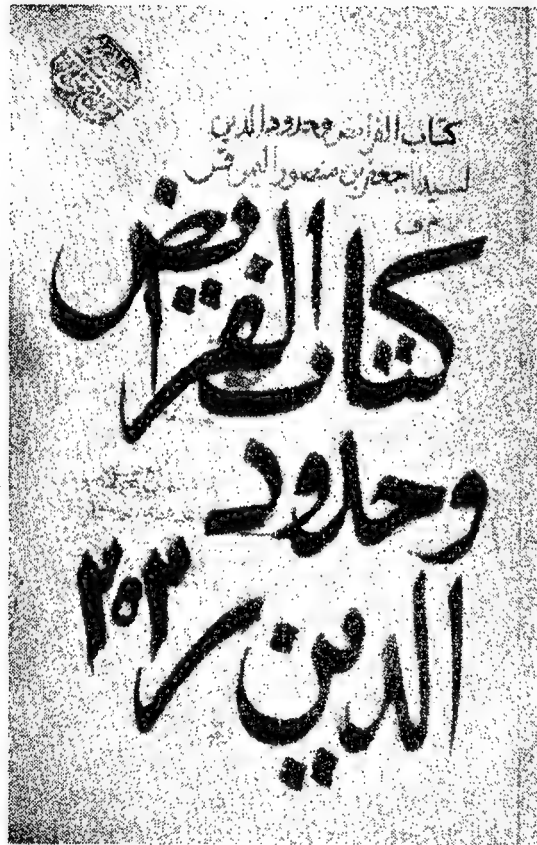
- ١٥ ان تعمل الجهات الاسلامية التي تقلدت نشر الدعوة الاسلامية - مشكورة - على بيان المذهب الباطني والنقاط التي ابتعد فيها عن جوهر العقيدة الاسلامية ، منعا لأي التباس قد يحدث .

- ان تقوم إحدى الجهات العلمية في بلادنا المقدسة بالخطوة الأولى نحو إعادة كتابة التاريخ الاسلامي وترتيب أوراقه وأعني وضع مخطط شامل يوضح السبيل الى ذلك الهدف .
- ٢٠ وقد تبينت للباحث الحاجة الماسة الى ذلك من خلال ما ورد في البحث .

وهنا يقف بي قلمي ، كما وقف جهدي فان يكن صوابا
فمن الله سبحانه وان يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان . واني
أعوذ بالله من نفسي ومن الشيطان . وحسبنا الله ونعم الوكيل .
والله أعلم

تم بحمد الله

في الساعة الثانية عشرة والربع من بعد فجر يوم الخميس المصادف
للعشرين من شهر جمادى الأولى من شهر السنة الأولى من القرن
الخامس عشر المبارك .



أسماء الأئمة المستورين كما وردت في رسالة المعدي بييد الله إلى أهل اليمن وهي التي ذكرها الداعي جعفر بن منصور اليمني في كتابه .
 (الفرائض وحدود الدين) . ونشرته لأول مرة الجامعة الأمريكية بالقاهرة على يد . حسين فيض الله الحمداني وذلك سنة ١٩٥٨

على التواضع في سائر الفعلاء وقال الشيخ في هذا المعنى
 من عند امره كما راعى ظاهره وأخفاه ونظير امره عند الامور
 فيه والرفعة في ظهوره ومقتل الانبياء الذين لم يكونوا
 في السعة في الشفاق ومقتل من في السعة في ظهورهم المهدي
 صاحب الفعلاء في حجب ظهوره وجوب مقام الامير في الامور
 من بعد والوصاية التي فيها هو المراد من قوله عليه السلام
 انما يصح من ذلك الامور في الامور التي في الامور
 بالانوار في الامور طاعة لاطلاق الامور طاعة الامور
 الامور في الامور طاعة لاطلاق الامور في الامور
 الامور في الامور طاعة لاطلاق الامور في الامور
 الامور في الامور طاعة لاطلاق الامور في الامور

[illegible][illegible]

بما يظهر من هذا الخبر فيكون هذا الخبر هو الخبر الذي
سواء كان هذا الخبر من الخبرين أو من الخبرين
وهذا الخبر الذي كان الإمام عليه السلام قد سمع به
أنه من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
في الخبرين من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
بما يظهر من هذا الخبر فيكون هذا الخبر هو الخبر الذي
سواء كان هذا الخبر من الخبرين أو من الخبرين
وهذا الخبر الذي كان الإمام عليه السلام قد سمع به
أنه من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
في الخبرين من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام

بما يظهر من هذا الخبر فيكون هذا الخبر هو الخبر الذي
سواء كان هذا الخبر من الخبرين أو من الخبرين
وهذا الخبر الذي كان الإمام عليه السلام قد سمع به
أنه من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
في الخبرين من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
بما يظهر من هذا الخبر فيكون هذا الخبر هو الخبر الذي
سواء كان هذا الخبر من الخبرين أو من الخبرين
وهذا الخبر الذي كان الإمام عليه السلام قد سمع به
أنه من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام
في الخبرين من خبرين أحدهما خبر عن الإمام عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ورد هذا المعنى المشروح في كتابنا إلى ناحيتنا باليمن من مولانا الإمام عبد الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد نزوله في المهدية المباركة .

لما اشتدَّت المحنة وعظمت التقيَّة في أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقيَّة عليه . فلم يطلع عليه في حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته صلوات الله عليه ، إلا أوثق الثقة من شيعته ؛ وكان يقول : « التقيَّة ديني ودين آباي ، ومن لا تقيَّة له فلا دين له » .

فتعلَّق كلُّ فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر بن محمد ، وهم : موسى وإسماعيل ومحمد وعبد الله . وكلُّ منهم على غير عقْد مُؤكَّد منه . وكان صاحب الحق منهم عبد الله بن جعفر صلوات الله عليه ، فلم يكن عِلْم مقامه إلا عند الأبواب والثقة تقيَّة عليه . وقد تعلَّق به قوم [على] غير هذه الحقيقة تَوَهُُّماً منهم .

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر إحياء دعوة الحق خافوا من رِقاق المنافقين ، فتَسَمَّوا — صلى الله عليهم — بغير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم

للدعوة في مقام الحُجَج، وتَسَمَّوْا بِمُبَارَكٍ وَمَيِّمُونَ وَسَعِيدٌ لِلْفَالِ الْحَسَنِ
في هذه الأسماء .

وأشاروا بالإمامة إلى عبد الله، وتَسَمَّى بِإِسْمَاعِيلَ، ودعوا إلى
أن المهدي صلوات الله عليه اسمه محمد بن إسماعيل، لأنه محمد وهو
من ولد عبد الله الذي تَسَمَّى بِإِسْمَاعِيلَ . فَنَافَقَ جَمَاعَةٌ مِّنْ دُعَايِهِ،
فَذَكَرُوا إِسْمَاعِيلَ وَمُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، وهما لا يوجدان، وأصحاب
الحقَّ سَالِمُونَ آمِنُونَ .

فَكَانَ كُلَّمَا قَامَ مِنْهُمْ إِمَامٌ تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ، وَالْإِشَارَةُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ . وَالْمُرَادُ بِإِسْمَاعِيلَ عَبْدَ اللَّهِ؛ وَالْمُرَادُ بِمُحَمَّدٍ كُلِّ مَنْ
كَانَ فِي عَصْرِهِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ صَاحِبُ الظُّهُورِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ، فَتَزُولُ
التَّقِيَّةُ . وَالْأَمْرُ مُنْتَظَمٌ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ .

فَقَالَ مَوْلَانَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ حِينَ ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ
التَّقِيَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ، قَالَ : فَعَمِلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ خَيْرًا كَثِيرًا . فَكَانَ الْإِمَامُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، ثُمَّ بَعْدَهُ [مُحَمَّدٌ] بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، [ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ
بِْنِ مُحَمَّدٍ]،^(١) ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ . فَكُلُّ

(١) فِي الْأَصْلِ : ثُمَّ بَعْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْعِبَارَةَ نَاقِصَةٌ .
وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ فِيهَا سَبْقَ اسْمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (= مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) ، فَأَضْفَنَّا
إِلَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ اسْمِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ .

هؤلاء تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ مُحَمَّدٌ ، خلا عبد الله بن جعفر ، فإنه تَسَمَّى بِإِسْمَاعِيلَ . هكذا قال مولانا صلوات الله عليه في كتابه .

فكان ورد كتاب من محمد بن أحمد صلوات الله عليه ، فيه رسالة أولها : من محمد بن محمد . فجعلها عند المؤمنين إشارة وحجة وتذكرة إلى وقت ظهور هذا البيان .

ثم أَوْصَى محمد بن أحمد إلى ابن أخيه ، وأعطاه باختيار الله أمره كله ، وتَسَمَّى سعيد بن الحسين . فحُجِرَت الدعوة إليه زمانا [بعد] ذلك^(١) . فلما ظهر أظهر مقامه ، وأظهر اسم عبد الله ، فهو مولانا عبد الله الإمام صلى الله عليه .

وظهر معه مولانا أبو القاسم صلوات الله عليهما ، اسمه محمد . فصَحَّحت الإشارة إلى القائم [بن] المهدي^(٢) محمد بن عبد الله أبي القاسم ، الإمام المُنتَظَر لِغَزْوِ دولة الدين والجهاد برايات المؤمنين .

فكتب مولانا عبد الله صلى الله عليه بمعنى هذا الشرح ، وإن كان لم يُحَفَظْ على انتظام الكلام على النسق . ثم نَسَبَ نفسه فقال : والولي الآن (يعني نفسه) علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله الثاني

(١) في الأصل : بذلك .

(٢) في الأصل : إلى القائم المهدي .

[ابن محمد] بن عبد الله^(١) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي صلوات الله عليهم أجمعين . واسمه^(٢) الظاهر عبد الله بن محمد ، لأنه ابن محمد بن أحمد في الباطن . فهذا النسب هكذا كان في كتاب مولانا عليه السلام على هذا النسق .

ثم ذكر في كتابه هذه الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : جاء رجل من الشيعة إلى جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : يا ابن رسول الله ، كان من بني أمية كذا وكذا من ملك ، وبني العباس كذا وكذا من ملك ، وليس يكون منكم إلا مهدي واحد تقوم الساعة منه . فقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : لقد قلل الله آل محمد أن لم يكن منهم إلا مهدي واحد ، وإنما نبشركم بالمهدي المنتظر الذي يعز الحق على يده ، أول من يصعد على منبر جده ، ويُجاهد برايات المؤمنين على أخذ حقه ، ويزول به المحنة عن أهل شيعته ، ويعز جميع المؤمنين في دولته . ويكون بظهوره عز آل محمد إلى آخر الدنيا ، ويكون ولده^(٣) هداة

-
- (١) في الأصل : والولى الآن يعنى نفسه على بن الحسين بن علي بن أحمد ابن عبد الله بن عبد الله ثانياه . نقول : إن الأسماء بهذا النسق لا توافق بما سبق من الأسماء المستورين . والظاهر أنه وقع الخلط في هذا الموقع .
- (٢) في الأصل : واسم . (٣) في الأصل : ويكون من ولده .
- وقد يكون القراءة : ويكون بعض أوجاعة من ولده .

مهديين مؤيدين إلى أن تقوم الساعة . فمنّا المهديّ ، ومنّا المهاديّ ، ومنّا المهتديّ به ، ومنّا من تطلع الشمس على رأسه . فإن كنت تريد الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : تقوم القيامة ومُلك الدنيا في يدي رجل من ولدي من ولد الحسين ، وهو الذي يُصلي خلفه عيسى ابن مريم ، فإنما يكون ذلك في زمان الزلزال وخِداج الأعمال ، فلا يتبعه^(١) إلا واثق بعلمه ، يعني أنه لا ينفع في أيامه عملٌ حادِث ولا تُقبَلُ توبة ، وهو آخر الدنيا .

وقال مولانا أيضا في كتابه :^(٢) ولا بد بين كل ناطقين من إمام مملّك يظهر بالسلطان الظاهر والسيف عند تقية الأئمة وعُلُوّ الظلمة . فكان إدريس بين آدم ونوح ، وكان فالع بن عابر بين نوح وإبراهيم ، وكان يوسف بن يعقوب بين إبراهيم وموسى ، وكان داود وسليمان بين موسى وعيسى ، وكان بخت نصر بين عيسى ومحمد . فيعنى أن المهديّ بين محمد وبين صاحب القيامة .

ويروى عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه قال : يكون بعد السابع المهديّ فترة تأرز العلم بين المسجدين ، كما تأرز الحية في

(١) في الأصل : فلا يتمنه ، فيه تحريف وتصحيف .

(٢) في الأصل : كتاب .

جحرها؛^(١) ثم لا يروعكم إلا صاحبكم يدعوكم إلى نفسه بالسيف. فيعني تَارِز يستخفي وينحجز؛ وبين المسجدين يعني بين الإمامين، بين جعفر ابن محمد والإمام الذي يظهر بالسيف، وعدد^(٢) هؤلاء السبعة من رسول الله صلى الله عليه وآله. فالسابع جعفر بن محمد صلوات الله عليه.

وأجاب مولا ناعبد الله وقد سئل عن الشرح^(٣) الذي كان بين الناطق إلى الناطق سبعة أئمة، وقد ذكر العدد في الأئمة الذين ذُكروا^(٤) من آبائهم عليهم السلام بعدد أكثر من سبعة، فقال في كتابه^(٥) صلوات الله عليه: إنما هي سبع مراتب، تدور كما تدور الأيام، يكون فيها من الأئمة ما شاء الله، حتى يظهر الناطق بفترة متى أراد الله سبحانه. فهذا المعنى كتب به إلى ناحيتنا باليمن مولا نا أمير المؤمنين عبد الله صلوات الله عليه، بلا زيادة في معنى الشرح ولا نقصان، وبالروايات التي فيها، إلا أن يكون لفظة زادت، أو لفظة نقصت، ولا تحيل المعنى لأن الكتاب لم يحفظ على التسق.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على النبي محمد والصفوة من آله وسلم تسليما.

-
- (١) روى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان بدأ غريبا وسعود كما بدأ؛ فطوبى للغرباء. إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده، ليُزَوَّانَ الإيمان بين هذين المسجدين كما تَارِز الحية في جحرها.
- (٢) في الأصل: وعد. (٣) كذا في الأصل. وإنما ترجح أن يكون اللفظ نكرة.
- (٤) في الأصل: ذكر. (٥) في الأصل: في كتابه له ثاني.

الملحق - ٢

جريدة المراجع

ملحوظة : ان ترتيب المراجع هنا حسب التسلسل الهجائي . وفي حالة
عدم ذكر المؤلف فان عنوان الكتاب يأخذ مكانه حسب أول حرف من
حروفه ، مع اهمال (ال) التعريف والكنية وما شابه .

أولا :

القرآن الكريم

ثانيا :

المراجع الأخرى

ابن الأثير (- ٦٣٠) ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني
الكامل في التاريخ . بيروت . دار صادر . ١٣٨٥ .

الاسترأبادي (- ١٠٢٨) ، محمد بن علي بن ابراهيم
منهج المقال . مخطوط . دمشق . المكتبة الظاهرية . رقم ٧٥٧٣
ادريس (- ٨٧٣) ، الداعي عماد الدين

زهر المعاني . نشر جزءا منه . ايفانوف في : *Ivanow.*

RISE OF THE FATIMIDS, Inda. 1942.

الأذني ، سليمان

الباكورة السليمانية . ط بيروت . قديمة . مصور عن نسخة في مكتبة

كلية الالهيات . جامعة أنقرة .

الأشعري (- ٣٣٠) أبو الحسن علي بن اسماعيل .

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

القاهرة . د . ت .

الأشعري - القتي (- ٣٠١) سعد بن عبد الله بن أبي خلف .

كتاب المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور . طهران . مطبعة

حيدري . ١٣٤١ ش

الأصفهاني (- ٣٥٦) ، أبو الفج علي بن الحسين

الأعاني • بيروت • تصوير دار الفكر • د • ت •

الأصول الماسونية للمخافت المصرية الوطنية • القاهرة • مطبعة الاداب • ١٨٨٩ ✓

الألوسي (- ١٣٤٢) ، مسعود شكري

مختصر التحفة الاثني عشرية • ط ٢ • القاهرة • المطبعة السلفية • ١٣٨٧

الامام المستور ، أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل (الباطني) •

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا • تحقيق مصطفى غالب • بيروت • دار

صادر • ١٣٩٤

الأنصاري ، عبد الواحد

مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام • بيروت • مؤسسة الأعلي • ١٣٩٣ ✓

ايمار وزميلته

روما - امبراطوريتها • بيروت • عويدات • ١٩٦٤

ايفانوف ، و

الأدب الاسماعيلي (باللغة الانجليزية) • ط ٢ • طهران • مطبعة

جامعة طهران • ١٩٦٣

Ivanow, ISMAILI LITERATUR. Tehran. 1963

THE GUIDETO = وهو المعروف باسم :

الاسماعيليون والقرامطة • (ترجمة الى العربية مسعود علي مسعود) • مكتوب

بالقلم في مكتبة سليمان السلوي •

البخاري (- ٢٥٦) ، الامام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل

صحيح البخاري • كما ورد في : فتح الباري لابن حجر • القاهرة • المطبعة

السلفية • ١٣٨٠

ابن بدران (١٣٤٦ -) عبدالقادر بن أحمد

تهذيب ابن عساكر ، ج ٧ . دمشق . المكتبة العربية . ١٣٥١

عبدالرحمن بدوي

شخصيات قلقة في الاسلام . ط ٣ . الكويت . وكالة المطبوعات . ١٩٧٨

مذاهب الاسلاميين - ج ٢ - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٣ .

البخداوي (- ٤٢٩) ، عبدالقاهر بن طاهر

الفرق بين الفرق . ط ٢ . بيروت . تصوير دار الآفاق . ١٩٧٧

القاهرة . محمد علي صبيح . د . ت . " " "

تاريخ العالم . ج ٤ . (الترجمة العربية) . القاهرة . وزارة التربية والتعليم .

د . ت .

التميمي ، اسماعيل بن محمد بن حامد الدرزي

كتاب تقسيم العلم . مخطوط الخزانة التيمورية . دار الكتب المصرية . عقائد

- ٦٦٢ .

ابن تيمية (- ٧٢٨) ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم

مجموع الفتاوى . ج ٣٥ . جمع ابن قاسم . مكة . مطبعة الحكومة . د . ت .

الجاحظ (- ٢٥٥) ، أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين . تحقيق . عبدالسلام هارون . القاهرة . الخانجي . ١٣٩٥

جعفر بن منصور اليمن (عاش حتى أواخر القرن الرابع)

أسرار النطق . (نشر جزءاً منه ايفانوف) في : the RISE ...

الشواهد والبيان . مخطوط في الخزانة التيمورية . عقائد - ١٨٤

كتاب الفرائض وحدود الدين (نشر جزءاً منه . الهمداني . بعنوان : في

نسب الخلفاء الفاطميين) الجامعة الأمريكية . القاهرة . ١٩٥٨

الجعفي ، الفضل بن عمر (راوى الكتاب)

الهدفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق (ع) • تقديم وتحقيق •

مصطفى غالب • بيروت • دار الأندلس ١٩٦٤

جمال الدين ، محمد السعيد -

دولة الاسماعيليين في ايران • القاهرة • سجل العرب • ١٣٧٥

ابن جندان (حضري معاصر كان يعيش في اندونيسيا)

السهم الرامي • مكتوب بالقلم ومصور في مركز البحث العلمي • مكة.كلية

الشرعية •

الجندي ، أنور

المخططات التلمودية ••• في غزو الفكر الاسلامي • القاهرة • دار الاعتصام

١٩٧٧ •

ابن الجوزي (- ٥٩٦) ، عبد الرحمن

تلبس ابليس • تحقيق • الاسلامبولي • بيروت ١٣٩٦ •

جولد زيمر ، اجناس

العقيدة والشرعة • ط ٢ • (الترجمة العربية) • القاهرة • دار الكتاب

العربي • د • ت •

الجويني (- ٦٨١) عطاء الملك

تاريخ جهانگشاي • (ترجم جزاً منه محمد السعيد جمال الدين • دولة

الاسماعيلية في ايران) •

الحارثي (- ٥٨٤) ، الداعي محمد بن طاهر

الأنوار اللطيفة في الحقيقة • (نشر • محمد حسن الأعظمي • الأسرار الخفية

عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية) القاهرة • الهيئة المصرية

العامة • ١٩٧٠

حافظ ، عبدالله

منهج النقد عند المحدثين • رسالة علمية قدمت الى كلية
الشرعة والدراسات الاسلامية بمكة ١٣٩٢ •

الحامدي (- ٥٩٦) ، الداعي حاتم بن ابراهيم
رسالة زهر بذر الحقائق • (نشر عادل العوا • منتخبات اسماعيلية)

دمشق • الجامعة السورية • ١٣٧٨
المجالس الحاتمية • مخطوطة مصورة في حوزة الباحث وتختلف كلياً
عن غيرها وهي ناقصة •

مجالس حاتم • (نشر مجلسا منها • ايفانوف في ... the RISE)
الهند • ١٩٤٢

الحبشي ، عبدالله
مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن • صنعاء • مركز الدراسات
اليمنية • د • ت •

ابن حجر (- ٨٥٢) ، أحمد بن علي العسقلاني
لسان الميزان • بيروت • تصوير مؤسسة الأعلمي • ١٣٩٠

الحجوري (- ٥٣٣) ، الداعي الخطاب بن الحسن الهمداني
غاية المواليد • (نشر جزأ منه • ايفانوف في ... the RISE)
الهند • ١٩٤٢ •

ابن ابي الحديد (- ٦٥٥) ، عبد الحميد بن هبة الله
شرح نهج البلاغة • ج ٢ • القاهرة • مصطفى الحلبي وأخوه • د • ت

ابن حزم (- ٤٥٦) ، أبو محمد علي بن أحمد
جمهرة أنساب العرب • تحقيق عبدالسلام هارون • القاهرة • دار المعارف

الفصل في الملل والأهواء والنحل . ج ٤ . بيروت . تصوير دار المعرفة

١٣٩٥ .

حسن ، سعد محمد -

المهدية في الاسلام . القاهرة . دار الكتاب العربي . ١٣٧٣

حسين ، محمد كامل -

طائفة الاسماعيلية - تاريخها ، نظمها ، عقائدها - القاهرة . مكتبة

النهضة المصرية . ١٩٥٩

طائفة الدروز . القاهرة ١٩٥٢ .

في أدب مصر الفاطمية . القاهرة . دار الفكر العربي ١٩٦٣

حمزة بن علي (- ٤٣٣) مؤسس مذهب الدروز) .

رسالة التحذير والتنبيه . مخطوطة في الخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢

رسالة خمار . مخطوطة بالخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢

ابن خزيمة (- ٣١١) ، محمد بن اسحق .

صحيح ابن خزيمة . ج ٤ . تحقيق محمد مصطفى الأعظمي . دمشق . المكتب

الاسلامي . ١٣٩٩ .

ابن خياط (- ٢٤٠) ، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري .

تاريخ خليفة بن خياط . ط ٢ . تحقيق أكرم العمري . بيروت . مؤسسة

الرسالة ١٣٩٧

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانجليزية) ج ١ . ط . ليدن

دائرة المعارف اليهودية . ط نيويورك

The JEWISH ENCYCLOPEDIA, vol. IX. New York. 1903

JEWISH
The UNIVERSAL ENCYCLOPEDIA, Landman, New York.
دائرة المعارف اليهودية العامة

دي بور

تاريخ الفلسفة الاسلامية . ترجمة . أبو ريذة . القاهرة . لجنة التأليف

١٣٥٧

الديلي (- ٧١١) ، محمد بن حسن

قواعد عقائد آل محمد . القاهرة . عزت الطار . ١٣٦٩

الذهبي (- ٧٤٨) ، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد

تهذيب التهذيب . ج ٢ . مصور عن مطبعة حيدرآباد ١٣٢٦

ميزان الاعتدال . ج ٢ . تحقيق البجاوي . مكة المكرمة . الباز ١٣٨٢

الرازي (- ٣٢١) ، الداعي أبو خاتم احمد بن حمدان

كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - (نشر جزأ منه عبدالله سلوم

السامرائي في كتابه . الخلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية) . بغداد . دار

الحرية . ١٣٩٢

الرازي (- ٦٠٦) ، فخر الدين محمد بن عمر

اعتقادات فرق المسلمين والمشركون . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية

١٣٥٦ .

الرازي (- ٦٦٦) ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

مختار الصحاح . بيروت . دار الفكر . ١٣٩٨

رسالة الانصاء (درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية . عقائد

النحل - ٤٥

رسالة الايقاظ والبشارة . (درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية

عقائد النحل - ١٣٨ .

الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم • (درزية) • مخطوطة • دار الكتب

المصرية • علم كلام النحل - ٥٤

رسالة الصبغة الكائلة • (درزية) • مخطوطة • دار الكتب المصرية

عقائد النحل - ٥٤

رسالة النساء الكبيرة • مخطوطة درزية • في الخزانة التيمورية •

عقائد - ٢٦٦ •

الزركلي ، خير الدين

الاعلام • ط ٣ • تصوير • بيروت • ١٣٨٩

الزغبى ، محمد علي

الماسونية في العراق • ط ٢ • بيروت • مؤسسة الزغبى • ١٣٩٥

السجستاني (- قبل ٣٨٦) الداعي أبو يعقوب السجزي

كتاب اثبات النبوات • تحقيق • عارف تامر • بيروت • المطبعة الكاثوليكية

• ١٩٦٦

السجلات المستنصرية • تحقيق • عبد المنعم ماجد • القاهرة • دار الفكر

العربي • ١٩٥٤ •

سزكين ، فؤاد

تاريخ الترك العربي ج ٢ • ترجمة محمود حجازي وزميله • القاهرة •

الهيئة المصرية العامة للكتاب • ١٩٧٨ •

شاروبيم ، ميخائيل (بك)

التلبد في مذهب أهل التوحيد • القاهرة • مطبعة رعمسيس • د • ت •

الشكعة ، مصطفى -

اسلام بلامذاهب • ط ٤ • بيروت • ١٣٩٩

شلي ، أحمد -

المسيحية • ط ٤ • القاهرة • مكتبة النهضة المصرية • ١٩٧٢

اليهودية • ط ٤ • القاهرة • مكتبة النهضة المصرية • ١٩٧٤

الشهرستاني (- ٥٤٨) ، محمد عبد الكريم

الملل والنحل . تحقيق الكيلاني . القاهرة . مصطفى الحلبي . ١٣٨٧

الشيال ، جمال الدين -

الوثائق الفاطمية - ١ . ط ٢ . القاهرة . دار المعارف . ١٩٦٥

الشيبي ، كامل مصطفى

الصلة بين التصوف والتشيع . ط ٢ . القاهرة . دار المعارف . ١٩٦٩

الفكر الشيعي والنزعات الصوفية . بغداد . مكتبة النهضة . ١٣٨٦

الطبري (- ٣١٠) ، محمد بن جرير

تاريخ الأمم والملوك . المعروف بتاريخ الطبري . تحقيق أبو الفضل

ابراهيم . القاهرة . دار المعارف . ١٩٧٠

طه حسين

الفتنة الكبرى - علي ونوره . ط ٨ . دار المعارف . ١٩٧٥

الطويان ، الأب - ؟

كشف الفضائح الدرزية . مخطوط مصور في الخزانة التيمورية . عقائد

- ١٦٣

الطبيبي ، الداعي شمس الدين

رسالة الدستور ودعوة المؤمنين الى الحضور . (نشر عارف تامر . فسي

أربع رسائل اسماعيلية) . بيروت . دار الكشاف . ١٩٥٢

ظفر الاسلام خان

التلمود - تاريخه وتعاليمه . ط ٢ . بيروت . دار النفائس . ١٩٧٢

عارف تامر

أروى بنت اليمن . (سلسلة اقرأ - ٣٣٠) . القاهرة . دار المعارف . ١٩٧٠

الامامة في الاسلام . بيروت . دار الكتاب العربي . د . ت .

القرامطة . بيروت . مكتبة الحياة . د . ت .

عبد الباقي ، محمد فؤاد

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم • بيروت • تصوير دار الفكر • د . ت

مفتاح كنوز السلة • لاهور • تصوير سميل أكيدعي • ١٩٧١

ابن عبد ربه (٣٢٧) • أحمد بن محمد القرطبي

العقد الفريد • تحقيق أحمد أمين وزميليه • القاهرة • لجنة التأليف •

• ١٩٧٥

عبد السلام ، محمود أحمد

النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني • رسالة علمية • جامعة الاسكندرية

كلية الاداب • ١٩٧٨ •

عبد العليم عبد العظيم

الأحاديث الواردة في المهدي • رسالة علمية • كلية الشريعة بمكة •

١٣٩٨

العسكري ، مرتضى -

عبد الله بن سبا وأساطير أخرى • ط ٣ • بيروت • دار الكتاب • ١٣٨٨

علم الاسلام ثقة الامام (لقب لداع باطني مجهول)

المجالس المستنصرية • تحقيق محمد كامل حسين • القاهرة • دار الفكر

العربي • د . ت

عنان ، محمد عبدالله -

الحاكم بأمر الله • القاهرة • دار النشر الحديث • د . ت

المعهد القديم

(الترجمة العربية) • دار الكتاب المقدس بالعالم العربي • ١٩٧٨

الغزالي (- ٥٠٥) • أبو حامد محمد بن محمد بن محمد

فضائح الباطنية • ط ٢ • تحقيق عبدالرحمن بدوي • الكويت • دار

الكتب الثقافية • د . ت •

الفاتح ، زهدي -

فضح التلمود . سلسلة اليهود والعالم - ١١ . بيروت . ١٣٩٤

اليهود . بيروت . ١٣٩٢

فلوتن ، فان -

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية . ترجمة

حسن ابراهيم حسن . القاهرة . مطبعة السعادة . ١٩٣٤ .

أبوفراس (- ٩٣٧) ، الداعي شهاب الدين بن ابراهيم

الايضاح . تحقيق عارف تامر . بيروت . المطبعة الكاثوليكية . ١٩٦٥

مطالع الشموس في معرفة النفوس . (نشر عارف تامر . أربع رسائل

اسماعيلية) بيروت . دار الكشف . ١٩٥٢

مناقب الولي راشد الدين . (نشر مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث .

بيروت . دار اليقظة العربية . د . ت

فريد لاندرو ، اسرائيل

ابتداعيات الشيعة عند ابن حزم مقالة باللغة الانكليزية . نشرت في

مجلة : J.A.O.S. Vol XXIX . 1910

ابن ابي الفضائل (- أواسط القرن الخامس) ، محمد بن مالك اليماني

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة . عزت العطار . ١٣٥٧

فلهاوزن

أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الاسلام . ترجمة عبدالرحمن

بدوي . القاهرة . مكتبة النهضة . ١٩٥٨ .

فهرس الموضوعات الكتابية . ط ٢ . (فهرس للكتاب المقدس) . القاهرة .

دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٠

القاضي عبد الجبار (- ٤١٥) ، عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي

تثبيت دلائل النبوة . تحقيق عبدالكريم عثمان . بيروت . دار العربية ١٣٨٦

القاضي النعمان (٣٦٣) ، النعمان بن حيون المغربي (داعى الدعاة)

أساس التأويل . مخطوط غير مرقم . في مكتبة جامع صنعاء - الخريبة

افتتاح الدعوة . تحقيق فرحات الدشراوي ، تونس . الشركة التونسية

للتوزيع . ١٩٧٥

تأويل الدعائم . تحقيق محمد حسن الأعظمي . القاهرة . دار المعارف .

د . ت . د

دعائم الاسلام . ط ٣ . تحقيق آصف فيضي . القاهرة . دار المعارف .

١٣٨٩

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . (نشر ايفانوف : The RISE)

الهند . ١٩٤٢

ابن قتيبة (٢٧٦) ، عبدالله بن مسلم

المعارف . ط ٢ . تحقيق ثروت عكاشة . القاهرة . دار المعارف ١٩٦٩

ابن قرة الصابي (- ٣٦٥)

تاريخ أخبار القرامطة . تحقيق سهيل زكار . بيروت . دار الأمانسة .

١٣٩١

كاشف الغطاء (- ١٣٧٦) ، محمد الحسين

أصل الشيعة وأصولها . ط ١٠ . القاهرة . المطبعة الحربية . ١٣٧٧

و ط . نائب بغداد . ١٣٦٣

الكرماني (- ٤١٢) ، الداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله

الرسالة الواعظة في نفي الوهيسة الحاكم بأمر الله . تقديم محمد كامس

حسين ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة . مايو ١٩٥٢

كتاب الرياض . تحقيق عارف تامر . بيروت . دار الثقافة . ١٩٦٠

الكشي (- ٣٤٠) ، محمد بن عمر

معرفة أخبار الرجال . نشر الحاج الحائري . بومبي . د . ت . د

لويس ، برنارد -

أصول الاسماعيليه ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ، دار الفكر
العربي ، د . ت .

مجالس الحكمة ، مخطوط ، متأخر النسخ ، ناقص ، تصور لدى
الباحث .

المجدوع (- القرن الثاني عشر) ، اسماعيل بن عبد الرسول الأجنبي ،
فهرست الكتب والرسائل ، تحقيق عليقي منزوي ، طهران ، مطبعة
الجامعة ، ١٩٦٦ .

مجهول

مجموعة حقيقة حق اليقين في معرفة سراسر مولانا أمير المؤمنين
مخطوط بجامعة كامبرج رقم : BROWN. Ms. E2

مجهول

مسائل مجموعة من الحقائق العالية . (نشره شتروتمان ، أربعة كتب
اسماعيليه -) جوتجن ، ١٩٤٢ .

مسعد ، بولس حنا -

ممجبة التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ .
المسعودي (- ٣٤٦) ، أبو الحسن علي بن الحسين

مرج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ٥ ، تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٣ .

مسلم (- ٢٦١) ، - بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

صحيح مسلم ، بشرح النووي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، د . ت .
مصطفى غالب

أعلام الاسماعيليه ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ .

تاريخ الدعوة الاسماعيليه ، دمشق ، دار اليقظة ، د . ت . و ط ٣
بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٩ .

- شنان راشد الدين - شيخ الجبل • بيروت • دار اليقظة العربية ١٩٦٧
- المقريزي (٨٤٥ -) ، أحمد بن علي
- اتماظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء • القاهرة • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية • ١٣٩٣ ، وكذلك ط ١٣٧٨
- المكرمي ، علي بن سليمان
- حياة الأحرار • مخطوط مصور لدى الباحث • نسخ في سنة ١٠٥٣
- في حياة مؤلفه
- المهدي بالله المرتضى (٨٤٠ -) ، أحمد بن يحيى
- المنية والأمل في الملل والنحل • مخطوط في مكتبة صنعاء الغربية •
- علم الكلام ١٥٣
- موسوعة تاريخ الحضارات العام - الحضارة اليونانية والديانة اليهودية •
- بيروت • عويدات • ١٩٦٤
- المؤيد في الدين (٤٧٠ -) ، هبة الله أبو نصر بن موسى الشيرازي (داعي الدعاة)
- ديوان المؤيد في الدين • تحقيق وتقديم محمد كامل حسين • القاهرة
- دار الكتاب المصري • ١٩٤٩
- السيرة المؤيدية • تحقيق وتقديم محمد كامل حسين • القاهرة • دار
- الكتاب المصري • ١٩٤٩
- المجالس المؤيدية • تلخيص حاتم بن إبراهيم • تحقيق محمد عبدالقادر
- عبدالناصر • القاهرة • دار الثقافة • ١٩٧٥
- ابن ميمون (٦٠٢ -) ، أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي •
- دلالة الحائرين • تحقيق حسين آتاي ، أنقره • مطبعة جامعة أنقرة •
- ١٩٧٤

الناشيء الأكبر (٢٩٣ -) ، عبدالله بن محمد

مسائل الامامة • تحقيق يوسف فان اس • بيروت • المعهد الألماني

للدراستات الشرقية ١٩٧١

ابن النديم (- ٣٧٨) ، أبو الفج محمد بن اسحق

الفهرست • القاهرة • المكتبة التجارية الكبرى • د • ت

النشار ، علي سامي -

نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام • ج ٢ • ط ٢ • القاهرة • دار المعارف

١٩٧٧ •

نصرالله ، يوسف حنا

الكنز المرصود في قواعد التلمود • ط ٢ • تقديم مصطفى الزرقا • بيروت

١٣٨٨ •

النويختي (- ٣١٠) ، أبو الحسن محمد بن موسى

فرق الشيعة • ط ٤ • النجف • المطبعة الحيدرية • ١٣٨٨ •

النيسابوري (كان يعيش في أواخر القرن الرابع) ، أحمد بن ابراهيم (أو ابن

محمد) •

استتار الامام • لنشر ايفانوف • مجلة كلية الاداب • جامعة القاهرة

ديسمبر ١٩٣٦ •

ابن الوليد الأنس (- ٦١٢) ، الداعي علي بن محمد

دافع الباطل وحلف المناضل • مخطوط في مكتبة صنعاء - الخريبة - غير

مرقم •

رسالة الاسم الأعظم • (نشر شتروثمان • أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن •

١٩٤٢

رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتي الجسم والدين • (نشر شتروثمان

أربعة كتب اسماعيلية) • جوتنجن ١٩٤٢

رسالة تحفة المرتاد وعضة الأضداد . (نشر شروثمان . أربعة كتب

اسماعيلية) جوتنجن . ١٩٤٢ .

اليقوي (- بعد ٢٩٢) ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

تاريخ اليقوي . بيروت . دار بيروت ١٣٩٠

اليمني (ربما كان على قيد الحياة في ٣٦٥) ، محمد بن محمد

سيرة جعفر الحاجب . نشر ايفانوف . مجلة كلية الاداب . جامعة

القاهرة . ديسمبر ١٩٢٦ .

المحتوى

رقم الصفحة

المقدمة

التمهيد

الباب الأول :

١٥٥-١

الخلو الشيعى والفرق الباطنية

تمهيد

١

التشيع . ظهور التشيع

١٤-٣

الفصل الأول : الصحابة والخلوفى أهل البيت

٣

مجتمع عصر النبوة

٤

محبة الصحابة لآل رسول الله (ص)

٥

موالاة على بن أبى طالب

٧

على والخلافة

٩

السلف الصالح لأهل البيت والتشيع

١١

على والتشيع

١١

الحسن بن على ..

١٢

الحسين بن على ..

١٣

حقيقة التشيع

١٤ - ٥٦

الفصل الثانى : ظهور الخلو

١٤

تعريف الخلو الشيعى

١٤

تصنيف الغلاة اجمالاً

١٦

عبد الله بن سبأ : من هو

١٧

نشأته

١٨

هل كان ابن سبأ أسطورة

١٩

المستشرقون وابن سبأ

رقم الصفحة

٧١	مؤسس الكيسانية
٧٤	نفي وجود الكيسانية
٧٤	عقائد الكيسانية
٧٦	ب - الكريسية
٧٦	عقائد الكريسية
٨٠	كثير عزه
٨١	السيد الحميرى
٨٢	حمزة بن عمارة البربرى
٨٧	صائد النهدي
٨٩	ج - الهاشمية
٨٩	عقائد الهاشمية
٩١	١ - البيانية
٩٢	عقائد البيانية
٩٣	٢ - الحربية
١٠٠	عقائد الحربية
١٠٠	٣ - العباسية أو الروندية
١٠٣	عقائد العباسية
١٠٣	٤ - الجناحية أو المعاوية
١٠٥	عقائد الجناحية
	٥ - فرقة من الكيسانية غير معروفة باسم
١٠٦	معين
١٠٦	كيسنة القرامطة
١٠٨	خاتمة الحديث عن الكيسانية
	عقائد السبئية والفرق الحنفية الكيسانية
١٠٨	على ضوء الفكر اليهودى

رقم الصفحة

٢١ الباحثون العرب وأفكار شخصية ابن سبأ

٣٦ = مناقشة المنكرين لعبد الله بن سبأ

١- المنكرون لابن سبأ استثناء اعلى

٢٦ تجريح سيف بن عمر

٣٨ ٢- أنكار طه حسين لابن سبأ

٣٨ ٣- المنكرون لدور ابن سبأ السياسى

٤١ بعض التحركات السرية ضد عثمان

٤٤ ٤- المنكرون يهودية ابن سبأ

٥- انكار وجود ابن سبأ وأحالة
الدور الذى قام به الى عمار بن
٤٥ ياسر

٥٤ ابن سبأ فى الفكر الباطنى

١٣٨ - ٥٧ الفصل الثالث : الغلو بعد عبد الله بن سبأ

٥٧ الفلاة وفرقهم تفصيلا

٥٩ ١- السبئية

٥٩ عقائد السبئية

٥٩ أ - القول بحلول اللاهوت فى الناسوت

٦٠ ب - المهدية والرجعة

٦٣ ج - الوصاية والامامة

د - النيل من صحابة رسول الله (ص) هـ

٦٥ وتكفيرهم

٦٦ هـ - العلم الخفى والتأويل الباطنى

٦٩ ٢- الفلاة فى محمد بن الحنفية

٧٠ أ - الكيسانية

- ١- القول بحلول الجزء الالهي في
البشر ١٠٨
- ٢- المهدى المنتقم ورجعته ١٠٩
- ٣- القول بالامامة والوصاية ١١٠
- ٤- التأويل الباطني ١١٠
- ٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق ١١٠
- ٦- القول بجواز البداء على الله ١١٢
- ثالثا : الخلافة في ذرية الحسين ١١٢
- أ - الخلافة الحسينيون ١١٢
- المغيرية ١١٢
- عقائد المغيرية ١١٤
- ب - الخلافة الحسينيون ١١٧
- ١- المنصورية ١١٧
- تلخيص عقائد المنصورية ١٢٢
- الفكر اليهودي في عقائد المنصورية ١٢٣
- ٢- الخطابية ١٢٥
- الفرق الخطابية ١٢٨
- ١- المعمرية ١٢٩
- ٢- البزيعية ١٢٩
- ٣- العميرية ١٢٩
- ٤- الخطابية المطلقة ١٢٩
- تلخيص عقائد الخطابية ١٣٤
- عقائد الخطابية على ضوء الفكر اليهودي ١٣٤
- ١- قولهم انهم أبناء الله واحباؤه ١٣٥
- ٢- انكارهم الثواب والعقاب في الآخرة ١٣٥
- ٣- ابحاثهم شهادة الزور على مخالفهم ١٣٧

١٣٩	الفصل الرابع : ظهور الفرق الباطنية من الخلافة
١٤٠	١- الناوروسية
١٤١	٢- النمطية
١٤١	٣- الفصحية
١٤٢	٤- الموسوية
١٤٢	النصيرية
١٤٣	٥- الاسماعيليه
١٤٤	أ- الاسماعيليه الأول
١٤٤	١- الاسماعيليه الخالصه
١٤٥	٢- المباركية
١٤٦	ب- الاسماعيليون العبيديون
١٤٦	ظهور الاسماعيليه
١٤٩	تفرق الاسماعيليه
١٥٠	الدروز
١٥٠	ظهور النزارية والمستعليه
١٥١	النزارية
١٥٢	المستعليه
١٥٢	الحافظيه
١٥٢	الطبييه
١٥٣	١- الداودية
١٥٣	٢- السليمانية
١٥٥	نتيجة الباب الأول
٣٠٤ - ١٥٦	الباب الثاني : عقائد الفرق الباطنية
١٥٦	تمهيد

رقم الصفحة

٢٠٥

اصل التسبيح وعلاقته بالفكر اليهودي

٢١٢ - ٢٢٢

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين

١١٢

قصة الخلق والعقول العشرة

١١٥

الكرويهون عند الباطنيين واليهود

١١٨

الاشتراك اللفظي في اسم الله عند الباطنيين

٢٢١

“ “ “ “ “ عند اليهود

٢٢٢

تألية النصيرة لعلي بن ابي طالب

٢٢٢

حلول روح الله في البشر عند الدرزي والاسماعيليين

٢٢٣ - ٢٣٢

الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين في سيدنا محمد (ص) وفي كونه

خاتم الانبياء والمرسلين

٢٢٧

آخر الرسل عند الباطنيين

٢٢٨

نسخ شريعة محمد (ص)

٢٢٩

شخصيته (ص) ومكانته عند الباطنيين

٢٣٢

علاقة هذا الفصل بالبحث

٢٣٣ - ٢٥٧

الفصل الخامس : الامامة

٢٢٣

تعريف الامامة

٢٢٣

الشيعية والامامة

٢٣٦

الامامة عند الباطنيين

٢٣٦

خصائص الائمة

٢٣٧

١- تكون الامام من لاهوت وناسوت

٢٣٨

الاصل اليهودي للفكرة

٢٤١

٢- وصف الامام بصفات الله

٢٤٢

٣- وصف الائمة بأنهم يعلمون الغيب والسر

٢٤٦

٤- الاتيان بخوارق العادات

رقم الصفحة

٢٨٠	تمهيد :
٢٨٠	المهدي عند أهل السنة
٢٨٤	المهدي عند الشيعة
٢٨٤	المهدية على الرجعة
٢٨٩	المهدي الباطني
٢٨٩	أفضلية القائم المنتظر على المرسلين
٢٩١	القائم يعنى القيامة
٢٩٤	الاراء الباطنية فى الثواب والعقاب
٢٩٤	١- كون الثواب والعقاب غير جسمانيين
٢٩٥	٢- الثواب والعقاب عند قيام قائم القيامة المنتقم
٢٩٧	القائم المنتقم عند الخلا واليهود
٢٩٩	٣- الثواب والعقاب فى الدنيا - (صورة للتناسخ) -
٣٠٣	الأصل اليهودى لذلك

نتيجة الباب الثانى

٣٠٥ - ٤٤٧	الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها
-----------	--

تمهيد :

٣٠٨ - ٣٥٢	الفصل الأول : الدعوة الباطنية
٣٠٨	عماد الدعوة الباطنية
٣٠٨	١- وجود الضد المخالف
٣٠٨	٢- تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض
٣٠٩	الركنان الأساسيان فى الدعوة الباطنية
٣٠٩	١- السريسة
٣١٢	متى ظهر الباطنيون بها
٣١٤	العاصمة
٣١٥	المستجيبيون

رقم الصفحة

٣١٦	الوسائل السرية الباطنية
٣١٦	الطريقة الشفهية عند الباطنيين
٣١٨	“ “ عند اليهود
٣٢٠	الكتابة السرية
٣٢٤	التلغيز عند الباطنيين
٣٢٥	عند اليهود
٣٢٦	٢- التدج في الدعوة
٣٣٣	أهمية أخذ العهد
٣٣٥	دور القمع الفكرى فى الدعوة الباطنية
٣٣٨	صيغة العهد
٣٤٣	العهد الماسونى
٣٤٩	التوافق بين الماسونية والباطنية
٣٥١	يهودية الماسونية
٣٥٣ - ٣٩٨	الفصل الثانى : الدعوة الباطنية
٣٥٣	التنظيم الباطنى للدعاة
٣٥٤	الدعاة الباطنيون والأعداد
٣٥٩	مراتب الدعاة الباطنيين
٣٦٤	١- الحجارة
٣٦٦	٢- الباب
٣٦٧	٣- داعى البلاغ
٣٦٨	٤- داعى الدعابة
٣٦٩	٥- دعاة الجزائر
٣٧١	منظمة داعى الجزيرة
٣٧٢	حجج الليل

٣٧٣	مظاهر في الدعوة الباطنية
٣٧٥	تجلونات الدعوة والعقائد للباطنية
٣٧٩	الفكر اليهودي في تراث الدعوة للباطنيين
٣٨٢	الداعي أبو يعقوب السجستاني
٣٨٢	الداعي للمنعمان
٣٨٤	الداعي أبو فخراس
٣٨٦	الداعي حميد الدين الكرمانى
٣٨٩	حاتم بن ابراهيم الحامسدى
٣٩٠	كتاب مجلس الحكمة
٣٩٣	مجموعة الوثائق الفاطمية
٣٩٩ - ٤٤٧	الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية
٣٩٩	علاقة النسب الفاطمى بتاريخ الدعوة الباطنية
٤٠٠	المنكرون للنسب الفاطمى
٤٠١	ارسال الدعوة الى البلاد المختلفة
٤٠٤	انتظار المجهول
٤٠٧	بداية الشك في شخصية عبيد الله المهدى
٤١٢	بين الكوفة وسليمة
٤١٩	القائم بأمر الله العبيدى
٤٢٨	النسب الحقيقى للعبيديين
٤٢٨	القواحيون بين الاسطورة والحقيقة
٤٣٠	في الفكر الباطنيين
٤٣٤	ضد غير الباطنيين
٤٣٧	أصل القداحيين
٤٤٧	نتيجة الباب الثالث
٤٤٨	الخاتمة
٤٥٦	ملحق - ١ رسالة المهدى عبيد الله الى أهل اليمن
٤٦٦	ملحق - ٢ جريدة الراجح
٤٨٢	المختصر